الجمهورية اليمنية

جامعة صنعاء

كلية الآداب – قسم التاريخ

شعبة التاريخ الحديث والمعاصر

موقف المؤرخين اليمنيين المعاصرين للحكم العثماني الأول

بين مؤيد ومعارض

مع دراسة وتحقيق مخطوطة

بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام

للمؤرخ / محمد بن يحيى المطيب الزبيدي الحنفي

رسالة مقدمة من الباحث

أحمد صالح عبدربه المصري

لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث

تحت إشراف

مشرف مشارك

د. محمود قاسم الشُعبي

مشرف رئيس

أ.د. سيد مصطفى سالم

1427هـ - 2006 م

□موقف المؤرخين اليمنيين المعاصرين للحكم العثماني الأول بين مؤيد ومخالف

مع دراسة وتحقيق مخطوطة

□بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام

للمؤرخ / محمد بن يحيى المطيب الزبيدي الحنفي

رسالة مقدمة من الباحث

أحمد صالح عبدربه المصري

لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث

تحت إشراف

مشرف مشارك	مشرف رئيس
د. محمود قاسم الشُعبي	أ.د. سيد مصطفى سالم

1427هـ - 2006 م

إهداء

إلى من أحسنا تربيتي

وعلماني معنى الحياة

وذلّلاَ الصعاب أمامي

والديّ

إلى المغفور لهما بإذن الله تعالى

الشيخ/ مطهر سعيد المصري

والشيخ / صلاح محمد المصري

إلى زوجتي واخوتي

إلى أولادي أدهم، إيمان، أريحا

أُهديهم جميعاً هذا العمل المتواضع.

كلمة شكر

عرفاناً بالجميل أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي القدير شيخ المؤرخين الأستاذ الدكتور/ سيد مصطفى سالم. الذي تحمل أعباء الأشراف على هذه الرسالة، وغمرني بعطفه الأبوي، وبملاحظاته وتوجيهاته العلمية القيمة، فكان له الفضل بعد الله سبحانه وتعالى في إخراج هذا الدراسة إلى حيز الوجود.

وبالشكر والعرفان للدكتور / محمود الشُعبي. المشرف المشارك على هذه الرسالة، والذي كان لملاحظته العلمية والفنية القيمة بصمة واضحة في إنجاز هذه الدراسة.

وبالشكر والتقدير للأستاذ الدكتور/ حسين بن عبدالله العمري، والأستاذ الدكتور/ عبدالمناف المنداوي، اللذان تفضلا بالموافقة على مناقشة وتحكيم هذه الرسالة.

وإلى رئيس جامعة ذمار، وأعضاء هيئة التدريس بقسم التاريخ بكُلية الآداب بجامعتي صنعاء وذمار.

وبخالص الشكر والتقدير لعميد الأسرة اللواء الركن/ مطهر رشاد المصري، ولفيلسوف الأسرة الأستاذ/ عبد القدوس المصري.

وبالشكر والعرفان للأستاذ / أحمد المجذوب الذي تكرّم بمراجعة هذه الرسالة لغوياً، وللأستاذ/ أحمد الجبلي، الأستاذ/ جلال المصري، والأستاذ/ سعيد المصري الذين خير سند ليّ في مراحل كتابة هذه الرسالة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لأُمناء المكتبات، وأخص بالذكر الأستاذ/ عبده أحمد القدسي. أمين مكتبة كلية الآداب بجامعة صنعاء، والأستاذ/ عبدالله الشرفي. أمين مكتبة مركز الدراسات والبحوث اليمني.

وأخيراً أتقدم بالشكر والعرفان لمؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، التي زودتني بالعديد من المصادر القيمة.

الباحث

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:.

يقول الإمام الشهرستاني في مقدمة كتابه الملل و النحل "وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سُل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سُل على الإمامة في كل زمان". ومقولة الإمام هذه انبثقت من قراءته لتاريخ الأمة الإسلامية، بما حمله من صراعات بين القوى المتنافسة على الحكم.

وتاريخ اليمن ليس بمنأى عن ذلك فقد شهدت مراحله المختلفة وقوع العديد من الصراعات بين قوى مختلفة على الحكم، وما وقع من حروب بين أئمة الزيدية والعثمانيين خلال الفترة 945 . 1045هـ / 1538 . 1635م [فيما يعرف بالعهد العثماني الأول في اليمن] هو امتداد لتلك الصراعات، حول نفس الغاية، ولا يختلف عنها كثير بما أُريق فيها من دماء، ودمار في الممتلكات.

وقد وقع الصدام السياسي والعسكري بين الطرفين عندما انحرف العثمانيون عن مسارهم في مواجهة الخطر البرتغالي في البحر الأحمر والمحيط الهندي، بتوغلهم في مناطق اليمن الداخلية الخاضعة لسلطة الإمام شرف الدين. والتي كانت تمثل المجال الحيوي لمحاولات إقامة الدولة الزيدية فيها، الأمر الذي دفع الأئمة الزيديين من آل شرف الدين، ثم آل القاسم إلى مواجهة تقدم العثمانيين في تلك المناطق، ودخلوا معهم في حروب استمرت ما يقارب مائة عام، انتهت بإخراج العثمانيين من اليمن للمرة الأولى سنة 1045هـ / 1635م.

استدعت ظروف الحرب بين أئمة الزيدية والعثمانيين وهما طرفان مسلمان، سعي كل طرف إلى إيجاد مبررات شرعية . أيديولوجيا التبرير . لإضفاء نوع من الشرعية على أعماله السياسية و العسكرية، ونفي صفة الشرعية عن خصمه السياسي. ومن أجل

تحقيق ذلك تبنى الطرفان خطابات سياسية مؤطرة دينياً، وأصبح من حينها ميدان الفكر أحد ميادين الصراع، حيث شكلت النصوص الدينية و الأشعار والمرويات التي تحكي وقوع الكرامات لزعماء الحرب، أهم عناصر ذلك الميدان. وصارت قضية توظيفها واستغلالها سياسياً من أولويات ذلك الصراع، الأمر الذي دفع القوى المتصارعة إلى تشجيع وأستمالة العلماء وخاصة المؤرخين، للمشاركة في إدارة هذا المحور، لما يملكونه من قدرات علمية ولغوية يستطيعون من خلالها إعادة الادعاءات السياسية بتعابير دينية، تضفي نوعاً من الشرعية على الأعمال والتصرفات السياسية لكل طرف.

وقد ترتب على اشتراك المؤرخين في أحداث الصراع، أن وجدت حالة من الصراع الفكري بين المؤرخين أنفسهم، حيث انضوى العديد منهم تحت لواء كل طرف، وعملوا على أيجاد التبريرات الدينية لتصرفات من انحازوا إليه. كما شنوا حملات دعائية ضد خصومهم، فكانوا بمثابة وسائل إعلام للقوى المتصارعة.

وقد لقيت أحداث هذا الصراع حظاً من الدراسات الأكاديمية، خاصة فيما يتعلق بالجوانب السياسية والعسكرية. إلا أن ثمة جانباً فيه لم يلق حظه من الدراسة والبحث . مقارنة بالجانب السياسي . ألا وهو الجانب الفكري لذلك الصراع ودور المؤرخين في أحداثه، فقد مثّل هذا الجانب الركيزة الأساسية التي انطلق منها الطرفان لخوضهما حروب سياسية تحت مبررات شرعية.

علي الرغم من وجود دراستين في هذا الخصوص، الأولى أعدها الدكتور سيد مصطفى سالم بعنوان "المؤرخون اليمنيون في العهد العثماني الأول" ، تناول فيها تصنيف المؤرخين اليمنيين في العهد العثماني، وظروف ودواعي ازدهار حركة التأليف التاريخي في تلك الفترة، ودراسة ثانية أعدها الدكتور حسين بن عبدالله العمري بعنوان " المؤرخون اليمنيون في العصر الحديث" والتي عقب في قسمها الأول على ما ورد في

كتاب الدكتور سيد سالم، ثم تتطرق فيها أيضاً إلى المؤرخين اليمنيين في العصر الحديث.

إلا أن هاتين الدراستان لم تتطرقا إلى قضية الصراع الفكري بين العثمانيين و أئمة الزيدية، والخطاب السياسي والديني الذي تبناه كل طرف، ومراحل تلك الخطابات، ودور المؤرخين في أحداث ذلك الصراع. وهو ما حاول الباحث أن يتطرق إليه في هذا البحث.

وجاء اختيار الباحث لهذا الجانب ليكون موضوع دراسته لنيل درجة الماجستير، سعياً منه لمحاولة إبراز دور وأثر الصراع الفكري في أحداث الصراع السياسي، نظراً لما يمثله من أهمية في توسيع أفق الرؤيا في تناول تاريخ تلك المرحلة، ولإظهار أهم جوانب الصراع الدائر حينها. لأنه لا يمكن بأي حال من الأحوال دراسة صراع سياسي دون التطرق إلى الأبعاد الفكرية التي غذته، والوسائل التي وظفت فيه، خاصة إذا ما تبنت أطرافه شعارات وخطابات دينية، حيث تصبح حينها ساحات المعارك الحربية ترجمة عملية لصراعات فكرية خفية.

وقد أثار البحث مجموعة من التساؤلات حاول الباحث من خلال الإجابة عليها في فصول هذه الدراسة، أن يخرج بتصور واضح عن الجانب الفكري للصراع السياسي الذي دار بين الأئمة الزيدية والعثمانيين، وموقف المؤرخين من أحداثه. بما حمله من مفردات وخصوصيات. وتمثلت تلك التساؤلات بالأتي.

. ما المبررات الشرعية التي على أساسها خاض طرفا الصراع حربهما تلك، بمعنى آخر ما هي أيديولوجيا التبرير التي تبناها كل طرف في خطابه السياسي، لإضفاء الشرعية على أعماله السياسية والعسكرية ؟

. ما هي الوسائل التي عمل كل طرف على توظيفها لتأكيد شرعيته؟

. إلى أي مدى اعتمد كل طرف على المؤرخين في إيجاد المبررات الشرعية، لخوض أحداث الصراع السياسي؟

. ما الدور الذي لعبه المؤرخون في أحداث ذلك الصراع؟

ولمحاولة الإجابة على هذه التساؤلات لا بد من العودة إلى مصنفات المؤرخين اليمنيين المعاصرين لتلك المرحلة، والذين اشتركوا في أحداثها، ودوّنوها في مؤلفاتهم، التي تعد بمثابة الوعاء الذي أستوعب أحداث تلك الفترة السياسية منها والعسكرية، وتجسدت فيها خطابات القوى المتصارعة، ووسائلها المختلفة في ترويج ذلك الخطاب.

وقد اختار الباحث مجموعة من المصنفات التاريخية، التي دوّنت أحداث تلك المرحلة من وجهات نظر متباينة، لتكون زاده في رحلة بحثه هذه. حيث اختار بعض مصنفات المؤرخين اليمنيين المنحازين إلى جانب العثمانيين، أو ما يمكن أن نسميهم بمؤرخي السلطة، انطلاقاً من الوضع السياسي للدولة العثمانية، إذ كانت تمثل امتداداً لدولة الخلافة الإسلامية في نظر الكثير من أمراء وعلماء تلك الفترة،

وشكلت سلطة رسمية شرعية باعتراف العديد من أمراء و أئمة الزيدية، ومؤرخي تلك الفترة أيضاً. ومن أهم تلك المصنفات: الفتوحات المرادية في الجهات اليمانية، للمؤرخ عبدالله بن داعر، بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام، للمؤرخ محمد المطيب الزبيدي، و الإحسان في دخول مملكة اليمن في ظل عدالة آل عثمان، للمؤرخ عبد الصمد الموزعي، ومطالع النيران في تاريخ اليمن، للمؤرخ أحمد بن فيروز.

كما اعتمد الباحث على مجموعة من مصنفات المؤرخين اليمنيين المنحازين إلى جانب أئمة الزيدية، أو من يمكن أن نسميهم بمؤرخي المعارضة، انطلاقاً من الوضع السياسي لأئمة الزيدية، حيث اعترفوا بسلطة الدولة عليهم، إلا أنهم شكلوا حالة معارضة لأداء ولاة (ممثلي) الدولة في النواحي الإدارية والسياسية في اليمن. ومن أهم تلك المصنفات: الجوهرة المنيرة، والنبذة الشيرة، للمؤرخ المطهر الجرموزي،

واللآلئ المضيئة، للمؤرخ أحمد الشرفي.و سيرة الإمام الحسن بن علي، للمؤرخ أحمد بن شايع اللوزي، وسيرة الإمام شرف الدين، للمؤرخ الحسن الزريقي.

وعند شروع الباحث في إعداد هذه الدراسة واجهته الكثير من الصعوبات منها: أن معظم المصادر الأصلية لهذه الدراسة ما يزال مخطوطاً، والعديد منهاغير موجود في المكتبات الرسمية، خاصة ما يتعلق بمصنفات مؤرخي السلطة، وما هو موجود منها في المكتبات العربية مصور على أشرطة ميكروفيلم.ومن المخطوطات التي تمكن الباحث من الحصول على صور لها : مخطوطة بلوغ المرام في تاريخ مولانا بهرام. للمؤرخ محمد بن يحيى المطيب الزبيدي، ومخطوطة الفتوحات المرادية في الجهات اليمانية. للمؤرخ عبدالله بن صلاح بن داعر، ومخطوطة التيجان الوافرة الثمن.لمؤرخ مجهول، ومخطوطة مطالع النيران في تاريخ اليمن، للمؤرخ احمد بن يوسف بن فيروز.

أما ما يتعلق بمصنفات مؤرخي المعارضة، فالوضع أحسن عما سبق، إلا أن بعض المخطوطات غير موجودة في المكتبات الرسمية، الأمر الذي استدعى من الباحث الاستعانة بالمؤسسات الثقافية . مثل مؤسسة الإمام زيد بن علي . للحصول على صور منها، ومن هذه المخطوطات التي حصل الباحث على صور لها محفوظة على اقراص مدمجة: مخطوطة سيرة الإمام الحسن بن علي المؤيد. للمؤرخ أحمد بن شايع اللوزي، ومخطوطة سيرة الإمام شرف الدين. للمؤرخ الحسن الزريقي.

وقد استعان الباحث بالله سبحانه وتعالى وتحلى بالصبر، في محاولة التغلب على تلك الصعوبات، وإخراج هذه الدراسة المتواضعة إلى حيز الوجود، معتمداً على ما توفر لديه من المصنفات التاريخية التي استقى منها مادته العلمية:مثل كتاب الجوهرة المنيرة في جمل من عيون السيرة، للمؤرخ المطهر بن محمد الجرموزي. تحقيق الدكتورة أمة الملك الثور، وكتاب النبذة المشيرة في جمل من عيون السيرة لنفس المؤرخ، تحقيق عبد الحكيم الهجري، وأعتمد الباحث أيضاً على مخطوطة اللآلئ المضيئة للمؤرخ أحمد الشرفي، وكتاب الإحسان للمؤرخ عبد الصمد الموزعي، الذي نشره المركز

الفرنسي بالقاهرة، وكتاب البرق اليماني، للمؤرخ قطب الدين النهروالي، وعلى كتاب الفتح العثماني الأول لليمن للمؤرخ الدكتور سيد مصطفى سالم، وغيرها من الكتب العربية والأجنبية، والتي شكلت العمود الفقري لبنية هذه الدراسة.

وأعتمد الباحث في دراسته هذه على المنهج التحليلي القائم على تفكيك المعلومات وتحليلها، ومن ثم إعادة تركيبها للوصول إلى النتائج المتوخاة.

وقد قسّم الباحث دراسته إلى قسمين:

القسم الأول منها تمحور حول موضوع البحث والمتمثل في دراسة موقف المؤرخين اليمنيين المعاصرين للحكم العثماني الأول بين مؤيد ومخالف" حيث تناول الباحث هذه الدراسة في أربعة فصول.

الفصل الأول: القوى السياسية في اليمن وموقفها من الزحف العثماني:

تطرّق هذا الفصل إلى دراسة المتغيرات الدولية التي حدثت في منطقة جنوب البحر الأحمر خلال النصف الأول من القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، والمتمثلة في اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح، ووصول الحملات البرتغالية إلى السواحل اليمنية، وما ترتب على ذلك من وصول الحملات المملوكية، ومن ثم العثمانية لإيقاف ذلك الزحف. وتناول فيه أيضاً أوضاع اليمن الداخلية، وأهم القوى السياسية التي تقاسمت الحكم والسيطرة في اليمن، وموقفها من التواجد العثماني في السواحل اليمنية، وتناول قضية الصراع السياسي بين العثمانيين وأئمة الزيدية الذي وقع بعد التوغل العثماني في المناطق الداخلية لليمن، والذي أستمر مائة عام تقريباً، وركز الباحث فيه على مسألة الخطابات السياسية التي تبناها أطراف الصراع لتبرير حروبهم، وحاول تتبع مراحل تطور مضمون تلك الخطابات، وأهم مفرداتها السياسية.

الفصل الثاني: المؤرخون وحركة التأليف التاريخي.

تطرّق هذا الفصل إلى دراسة دور المؤرخين في أحداث الصراع، وتأثير تطور مراحله على الكتابة التاريخية، وأختار الباحث مجموعة من أشهر مؤرخي السلطة والمعارضة كنماذج أساسية للدراسة، لتوضيح أهم العوامل التي أثرت في توجهات المؤرخين، وتحيزهم لأطراف الصراع، والجديد الذي حاول الباحث تقديمه في هذا المجال هو التعرف على أصحاب المصنفات التاريخية التي كانت تُعد إلى وقت إعداد هذه الدراسة من المصنفات مجهولة المؤلف. كما تطرق إلى عوامل ازدهار حركة التأليف التاريخي في هذه المرحلة.

الفصل الثالث: توظيف الدين في خدمة الأغراض السياسية من واقع كتابات المؤرخين.

تناول هذا الفصل موضوع المنطلقات الفقهية التي بنى عليها طرفي الصراع خطابهم السياسي، وسعيهم لإيجاد المبررات الشرعية لحروبهم تلك، وتناول أيضاً قضية توظيف الدين بفروعه " النص القرآني، الحديث النبوي، المفردات الفقهية" والتي كانت الركيزة الأساسية للخطاب السياسي لدى الطرفين، ووسيلة رئيسة عمل من خلالها طرفي الصراع على محاولة إقناع العلماء "النخب المثقفة" بشرعية حروبهم، ودرجة تفاوت ذلك التوظيف لدى القوى المتصارعة، وأسباب ذلك التفاوت. وحاول الباحث تتبع دور المؤرخين في ذلك التوظيف، من خلال ما ورد في مؤلفاتهم التاريخية بهذا الخصوص.

الفصل الرابع: توظيف الكرامات " السند الغيبي" والشعر في خدمة الأغراض السياسية من واقع كتابات المؤرخين.

تناول هذا الفصل دراسة الوسائل الأخرى التي كانت موجهة لمخاطبة المجتمع عامة، و التي عمل طرفا الصراع ومنهم المؤرخون على تشجيع نشرها، وتوظيفها بما يخدم توجهاتهم السياسية، وأهم هذه الوسائل هي الكرامات والبركات التي عمل طرفا

الصراع من خلال توظيفها على إظهار من اختص بها بمظهر الولي الصالح، وإحاطته بهالة من القداسة، لتأكيد وقوف المشيئة الإلهية إلى جانبه في أحداث الصراع السياسي. كما تناول هذا الفصل توظيف الشّعر كوسيلة دعائية حاول طرفا الصراع من خلاله إبراز مفردات خطابهم السياسي، ووجهوا من خلاله أيضاً دعوات صريحة للالتفاف حول هذا الطرف أو ذاك.

الخاتمة:

وفيها تناول الباحث أهم النتائج التي توصل إليها، في فصول الدراسة.

القسم الثاني:

في هذا القسم من الدراسة قام الباحث بدراسة وتحقيق مخطوطة "بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام" للمؤرخ اليمني محمد بن يحيى المطيب الزبيدي، متبعاً في ذلك المنهج العلمي المتعارف عليه في تحقيق المخطوطات.

كانت تلك مقدمة حاولت أن أوجز فيها فكرة البحث، وتقسيم فصوله، وفي الأخير أعترف بأني قصرت في تناول هذه الدراسة، وأعترف أيضاً بأن هذه الدراسة المتواضعة ما هي إلا محاولة سعيت من خلالها استجلاء الفكرة وإيصالها إلى القارئ. وأقتبس هنا نص الأستاذ أحمد أمين الذي وجدت فيه تعبيراً عما يحز في صدري تجاه هذا العمل، وهو نص اختتم به مقدمة كتابه ضحى الإسلام بقوله "ولو حاولت أن استوفي الكلام في كل فصل لكان كل فصل كتاب، فإن نجحت في إثارة الباحثين لنقده، وتصحيح خطئه، وتوسيع مباحثه، فذلك حسبي، وحسبنا الله ونعم الوكيل"

الباحث/ أحمد صالح عبدربه المصري

القسم الأول

الفصل الأول

القوى السياسية في اليمن وموقفها من الزحف العثماني

الأوضاع السياسية الداخلية في اليمن قُبيل وصول العثمانيين:

تزامن دخول اليمن مرحلة العصور الحديثة . بداية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي . مع أحداث ومتغيرات دولية وتحديات خارجية، ومشاكل واضطرابات داخلية. شكلت في مجملها منعطفاً مهماً في مسار تاريخ اليمن والمنطقة. ففي أواخر القرن الخامس عشر الميلادي اكتشف البرتغاليون طريق رأس الرجاء الصالح، ووصلت أولى رحلاتهم مباشرة إلى الهند عام 1498م بقيادة الرحالة فاسكودا جاما، وبفضل هذا الاكتشاف تحكم البرتغاليون بطرق التجارة البحرية في المحيط الهندي. وكان وصولهم إلى تلك المنطقة بدوافع اقتصادية ودينية، تمثلت في رغبتهم في المشاركة في أرباح تجارة الشرق، وانتزاع احتكار مصر والبندقية لتلك التجارة، ومواصلة الحروب الصليبية التي شنوها ضد المسلمين في شبة جزيرة إيبيريا وشمال إفريقيا[1].

عمل البرتغاليون من وراء مواصلتهم لتلك الحروب، إلى تكوين إمبراطورية مسيحية في شرق إفريقيا، ومهاجمة الأماكن الإسلامية المقدسة في مكة والمدينة، كما طمحوا في استرجاع القدس من أيدي المسلمين[1]. فشهدت منطقة المحيط الهندي والبحر الأحمر تقدم حملاتهم العسكرية، وتهديدها للمقدسات الإسلامية، ومهاجمتها للسفن العربية وإغراقها. مما ترتب على ذلك تدهور كبير لحركة التجارة في المنطقة، وفقدان اليمن ومصر مصدراً مهماً من مصادر اقتصادها[2].

دفعت تلك التطورات بسلاطين المماليك في مصر، التي كانت تعد دولتهم من أقوى الممالك الإسلامية في تلك الفترة، إلى إرسال الحملات العسكرية للتصدي لهذا

([1]) سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول لليمن 1538– 1635م. القاهرة، مكتبة مدبولي، 1992م، ط الرابعة، صـ 62.

([1]) Bidwell, Robin : The Two Yemens . Longman Westview Press , U.S.A , first published,1983, p 16 - 17.

([2]) عمل البرتغاليون على احتكار تجارة الشرق، و أرسلوا حملاتهم البحرية سنوياً إلى بلاد الهند وشرق أفريقيا لجلب البضائع، فتكدست في أسواقهم، وعرضت بأسعار أرخص خمس أضعاف ما هي عليه في أسواق الإسكندرية والبندقية وبيروت، الأمر الذي أدى إلى نضوب تلك البضائع في أسواق تلك المدن، خاصة بعد أن تعرضت السفن العربية للإغراق في المحيط الهندي. سيد سالم : المرجع السابق. صـ69 . 71.

الخطـر، خاصـة بعـد أن وصـلت إلـيهم رسـائل اسـتغاثة مـن حكـام الـيمن، والممالـك الإسـلامية فـي الهند[1]، فأرسلوا الحملـة العسكرية الأولـى سنة 911هـ /1505م بقيـادة الأمير حسين الكردي[2]، وعلى الرغم من نجاح الحملة في تحصين بعض الموانئ في البحر الأحمر . مثل ميناء جده . إلا أنها فشلت في طرد البرتغاليين من تلك المناطق وهو هدفها الأساسي، حيث منيت بهزيمة كبيرة أمام أسطولهم في معركة ديو البحرية 915هـ / 1509م.[3]

استمرت جهود المماليك لإيقاف الزحف البرتغالي، حيث أرسلوا حملة عسكرية ثانية عام 921هـ / 1515م اشتهرت عند إعدادها بحملة الهند، إلا أن ظروف الصراع مع البرتغاليين أجبرتها على تغيير وجهتها. لأن البرتغاليين نقلوا مسرح الأعمال الحربية من المحيط الهندي إلى البحر الأحمر، بعد انتصارهم في معركة ديو البحرية، حيث شرعوا في مهاجمة موانئه وجزره . مثل ميناء عدن وجدة وجزيرة كمران . الأمر الذي جعل حملة حسين الكردي تتوجه نحو مناطق جنوب البحر الأحمر، حيث حصنتها وأتخذت منها قاعدة لمواجهة ذلك الزحف، ولإغلاق البحر الأحمر أمام هذا الخطر. وبفضل تلك التحصينات توقف الزحف البرتغالي عند السواحل الجنوبية للبحر الأحمر دون التوغل في المناطق الشمالية[1].

وصلت حملة حسين الكردي إلى جزيرة كمران سنة (921هـ / 1515م) وبدأت اتصالتها بالسلطان الطاهري عامر بن عبد الوهاب[2]، وطلب قائد الحملة من

([1]) سيد سالم : الفتح العثماني. صـ 77 .

([2]) حسين الكردي : من كبار قادة السلطان قانصوه الغوري، عُرف بالشجاعة والأقدام والحنكة السياسية ، وكثرة الظلم أيضاً تولى قيادة الحملة المرسلة إلى الهند، لم يكمل رحلته إلى الهند، وتوجه إلى جدة، ثم إلى عدن ودخل في صراع مع الطاهريين، عاد إلى جدة وبقي فيها حتى سقوط دولة المماليك في مصر، اصدر السلطان سليم الأول مرسوماً يقضي بإعدامه لكثرة ظلمه، فأغرق في البحر الأحمر خلال رحلته إلى مصر بموجب ذلك المرسوم. قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي: البرق اليماني في الفتح العثماني. بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، ط الثانية، 1986م. صـ 19. 27.

([3]) عرج الأسطول المملوكي في طريقه إلى الهند على ميناء جدة وأعاد قائد الحملة ترتيب تحصينات الميناء العسكرية وشرع في إقامة سور وأبراج حولها. سيد سالم: نفس المرجع. صـ 77. أحمد سالم شيبان: الوجود المملوكي في اليمن 1515-1538م. الشارقة، دار الثقافة العربية، ط أولى، 2002م، صـ72.

([1]) سيد سالم : الفتح العثماني. ص97. 98. محمد أحمد عبدالعال : بنو رسول وبنوطاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما. الإسكندرية، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1980م، صـ511. 516.

([2]) سترد ترجمته عند الحديث عن الدولة الطاهرية.

السلطان عامر تقديم المساعدات والمؤن للحملة، والأيفاء بألتزاماته التي تعهد بها حين استنجد بهم لمواجهة خطر الهجوم البرتغالي على مدينة عدن عام 919هـ/ 1513م. إلا أن السلطان عامر تنصل من التزاماته تجاههم ورفض تقديم المساعدة لهم، بسبب تأخر وصولهم، وفشل الهجوم البرتغالي على مدينة عدن 919هـ/ 1513م، وخوفاً من أن تتحول تلك المساعدات إلى جزية سنوية تفرض على الطاهريين تحت حجة محاربة البرتغاليين[1]. الأمر الذي دفع المماليك إلى النزول إلى السواحل اليمنية، والسيطرة عليها سنة 922هـ / 1516م بمساعدة الإمام شرف الدين[2]، وأمراء آل القطبي في المخلاف السليماني[3]، الذين رأوا في القوة المملوكية ضالتهم المنشودة للتخلص من االدولة الطاهرية[4].

اصطدم المماليك عقب نزولهم إلى السواحل اليمنية بالطاهريين، وتواصلت الحروب بينهما، وتمكنوا من إسقاط مدينة المقرانة[1] عاصمة الدولة الطاهرية سنة 923هـ/ 1517م. و تتبع السلطان الطاهري عامر بن عبد الوهاب قتله عند أسوار مدينة صنعاء في نفس السنة[2].

([1]) سيد سالم : الفتح العثماني . صـ 97 . 98.

([2]) سترد ترجمته عند الحديث عن أئمة الزيدية.

([3]) المخلاف السليماني: هو الأقليم الممتد من من منطقة حلي بن يعقوب شمال تهامة إلى منطقة الشرجة جنوباً، وعرف بهذا الأسم نسبة إلى سليمان بن طرف الحكمي الذي كان عاملاً لبني زياد في هذا الأقليم. عبد الحمن بن حسن البهكلي : خلاصة العسجد من حوادث دولة الشريف محمد بن أحمد. تحقق : ميشيل توشرير، دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، 2000م، صـ60.

([4]) سيد سالم : نفس المرجع. صـ 101 ، 102 .

([1]) المقرانة : بلدة من أعمال مدينة رداع ، تبعد عن مدينة دمت حوالي 50كم ، أتخذها الطاهريون عاصمة لهم خلال الفترة 858 . 923هـ / 1454 . 1517م، وتعد المقرانة من أهم المدن الأثرية التي تعود إلى العهد الحميري. محمد الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها. تحقيق :إسماعيل الأكوع، صنعاء، دار الحكمة اليمانية، ط الثانية، 1996، جـ2 ، صـ 717. إبراهيم المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية. صنعاء، دار الكلمة، 2002، جـ 2، صـ 1615.

([2]) عيسى بن لطف الله : روح الروح في ما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح. تحقيق :إبراهيم المقحفي، صنعاء ، مركز عبادي لطباعة والنشر ، ط أولى، 2003م، صـ 46. محمد بن عمر الطيب بافقيه: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر. تحقيق :عبدالله محمد الحبشي، صنعاء، مكتبة الأرشاد، ط أولى، 1999م، صـ125، 126.

لـم تسـتقر أوضـاع المماليـك فـي الـيمن بـالرغم ممـا حققـوه مـن انتصـارات علـى الطاهريين، واستيلائهم على مدينة صنعاء. إذ دخلوا في صراع مع الإمام شرف الدين الذي رفض التفاوض معهم، لأن توسعاتهم في المناطق الداخلية لليمن، كانت تتعارض مع سياسة الإمام شرف الدين الذي كان يرى في تلك المناطق المجال الحيوي لمحاولة إقامة الدولة الإمامية في اليمن، الأمر الذي دفعهم لمهاجمته ومحاصرته في ثلا[1] سنة 923هـ /1517م[2]. و في هذه الأثناء وصلت أنباء سقوط مصر في أيدي العثمانيين، ممـا دفـع أميـر المماليـك إسـكندر المخضـرم[3] إلـى تبنـي سياسـة جديـدة تجـاه هـذه الأحداث، حيث قرر الانسحاب من صنعاء إلى زبيد[4]، وتتابع ذلك إنسحاب الحاميات المملوكيـة مـن بقيـة المـدن إلـى تهامـة، التـي شـكلت مـن حينهـا مركـزاً لنفـوذهم، حتـى وصول الحملة العثمانية الأولى سنة 945هـ/ 1538م.

كانـت تلـك أهـم المتغيـرات الخارجيـة، التـي أثـرت علـى أوضـاع الـيمن الداخليـة، فوصـول المماليك إلـى اليمن لـم يعق تقدم الزحف البرتغالي فحسب، بل أحدث تغيراً في خارطـة اليمن السياسية، وزاد من حـدة المشاكل الداخليـة فيـه، فقد مثّل المماليك من حينها قوة منافسة على حكم اليمن إلى جانب بقية القوى السياسية الأخرى، التي كانت تعيش حالات تنافس و صراع فيما بينها، جعلت مناطق نفوذها . في كثير من الاحيان . متداخلة جغرافياً غير واضحة المعالم.

وأولـى تلـك القـوى هـم بنـو طـاهر الـذين كـانوا قُبيـل وصـول المماليـك يحِكمـون سيطرتهم علـى منـاطق الهضـبة الجنوبيـة والوسـطى، والسـواحل الغربيـة لليمن، وكانـت بدايـة ظهـورهم وبـزوغ نجمهـم السياسـي عنـد دخـولهم فـي خدمـة سـلاطين الدولـة

([1]) ثلا : بلدة مشهورة من نواحي صنعاء إلى الشمال الغربي منها بحوالي 45 كم ، وهي من البلدان الحميرية القديمة، أتخذها المطهر مقراً لـه فـي حربـه مـع العثمـانيين لشدة حصـانتها ووعورةطرقهـا. محمد الحجري : مجموع بلدان اليمن . جـ1 صـ 166، إبراهيم المقحفي : معجم البلدان . جـ1 صـ 259.

([2]) سيد سالم : الفتح العثماني . صـ 110

([3]) الأمير اسكندر المخضرم: وهو من مماليك الأمير حسين الكردي، استقر في مدينة المقرانة عاصمة الدولة الطاهرية بعد سقوطها في أيديهم، ثم تولى قيادة المماليك في اليمن عقب مقتل الأمر برسباي سنة 923هـ /1517م وعرف بالمخضرم لأنه عاصر نهاية دولة المماليك وبداية الدولة العثمانية، قتل سنة927هـ /1521م على يد الأمير المملوكي كمال بك الرومي. قطب الدين النهروالي: البرق اليماني. صـ35.33.

([4]) يحيى بن الحسين: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني. تحقيق: سعيد عاشور، القاهرة، دار الكتاب العربي، 1968م، جـ2، صـ 656.

الرسولية[1]. فقد أصبحوا وكلاء تجارتهم في عدن ونوابا لهم في كثير من الأقاليم، وأوكلت إليهم مهمة مواجهة الأئمة الزيدية.[2] وحين ضعفت الدولة الرسولية في منتصف القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، استغل بنو طاهر ذلك وعملوا على تقوية مركزهم لتأسيس دولتهم، حيث تمكنوا من الاستيلاء على مدينة عدن سنة858 هـ/ 1454م[3] بمساعدة قبائل بني أحمد اليافعية، وعملوا على فرض سيطرتهم على بقية الأقاليم التي كانت خاضعة لسلطة الدولة الرسولية، فاتجهوا إلى إقليم حضرموت وتمكنوا من الاستيلاء على مدينة الشحر سنة866 هـ / 1461م ، واعتمدوا على الكثيريين في حكمها إلى جانب حاكمها الطاهري، كما توجهوا شمالاً إلى صنعاء واستولوا عليها سنة 866هـ/ 1461م[1].

يعتبر الملك الظافر عامر بن طاهر بن معوضة[2] المؤسس الحقيقي للدولة. فقد كانت الخطبة والعملة باسمه في بداية تأسيس الدولة، على الرغم من أنه أصغر من أخيه علي الذي تحمل معه أعباء تلك المرحلة. وبلغت الدولة أوج قوتها وأتساعها في عهد السلطان عامر بن عبد الوهاب[3] الذي تولى الحكم بعد أبيه سنة 894هـ/

([1]) الدولة الرسولية : قامت الدولة الرسولية في اليمن سنة 626 هـ/ 1229م على انقاض الدولة الأيوبية ، وا متد نفوذ دولتهم على معظم أرجاء اليمن من حضرموت حتى مكة ، وشهدت اليمن خلال فترة الدولة الرسولية ازدهاراً علمياً وأدبياً ومعمارياً ، أتخذ الرسوليون من مدينة تعز عاصمة لهم ، دخلوا في صراع مع الأئمةالزيدية في المناطق الشمالية من اليمن وانتهت دولتهم سنة 858هـ / 1454م على يد الدولة الطاهرية. الموسوعة اليمنية : صنعاء ، مؤسسة العفيف، جـ2، ط الثانية ، 2002م صـ 1393.

([2]) محمد يحيى الحداد: التاريخ العام لليمن. دارالتنوير للطباعة والنشر،ط أولى، 1986م، جـ3، صـ215.

([3]) محمد عبد العال : بنو رسول وبنوطاهر. 253.245. سيد سالم : الفتح العثماني.صـ 50 . أحمد شيبان : الوجود المملوكي. صـ44 . 45 .

([1]) يحيى بن الحسين: غاية الأماني. جـ2 ، صـ 591 . 595 .

([2]) عامر بن طاهر بن معوضة بن تاج الدين القرشي الأموي الملقب بالملك الظافر، هو أول من ملك من بني طاهر، ويعتبر هو وأخيه علي مؤسسا الدولة. قتل عند مدينة صنعاء سنة 870 هـ / 1465م. صالح الحامد : تاريخ حضرموت. صنعاء، مكتبة الإرشاد، ط الثانية 2003م، صـ 572. 573. محمد عبد العال: بنو رسول وبنوطاهر . صـ285.

([3]) عامر بن عبد الوهاب بن داود بن طاهر بن معوضة القرشي الأموي الملقب بالملك الظافر صلاح الدين من أشهر سلاطين بني طاهر ولد في المقرانة سنة866 هـ/1461م، استمر حكمه ما يقارب 29 سنة، له مآثر كثيرة في البناء والعمران في زبيد وعدن وجبن ، قتل في إحدى معاركه مع المماليك قرب مدينة صنعاء سنة 923 هـ/ 1517م. محمد بن على الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. تصحيح محمد= =بن محمد

1488م، وتمكن من بسط نفوذ دولته على معظم أقاليم اليمن من عدن وحضرموت جنوباً إلى صعده والمخلاف السليماني شمالاً [1] . عدا بعض المراكز الإمامية شمال صنعاء . وواجهت الدولة في عصره أحداثا جسيمة، منها وصول البرتغاليين إلى السواحل اليمنية، وأعقبها وصول حملات المماليك العسكرية، حيث دخل في صراعات عسكرية معها . كما مر بنا سابقاً . ولقي مصرعه في إحدى معاركه عند أسوار صنعاء 923هـ/ 1517م . وقد حاول خلفاؤه المحافظة على المناطق التي كانت تحت حكمهم قبيل مصرعه، إلا أنهم فشلوا في ذلك نتيجة الظروف السيئة التي مرت بها دولتهم آنذاك، بسبب الحروب الداخلية المتواصلة مع المماليك وآئمة الزيدية، وما لحق بها من خسائر اقتصادية كبيرة نتيجة تغير طرق التجارة. كل ذلك أضعف الدولة الطاهرية وحصر وجودها في عدن[2].

وثاني تلك القوى هم آل كثير [1] الذين كانوا يحكمون حضرموتباسم الطاهريين، وحين ضعف بني طاهر عمل آل كثير على استغلال تلك الظروف، وشرعوا بتأسيس دولتهم، وأتصل أمراءهم بالشخصيات الدينية المؤثرة في حضرموت، بهدف كسب تأييدها في تحقيق ذلك، ويعتبر السلطان علي بن عمر بن جعفر بن كثير هو المؤسس الأول للدولة[2] حيث عمل على توحيد قبائل حضرموت تحت سلطته، وتمكن آل كثير من بسط نفوذهم على معظم أقاليم حضرموت، حيث سيطروا على مدينة الشحر [3] سنة901هـ /1495م ، لتصبح جزءاً من دولتهم[4]، وبلغت الدولة ذروة مجدها، وأقصى

زبارة ، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، (د.ط)، (د.ت)، المجلد الثاني، صـ308. عيسى بن لطف الله : روح الروح . صـ 12.11) .

([1]) سيد سالم : الفتح العثماني. صـ 108.

([2]) نفس المرجع . صـ 130

([1]) بنو كثير قبيلة مشهورة في حضرموت ينتمون إلى كثير بن ظنه بن عبدالله بن حرام بن عمر بن سبأ. محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية. صنعاء، مركز عبادي للدراسات، ط أولى، 2002م. صـ 21.

([2]) السلطان علي بن عمر بن جعفر : أول من حول القبيلة الكثيرية إلى دولة منظمة، وأول من نصب نفسه سلطانا على حضرموت، توفى سنة 825هـ/ 1421م . محمد بن هاشم: الدولة الكثيرية. صـ 42.38.

([3]) سيرد تعريفها في القسم الثاني من هذه الدراسة.

([4]) سعيد عوض باوزير: صفحات من تاريخ حضرموت. مكتبة الثقافة، عدن ، 1957م، صـ 116– 117.

حدودها في عهد السلطان بدر بن عبد الله بوطويرق[1]، حيث تولى الحكم بعد أبيه سنة 922هـ / 1516م، وأستمر فيه ما يقارب 53 سنة، وشهد عصره وصول الحملات البرتغالية إلى شواطئ حضرموت، ومهاجمتها مدينة الشحر للمرة الأولى عام 929 هـ/1521م، وكان أكبر هجوم برتغالي تعرضت له المدينة في عهده عام 942هـ/1535م. وعلى الرغم من تصدى السلطان بدر بقوة لتلك الهجمات، ووقوع العديد من الأسرى البرتغال في يده[2]، إلا أن استمرار وجودهم في منطقة المحيط الهندي، شكل تهديداً حقيقياً لنفوذ دولته السياسي والتجاري، وهو ما دفعه للاتصال بالعثمانيين، فشهد عصره وصول حملاتهم العسكرية إلى شواطئ حضرموت عام 945هـ / 1538م.[3]

وثالث تلك القوى هي القوة الزيدية التي استعادت دورها السياسي في حكم اليمن في عهد الإمام شرف الدين[1] الذي دعا لنفسه بالإمامة سنة 912هـ/ 1506م[2]. وعمل على لملّمة شتات القوة الزيدية في اقاليم اليمن الشمالية، وقام بتوسيع مناطق نفوذه السياسي، مُستغلاً حالة الضعف التي كانت تمر بها الدولة الطاهرية بعد مقتل

([1]) بدر بن عبدالله بن جعفر الكثيري ولد سنة 902هـ / 1496م، تولى الحكم والسلطة ولم يبلغ عمرة 20 سنة يعد السلطان بدر من أعظم سلاطين آل كثير، وعرف بالإقدام والشجاعة، وفي أخر أيامه سجن من قبل ابنه عبدالله ، وبقي في السجن سنة ونصف، كانت وفاته سنة 977هـ / 1569م.عبد القادر بن شيخ العيدروس: النور السافر في أخبار القرن العاشر. بيروت، دار الكتب العربية ، ط أولى، 1985م، صـ 293، 295، محمد بن هاشم : الدولة الكثيرية. صـ 56، 79.

([2]) محمد بن هاشم : نفس المرجع. صـ 64، 65. الطيب بافقيه : تاريخ الشحر . صـ157، 231 .

([3]) سيد سالم : الفتح العثماني. صـ 164.

([1]) الإمام شرف الدين : هو الإمام المتوكل على الله يحي شرف الدين بن شمس الدين بن الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى، و لصاحب الترجمة اسمان هما يحيى وشرف الدين وقد اشتهر بالأخير كان مولده في 15رمضان سنة 877هـ الموافق 5 فبراير 1471م بحصن حضور، درس الفقه على يد أكابر العلماء في عصره دعا إلى نفسه بالإمامة سنة 912هـ / 1506م لقيت دعوته قبولاً بين الناس، وفي عهده وصل المماليك إلى اليمن ودخل معهم في صراع ، كما وصل في عهده العثمانيون ودخل في صراع معهم أيضا. يعد صاحب الترجمة من كبار أئمة المذهب الزيدي، وله العديد من المؤلفات الفقهية، تفرغ في اخر أيامه للتدريس بحصن الظفير في مدينة حجة حتى فاته في جمادى الأخر سنة 965هـ الموافق مارس 1557م. محمد الشوكاني: البدر الطالع. جـ 1، صـ 287 . 280، عبد السلام الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية. صنعاء، مؤسسة الإمام زيد الثقافية، ط أولى، 1999م، صـ 1134.

([2]) عيسى بن لطف الله : روح الروح. صـ 21 ، يحيى بن الحسين : غاية الأماني. جـ2 ، صـ635 .

السلطان عامر بن عبد الوهاب، فبسط سيطرته على الكثير من المناطق التي كانت تحت حكم الطاهريين، وتوسع في المناطق الشمالية لليمن ووصلت قواته بقيادة ابنه إلى مدينة نجران واستولت عليها عام941هـ/ 1534م[1]، كما دخل أيضاً في صراع مع المماليك، الذين تزامن وصولهم إلى اليمن مع بداية دعوته، وتمكن من حصر وجودهم في زبيد عام 943هـ/1537م، وواصلت جيوشه تقدمها في المناطق الجنوبية بقيادة ابنه المطهر[2] حتى مشارف مدينة عدن في السنة نفسها[3].

ورابع تلك القوى السياسية هم آل القطبي[1] الذين اسسوا دولتهم أوائل القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي في المخلاف السليماني، وارتبطت إمارتهم منذ تأسيسها بالدولة الرسولية، ثم بالدولة الطاهرية، وقد عمل أمراء آل القطبي على التخلص من سيطرة الدولة الطاهرية التي أرهقت كاهلهم بكثرة الضرائب والخراج خلال فترة سيطرتها على مناطقهم . بسبب الأزمة المالية التي كانت تمر بها نتيجة تغير طرق التجارة العالمية . ولتحقيق ذلك أتصلوا بالمماليك في مصر وطلبوا منهم المساعدة[2].

([1]) سيد مصطفى سالم : مراحل العلاقات اليمنية السعودية. القاهرة، مكتبة مدبولي، ط اولى، 2003م، صـ37.

([2]) الأمير المطهر بن شرف الدين: هو الأمير المطهر بن الإمام يحيى شرف الدين، عُرف بالشجاعة والإقدام والحزم والسياسية، كان أعظم الأمراء وحلت هيبته قلوب اليمنيين، دخل في صراع مع أخوته ووالده بعد ان استبعد عن ولاية العهد، لعرج في إحدى قدميه، وهذا يخالف شروط الإمامة في المذهب الزيدي. وحين تقدم العثمانيين نحو مناطق الإمام شرف الدين تولى قيادة القوة الزيدية في حروبها ضدهم، وألحق بهم خسائر كبيرة، ثم دخل في صلح معهم، كانت وفاته سنة 980 هـ / 1572م. محمد الشوكاني: البدر الطالع. جـ2، صـ 309 . 310، محمد الشلي: السناء الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر. تحقيق / إبراهيم المقحفي، صنعاء، مكتبة الإرشاد ، ط أولى،2004م، صـ 583 .539.

([3]) سيد سالم : الفتح العثماني. صـ 141.

([1]) بنو القطبي: هم فرع من أسرة الأشراف الغوانم، وعرفوا بهذا الاسم نسبة إلى جدهم الشريف قطب الدين، واشهر أمراءهم الأمير خالد بن قطب الدين مؤسس أمارتهم. حكم آل القطبي منطقة جيزان ما يقارب مائة وأربعون عاماً ، حتى انتهت دولتهم على يد الشريف أبي نمي بن بركات سنة 944هـ/ 1537م. عبدالله أبو داهش: أهل تهامة المخلاف السليماني وحلي بن يعقوب واحوازهما. الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط أولى، 1999م، صـ 57، 58.

([2]) محمد بن احمد العقيلي : المخلاف السليماني. الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر،ط الثانية، 1982، صـ261، 273.

وعند نزول حملة المماليك سنة 922هـ / 1516م إلى السواحل اليمنية، أنضم آل القطبي إليهم في حربهم ضد الطاهريين، وما لبثوا بعد ذلك أن اختلفوا مع حلفائهم المماليك حول الغنائم التي حصلوا عليها بعد انتصارهم على الطاهريين، ودخلوا في حرب انتهت بهزيمتهم، وإخضع المماليك مدينة جيزان[1] وضموها إلى سلطة مدينة زبيد[2]. وبقيت مدينة جيزان وباقي مناطق المخلاف السليماني، محل صراع وشد وجذب بين وأئمة الزيدية و المماليك ومن ثم العثمانيين، مثلها مثل باقي سائر بلاد اليمن[3].

تلك هي أوضاع اليمن الداخلية في النصف الأول من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، و تلك هي أهم القوى السياسية التي دخلت في صراع وتنافس فيما بينها على مناطق الحكم والنفوذ لأكثر من عقدين، قبيل وصول الحملة العثمانية الأولى إلى السواحل اليمنية سنة 945هـ/ 1538م، وتبلورت على إثرها خارطة نفوذ تلك القوى في شكلها النهائي، على النحو الأتي:

نجح أئمة الزيدية في مد نفوذهم إلى أقاليم وجهات مختلفة من اليمن، وصلت إلى مشارف عدن جنوباً، وزبيد غرباً، والمخلاف السليماني شمالاً، فيما أنحصر الوجود الطاهري في مدينة عدن بعد أن فقدوا معظم مناطق نفوذهم، وظلت الدولة الكثيرية مسيطرة على حضرموت، في حين بقيت القوة المملوكية مسيطرة على منطقة تهامة وبعض مناطق المخلاف السليماني، متخذة من مدينة زبيد مقراً لها.

وفي الفترة التي كانت فيها منطقة جنوب البحر الأحمر والمحيط الهندي تشهد أحداث الصراع بين المماليك والبرتغاليين. والأوضاع الداخلية في اليمن تمر بحالة من الصراع السياسي والعسكري بين القوى المتنافسة . كما أشرنا سابقاً ـ كانت الجبهة الشمالية لدولة المماليك مسرحاً لأحداثِ تاريخيةٍ كبيرة. تمثلت في شروع الدولة العثمانية بالتوسع جنوباً باتجاه بلاد الشام وتمكنت من انتزاعها من أيدي المماليك عام

([1]) جيزان : مدينة على ساحل البحر الأحمر، وسميت بهذا الإسم نسبة إلى وادي جيزان النازل من بلاد خولان بن عامر. محمد الحجري: مجموع بلدان اليمن. جـ1، صـ 171.

([2]) سيد سالم : مراحل العلاقات. صـ35.

([3]) لمزيد من المعلومات حول وضع تلك المناطق أنظر سيد سالم : مراحل العلاقات. صـ 30 . 46.

922هـ/ 1516م، ثم توجهت نحو مصر وأستولت عليها عام923هـ / 1517م، وقضت بذلك على دولة المماليك، ومد نفوذها سلمياً إلى بلاد الحجاز، وذلك حين اعترف أشراف مكة بسلطتها عليهم[1]. وورثت الدولة العثمانية بذلك أعباء المشاكل والتهديدات الخارجية التي تعرضت لها الأقاليم الأسلامية . خاصة تهديدات البرتغاليين . وأتبع سلاطيهنا نفس مسار المماليك في حماية المدخل الجنوبي للبحرالأحمر من ذلك الخطر، حيث أرسلوا حملاتهم العسكرية جنوباً لتنفيذ تلك المهمة .

مواقف القوى السياسية في اليمن من الزحف العثماني :

عقب الانتصارات التي حققتها الدولة العثمانية على المماليك في مصر والشام، وتقويضها لنفوذ الدولة الصفوية[2] في فارس. وتحملها مسئولية حماية الأماكن المقدسة في مكة والمدينة[1]. تولت مهمة حماية البلاد الإسلامية، جاعلة من نفسها دولة إسلامية كبرى، وليس أدل على ذلك من حرص سلاطينها على حمل لقب خادم الحرمين الشريفين، وهو لقب يضفي على حامله نوعاً من القداسة الدينية، إلى جانب احتفاظهم بمفاتيح الكعبة المشرفة، وبعض مقتنيات الرسول ﷺ. كل ذلك أضفى عليها مركزاً دينياً مرموقاً، ومدلولاً سيادياً على البلاد الإسلامي[2]، وجعلها منذ ذلك الحين تمثل التجسيد الحي لدولة الخلافة الإسلامية في نظر الكثير من أمراء وعلماء البلاد الإسلامية، الذين جعلوا من سلاطينها ولاةً أمر المسلمين وخاطبوهم بلقب الخلفاء[3].

---

(1) قطب الدين النهروالي : البرق اليماني . 25 . 26.

(2) الدولة الصفوية : تأسست أواخر القرن الخامس عشر الميلادي واستمرت حتى سنة 1737 م، وتنسب إلى إسماعيل الصفوي، شملت أراضيها معظم بلاد إيران وشيروان ، وأذربيجان والعراق ، فرضت المذهب الشيعي بدلاً عن المذهب السني في معظم هذه الأقاليم، تم القضاء عليها على يد الأمير نادر شاة الأفغاني سنة1737م . الموسوعة الإسلامية المختصرة : بيروت، دار الحكمة،ط الثانية،2000م، صـ 334.

(1) عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها. القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية، 1987م، جـ1، صـ184.

(2) Bidwell , Robin : The Two Yemens. p18

(3) خاطب الكثير من علماء وأمراء الممالك الإسلامية سلاطين الدولة العثمانية بلقب الخلفاء، ويتضح ذلك في مؤلفاتهم وكتبهم، وفي الرسائل التي تبادلوها بينهم، أو التي وجهوها إلى السلاطين أنفسهم. أنظر شمس الدين عبد الصمد الموزعي: الإحسان في دخول اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان. نشرعبدالله الحبشي، صنعاء، منشورات وزارة الوقاف والأرشاد، (د.ت)، صـ 16، 20، قطب الدين النهروالي: البرق اليماني. صـ 210،215، عبدالله بن داعر: الفتوحات المرادية في الجهات اليمانية . مخطوطة مصور= =محفوظة بمكتبة

ليس لأنها القوة الإسلامية القادرة على صد الخطر البرتغالي فحسب، بل لأنها القوة القادرة على تحقيق مشروع الخلافة الإسلامية، وحماية بيضة الإسلام بعد سقوط دولة المماليك في مصر.

بدأ سلاطين الدولة العثمانية بعد تلك الإنجازات في استكمال الدور الذي لعبه المماليك في حماية المدخل الجنوبي للبحر الأحمرمن تهديدات البرتغاليين، وأرسلوا أولى حملاتهم العسكرية لتنفيذ ذلك في إطار الخطة الجهادية التي تبنوها وأفصحوا عنها في رسائلهم، وأوامرهم إلى قادات حملاتهم. ففي رسالة السلطان سليمان القانوني إلى الأمير المطهر المؤرخة بـ 17شوال 947هـ/16فبراير 1541م، أكد فيها أن سبب توجه قواته إلى الهند كان بهدف مواجهة أهل الكفر والعناد بقوله "ولما برزت أوامرنا الشريفة سابقا بتعيين وزيرنا الأعظم سليمان باشا تغمده الله برحمته للبلاد الهندية بفتح تلك الولاية السنية وبقطع دابر أهل الكفر والعناد"[1]. وفي آوامر السلطان سليم الثاني التي بعثها إلى قائد حملته على اليمن سنان باشا[2]، بيّن دواعي إرسال هذه الحملة بقوله " إن استردادنا لمملكة اليمن، إن كان ذلك يتعين علينا، لأنها ميراث أبينا المرحوم المقدس، ولكن جل قصدنا من ذلك إنما هو حفظ ثغر عدن، وصونا للحرمين الشريفين،عن الكفار الملاعين"[3].

جامعة القاهرة تحت رقم 26421.جـ 2، صـ 205، 293، 294رسالة المطهر إلى السلطان سليمان القانوني. النهروالي: المصدر نفسه. صـ112، رسالة الأمير حسن بن أبي نمي إلى المطهر. قطب االدين النهروالي: المصدر نفسه. صـ 200.

وذهب بعض المؤرخين إلى أن أمر الخلافة أنتقل من آل العباس إلى آل عثمان سنة 1543م، وذلك بعد وفاة أخر الخلفاء العباسيين وهو المتوكل علىالله بن المستمسك بالله، الذي مات دون أن يحدد من يخلفه. إلا أن السلاطين العثمانيين لم يضيفوا لقب الخليفة إلى ألقابهم رسمياً إلا أواخر القرن الثامن عشر الميلادي. أنظر محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي1514. 1914م. القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1985 م، صـ 117.

([1]) وردت هذه الرسالة عند أحمد بن يوسف بن فيروز : مطالع النيران في تاريخ اليمن . مخطوطة محفوظة بالخزانة التيمورية بدار الكتب بالقاهرة تحت رقم 16، قـ9، قطب الدين النهروالي : المصدر نفسه صـ109، مجموع سفينة شعرية ورسائل الأئمة . مخطوطة محفوظة على قرص مدمج بمؤسسة الإمام زيد الثقافية، قـ 70 . 74. عبدالله بن داعر: الفتوحات المرادية. جـ1 ، قـ190. أنظر ملحق رقم 2.

([2]) سترد ترجمته في القسم الثاني من هذه الدراسة.

([3]) قطب الدين النهروالي: نفس المصدر. صـ233.

وصلت أولى تلك الحملات إلى السواحل اليمنية (945هـ/ 1538م) لتشكل البدايات الأولى للزحف العثماني، وعلى الرغم من أن وصول العثمانيين إلى اليمن كان بهدف مواجهة البرتغاليين . وهو ما كانت تنشده معظم القوى في اليمن وبقية البلاد الإسلامية . إلا أن هذا الحدث كان له أثر كبير على الأوضاع السياسية الداخلية في اليمن. حيث تباينت مواقف القوى السياسية في اليمن تجاه الدولة العثمانية وزحفها العسكري، فقد دخلت بعض تلك القوى في طاعة الدولة العثمانية وأعلنت ذلك قبل وصول القوات العثمانية، واصطدمت احدى القوى بالعثمانيين وانهزمت أمامهم، كما دخلت أحدى تلك القوى في صراع سياسي و فكري مع العثمانيين استمر لأكثر من مائة عام. وتباين مواقف القوى السياسية في اليمن تجاة الدولة العثمانية، كان نتيجة للظروف الداخلية والخارجية المختلفة التي كانت تمر بها تلك القوى.

فما إن وصلت أنباء سقوط مصر واستيلاء السلطان العثماني عليها سنة 923هـ / 1517م ، حتى سارع أمير المماليك في اليمن إسكندر المخضرم إلى إعلان ولائه وتبعيته للدولة العثمانية في خطبة الجمعة بصنعاء في جمادى الآخرة من نفس السنة[1] وشفع ذلك بإرسال ابنه إلى القاهرة لتأكيد موقفه[2]، وبعث هديته إلى عاصمة الدولة العثمانية تعبيراً عن ولائه لسيادتها[3]، وقد رد السلطان العثماني على ذلك بتثبيته في حكم ولاية اليمن[4].

جاء تبني الأمير إسكندر المخضرم لهذا الموقف، مسايرة للأوضاع التي مرت بها دولة المماليك آنذاك، حيث مثّل سقوط مصر بأيدي العثمانيين، سقوطاً لمركز الدعم والمساندة لاستمرار بقائهم في اليمن لمواجهة تهديدات البرتغاليين هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية سعى للقضاء على الخلافات التي بدأت تظهر في صفوف جيشه، لما يمثله ذلك من تهديد كبير لوجودهم، في ظل استمرار الحروب المتواصلة مع القبائل، والقوى اليمنية مثل الطاهريين و أئمة الزيدية. خاصة وأن جزءاً كبيراً من جيشه هم من

([1]) عيسى بن لطف الله : روح الروح . صـ50، محمد بن أبراهيم المفضل: السلوك الذهبية في خلاصة السيرة المتوكلية. نشرت بعناية / عبد الملك بن محمد الطيب ، (د.ت) ، (د.م) ، صـ37

([2]) عبدالكريم العزير: التشكيلات المركزية والإدارة العثمانية في اليمن. صنعاء، مطابع الصباحي، 2000م، صـ 40 .

([3]) سيد سالم : الفتح العثماني. صـ 117

([4]) قطب الدين النهروالي : البرق اليماني، صـ 33

العثمانيين الذين ساندوا المماليك في حربهم مع البرتغاليين[1]. كما عمل الأمير اسكندر على تفادى المصير الذي لقيه مماليك مصر على أيدي العثمانيين.

تظافرة هذه الأسباب مجتمعة وراء مسارعة المماليك، إلى إعلان تبعيتهم وولائهم للدولة العثمانية، ليكونوا بذلك أولى القوى السياسية في اليمن التي حددت موقفها من العثمانيين قبل أن يمتد نفوذهم العسكري إلى اليمن.

لئن كان موقف المماليك تجاه الدولة العثمانية قد أتسم بالوضوح، فإن موقف الدولة الطاهرية لم يكن كذلك. فقد بدأت علاقتهما عقب سقوط دولة المماليك في مصر سنة 923هـ/ 1517م بأيدي العثمانيين، حيث سارع حاكم عدن الطاهري الأمير مرجان الظافري[2] إلى مراسلة السلطان العثماني سليم الأول على لسان السلطان الطاهري عامر بن عبد الوهاب . الذي كان قد لقي حتفه عند أسوار صنعاء . وسعى الأمير من وراء تلك المراسلة إلى تقوية علاقته بالدولة العثمانية، وإلى تقديم الاعتذار للسلطان العثماني لما أقدم عليه من تعاون ومهادنة مع البرتغاليين . فقد سبق وأن أمد حملة القائد البرتغالي لوبوسوريز المتوجة إلى جدة بالمؤن، وبعض المرشدين البحريين . وأكد ذلك الاعتذار بتوقيعات أعيان مدينة عدن وتجارها وفقهائها[1]، دون التصريح بالدخول في طاعة الدولة العثمانية .

وفي عام 934هـ/1527م بعث الأمير سلمان الرومي[2] برسالة إلى حاكم عدن

([1]) سيد سالم:الفتح العثماني . صـ111.

([2]) الأمير مرجان: هو مرجان بن عبدالله الظافري والي مدينة عدن من قبل الطاهريين، من اعماله بناء قبة العيدروس بعدن كانت وفاته سنة 927هـ/1520م. عبد القادرالعيدروس: النور السافر. صـ123، الطيب بافقيه : تاريح الشحر . صـ 135.

([1]) الطيب عبدالله بن أحمد بامخرمة: قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر . تحقيق : محمد يسلم عبدالنور، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صنعاء، 2003، جـ 3، صـ 828. محمد عبدالعال: بنو رسول وبنوطاهر. صـ 525 .

([2]) سلمان الريس أو سلمان الرومي: هو أحد القادة العثمانيين الذين دخلوا في خدمة السلطان قانصوه الغوري أثناء حروبه مع البرتغاليين، تولى قيادة الأسطول المملوكي المرسل إلى جدة سنة 912هـ / 1515م، وبعد تولي حسين الكردي قيادة الأسطول واصل القائدان رحلتهم إلى عدن، ثم عادا إلى جدة مرة ثانية، مقد عمل سلمان على تحصين ميناء جدة بعد مقتل حسين الكردي، وتمكن من صد الهجمات البرتغالية= =عليها، دخل بعد ذلك في صراع مع المماليك في زبيد، وتحالف مع الأمير عزالدين بن أحمد أمير جيزان، ثم دخل في حرب مع الأمير عزالدين، عاد إلى مصر وأقنع الصدر الأعظم بضرورة ارسال حملة عثمانية إلى السواحل اليمنية لإخضاعها، وفي سنة 932هـ/1526م أرسلت الحملة وتولى قيادة أسطولها، وصل إلى زبيد

الطاهري عبد الصمد بن إسماعيل[1]، يدعوه فيها إلى الدخول في طاعة الدولة العثمانية، وجاء رد الأمير عبد الصمد بالموافقة، على أن تكون العملة والخطبة باسم السلطان سليمان القانوني، مع ذكر أسم الأمير عامر بن داوود الطاهري في الخطبة، كما ألتزم بتقديم نصف عشور الهندي[2] للأمير سلمان[3].

جاءت موافقة الأمير الطاهري على الدخول في طاعة الدولة العثمانية، بسبب الأوضاع السيئة التي مرت بها الدولة الطاهرية خلال تلك الفترة، فقد خسروا مناطق نفوذهم شمال صنعاء وفي ذمار، والمقرانة ورداع، والتي سيطر عليها الأمير المطهر بن شرف الدين[1]. وعلى الرغم من عدم إيفاء الطاهريين بوعودهم تجاه سلمان الريس، فإن الخطبة ظلت باسم السلطان العثماني خلال فترة تولي الأمير عبد الصمد[2].

وعقب تولي السلطان عامر بن داود الطاهري[3] حكم الدولة الطاهرية وطرده للأمير عبد الصمد، قام بمراسلة السلطان العثماني سليمان القانوني طالباً منه المساعدة، لمواجهة توسعات الأمير المطهر، والتي وصلت إلى مشارف مدينة عدن نفسها سنة 943هـ/1537م[4]. وقد رد السلطان على تلك المراسلات، أثناء إعداد الحملة العثمانية لمواجهة الخطر البرتغالي في البحر الأحمر والمحيط الهندي، حيث

ودخل في صراع مع حاكمها الأمير مصطفى الرومي، وأنتهى ذلك الصراع بمقتل سلمان الريس سنة 934هـ/1528م. سيد سالم: الفتح العثماني. صـ95، 96، 105، 119، 148، 149، 150، 151.

([1]) الأمير عبدالصمد بن اسماعيل : هو مولى لبني طاهر، تولى حكم عدن من قبل أهل الحل والعقد في عدن سنة 933هـ /1526م، بعد هروب حاكمها الطاهري أحمد بن محمد إلى المهرة، ولم يستمر في حكم المدينة طويلاً فقد سلم المدينة للسلطان الطاهري عامر بن داوود سنة 934هـ . الطيب بافقية: تاريخ الشحر. صـ 183.

([2]) العشور الهندي: هي اموال تفرض على المراكب التي تصل محملة بالتجارة من الهند . الطيب بافقية: نفس المصدر. هـ . صـ 185 .

([3]) الطيب بافقيه: نفس المصدر. صـ 185.

([1]) سيد سالم: نفس المرجع. صـ 139 .

([2]) الطيب بافقيه: نفس المصدر. صـ 186 .

([3]) عامر بن داود بن عامر تولى الحكم عقب مقتل السلطان عامر بن عبد الوهاب 923هـ / 1517م ، وحاول استرداد امجاد الطاهريين اثناء انشغال الأمام شرف الدين بحربه مع المماليك ، استمر في الحكم إلى أن وصل العثمانيون إلى سواحل اليمن 945هـ / 1538م ، كانت نهايته على يد الأمير العثماني سليمان باشا الخادم في نفس السنة. خير الدين الزركلي: الأعلام، جـ4، صـ 17. صالح الحامدي: تاريخ حضرموت. صـ 578.

([4]) عبد الصمد الموزعي : الإحسان. صـ 24 ، 25.

بعث قائد الحملة العثمانية الأمير سليمان باشا الخادم برسائل وهدايا السلطان إلى أمراء عدن والشحر أخبرهم فيها بأعداد الحملة، وطلب منهم الدخول في طاعة الدولة العثمانية. فتردد الأمير الطاهري عامر بن داوود في بداية الأمر في قبول ذلك الطلب، وتجاهل أمر مبعوث السلطان، ولم يعط رداً صريحاً، واكتفى بإرسال الهدايا فقط دون إعلانه الدخول في طاعة العثمانيين بشكل رسمي.

وحين وصلت طلائع القوات العثمانية إلى ميناء عدن سنة 945هـ/ 1538م رحب بهم السلطان عامر بن داوود، وسعى إلى تقديم المساعدة لهم، محاولاً تحسين علاقته بالعثمانيين[1]. وعدم تكرار الخطأ الذي أرتكبه السلطان عامر بن عبد الوهاب مع المماليك. إلا أن موقف الترحيب هذا لم يشفع له عند قائد الحملة العثمانية سليمان باشا الخادم الذي أتخذ قرار القضاء عليه. وأسهمت عدة عوامل في أتخاذ سليمان باشا الخادم لهذا القرار أهمها :

. تجاهل الأمير عامر لمبعوث السلطان، وعدم الخضوع بشكل صريح وواضح للدولة العثمانية.

. تحريض الإمام شرف الدين للعثمانيين للقضاء عليه بحجة انه تعاون مع البرتغاليين

. شخصية سليمان باشا الخادم الدموية والمعروفة بالغدر وحبه للقتل[1].

تضافرت كل تلك العوامل في اتخاذ قرار إعدام حاكم عدن الأمير عامر بن داوود والاستيلاء على عدن بالقوة، والقضاء على الدولة الطاهرية نهائيا. فكانت أولى القوى السياسية في اليمن التي قضي عليها من قبل الدولة العثمانية، تلاشت تماماً من الخارطة السياسية.

وفي الوقت الذي تردد السلطان الطاهري في أعلان دخوله تحت سلطة الدولة العثمانية.فإن موقف السلطان الكثيري بدر بوطويرق قد أتسم بالوضوح تجاه العثمانيين. فقد بدأ تواصله مع العثمانيين قُبيل وصول حملة سليمان باشا الخادم إلى سواحل حضرموت، وذلك حين بادر إلى مراسلة السلطان العثماني سليمان القانوني طالباً منه المساعدة وباذلاً له الطاعة[2]، ولإثبات صدق موقفه تجاه العثمانيين أعدم40 برتغالياً

([1]) سيد سالم : الفتح العثماني. صـ 159 .

([1]) سيد سالم : الفتح العثماني . صـ 159 –161 .

([2]) محمد بن هاشم: الدولة الكثيرية . صـ67 .

كانوا قد وقعوا في يده، كما أرسل مجموعة أخرى منهم مكونة من 33 شخصاً مكبلين بالحديد إلى السلطان سليمان[1].

جاء تبني السلطان بدر لهذا الموقف نتيجة الظروف التي كانت تمر بها المنطقة، والمتمثلة باستمرار الهجمات البرتغالية على شواطيء حضرموت، وهو ما دفعه للبحث عن نصير يوقف هذا الخطر. فوجد في الدولة العثمانية ضالته المنشودة[2].

بناءً على ذلك أوفدت الدولة العثمانية رسولاً إلى السلطان بدر بوطويرق محملاً بالهدايا، ومرسوماً سلطانياً يؤكد أن الاستعدادات جاريه من قبل العثمانيين لتجهيز حملة عسكرية لقتال البرتغاليين. حينها أعلن السلطان بدر اعترافه الرسمي بسلطة الدولة العثمانية وتبعيته لها، وأمر بالخطبة في مساجد الدولة الكثيرية باسم السلطان العثماني سليمان القانوني، وكانت أول خطبة جمعة يُخطب فيها بذلك يوم 14 ربيع أول 944هـ /22 أغسطس 1537م.

ردت الدولة العثمانية على موقف السلطان بدر بوطويرق هذا، بإصدار فرمان سلطاني يقضي بأقراره حاكماً على ولاية حضرموت من قبل الدولة العثمانية، مقابل دفعه سنوياً مبلغ عشرة الاف أشرفي[1]، وتسلم السلطان بدر هذا الفرمان من سليمان باشا الخادم عقب عودته من الهند 945هـ/ 1538م.[2].

في الوقت الذي انضوت فيه بعض القوى السياسية. آل كثير والمماليك طوعاً و الطاهريين قهراً . تحت سلطة الدولة العثمانية. نجد أن أئمة الزيدية هم القوة السياسية الوحيدة التي لم تخضع بشكل نهائي لسلطة العثمانيين، بل دخلوا في صراع معهم حول

---

(1) Serjent , R B : The Portuguese off the south Arabian Coast .Oxford University, Press,The Second Edition, Lebanon, 1974, p 72

(2) Ibid . p28

(1) الأشرفي: عملة ذهبية كانت متداولة آنذاك، منها ما ينسب إلى الملك الأشرف برش بيه المملوكي ، ومنها ما ينسب إلى الملك الأشرف الرسولي، ومنها ما ينسب إلى السلطان الأشرف الغوري. يحيى بن الحسين: غاية الأماني. جـ2، 647. محمد عبد القادر بامطرف: الشهداء السبعة.عدن، دار الهمداني للطباعة والنشر، ط الثانية، 1983. هـ . صـ 124.

(2) محمد بن هاشم: الدولة الكثيرية. صـ 67. 69.

مناطق النفوذ والحكم. وشكل موقفهم هذا تجاه الزحف العثماني على اليمن الملامح السياسية لأحداث قرن من الزمان 945. 1045هـ/ 1538. 1638م.

يرجع السبب في تبني أئمة الزيدية لهذا الموقف، إلى طبيعة تكوينهم السياسي القائم على أسس مذهبية تؤكد أحقيتهم في الإمامة، وإقامة دولة الحق . إقامة دولة الإمامة الزيدية في اليمن . والتي بدأ تأسيسها في اليمن في عهد الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين[1] 284. 298هـ/ 897 . 910م، وتشكلت ملامحها السياسية للمرة الأولى في عهد الإمام شرف الدين[1]. لذلك لم يكن خضوع آئمة الزيدية لسلطة الدولة العثمانية، وتنازلهم عن حلم إقامة الدولة الزيدية في اليمن أمراً سهلاً. وهو ما جعل خيار الحرب والمواجهة هو الخيار الأخير أمامهم للمحافظة على ديمومة طموحاتهم السياسية.

غير أن هذا الخيار لم يمثل السمة الدائمة لعلاقتهم مع العثمانيين، فقد مرت تلك العلاقات بأطوار وسمات مختلفة، يتضح ذلك من خلال تتبع مراحلها، منذ وصول العثمانيين وحتى خروجهم 1045هـ/1635م.

ففي المرحلة الأولى التي أعقبت وصول العثمانيين إلى السواحل اليمنية عام 945هـ/ 1538م، اتسمت علاقة الطرفين في بدايتها بنوع من الهدوء وغلب عليها طابع المهادنة، حيث أبدى الإمام شرف الدين في مراسلاته مع قائد الحملة العثمانية نوعاً من الرضا تجاه ما قام به العثمانيون في عدن وزبيد[2].

([1]) هو الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب الرسي نسبة إلى جبل الرس في المدينة المنورة، كان مولده فيها سنة245هـ/ 860 م، يعد من أشهر علماء آل البيت، و يعتبر الرجل الثاني بعد الإمام زيد في تجديد المذهب الزيدي، وصل إلى اليمن بدعوة من قبائل همدان سنة 284هـ / 897م، عمل على نشر المذهب الزيدي وتأسيس الدولة الزيدية في اليمن، كانت وفاته سنة 298هـ / 910م في بلاد صعده. عبد الفتاح شايف نعمان : الإمام الهادي يحيى بن الحسين . بيروت، مؤسسة فؤاد بعينو للتجليد، ط أولى، 1989. صـ147،144،67. عبد السلام الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية. صـ 1103.

([1]) وليد عبدالحميد النود : الدولة القاسمية في اليمن جذورها و أسس قيامها (1006هـ/ 1597م . 1054هـ/ 1644م). رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صنعاء، 2002م ، صـ 108، 436.

([2]) عند وصول العثمانيين إلى عدن أمر قائد الحملة سليمان باشا الخادم بشنق السلطان الطاهري عامر بن داود، وعند وصوله إلى زبيد قتل الأمير أحمد الناخوذة أمير المماليك. سيد سالم: الفتح العثماني. صـ161، 165.

فقد ذكر صاحب كتاب الفتوحات المرادية أن سليمان باشا "أرسل جاويشاً بمكاتبات إلى الإمام شرف الدين بالجبال يداريه ويسكن الفتنة من قبله، ويطيب خاطره ويراعيه، وجاءت من الإمام المذكور جوابات مُهنّيه"[1].

وروى صاحب كتاب السلوك الذهبية، أن رسالة سليمان باشا إلى الإمام شرف الدين تضمنت تبريره لقتل حاكم عدن الطاهري عامر بن داوود بحُجة سعيه إلى تسليم عدن للفرنج، وأن الإمام أبدى ارتياحه من قيام العثمانيين بذلك في جوابه على رسالة سليمان باشا الخادم بقوله "وكنا ممن أُبتلي في أول أمره بشر هذه الشجرة اللئيمة، التي اجتثها الله سبحانه على أيديكم المباركة، فإنهم أعانوا علينا طوائف الباطل الرافضة الباطنية وغيرهم"[2]. وعلى الرغم من عدم ذكر نصوص هذه المراسلات، لدى المؤرخين، إلا أن ما أشاروا إليه عن محتواها، يؤكد أن الإمام شرف الدين قد قابل ما قام به العثمانيون عند بداية وصولهم بنوع من الرضا خاصة ما فعلوه تجاه آل طاهر وكانت تلك المراسلات بداية صلة بين الطرفين، ودخول علاقتهم طوراً أكثر تقارباً.

فقد شهدت علاقة الطرفين في نهاية هذه المرحلة تطوراً كبيراً، حيث أظهر الإمام شرف الدين الطاعة "الأسمية"[1] والتبعية للدولة العثمانية. ولعل ما ورد في مراسلات الإمام، وابنه المطهر مع السلطان العثماني، يؤكد اعتراف الإمام بفضل الدولة العثمانية، والدخول في طاعتها والخضوع لسيادتها. فقد بيّن الإمام في رسالته إلى السلطان سليمان القانوني بتاريخ 17شوال 947هـ/ 16فبراير 1541م، أنه أمتثل لأوامر السلطان، ونفذ ما طُلب منه بقوله "وقد احببنا مطالعتكم بهذا الكتاب [...] بعد أن بذلنا كل ما طلبتموه منا في كتبكم السابقة من إصلاح السبل وجلب الأرزاق إلى جهاتكم، والمعاونة والمساعدة لما يمكن ويُجعل لنا المساعدة إليه، ولم نمنع إلا ما يجب علينا الله سبحانه منعه"[2]. وقد أشار السلطان سليمان القانوني في رسالته إلى الأمير

([1]) عبدالله بن داعر: الفتوحات المرادية، جـ1، ق189.

([2]) إبراهيم بن المفضل : السلوك الذهبية. صـ 170.

([1]) لم يرد في المصادر ما يشير إلى أن العملة والخطبة أصبحت في صنعاء باسم السلطان العثماني.

([2]) وردت هذه الرسالة عند الحسن الزريقي : سيرة الإمام شرف الدين . مخطوطة محفوظة بمكتبة آل الهاشمي في صعدة ، منها صورة محملة على قرص مدمج بمؤسسة الإمام زيد الثقافية بصنعاء. أنظرأنظر ملحق رقم 1.

المطهر المؤرخة بـ10 شوال 957هـ/ 23 أكتوبر 1550م، إلى أن الإمام شرف الدين صار من أنصار الدولة العثمانية بقوله " وعاد إلى أعتابنا الشريفة[1] ومعه مكاتيب تتضمن الطاعة لسلطاننا والإخلاص لاتباع مرضاتنا وتعاقبت بعد ذلك مكاتبات والدكم بإظهار الطاعة وبذل الإخلاص والصدق والاستطاعة [...] وتحققنا ما كان يبلغ عنهما على ألسنة المترددين على عتباتنا الشريفة من تلك الديار، وأنهما صارا من توابعنا ومملكتهما من جملة ممالكنا"[2].

و ما جاء في جواب الأمير المطهر بن شرف الدين بتاريخ رجب 958هـ/ يوليو 1551م، على رسالة السلطان سليمان هو دلالة صريحة تؤكد طاعة آل شرف الدين للدولة العثمانية ومن ذلك قوله "وعرفنا ما ذكره سلطاننا سلطان الأمم مالك رقاب العرب والعجم المختص بحماية الحرم المحرم لطاعتنا لحاله، ودخولنا تحت أقواله وأفعاله، فالحمد الله الذي وفقنا لطاعته [...] كيف وطاعتكم من طاعة الملك الخالق، ومعصيتكم تظلم منها المغارب والمشارق، ونحن من مودتكم على يقين"[1].

وثمة إشارات وردت في كتابات المؤرخين تبين أيضاً طبيعة تلك العلاقات خلال تلك المرحلة. فقد ذكر صاحب كتاب الفتوحات المرادية أن الإمام شرف الدين "ممن يعترف بفضل الدولة ويقر بشرف ملكها على البرية، ويدعو لها ولأنصارها الحامين بسيوفهم عن حوزة الملة الحنفية [...] وأوصى أولاده بخدمتها في كل زمان والدخول تحت لواء عدلها المنصور"[2]. وأشار صاحب كتاب تاريخ الشحر إلى تلك العلاقة بقوله "وكان في هذه السنة[3] باليمن الإمام شرف الدين وولايته من صعده [...] وكان

تعد هذه الرسالة من اهم الوثائق التي أعتمد الباحث في هذه الدراسة وحاول من خلالها إزالة الغموض عن طبيعة علاقة الإمام شرف الدين بالدولة العثمانية، ويعتقد الباحث . حسب علمه . أن دراسته هذه تنفرد بأستخدام هذه الرسالة وبنشرها لأول مرة .

([1]) يقصد الوزير سليمان باشا الخادم.

([2]) وثيقة بالمركز الوطني للوثائق بصنعاء . تحت رقم 89/ 1، ووردت هذه الرسالة عند المؤرخ أحمد بن فيروز : مطالع النيران. ق 9. قطب الدين النهروالي : البرق اليماني . صـ 109. ملحق رقم2.

([1]) وردت هذه الرسالة عند أحمد بن فيروز : مطالع النيران. ق12، قطب الدين النهروالي : البرق اليماني . صـ113، عبد الله بن داعر : الفتوحات المرادية جـ 1، ق190. ملحق رقم3.

([2]) عبد الله بن داعر: نفس المصدر. جـ1، ق69.

([3]) يقصد سنة 945هـ / 1538م.

الإمام يظهر الطاعة للأروام"[1]، وذكر أيضاً أن السلطان العثماني سليمان أصدر مرسوماً سلطانياً يقضي بتولي الإمام شرف الدين حكم صنعاء ومخلاف جعفر[2]، وتقرير أحوال البلاد وإخراج القوافل إلى عدن، وغير ذلك من المهمات الإدارية[3].

وقد ارتبط موقف الإمام شرف الدين في هذه المرحلة بمدى احتفاظه بمكانته الدينية، وحدود دولته السياسية. حيث بدا واضحاً وجود نوع من الاتفاق (الضمني) بين الطرفين للتصالح يحفظ فيه كل طرف مصالح الأخر، وظهرت إشارات إلى ذلك الاتفاق الذي يبدو أنه كان قبل سنة 946هـ/ 1539م[4] في رسالة الإمام شرف الدين إلى السلطان سليمان بقوله "وانتظرنا ما يأتي من قبلكم من جواب شريف، وخطاب زليف، حتى وقع من ولاتكم في حدود جهاتنا عدوان وطغيان، وقتل وهتك لأمان الله الملك الرحمن"[1].

وأكد الأمير المطهر بن شرف الدين وجود هذا الإتفاق في جوابه . السابق . إلى السلطان سليمان بن سليم، حيث بين أن حربه على العساكر العثمانيين في اليمن كانت نتيجة هتكهم للأصلح والذمم التي كانت بينهم بقوله "فمخالفتا لعساكركم المنصورة، وكتائبكم الواسعة الموفورة ليس له صحة ولا ثبات، ولا كان لنا إلى حربهم تعدٍ ولا التفات، بل قصدونا إلى هذه الأقطار والجهات، وجلبوا علينا أتراكاَ وأروماً، وهتكوا أصلحاً كانت بيننا وبينهم وذماماً ، وما راعوا لأوامركم الشريفة فينا أحكاماً"[2]. فالإتفاق الضمني . كما أتضح سابقاً . كان موجوداً بين الطرفين، بل أن نقض هذا الاتفاق والخروج على مبادئه كان سبباً في تغير موقف آل شرف الدين تجاه العثمانيين.

([1]) الطيب بافقيه: تاريخ الشحر. صـ 265 .

([2]) مخلاف جعفر: هي المناطق الوسطى من اليمن والتي تشمل مدينة إب، ومنطقة العدين،، المذيخرة، السحول. إبراهيم المقحفي. معجم البلدان. جـ1، صـ 337.

([3]) أحمد بن فيروز: نفس المصدر . قـ 8، الطيب بافقية : نفس المصدر. صـ 269.

([4]) أنتقد الإمام شرف الدين تصرفات والي زبيد العثماني، وبعث برسالة إلى أمير موسم حج سنة 946 هـ /1539م يشكو فيها من تلك التصرفات، وعدم الإيفاء بالأمان ومهاجمة الرعايا. الحسن الزريقي: سيرة الإمام شرف الدين . قـ 77. أنظر ملحق رقم 1.

([1]) وردت هذه الرسالة عند الحسن الزريقي: سيرة الإمام شرف الدين. قـ 77. ملحق رقم1.

([2]) وردت هذه الرسالة عند أحمد بن فيروز: مطالع النيران. قـ 13، قطب الدين النهروالي: البرق اليماني. صـ114، عبدالله بن داعر : الفتوحات المرادية جـ1 ، قـ190. أنظر ملحق رقم3.

ومن واقع هذه الإشارات بدا واضحاً أن موقف آل شرف الدين في هذه المرحلة تجاه سيطرة العثمانيين على بعض مناطق تهامة وعدن، قد اتسم بالمهادنة، وإظهار الطاعة والتبعية الاسمية للدولة العثمانية، دون التصريح الرسمي بذلك، أي أن تكون العملة والخطبة باسم السلطان العثماني.

يبدو أن ما دفع الإمام شرف الدين إلى اتخاذ هذا الموقف، هو عدم وجود مبررات تستدعي معاداة الدولة العثمانية في تلك المرحلة، فظهور العثمانيين حينها على السواحل اليمنية، وسيطرتهم على تلك المناطق كان في إطار نية الجهاد التي تبنوها لحماية المنطقة من الخطر البرتغالي، وهي مناطق لم تكن تخضع لسلطة الإمام من قبل، بل كانت خاضعة للطاهريين والمماليك، الذين كانوا على علاقة عداء مستمرة مع الإمام شرف الدين.

وفي المرحلة الثانية التي أعقبت توغل حملة آويس باشا[1] سنة 952هـ/1546م، في مناطق اليمن الداخلية الخاضعة لنفوذ الإمام شرف الدين، دخلت علاقة الطرفين مرحلة جديدة من مراحلها، غلب عليها طابع الصراع السياسي الفكري، وأستمرت حتى خروج العثمانيين من اليمن سنة 1045هـ / 1635م، فقد رأى آل شرف الدين في تقدم العثمانيين صوب مناطق اليمن الداخلية، تهديداً لمحاولاتهم إقامة الدولة الزيدية في اليمن، وفقدانا لمركزهم السياسي والديني[2]، ولمناطق نفوذهم التي شكلت مصدرا من مصادر مواردهم المالية (الزكاة). وهو ما عبر عنه الأمير المطهر بن شرف الدين في جوابه . السابق . إلى السلطان سليمان بن سليم، حين برر حربه على العثمانيين بقوله " ولا كان لنا إلى حربهم . يقصد عساكر السلطان في اليمن . تعد ولا التفات بل قصدونا إلى هذه الديار [...] وما راعوا لأوامركم الشريفة فينا أحكاماً، وضيقوا علينا مسالك المعيشة خلفاً وأمام، ورمونا بما لا يرما [يرمى] به إلا الذين يعبدون أوثاناً

([1]) اويس باشا : من مماليك السلطان سليم تولى حكم اليمن سنة 952 هـ/ 1546م خلفا للوالي مصطفى باشا النشار ، قتل في المناطق الوسطى من اليمن إثناء تقدمه إلى صنعاء على يد بعض رجاله وعلى رأسهم حسن بهلوان سنة 954هـ/ 1548 . قطب الدين النهروالي: البرق اليماني. صـ 95.

([2]) أشار محمد خليل افندي في لائحته الخاصة باليمن بند رقم 12 إلى أن فقدان الإمام شرف الدين لمركزه كان من الأسباب التي دفعته إلى حرب العثمانيين. محمود علي عامر: اليمن من خلال لائحتي محمد خليل افندي. مجلة الأكليل، العدد الأول، سنة1989م، من صـ 79 . 99، صـ83.

وأصناماً"[1]. كما رأوا في ذلك التقدم تنصلاً عن واجب الدولة العثمانية الحقيقي، والمتمثل في محاربة أعداء الدين وهو الشعار الذي رفعه العثمانيون عند وصولهم إلى اليمن. حيث أشار إلى ذلك الإمام شرف الدين في رسالته إلى السلطان سليمان القانوني والمؤرخة بـ 17شوال 947هـ/ 16 فبراير 1541م، حين أكد للسلطان أن الولاة في اليمن منشغلون بالأطماع الدنيوية والتعدي على الرعية، غير مبالين بتحقيق الهدف الذي من أجله جاءوا إلى اليمن بقوله " ثم ننهي إليكم ما صار عليه أكثر أهل ولايات زماننا هذا في أقطارنا من قبل وصول عساكركم إلى الجهات اليمنية والتهامية، ومن بعد من تعدي حدود الشريعة المطهرة، وعدم مراعاة معالمها المقررة، وإشتغالهم بغير ما أمرتموهم به، على ما بلغنا في النظر في جهاد الكفار وعدم التعرض للمسلمين"[1].

وأبدا المطهر بن شرف الدين استغرابه من وجود الجيوش العثمانية في الديار اليمنية في جوابه على رسالة السلطان سليمان القانوني بقوله "ولو أن عساكركم المنصورة الألوية، المسلّمة عن صروف الأقضية وجهوا هممهم العلية، وعزائمهم الصلبة القوية إلى الجهات الكفرية، لنالوا من الخير نيلاً عظيماً، وسلكوا إلى سبيل السعادة صراطاً مستقيماً [...] بيد أنهم تشاغلوا بحربنا عن جميع الحروب، وفوتوا بذلك كل عرض ومطلوب، أهملوا جهاد الكفار"[2].

وما يثير التساؤل هنا هو: ما الأسباب التي دفعت العثمانيين إلى الإنحراف عن مسار هدفهم في مواجهة البرتغاليين بالتوغل في المناطق الداخلية من اليمن ؟ ولماذا

([1]) وردت هذه الرسالة عند أحمد بن فيروز: مطالع النيران. ق13، قطب الدين النهروالي: نفس المصدر. صـ114. نظر ملحق رقم 2.

يبدو أن المطهر في رسالته قد تحدث باسم اليمنيين ، وما حصل لهم من مضايقات معيشية ،ومن إعمال السلب والنهب التي مارسها الجنود العثمانيين ، فحين سقطت مدينة صنعاء بأيديهم سنة954هـ /1547م في عهد أزدمر باشا أبيحت المدينة لمدة ثلاثة أيام وتعرض أهلها لمثل تلك الأعمال. يحيى بن الحسين : غاية الأماني. جـ2، صـ700. عيسى بن لطف الله : روح الروح. صـ 128.

([1]) وردت هذه الرسالة عند الحسن الزريقي: سيرة الإمام شرف الدين. صـ 77. أنظر ملحق رقم1.

([2]) وردت هذه الرسالة عند قطب الدين النهروالي : البرق اليماني . صـ 115. أحمد بن فيروز : مطالع النيران . ق 14. مجموع سفينة شعرية: ق 75. 80. عبدالله بن داعر : الفتوحات المرادية. جـ1، ق 190. أنظر ملحق رقم 3.

لم يكتفوا بالبقاء في السواحل، ويتركون الداخل للإمام وأسرته ؟ وما الموقف والخطاب السياسي الذي تبنته القوة الزيدية حيال ذلك ؟

إن مسألة توغل العثمانيين في مناطق اليمن الداخلية، وخروجهم عن إطار الهدف السياسي المعلن المتمثل بحماية الأماكن المقدسة في مكة والمدينة من خطر البرتغاليين، لم يكن عملاً ارتجالياً أو عشوائياً، بل كانت له أسباب ودوافع. فقد اكتشفت الدولة العثمانية زيف المبالغات التي رسمها سليمان باشا الخادم عن إنجازاته في الهند، وعن خضوع الإمام شرف الدين في اليمن لطاعة الدولة العثمانية. وقد ظهر ذلك حين وصلت الأخبار من اليمن، والتي تؤكد أن الإمام شرف الدين مازال مُستمراً في توطيد أركان دولته هناك، وأنه تلقب بلقب أمير المؤمنين، ويقوم بجباية الخراج من الرعايا. مما يؤكد أن ما أبداه من طاعة للدولة العثمانية في مراسلاته، كانت طاعة اسمية من باب المهادنة ليس إلا. الأمر الذي دفع الدولة العثمانية إلى تبني سياسية جديدة تجاه اليمن، سعت من خلالها إلى إخضاعه وبسط نفوذها عليه بالقوة. وجاء إرسال حملة أويس باشا لتنفيذ تلك السياسية[1].

ذلك هو السبب الرئيسي . كما يبدو . الذي دفع الدولة العثمانية إلى إرسال تلك الحملة، إلى جانب أسباب أخرى شجعتهم على ذلك، منها ما يتعلق بأوضاع اليمن الداخلية، وأخرى تتعلق بأوضاع الدولة العثمانية.

فقد كانت أسرة آل شرف الدين تمر بأزمة سياسية تمثلت بظهور الشقاق ووقوع حالة من الصراع و التحالف بين أفرادها . مثّل المطهر أحد طرفيها في حين مثّل والده وأخويه علي وشمس الدين الطرف الثاني . حول مسألة الإمامة[2]، فسعى العثمانيون إلى استغلال تلك الخلافات لمصلحتهم[3]. كما لعبت القوة الإسماعيلية التي كانت على

([1]) قطب الدين النهروالي : البرق اليماني. صـ 95 ،عبدالله بن داعر: الفتوحات المرادية. جـ1، قـ 189.

([2]) قسم الإمام شرف الدين أقاليم دولته بين أبنائه سنة 947هـ / 1541م، وجعل إدارتها بأيديهم وذلك حين بلغ عمره سبعين عاماً، و اسند ولاية العهد بالإمامة لابنه علي متخطياً بذلك أبنه الأكبر المطهر بحجة أن به عرجاً، وأن هذا يخالف شروط الإمامة في المذهب الزيدي التي منها أن يكون الإمام سليم الجسم والحواس. الأمر الذي أثار حمق المطهر وغضبه مما دفعه إلى خوض حروباً ضد أبيه وأخوته. يحيى بن الحسين: غاية الأماني .جـ2، صـ688. قطب الدين النهروالي: نفس المصدر. صـ95 .

([3]) أوردت بعض المصادر التاريخية قصة المراسلات بين المطهر بن شرف الدين واويس باشا، وعزت تقدم اويس باشا في أقاليم اليمن الداخلية إلى ما وقع فيها من اتفاق بين الطرفين، وذلك عقب الخلاف الذي وقع بين أفراد أسرة آل شرف الدين . عبدالله بن داعر: نفس المصدر. جـ 1، قـ 189. قطب الدين النهروالي: نفس

عداء مع الإمام شرف الدين دوراً كبيراً في تشجيع العثمانيين على التقدم لمحاربة الإمام، فقد وعد زعيمهم الداعي محمد بن إسماعيل بتقديم العون للعثمانيين وإمدادهم بخمسين ألف مقاتل من أتباعه[1].

وفي الوقت الذي مرت فيه أسرة آل شرف الدين بحالة من التفكك، كانت الدولة العثمانية تعيش أوج قوتها وعزها السياسي والعسكري، لذلك سعت لمد سيطرتها على مناطق اليمن الداخلية لضمان حماية قواتها المرابطة في المناطق الساحلية، خاصة وأن الكثير من المناوشات والاحتكاكات كانت تقع بينهم وبين قوات الإمام شرف الدين من وقت إلى أخر، كما أن طبيعة تربية الجنود العثمانيين العسكرية الصارمة، ورغبتهم في القتال جعلتهم يضيقون من بقائهم في معسكراتهم، مما يستدعي البحث عن ميادين للحرب والقتال[1] فكانت أقاليم اليمن الداخلية هي الأنسب لتحقيق ذلك.

وبالإضافة إلى كل تلك الأسباب فإن أعتماد الدولة العثمانية في مصادرها المالية على جباية الزكاة والضرائب[2] كان له تأثير قوي . لا يمكن تجاهله . في أقدامها على إرسال حملاتها العسكرية المتتالية للسيطرة على تلك الأقاليم، و الأستفادة من مواردها المالية. خاصة وأن الفكرة التي رُسِمت في أذهان السلاطين العثمانيين عن اليمن وأوضاعها، قد بُنيت أساساً على التقارير الأولية التي بعث بها قادة الحملات العسكرية الأولى، وأكدوا فيها على امتلاك اليمن موارد مالية ضخمة، وأن السيطرة على اليمن سهلة المنال. فقد ورد في تقرير أحد القادة العثمانيين[3] بتاريخ 10 رمضان 931هـ / 1يوليو 1525م أن اليمن أكثر رخاءً من مصر، وبها موارد وافرة، فعائدات زبيد وحدها تبلغ"18000" سكة ذهب سنوياً، وفي منطقة تعز 300 قرية مسجلة للضرائب،

المصدر. صـ96، عيسى بن لطف الله: روح الروح . صـ117. يحيى بن الحسين: نفس المصدر، جـ2، صـ 693.

([1]) سيد سالم: الفتح العثماني . صـ 181. 183.

([1]) سيد سالم: الفتح العثماني. صـ181 . 183.

([2]) وجيه كوثراني: المسألة الثقافية في لبنان الخطاب السياسي والتاريخ. بيروت، منشورات بحسون الثقافية، ط أولى، 1984 ، صـ 64 .

([3]) لم يرد في التقرير أسم القائد العثماني الذي أرسله لكن من خلال تاريخ التقرير يرجُح أن من أرسله هو سلمان الريس، لأنه وصل إلى مصر سنة 930هـ/ 1424م وعمل تحفيز الصدر الأعظم إبراهيم باشا والذي كان حينها في مصر على ضرورة إرسال حملة عثماني إلى اليمن، وأخبره بأحوالها، وبضعف حاكمها. سيد سالم: نفس المرجع. صـ 150.

وذكر أنه يمكن تقسيم اليمن إلى خمسة سناجق بالإضافة إلى عدن، وأضاف أيضاً أن اليمن ينقصها حاكم قوي وان الفوضى تعم أرجاءها، وأن مسألة فتحها أمر مُتيسر وسهل[1].

وفي رسالة بعث بها سليمان باشا الخادم إلى السلطات العثمانية، وصف فيها ميناء عدن، وذكر انه لم يزر بقية اليمن الممتد من عدن إلى مكة، إلا أن هذه المناطق الواسعة يمكن تقسيمها إلى ثلاثين سنجقا، ونصح بتعيين بكلربك[1] يقيم في زبيد بدلا من عدن[2]. ويبدو أن الإمام شرف الدين حاول تصحح تلك الصورة التي رسمت في أذهان العثمانيين، حيث أكد في رسالة بعث بها إلى السلطان سليمان القانوني المؤرخة بتاريخ 17شوال 947هـ/ 16فبراير 1541م بأن اليمن بلد فقير ولا يملك أي ثروات بقولة إن "بلادنا هذه بلاد شحيحة أمطارها، وخراجاتها حقيرة"[3].

ومما سبق يمكن القول أن كل تلك الأسباب مجتمعة دفعت العثمانيين إلى التوغل في الأقاليم الداخلية من اليمن. وأن أئمة الزيدية قد أدركوا وجود نوايا وأطماع سياسية توسعية للدولة العثمانية في اليمن، الأمر الذي دفعهم إلى مجابهة ذلك دفاعاً عن محاولاتهم إقامة الدولة الزيدية في اليمن.

إنطلاقاً من هذا التوجه خاض أئمة الزيدية حروباً طويلة استمرت زهاء قرن، تمكنوا من خلالها أن يحافظوا على ديمومة محاولات إقامة الدولة الزيدية، وأن ينتزعوا اعتراف الدولة العثمانية بمكانتهم الدينية والسياسية. تجسد ذلك الاعتراف في

---

(1) Serjent , R .B: Sana`a an Aribian Islamic city .the post medieval and modern History of Sana,a, frist published in 1983 by the world of Islam Festival Trust, p 69

Blackburn, J.R :Tow Documents on the Division of Ottoman Yemen int tow Beglerbegiliki (973 / 1565). in Turcica ,Tome xxvll, Editions Peeters No 27,199 ,p226.

نشرت هذه الوثيقة في سلسلة الدراسات المترجمة (5) للمعهد الأمريكي للدراسا ـ ية، في كتاب دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي: ترجمة: نهى صادق، 2002م، صـ 109 . 110. على الرغم مما ورد في= =الوثيقة من إحصائيات مهمة حول ميناء زبيد ، وتعز إلا أن مصدر هذه الأرقام ، ومدى صحتها تظل محل شك وتساؤل.

(1) بكلربك : تعني حاكم أو والي . قطب الدين النهروالي: صـ 75.

(2) Blackburn , J.R :Tow Documents on the Division of Ottoman Yemen into tow Beglerbegiliki (973 / 1565) . p227 . المعهد

الأمريكي للدراسات اليمنية: دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي: صـ 110.

(3) وردت هذه الرسالة عند الحسن الزريقي: سيرة الإمام شرف الدين. ق78.أنظر ملحق رقم 3.

الاتفاقيات التي ابرموها مع العثمانيين، وأُقّر فيها احتفاظهُم بمعظم الأقاليم التي تحت سيطرتهم، مقابل أعترافهم بالسيادة العثمانية[1]. . أي أن تكون الخطبة والعملة باسم السلطان العثماني . والدخول في طاعتها كما فعل أبناء الإمام شرف الدين[2].

وقد ترتب على اتباع الدولة العثمانية لسياسة التصالح مع أئمة الزيدية، ظهور ثنائية في النظام السياسي في اليمن، نظام الولاية العثمانية، والإمامة الزيدية[3]، وهذه الثنائية كفلت استمرارية محاولات الأئمة في إقامة الدولة الزيدية، التي تحققت في عهد آل القاسم عقب الخروج الأول للعثمانيين سنة 1045هـ / 1635م.

وعلى أية حال فإن حساسية الحرب بين العثمانيين وأئمة الزيدية وهما طرفان مسلمان، دفعت الطرفين إلى تبني شعارات وخطابات لها أبعاد فكرية، سعوا من خلالها إلى إيجاد المبررات والمسوغات الشرعية، التي تجيز لكل طرف قتال الطرف الأخر، وحملت هذه الخطابات مضامين مختلفة، وفقاً للظروف السياسية التي مرت بها مراحل الصرع.

ففي المرحلة الأولى من الصراع التي كانت بدايتها حملة أويس باشا عام 952هـ /1546م، عمل أئمة الزيدية على مجابهة تقدم العثمانيين، حفاظاً منهم على مناطق نفوذهم، وديمومة محاولاتهم في إقامة الدولة الزيدية. وتبنوا من أجل ذلك خطاباً دينياً عاطفياً، أكدوا فيه أن مجابهتهم تلك هي من باب الدفاع عن النفس، وعن مكانة آل البيت الاجتماعية والدينية

تجسد مضمون هذا الخطاب في مراسلاتهم إلى السلطان سليمان القانوني. فقد أشار الإمام شرف الدين في رسالته بتاريخ 17 شوال 947هـ/ 16فبراير 1541م، إلى أن حربه ضد العثمانيين في تهامة، لم تكن إلا دفاعاً عن النفس بقوله "فلم يكن من

([1]) سيد سالم: الفتح العثماني. صـ 205، 292 ، 385 . وليد النود : الدولة القاسمية في اليمن. 159، 190، 442 .

([2]) في عهد الوالي حسن باشا تم احتواء أمراء آل شرف الدين في إطار الدولة العثمانية، حيث عيّنوا أمراء على كثير من الحصون باسم الدولة العثمانية، ومنحوا لقب سنجق ومرتبات من الدولة العثمانية. سيد سالم : الفتح العثماني. 347، وليد النود: الدولة القاسمية في اليمن. صـ 118.

([3]) أميره علي المداح : العثمانيون والأمام القاسم بن محمد بن علي في اليمن. جدة، تهامة للنشر، ط الثانية، 1984م، صـ 196 .

أمير زبيد إلا القيام بنفسه وجنده المعد لجهاد أعداء الله في مخالفة ذلك والبغي على ذرية نبيكم رسول الله ﷺ وإسعاده لأعداء الله [...] وقد أحببنا مطالعتكم بهذا الكتاب حتى تعرفوا أنه لم يكن منا إلا الدفاع عن الحوزة بعد أن بذلنا كل ما طلبتموه منا"[1]. كما ظهر مضمون هذا الخطاب في جواب الأمير المطهر المؤرخ بـ رجب 958هـ/ ابريل 1551م، رداً على رسالة السلطان سليمان القانوني، حيث حاول فيه التركيز على الجوانب العاطفية بتذكير السلطان بمكانة آل البيت بقوله "ونحن من مودتكم على يقين، ونرجو أنكم لا تصغوا أذنا لكلام الفاسقين ولا تهملوا رعاية الصالحين المتقين، ولا تقطعوا حقا لذرية النبي الأمين، وأبناء علي الأنزع البطين كرم الله وجهه في عليين". ثم علل قتاله للعثمانيين بقوله "ولم يعلموا أنا ممن أوجب الله لهم رعاية واحتراماً، ومن الذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً، فدافعنا عن أنفسنا وأولادنا ما أمكن من الدفاع ودرأنا عن محارمنا وترك الدفاع عنهما لا يستطاع"[1].

جاء تبني أئمة الزيدية من آل شرف الدين لهذا الخطاب في هذه المرحلة . كما يبدو . نتيجة إفتقارهم للمبررات الشرعية المقنعة، التي تمنحهم الحق في مجابهة الزحف العثماني، هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية عملوا على مسايرة المكانة الدينية والسياسية المرموقة التي حظي بها العثمانيون في البلاد الإسلامية، إذ لم يمثل العثمانيون عنصراً دخيلاً أو غريباً على المجتمع اليمني بحكم إسلامهم، خاصة أن وجودهم كان في الأساس لحماية بلاد المسلمين ومقدساتهم من الخطر البرتغالي[2].

وفي المرحلة الثانية من الصراع بين الطرفين، والتي كانت بدايتها بعد حملة أزدمر باشا[3]، وإستيلائه على صنعاء سنة 954هـ/ 1547م، تغير موقف أئمة الزيدية تجاه العثمانيين نتيجة المستجدات التي طرأت في هذه المرحلة. فبعد استقرار العثمانيين في

([1]) وردت هذه الرسالة عند الحسن الزريقي: سيرة الإمام شرف الدين. صـ 79. أنظر ملحق رقم 1.

([1]) وردت هذه الرسالة عند أحمد بن فيروز: مطالع النيران. قـ 12-13. قطب الدين النهروالي: البرق اليماني، صـ113، 114، 115. مجموع سفينة شعرية: قـ 75-80. عبدالله بن داعر: لفتوحات المرادية.جـ 1 ، قـ188-190 أنظر ملحق رقم 3.

([2]) عبدالكريم العزير: التشكيلات المركزية. صـ39 . 40 .

([3]) ازدمر باشا : أحد المماليك الذين دخلوا في خدمة الدولة العثمانية بعد سقوط دولة اللماليم في مصر، وصل إلى اليمن مع حملة سليمان باشا، وتولى حكم جيزان، بقي في اليمن وتولى عدة مناصب عسكرية، عُين والياً على اليمن خلال الفترة 1549. 1554م. سيد سالم : الفتح العثماني. هـ . صـ 186.

الأقاليم التي سيطروا عليها، وتوليهم مسئولية إدارتها وحكمها، بدات ملامح العداء لهم تظهر في أوساط المجتمع اليمني، نتيجة لما قام به بعض الولاة والجنود العثمانيين من أعمال سلب و نهب، وابتزاز أموال الناس، وشرب الخمور جهاراً وإقامة دور للبغايا، وتفشي الربا والزنا وغيرها من الأخطاء، التي أثارت المشاعر العدائية ضدهم[1]. حيث استثمر أئمة الزيدية تلك الأوضاع، واستوعب خطابهم المستجدات التي لازمت هذه المرحلة، وأصبح للجانب الاجتماعي المؤطر دينياً نصيباً كبيراً في مضمون ذلك الخطاب. فقد انكروا مثل تلك التصرفات التي اقدم عليها بعض الولاة العثمانيين، ورفعوا شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومقاومة الظلم ومحاربة الظالمين. وهو الشعار الذي يمنحهم تبريراً شرعياً لخوض غمار الصراع السياسي ضد الدولة العثمانية. وظهر مضمون ذلك الجانب جلياً في ورسائلهم وخطبهم التي بعثوها إلى أنصارهم وحلفائهم. فقد عمل الإمام شرف الدين على تحريض الناس على محاربة العثمانيين معللاً ذلك بمخالفة ولاتهم لأحكام الشريعية الإسلامية، وهي من الأمور الأساسية التي يجب أن يلتزم بها الحاكم المسلم، وأكد أن طردهم من اليمن مهمة جهادية مقدسة[1].

وعمل المطهر بن شرف الدين على استثارة حمية اليمنيين وحرضهم على جهاد العثمانيين في رسائله التي كان يبعثها إلى مشائخ القبائل، والتي بيّن فيها مثالبهم وما يقومون به من أعمال فيها إهانة لآل شرف الدين خاصة وللميمنيين عامة، وأرفق في بعض هذه الرسائل بخصلات وضفائر من شعور نسائه وحريمه[2]، حيث أكد في احدى رسائله أن حربه ضد العثمانيين إنما هي حرب لدرء " أهل الكفر والجحود الذين دمروا البلاد تدميرا، وفعلوا المنكر وارتكبوا العظائم، وهتكوا المحارم"[3]، وأن كل ما يرجوه من هذه الحرب هو الأمر بالمعروف النهي عن المنكر، وأحياء شريعة الله. و بيّن في رسالته تلك أنه لا يسعى إلى طلب المال، أو السلطة من وراء هذه الحرب، وإنما يسعى إلى تحقيق طاعة الله، وحماية البلاد، وصون دماء المسلمين بقوله "وآثرنا

([1]) سيد سالم: الفتح العثماني. صـ301.

([1]) محمود عامر: اليمن من خلال لائحتي محمد خليل افندي. مجلة الأكليل، العدد الثاني، سنة 1989م، صـ83

([2]) قطب الدين النهروالي: البرق اليماني. صـ379 .

([3]) رسالة الأميرالمطهر بن شرف الدين إلى أهل صنعاء (بدون تاريخ) وردت الرسالة في مجموع سفينة شعرية: قـ90 ، 92.

طاعة الله وحماية دينه، ونرجو بذلك ثوابا كثيراً، لا رغبة في الدنيا لنحوز ذهبا وفضة وحريراً، بل لحماية البلاد وحقن دماء العباد، ممن كان آثماً أو كفوراً"[1].

وظل هذا الجانب يمثل الركيزة الأساسية في خطاب أئمة الزيدية في صراعهم مع العثمانيين، حتى خروجهم من اليمن.

فقد أكد الإمام الحسن بن علي المؤيدي[2] أن قيامه بأمر الدعوة، وإعلانه الحرب على العثمانيين، كان من باب إحياء شريعة الله، ومحاربة الظلم والعمل بكتاب "الله وسنة نبيه ﷺ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومباينة الظالمين، وجهاد أعداء الله المفسدين، والإنتصاف للمظلومين من الظالمين"[1]. ولنفس الهدف كانت دعوة الإمام القاسم بن محمد[2]، حيث بين في رسالته إلى أنصاره أن العثمانيين هم الفرقة الطاغية، التي يجب محاربتها ومقاتلتها، نظراً لما يقترفوه من أعمال مخالفة لتعاليم الدين الحنيف بقوله "ولا تحسبوا أن الدين معقود على هذه الفرقة الطاغية، فإن الله قد فرق شملهم [...] فلا تغتروا بكذبهم، وإرعادهم وإبراقهم، فإن الكذب دأبهم، والفجور

([1]) رسالة الأميرالمطهر بن شرف الدين إلى أهل صنعاء (بدون تاريخ) وردت الرسالة في مجموع سفينة شعرية: ق90 ، 92.

([2]) الحسن بن علي بن داود المؤيدي : إمام مجاهد كان مولده ونشأته بصعدة ، دعا لنفسه بالإمامة سنة 986 هـ / 1578م ، في هجرة الأهنوم، انتشرت دعوته في المناطق الشمالية، دخل في صراع مع العثمانيين إلى أن تمكنوا من هزيمته وأسره، سنة 993هـ /1586م، ونفي إلى أستانبول وتوفي هناك سنة 1024هـ / 1615 م . يحيى بن الحسين: غاية الأماني. جـ2، صـ 750. محمد أمين المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر. بيروت، دار صادر، جـ2، صـ29.

([1]) أحمد بن شايع اللوزي : سيرة الإمام الحسن بن علي المؤيدي. مخطوطة محملة على قرص مدمج (C.D بمؤسسة الأمام زيد ابن علي الثقافية بصنعاء، ق10.

([2]) هو الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي بن محمد يصل نسبه بالإمام علي بن ابي طالب ، كان مولده سنة 967هـ / 1559م بالشاهل من بلاد الشرف، طلب العلم من شيوخ عصره، دعا لنفسه بالإمامة سنة 1016 هـ / 1597م في جبل القارة وألتف حوله الكثير من الناس ، خاض حروبا كثيرة مع العثمانيين ، أكتملت في عهده ملامح الدولة الزيدية، لم يسخر حياته للسياسة فحسب، بل سخر جزءاً من وقته للإشتغال بالعلم حيث ألف العديد من المصنفات العلمية منها كتاب "الأساس"، وكتاب "الاعتصام "، كانت وفاته في مدينة شهارة سنة 1029 هـ / 1620م. محمد الشوكاني: البدر الطالع. جـ 2، صـ 47 . 50. سيد سالم : الفتح العثماني. 357.

مـذهبهم، ينكحـون الـذكور، ويشـربون الخمـور، ويقولـون الـزور، ويسـفكون الـدماء، وينقضون العهود"[1].

وعلى نفس المنوال سار الإمام المؤيد محمد بن القاسم[2]، حيث أشار في رسالته . بدون تاريخ . إلى الأشراف بني الحسن آل موسى بن عبدالله، أشراف مكة، أن سبب دعوته وتحمله أعباء الإمامة، كان الغرض منها طاعة الله، بإقامة شرعه، بعد أن طال الأمد بالعثمانيين في اليمن، وتعطلت أحكام الشرع في عهدهم، وأنه لم يقدم على الخروج عليهم إلا بعد أن ظهر في عهدهم "السفاح، وحمل النكاح،[...] وشربت الخمور، ونكحت الذكور، وارتكبت الشرور، وأكل الربا، وقُبلت الرشا، وتسابق الناس في ميدان الهوى، وعسف السلطان، وبهج الشيطان، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[1].

في الوقت الذي مثّل الجانب الاجتماعي المؤطر دينياً المحور الأساسي في خطاب أئمة الزيدية، خاصة في عهد المطهر بن شرف الدين، فإن الجانب السياسي المتمثل بأحقية أل البيت في الحكم كان غائباً في نص ذلك الخطاب، طوال مرحلة صراعه مع العثمانيين. ويبدو أن المطهر لم يصرح بذلك نظراً لوضعه السياسي، وعلاقته مع العثمانيين أنفسهم، فقد اعترف بسلطة الدولة العثمانية في مراسلاته مع السلطان سليمان القانوني . كما أشرنا . وأصبح أحد أمرائها، وذلك حين أقر بضرب العملة والدعاء في الخطبة باسم السلطان العثماني في مناطق نفوذه[2]. فمسألة رفعه لشعار أحقيته في الحكم تمثل خروجاً عن طاعة أولي الأمر، التي أعترف بها وأقرها، ويناقض ما صرح به من أن حربه على العثمانيين ليست لدوافع سياسية أو مالية، لذا فضل رفع الشعارات الاجتماعية عن السياسية.

([1]) أحمد بن محمد الشرفي: اللآلئ المضيئة في أخبار أئمة الزيدية. جـ3، ق191.

([2]) هو الإمام المؤيد بالله محمد بن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي يتصل نسبة بأمير المؤمنين على بن أبي طالب ، كان مولده سنة 990هـ / 1582م بمنطقة الأهنوم ، تولى الإمامة بعد موت أبيه سنة 1029 هـ / 1620م وفي عهده خرج العثمانيون من اليمن للمرة الأولى سنة 1045هـ / 1635م ، استمر في الحكم حوالي 25 سنة ، كانت وفاته سنة 1054هـ / 1644م ، كتب سيرته عدد من المؤرخين أمثال الشرفي والجرموزي. أنظر محمد الشوكاني : البدر الطالع. جـ 2، صـ 238 . 240.

([1]) المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة في جمل من عيون السيرة. تحقيق :أمة الملك الثور، صـ195.

([2]) قطب الدين النهروالي: البرق اليماني. صـ 428. سيد سالم : الفتح العثماني . صـ 205.

ولم تظهر ملامح الجانب السياسي . أحقية آل البيت في الحكم . في مضمون نص الخطاب المؤطر دينياً الذي تبنته أئمة الزيدية في صراعهم مع العثمانيين إلى جانب المضمون الاجتماعي، إلا في المرحلة الأخيرة من مراحل الصراع بين الطرفين.

ففي المرحلة الثالثة والأخيرة للصراع التي بدأت بعد موت الأمير المطهر بن شرف الدين 980هـ/ 1572م، تبنى أئمة الزيدية خطاباً ذي طابع سياسي، حيث جعلوا من قضية أحقية آل البيت في الإمامة ركيزة من ركائز خطابهم في هذه المرحلة، إلى جانب دعوتهم بإقامة العدل ومحاربة الظلم. وجاء تبني أئمة الزيدية لهذا الخطاب نتيجة الظروف السياسية التي مرت بها اليمن حينها فبعد موت المطهر الذي مثل . إلى حدٍ كبير- استمرارا لمحاولات إقامة الدولة الزيدية، بدأت ملامح ضعف وأفول هذه المحاولات تظهر، وذلك حين تمكنت الدولة العثمانية من بسط سيطرتها على معظم أقاليم اليمن، واحتوت بقية أمراء آل شرف الدين، وحولتهم إلى عوامل استقرار، بمنحهم الوظائف الرسمية،هذا من ناحية. ومن ناحية ثانية مثلت فترة الوالي حسن باشا[1] 988 -1013هـ/ 1580- 1604م، فترة استقرار سياسي، فقد عمل هذا الوالي على نشر العدل، وإقامة المشاريع الخيرية، وتعد فترة حكمه من أكثر الفترات رخاءً وعدلاً[2].

تلك الظروف خففت من وتيرة الجانب الاجتماعي، ولم تعد المبررات التي حملها مضمون خطابهم في المرحلة الثانية الغاية الرئيسية، أونقطة الانطلاق في هذه المرحلة، لذلك عمل أئمة الزيدية على مسايرة هذه الأوضاع سعياً منهم للحفاظ على محاولات إقامة الدولة الزيدية، وتبنوا خطاباً ذا طابع سياسي بدأت ملامحه تظهر في دعوة الإمام الحسن بن علي المؤيدي، الذي مثلت دعوته إحياءٍ للإمامة الزيدية.

فقد أكد في خطبته التي دعا فيها لنفسه بالإمامة، على أن الزمان لا يخلو من قرشي صالح للإمامة، وأن آل بيت رسول اللهﷺ أحق من يتولاها، وانه لا يوجد في عصره من آل البيت من هو احق منه في تولى هذا الأمر بقوله " فها أنا ذا أنبيكم

([1]) حسن باشا: ولاه السلطان مراد بن سليم حكم اليمن سنة 988هـ / 1580م ، تمكن من استعادة سيطرة الدولة العثمانية على معظم أجزاء اليمن بعد أن كادت تخرج من تحت سيطرتها ، حيث أخمد ثورة الإمام الحسن بن علي المؤيدي وأرسله مع أبناء المطهر إلى أستا نبول سنة 994هـ / 1585م. و في عهده ظهر الإمام القاسم بن محمد سنة 1006هـ / 1598م . عزل عن اليمن سنة 1013هـ / 1604 م ، كانت وفاته في سنة 1016هـ / 1608 م. محمد المحبي : خلاصة الأثر . جـ 2، صـ 74.

([2]) سيد سالم: الفتح العثماني. صـ351، 475،352.

بـأني أعلـم مـن نفسـي، وأطلـع مـن يقينـي ويخبرنـي فهمـي بـانفرادي مـن أبنـاء جنسـي بالملكة والعلم بالقوانين، التي يتوصل بها استنباط الأحكام الشرعية والفرعية [...] وهذا هو علم الأصول، وكذلك أجد من نفسي [...] الملكة بالأحكام أنفسها الشرعية والفرعية عن أدلتها التفصيلية، وهذا هو علم الفروع، وكذلك الملكة والعلم بسائر العلوم، التي يتصل بها فيما يرجع إلى ديانات الإسلام وصلاح الخاص والعام، وهذا هو المجتهد، وإن كنتم في شك من هذا فعلى المدعي البينة وعلى المنكر اليمين"[1]، وبين أيضاً أن دعوته هي للعمل بكتاب الله وسنة جده ومذهب آبائه[2] .

وتجلت وتيرة هذا الجانب بشكل واضح في عهد الإمام القاسم، حيث ربط في إحدى رسائله إلى أنصاره بين طاعة الله وطاعة أئمة الهدى آل البيت، وبيّن فيها أن خيانة الله في أرضه تكون بموالاة من لا يستحق في وجود الأفضل من ذرية النبيﷺ[1]. وصرح في رسالة ثانية بأحقيته في الإمامة والحكم بقوله "إن الله أوجب عليكم طاعة أئمة آل البيت عليهم السلام، وحرم عليكم مخالفتهم[...] وأنا من ذرية رسول الله أدعوكم إلى الله في شرايط الإمامة، وأنا الحجة عليكم[2] " موضحاً في رسالة ثالثة منهجه في ذلك بقوله "وتوكلوا على الله، وبيني وبينكم كتاب الله آية آية، وما تواتر من سنة رسوله ﷺ وما أتفق عليه مشاهير العلماء من الفرق الإسلامية على صحته، وما وافق كتاب الله خبراً خبرا، فإن لم أحكم فيكم بذلك فلا طاعة لي عليكم، إنه لا طاعة لمن لم يحكم بما أنزل الله"[3]. مبيناً أن في مخالفته وعدم الاستجابة لدعوته هلاك لهم بقوله "وأقسم بالله لئن لم تطيعوني في اتباع كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليكونن الأمر كما قال رسول الله ﷺ لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر، أو ليسلطن الله عليكم شراركم، فيدعو خياركم

([1]) أحمد الشرفي: اللآلئ المضيئة . جـ 3 ، ق 140.

([2]) أحمد اللوزي: سيرة الإمام الحسن. ق 20.

([1]) المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة. تحقيق : عبد الحكيم الهجري، صـ 419. أحمد الشرفي :نفس المصدر، جـ3، ق106.

([2]) أحمد الشرفي: نفس المصدر. جـ 3، ق 190.

([3]) المطهر الجرموزي : النبذة المشيرة في جمل من عيون السيرة. تحقيق : عبد الحكيم الهجري، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة صنعاء، 2005م، صـ 418.

فلا يستجاب دعاؤهم[1]، ولا تحسبن الدين معقوداً على هذه الفرقة الطاغية، فإن الله قد فرق شملهم وسلبهم محاسن ملكهم"[2].

وفي عهد الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم بلغ المضمون السياسي المؤطر دينياً في خطاب أئمة الزيدية ذروته، وكاد يطغى على الجانب الاجتماعي في صراعهم مع الدولة العثمانية، وجاء هذا التطور نتيجة الظروف السياسية التي مرت بها اليمن، فقد تولى الإمامة بعد أبيه الذي مهد السبل لإقامة الدولة الزيدية، كما أن الدولة العثمانية مرت آنذاك بحالة من الضعف والتدهور[3]. وظهر مضمون هذا الخطاب جلياً في رسائله.

فقد بيّن الإمام المؤيد في أحدى رسائله إلى أنصاره أن حربه على العثمانيين، إنما هي تقليد لما سار عليه الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في حربه على البغاة العصاة بقوله "وأنتم تعلمون رعاكم الله، أنا لم نقاتل هؤلاء إلا على ما قاتل عليه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أولئك الذين قاتلهم، ولا سلكنا إلا سنته، ولا إهتدينا إلا بهديه، ولا أتبعنا إلا سبله، ولا إقتدينا إلا به، وأعداؤنا هؤلاء، لا يقتدون إلا بأعداء علي بن أبي طالب، ولا سلكوا إلا سبيلهم، ولا قصدوا إلا وجهتهم، ولاسلكوا إلا مسلكهم[...] " ودعا الناس إلى نصرة آل البيت والالتفاف حولهم في الرسالة نفسها بقوله "فأي مؤمن يؤمن بالله ورسوله، ويرى لأهل بيت رسول الله ﷺ حقاً يدخره في الآخرة ليوم قفوله، متقاعد عن نصرة العترة عليهم السلام، أو يكون له نسب لا يقطعه إليهم، ومن يؤثرهم على نفسه ودينه، ويتبع منهم ما أعطاه الله تعالى من يقينه [...] واذكروا رحمكم الله حق الله عليكم، وحق رسوله، وحركوا عناصر محبة أهل بيت رسول الله بالجهاد في سبيله، وأعدوا الجواب لسؤال نبيكم ووصيه، إذا سأل كل ناصر أو خاذل عن صحبته ودليله"[1].

([1]) ذكره يحيى بن الحسين الهاروني: تيسير المطالب في امالي ابي طالب . ترتيب القاضي عبدالله حمود العزي، عمّان ، مؤسسة الأمام زيد الثقافية . 2002م، صـ 304.

([2]) أحمد الشرفي: اللآلئ المضيئة . جـ3 ، ق190.

([3]) أمة الملك الثور: بناء الدولة القاسمية في عهد الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم. رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، 2004م ، صـ95 .

([1]) المطهر الجرموزي : الجوهرة المنيرة. تحقيق :أمة الملك الثور، صـ227،228.

كما أكد في رسالته إلى أشراف مكة . بدون تاريخ . على أحقية آل البيت في إقامة الدولة باعتبار ذلك حقا متوارثا بقوله "وإنا داعون إلى جهادهم [يقصد العثمانيين] كل مسلم،[...] لاسيما من شمله النسب النبوي، والنُجّار[1] العلوي، والنصاب الفاطمي شرقاً وغرباً، كيف لا والدين دين جدهم، والدولة دولة منصبهم"[2]، كما جعل من الولاء لإمامته أمراً إسلامياً عاماً، فتوليه هذا المنصب هو تعبير عن حق آل البيت في حكم المسلمين، لإقامة شرع الله[3].

وهكذا تبني أئمة الزيدية خطابات ذات مضامين مختلفة خلال مراحل صراعهم ضد العثمانيين، ويأتي تبنيهم لتلك الخطابات انطلاقاً من فقه المذهب الزيدي، الذي بنوا دعوتهم على أسسه، حيث يُعد مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإثبات الإمامة في آل البيت من أصوله[1]، وشرط الخروج على الحاكم الظالم من شروط الإمامة فيه[2] .

بناءً على تلك المرجعية الفقهية، وتماشياً مع دور ومكانة الدولة العثمانية السياسي والديني. تمحور موقف أئمة الزيدية السياسي تجاه الدولة العثمانية ونفوذها العسكري على أرض اليمن في اتجاهين متوازيين. أظهروا في الأول منهما احتراماً كبيراً للدولة العثمانية في ولائهم لسلاطينها، ولم يُبدوا أي عداء أو تقليل لمكانتها الدينية والسياسية، وأقرّوا باحترام سلاطينها، بل إن طاعة سلاطينها، والخضوع لسيادتها مثّل في بعض المراحل التاريخية موقفاً رسمياً لهم نحوها[3].

تجلى هذا الاتجاه في مراسلاتهم مع سلاطين الدولة العثمانية وأمرائها، حيث أكدوا أن طاعتهم واحترامهم للسلاطين مقروناً بما يبديه أولئك السلاطين من احترام ومكانة لآل البيت النبوي، وهو ما أظهره السلاطين العثمانيون في مراسلاتهم مع أئمة الزيدية،

([1]) النُجّار : هي الأصل والحسب. جمال الدين محمد ابن مكرم ابن منظور: لسان العرب المحيط. بيروت، دار لسان العرب: لسان العرب. جـ14، صـ 51.

([2]) المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة. تحقيق :أمة الملك الثور. جـ1، صـ237.

([3]) وليد النود: الدولة القاسمية في اليمن. صـ362 .

([1]) علي محمد زيد: معتزلة اليمن دولة الهادي وفكره . صنعاء، دار لكلمة،ط الثانية، 1985م، صـ 221.

([2]) علي زيد : المرجع نفسه. صـ17، 221. احمد امين:ضحى الأسلام. بيروت، دارالكتاب العربي،ط العاشرة، (د.ت)، جـ3، صـ275. سنشير إلى تفاصيل ذلك في الفصل الثال من هذه الدراسة.

([3]) تمثل ذلك بموافقة أمراء آل شرف الدين بأن يكون النقد والخطبة باسم السلطان العثماني ، وقد سبقت الأشارة إلى ذلك .

فقد أكد السلطان سليمان القانوني في رسالته إلى المطهر بن شرف الدين أن صبره على ما يقوم به أئمة اليمن من محاربة ولاته يأتي من باب احترامه لمكانتهم بقوله "لكن غلب جانب حلمنا عليكم، وعطفت مراحمنا بالالتفات إليكم لأنكم من سلالة خير البشر، ومن آل بيت النبوة الميامين الغُرر"[1]. كما نفوا في الوقت نفسه أن يكون السلاطين من المعادين أو المحاربين لآل البيت النبوي، وظهر ذلك جلياً في رسالة الإمام المؤيد بالله إلى والي الإحساء علي باشا المؤرخة بـ 25رمضان 1040هـ/28 أبريل 1630م، بقوله "وحاشا السلطنة القاهرة أن ترضى ذلك، أو تسلك هذه المسالك ،أو تتخذ عن آل البيت النبوي بدلا، أ وتنفي عنهم وعن اتباعهم خولا "[2] .

وفي الاتجاه الثاني لم يكن اتباع أئمة الزيدية لهذا الموقف تجاه السلاطين العثمانيين يعني تخليهم البته عن مكانتهم الدينية والسياسية، وحقهم في الإمامة، و إقامة الدولة الزيدية، بل ارتبط به ارتباطا وثيقاً، فقد نسجت ظروف ودواعي ذلك الصراع خيوطاً ربطت بين موقفهم تجاه السلاطين العثمانيين، وموقفهم من التواجد العسكري للدولة العثمانية في أرض اليمن، وذلك حين التقت طموحاتهم السياسية في إقامة الدولة الزيدية، مع الممارسات الخاطئة للولاة العثمانيين، فامتلكوا بذلك زمام المبادرة في إدارة الصراع مع العثمانيين، وبرروا حروبهم التي شنوها ضد الجيوش العثمانية المتواجدة على ارض الواقع، بأنها حروب ضد ظلم الولاة العثمانيين، وهو واجب ديني "مذهبي" ولا يعني ذلك . بالنسبة لهم . عداء للدولة العثمانية، كما أن هذه الحروب لا تتنافى . من وجهة نظرهم . مع موقفهم تجاه سلاطين الدولة العثمانية. حيث صيروا عداءهم لشخوص الولاة الظلمة، وحملوهم مسئولية ما وقع من تقصير في حقوق آل البيت التي أوجبها الله تعالى، والمتمثلة في رفعهم للأخبار الضالة، وقطع طرق التواصل بينهم وبين السلاطين، وإلصاقهم التهم الفاسدة بأئمة آل البيت، وعزوا للولاة أيضاً اليد الطولى في تعميم كراهية الناس للدولة العثمانية وتشويه صورتها.

([1]) وردت هذه الرسالة عند أحمد بن فيروز : مطالع النيران. ق 8. 10 ، قطب الدين النهروالي: البرق اليماني . صـ 115 مجموع سفينة شهرية .ق 70 . 75. عبدالله بن داعر: الفتوحات المرادية. جـ1، ق 190 . 191. رسالة السلطان سليمان القانوني إلى المطهر. أنظر ملحق رقم 2.

([2]) المطهر الجرموزي : الجوهرة المنيرة. تحقيق : أمة الملك الثور، صـ 724.

فقد ذكر الإمام شرف الدين بعض تلك الأعمال التي مارسها الولاة العثمانيون في رسالته إلى السلطان سليمان القانوني المؤرخة بـ 17 شوال 947هـ/ 16فبراير 1541م بقوله "وأعلمنا [...] أنه بلغ إلى زبيد قاصد من جنابكم الكريم إلى جهاتنا، وأن والي زبيد منعه، وكتبنا إلى والي عدن في ذلك ورجع جوابه أن يراجعه، فإن ترك قاصدكم يصل إلينا، وإلا كان شاهداً لنا عليه، فلم يكن من والي زبيد إلا الاستمرار على منع القاصد، وكتب إلينا وإلى والي عدن، بأنه لا يخلي القاصد إلا إذا سلمنا إليه البلاد"[1].

وأشار إلى مثل ذلك الأمير المطهر في جوابه على رسالة السلطان سليمان القانوني المؤرخ بـ رجب 958هـ/ ابريل 1551م، بقوله "وكنا نود أن نرسل إلى الأبواب الشريفة، والأعتاب الفخيمة الزليفة، رسولاً ينهي إليكم حقائق الأمور، ويرفع إلى مسامعكم الكريمة من عين المقدور، ما تكن القلوب منا والصدور، إلا أن هؤلاء الذين يلونا سدوا علينا وقطعوا من التواصل أوصالاً، وقعدوا لرسلنا كل مقعد بكرة وأصيلا، وصدوهم عن الوصول إلى أبوابكم العالية عن الأبواب، ومنعوهم عن مناهج الذهاب والإياب، فلو كان منهم ما نريد لكان صدر إلى أبوابكم الشريفة، منا في كل حين ما نريد"[1]. كما أكد على مثل ذلك الإمام المؤيد في رسالته إلى والي الأحساء علي باشا، حين حمّل الولاة تبعات ما حدث بقوله " فنعم الأمر كما بلغكم، مما وقع بيننا وبين من يتعلق بالسلطنة القاهرة(يقصد الولاة) أعز بها الله الإسلام، ممن لم يؤد حق الله ولا حفظ حرمة من حرم الله، ولا غضب يوماً على أهل المعاصي"[2]. وأكد في تلك الرسالة أن تصرفات الولاة أساءت إلى سمعة الدولة العثمانية. بقوله "بل هؤلاء الوسطاء (يقصد الولاة) بيننا وبينهم (يقصد السلاطين) هم الذين عموا السبيل، وأضاعوا الحق، وأعظموا الفرية فنسبوا إلى السلطنة ما هي إن شاء الله مبرأة منه ومنزهة عنه"[3].

إن هذه الثنائية في موقف أئمة الزيدية تجاه الدولة العثمانية، مثلت نوعا من الكياسة السياسية في التعامل مع هذه القوة العالمية. حيث أقترن احترامهم للدولة العثمانية وسلاطينها وتقدير مكانتها الدينية والسياسية، بتمسكهم بحق إقامة الدولة

([1]) الحسن الزريقي : سيرة الإمام شرف الدين. ق79 أنظر ملحق رقم 1.

([1]) وردت هذه الرسالة عند أحمد بن فيروز : مطالع النيران. قـ 12 . 14، قطب الدين النهروالي: البرق اليماني. صـ115، مجموع سفينة شعرية. 75 . 80، عبد الله بن داعر: الفتوحات المرادية. جـ1، قـ 191. ملحق رقم3.

([2]) المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة. تحقيق / أمة الملك الثور، صـ724 . \\\\\\\\\\ للتأكد \\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\

([3]) المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة. تحقيق / أمة الملك الثور، صـ 727.

الزيدية في اليمن، ورفضهم لوجود جيوش الدولة العثمانية فيه بدواعي حمايته. فاليمن . في رأيهم . محمي بالله سبحانه وتعالى في ظل حكم أئمة آل البيت، فهم "أول من سعى في تسكين الفتن، ورفع عن عباد الله المحن"[1]، كما أنهم أجروا قواعد الدين والإيمان في اليمن ورفعوا عنه المنكرات وأمنوا السبيل والطرقات، وعمروا معالم الشرع الشريف[2]. وبقاء الجيش العثماني يمثل تقويضاً لمحاولات أقامة الدولة الزيدية التي مثلت الهاجس المسيطر على مخيلة الأئمة في صراعهم مع العثمانيين.

لقد شكل هذا الخطاب . باختلاف مراحل مضامينه . القالب النهائي للموقف السياسي الذي تبناه أئمة الزيدية تجاه الدولة العثمانية ممثليها في اليمن. والذي بدوره لقي تجاوباً كبيراً من القبائل المختلفة، التي انضوت تحت لواء الأئمة الزيديين في ذلك الصراع، الذي استمر قرابة قرن من الزمان، انتهى بخروج العثمانيين من اليمن للمرة الأولى سنة 1045هـ / 1635م.

وقد تعاملت الدولة العثمانية مع مجريات أحداث الصراع مع ائمة الزيدية، حيث واجهت الأعمال العسكرية التي شُنت ضد جيوشها في اليمن بأرسال الحملات المتتالية، كما تفاعلت مع الشعارات والخطابات التي تبناها أئمة الزيدية في مراحل الصراع المختلفة، بتبنيها لخطابات وشعارات دينية وسياسية سعت من خلالها إلى تبرير حروبها في اليمن.

ففي مرحلة الصراع الأولى التي أعقب حملة اويس باشا 952هـ/ 1546م، تبنت الدولة العثمانية خطاباً حمل مضامين دينية وسياسية، عملت على ضوئه في توسيع ممتلكاتها في اليمن تحت شعار تثبيت الأمن ومحاربة الخارجين عن طاعة السلطان. فقد رأت أن تلّقيب الإمام شرف الدين بلقب أمير المؤمنين، وجبايته للخراج من الرعية يعد خروجاً وبغياً على طاعتها، بعد أن كان ممن يعترف بسلطتها عليه. ومن أجل ذلك أمرت جيوشها بالتقدم إلى مناطق الداخلية من اليمن بهدف إخضاع الإمام شرف الدين لسلطتها.

وتجلى مضمون هذا الخطاب في رسالة السلطان سليمان القانوني إلى الأمير المطهر بن شرف الدين بتاريخ10شوال 957هـ/23 أكتوبر 1550م، والذي أكد فيها أن

([1]) نفس المصدر. صـ 724.

([2]) الحسن الزريقي : سيرة الإمام شرف الدين . ق 79أنظر ملحق رقم 1.

حرب الدولة العثمانية على الإمام شرف الدين وابنه المطهر، تأتي بعد أن أظهر الإمام وابنه عصيانهم ومخالفتهم بقوله "وتعاقبت بعد ذلك مكاتبات والدكم بإظهار الطاعة، وبذل الإخلاص والصدق والاستطاعة، إلى أن بلغنا بعد ذلك عنهما إظهار الخلاف، وركوب جادة البغي والإعتساف، وصار بينمها وبين أمرائنا الخلاف الكبير"[1].

وفي الوقت الذي حمل خطاب أئمة الزيدية في مرحلتيه الأخيرتين . سبقت الإشارة إلى تلك المرحلتين . مضامين اجتماعية و سياسية، فإن خطاب الدولة العثمانية في هاتين المحلتين تضمن مفاهيم دينية، حيث وصفت حرب الأئمة الزيدية على نفوذها في اليمن، بأنها نوع من إثارة الفتنة، وأعلان للفساد وخروج عن طاعة السلطان، وتهديدا لأمن المسلمين أهل السنة والجماعة [2]، ووصفوا زعماء من يقوم بتلك الأعمال بأوصافِ تحط من مكانتهم الدينية، والسياسية، والاجتماعية، فهم في نظر الدولة العثمانية مجموعة من الأعراب، الأشقياء، الطغاة، الفسدة، العصاة، الحانثين بالأيمان والعهود والمواثيق.

وأكدوا في خطابهم أن إرسالهم للحملات العسكرية وقمعهم لتلك الثورات، يأتي من باب حقوق الرعايا على دولتهم، ومن واجبات الدولة تجاه رعاياها، وتطهيراً لقطر اليمن من طغاة الأعراب وأشقيائهم، كما أن في ذلك صيانة للدين والدولة، وتأمين الرفاهة والاطمئنان لأهل السنة والجماعة[1].

تجلى مضمون هذا الخطاب في أوامر[2] ورسائل سلاطينها التي أصدروها إلى ولاتهم في مصر واليمن. ففي الأمر الذي صدر في عهد السلطان سليم الثاني إلى الوالي سنان باشا بتاريخ 21 صفر 976هـ/ 5 أغسطس 1568م، بينت الدولة العثمانية

([1]) وثيقة بالمركز الوطني للوثائق بصنعاء . تحت رقم 89/ 1، ووردت هذه الرسالة عند المؤرخ أحمد بن فيروز : مطالع النيران. ق 9. قطب الدين النهروالي : البرق اليماني . صـ 109. ملحق رقم2.

([2]) محمد عيسى صالحية : وثائق جديدة عن حملة سنان باشا إلى اليمن . حوليات كلية الآداب جامعة الكويت، الحولية الثامنة، 1987، وثيقة رقم 1922، صـ20. وثيقة رقم 603. وثيقة محفوظة بمكتبة الأستاذ فؤاد الشامي. أنظر ملحق رقم 8،7.

([1]) محمد صالحية. : وثائق جديدة . وثائق رقم 1922، 79، صـ 19، 20 ، 64. أنظر ملحق رقم 8، 11.

([2]) وردت في الوثائق التي أستخدمها الباحث كلمة حكم للدلالة على نوع الوثيقة المرسلة من السلطنة إلى ولاتها في اليمن، وفي وثائق مشابه نشرها المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية في كتاب دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي. وردت كلمة أمر للدلالة على نفس نوع تلك الوثائق. وقد فضل الباحث أستخدام كلمة أمر لأنها الأقرب من حيث المعنى مع مضون تلك الوثائق.

دواعي تكليفه بقيادة الحملة العسكرية إلى اليمن، بأنها تهدف من وراء ذلك إلى قطع دابر المفسدين، وحماية أهل الإسلام." إن ولاية اليمن بلد فتحته قواتنا الخسروانية المظفرة، وفي الوقت التي غدت فيه من ملحقات بلادنا المحروسة، نرى مفسداً يدعى مطهر قد خرج علينا ومعه كثير من الأشقياء العرب، واستولى على بعض القلاع والنواحي، بقصد إهانة وإذلال أهل الإسلام وجماعته. ولمّا كان من الواجب تأديبه وقطع دابره، أعددنا لذلك عساكر لا تحصى وجنوداً غيورين من ولاية الشام ومصر، من البر والبحر، وتم إرسالها بالفعل. ولما كان يلزم لهذه العساكر المنصورة سرداراً عظيم الإقتدار، عالي المقدار"[1].

وفي الأمر الذي صدر في عهد السلطان سليم الثاني إلى والي اليمن[2] بتاريخ 22 ذي الحجة 978هـ/ 16مايو 1571م، وصفت السلطنة العثمانية من يقوم بالحرب ضدها في اليمن بأنهم من العصاة المرتدين والطغاة المفسدين " لقد تم إخضاع ولاية اليمن بسيوفنا المظفرة، ودمر العصاة المردة الجفاة الموجودون في تلكم الديار [...] وتتطهر البلاد من العصاة والطغاة والعربان المفسدين، ويعيدهم عساكرنا لحظيرة طاعتنا وعبوديتنا"[1].

وفي الأمر الذي أصدره السلطان مراد الثالث إلى حاكم كوكبان[2]، المؤرخة بـ10 محرم 996هـ/ 12 ديسمبر 1587م، وصف حرب الإمام الحسن للعثمانيين بأنها نوع من الفتنة والفساد، ونعت الإمام وأتباعه بالحانثين بالأيمان، في أمره بقوله "في هذه المرة عندما تحركت عروق الفتنة والفساد لمن اعتادوا الخيانة (الأعداء)، وكنت مجداً

([1]) محمد صالحية: نفس المرجع. صـ 22. 24، محمود عامر: النظم الإدارية . مجلة الأكليل، عدد2، سنة 1989م، صـ123.124.أنظر ملحق رقم 8.

([2]) لم يرد في نص الوثقة ذكر أسم الوالي العثماني المُرسل إليه هذا الأمر، لكن تارخ الوثيقة يبين أن المخاطب فيها هو بهرام باشا.

([1]) محمد صالحية : وثائق جديدة. صـ 69. 71، أنظر ملحق رقم 1.

([2]) ورد أسم حاكم كوكبان في الوثيقة كالأتي شمس الدين آغلو أحمد ، والمعروف أن حاكم كوكبان في هذه الفترة هو أحمد بن محمد بن شمس الدين بن الإمام شرف الدين، وقد تولى هذا المنصب بعد وفاته والده سنة 993هـ / 1584م. في عهد الوالي العثماني حسن باشا، وأشترك مع العثمانيين في حروبهم ضد الإمام القاسم. وكانت وفاته سنة1013هـ/ 1604م. سيد سالم: الفتح العثماني. صـ 348، 374، 375. إسماعيل الأكوع : هجر العلم ومعاقلة في اليمن. بيروت، دار الفكر،ط أولى، 1995م، جـ4، صـ187.

ساعياً في القبض عليهم بحسن التدبر والتعقل في محاربة الذين اتحذو لأنفسهم مبدأ الحنث بالوعد والعهد"[1].

وإلى جانب تبني الدولة العثمانية لذلك الخطاب في صراعها مع أئمة الزيدية، فإن سلاطبنها لم يتجاهلوا أسباب رفع أئمة الزيدية لشعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة الظلم، في حروبهم تلك، فقد ادركوا أن ظلم الولاة للرعية شكلّ ذريعة لتفاقم الأوضاع في اليمن، لذا جعلوا من تحقيق العدل وعدم ظلم الرعية، أو نهب أموالهم، أو التعدي على مواشيهم، أو أخذ مأكولاتهم بدون ثمن، من أولى واجبات الولاة المرسلين إلى اليمن. محذرين ومتوعدين من اقتراف مثل تلك المظالم بأشد العقاب. سعياً منهم لإزالة ذرائع وأسباب تلك الأعمال الحربية والثورات[2].

كانت تلك هي أهم مراحل الصراع بين العثمانيين والأئمة الزيدية، بما تضمنته من خطابات دينية وسياسية تبناها الطرفان لتبرير الحرب، وإيجاد المسوغات الدينية التي تظهر مدى التزام كل طرف بأحكام الشريعة الإسلامية، وتنفيذه للإرادة الإلهية، وفي الوقت نفسه نفي صفة الإسلام عن خصمه، وإظهاره بمظهر المخالف لأحكام الشريعة، ليتسنى له إعلان حق الجهاد ضده. فأخذ الصراع السياسي والعسكري من حينها منحى جديداً، حيث صار ميدان الفكر أحد ميادينه، وشكلت النصوص الدينية والموروث الشعبي من أشعار وكرامات اهم عناصره. وأصبحت قضية توظيفها وإستغلالها لتحقيق الأهداف السياسية من أولويات الصراع فيه. وهو ما استدعى أطراف الصراع إلى تشجيع، واستمالة العلماء . أي النخب المثقفة . خاصة المؤرخين للمشاركة في إدارة هذا المحور، لما يملكونه من قدرات علمية يستطيعون من خلالها إعادة صياغة الادعاءات السياسية بتعابير دينية، تضفي نوعاً من الشرعية، على الأعمال السياسية والعسكرية لكل طرف وتنفي عن الطرف الأخر شرعية ما يقوم به.

ترتب على اشتراك المؤرخين في أحداث الصراع، أن وجدت حالة من الصراع الفكري بين العلماء أنفسهم (النخب المثقفة) خاصة المؤرخين، فقد انضوى تحت لواء

([1]) محمود عامر: النظم الإدارية . صـ118. ملحق 14.

([2]) محمد صالحية : نفس المرجع . وثائق رقم 1520 ، صـ 70. وثائق رقم 611، 603 محفوظات بمكتبة الأستاذ فؤاد الشامي. أنظر ملاحق رقم 13، 7، 8.

طرفي الصراع العديد منهم، والذين بدورهم عملوا على تغذية الخلافات السياسية و تأطيرها دينياً، من خلال إيجاد المبررات الفقهية للتصرفات والأعمال العسكرية، والسياسية التي قام بها من يوالونهم. كما شنوا الحملات الدعائية ضد خصومهم، فكانوا بمثابة وسائل الإعلام للقوى المتصارعة، وحظوا بالرعاية والاهتمام من قبلها.

لقد انعكس ذلك الأمر إيجاباً على حركة التأليف التاريخي خلال تلك الفترة، حيث لمع الكثير من أسماء المؤرخين . ربما . لم نكن سنسمع بهم لولا تشجيع الحكام لهم وإقحامهم في معمعة ذلك الصراع. فشهدت حركة التأليف التاريخي نشاطاً ملحوظاً تمثل في ظهور العديد من المصنفات التاريخية، التي دونت أحداث تلك المرحلة من وجهات نظر مختلفة عكست حالة الصراع السياسي والعسكري، وحملت في طياتها الخطاب السياسي للقوى المتصارعة، كما تجسدت فيها مواقف المؤرخين، وصور تحيزهم، ومدى توظيفهم للجوانب الفكرية فيها.

الفصل الثانـي

المؤرخون وحركة التأليف التاريخـي

مراحل الصراع السياسي وتأثيرها على كتابة التاريخ:

مثّل ميدان الفكر أحد ميادين الصراع بين القوى المحلية بزعامة أئمة الزيدية والدولة العثمانية، وذلك منذ أن أخذ الصراع السياسي والعسكري منحى فكرياً، بتبني أطرافه خطابات دينية ذات مضمون سياسي، الأمر الذي جعل أطراف الصراع يعملون على إستمالة العلماء، خاصة المؤرخين للمشاركة في إدارت هذا المحور . سبقت الإشارة إلى ذلك في الفصل الأول . حيث انحازت فئة منهم إلى جانب العثمانيين، وأخرى إلى جانب القوى المحلية بزعامة أئمة الزيدية. وحملت كل فئة على عاتقها مسئولية إيجاد المبرارت الدينية و الأسانيد الأدبية، أو ما يمكن أن نسميه جدلاً " إيجاد ايديولوجيا التبرير" للطرف الذي انحازت إليه، وتحويل تلك الصراعات إلى ما يشبه الواجبات الدينية، التي يكون الهدف منها نصرة الدين وإقامة الشريعة وفقاً لفكرهم الديني والسياسي.

تجلى ذلك في مؤلفاتهم التاريخية التي دونوا فيها أحداث تلك المرحلة، والتي عكست وجهات نظرهم وموقفهم تجاه أطراف الصراع، وتجسدت فيها صور تحيزهم بأشكالها المختلفة التي تعكس مستوى ثقافة تلك الفترة، والتي بدونها كان يصعب التعرف على مواقفهم تجاه تلك الأحداث، كما تجلت فيها صور الصراع الفكري، والوسائل المختلفة التي وظفتها القوى المتصارعة في خطابها السياسي، والمتمثلة في توظيف الدين، والسند الغيبي، والشعر، لإيجاد المبررات الدينية والأدبية، لخدمة قضيتها السياسية. حيث تزخر هذه المؤلفات بالعديد من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والمراسلات، وكذلك الحكايات والأشعار. وإن لم تكن هذه الأخيرة من صياغة وخيال ونظم المؤرخين أنفسهم، إلا أن اتفاق مضمونها مع توجهاتهم السياسية والفكرية هو ما دفعهم لنشرها، فهم . كما يبدو . نقلوا في مؤلفاتهم قوالب فكرية جاهزة تعبر عن مكنون فكرهم، وتصرح عن رأيهم ومواقفهم من أحداث الصراع.

ولا غرابة في أن يشترك المؤرخون في أحداث الصراع السياسي والفكري، فهم يمثلون جزءاً رئيسياً من تركيبة التيارين المتصارعين، وكانوا بمثابة وسائل الإعلام في وقتنا الراهن، خاصة وأن كثيراً منهم كانوا موظفين رسميين لدى القوى المتصارعة، وكتبوا مصنفاتهم التاريخية إما بطلب منهم، أو نتيجة انسجام مواقفهم وتوجهاتهم

السياسية والمذهبية والسلالية مع مضامين الخطابات السياسية التي تبنتها تلك القوى، فحملت مؤلفاتهم التاريخية صفة رسمية، فكان إسهامهم في الصراع الفكري جزءاً من عملهم، وتلبية لتوجهات أطراف الصراع، حيث حملوا على عاتقهم مسئولية نشر الخطاب السياسي والفكري للطرف الذي انحازوا إليه في مؤلفاتهم التاريخية، وشنوا في الوقت نفسه حملة دعائية ضد خصومهم السياسيين.

ويعد علم التاريخ من أكثر العلوم إتصالاً بالسياسة والدولة، وكثيراً ما يستخدم وسيلة من وسائل الدعوة[1]. والتراث الإسلامي مليئ بالشواهد التي كان فيها التاريخ يمثل وسيلة دعوة، واداة من ادوات الصراع السياسي، وليس أدل على ذلك حين وظفه العباسيون في صراعهم مع بني أمية، حيث قاموا بنشر الشائعات التي تطعن في شخصية خلفاء بني أمية، وشجعوا المؤرخين على وضع الأخبار والرويات التي تخدم أغراضهم السياسية. ومن تلك الرويات ما ورد لدى بعض المؤرخين من أن الخليفة الأموي الوليد بن يزيد بن عبد الملك أراد الحج إلى بيت الله الحرام ليشرب الخمر على ظهر الكعبة ، ومنها أيضاً ما روي عنه انه أستفتح فألاً في المصحف فخرج "﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[1] فألقى المصحف ورماه بسهم، وأنشد قائلاً :

تهددني بجبار عنيد ... نعم أنا ذاك جبار عنيد
إذا ما جئت ربك يوم بعث ... فقل يارب خرقني الوليد[2]

وقبل الحديث عن أشهر المؤرخين اليمنيين المنحازين إلى طرفي الصراع الإمامي ـ العثماني لا بد من الإشارة إجمالاً إلى الدور الذي لعبته الظروف التاريخية والسياسية، وكذلك حالات القوة والضعف التي مرت بها القوى المتصارعة، سواءً في ظهور المؤرخين المنحازين إلى هذا الطرف أو ذاك، أوفي غزارة الإنتاج الفكري . الكتابات التاريخية . وتنوعه.

([1]) أحمد أمين : ضحى الإسلام. بيروت، دار الكتاب العربي، ط العاشرة، (د.ت)، جـ2، صـ26.

([1]) سورة إبراهيم: آية رقم 15.

([2]) أحمد أمين : نفس المرجع. جـ2، صـ 28.

لقد شهدت الفترة الأولى للحكم العثماني في اليمن نوعاً من السيطرة السياسية العثمانية، خاصة خلال الفترة الممتدة من سنة 954هـ / 1547م وهي فترة تولي أزدمر باشا، حتى نهاية فترة الوالي حسن باشا سنة 1013هـ / 1604م، على الرغم من حالة التدهور التي شهدتها الفترة 964-976هـ/ 1556-1568م ، إلا أن حملة سنان باشا عام 976هـ/ 1568م أعادت هيبة الدولة العثمانية في اليمن مرة أخرى.

وقد تجسدت السيطرة العثمانية على اليمن في عهد الوالي حسن باشا الذي تمكن من احتواء العناصر الثائرة من آل شرف الدين، وقضى على ثورة الإمام الحسن بن علي المؤيدي في صعده.

مثلت المرحلة السابقة مرحلة القوة والسيطرة العثمانية على اليمن، انعكس ذلك على معظم مجالات الحياة السياسية منها و الفكرية.

فقد سادت ثقافة الأقوى، الذي امتلك بدوره زمام المبادرة في إدارة الصراع السياسي و الثقافي. تجلى ذلك في حركة التأليف التاريخي، حيث هيأت حالة السيادة السياسية للوجود العثماني مناخات ملائمة لظهور فئة من المؤرخين اليمنيين، يمكن أن نسميهم "مؤرخي السلطة" إذا جاز التعبير، والذين دونوا أحداث هذه المرحلة من وجهات نظر متحيزة إلى جانب العثمانيين.

وشهدت هذه المرحلة غزارةً في تأليف المصنفات التاريخية المؤيدة للعثمانيين، والتي كانت أغلبها أشبه بالموسوعات التاريخية، ولمعت خلالها أسماء كبار المؤرخين المنحازين إلى العثمانيين أمثال عبد الله بن داعر، والموزعي، و المطيب،و ابن فيروز، وعيسى بن لطف الله.

وفي الوقت الذي كان فيه الحكم العثماني في اليمن يمر بمرحلة القوة والسيطرة، كانت القوة الزيدية تمر بحالة من الضعف. وانعكس هذا سلباً على النواحي الفكرية لا سيما الكتابات التاريخية. حيث ركنت النخبة المثقفة المؤيدة للأئمة الزيدية إلى نوع من

الإنكفاء على الذات، والإيمان بالأمر الواقع. وقد بدا إنتاجهم الفكري في تلك الفترة محدوداً نوعاً ما، باستثناء المؤرخيّن الحسن الزريقي مؤلف سيرة الإمام شرف الدين، والمؤرخ أحمد بن شايع اللوزي مؤلف سيرة الإمام الحسن بن علي المؤيدي. اللذين بجودة إنتاجهما الفكري شكلا حالة إستثنائية لركود تلك الفترة، التي دللت عليها كتابات بقية المؤرخين المؤيدين للأئمة الزيدية، فقد كانت مؤلفاتهم التاريخية أشبه بالكراريس منها بالكتب. في حين شهدت المرحلة التي أعقبت دعوة الإمام القاسم بن محمد 1006هـ/ 1597م، سيادة وسيطرة أئمة الزيدية على الأوضاع السياسية في اليمن، حتى حققت في أخر الأمر خروج العثمانيين من اليمن سنة 1045هـ / 1635م. وانعكست حالة السيطرة الزيدية على مجالات الحياة السياسية منها والفكرية، وفرضت ثقافتها على تلك المرحلة، وشكلت فترة ازدهار بالنسبة للكتابات التاريخية المؤيدة للأئمة الزيدية، حيث أوجدت ظرفاً ملائماً لبروز فئة من المؤرخين المؤيدين للقوة الزيدية، ويمكن أن نسميهم "مؤرخي المعارضة" إذا جاز هذا التعبير الحديث.

لمعت خلال هذه الفترة العديد من أسماء هؤلاء المؤرخين، أمثال "الشرفي، والجرموزي"، الذين وجدوا في تلك الظروف فرصة مناسبة لشن حمله دعائية شرسة ضد العثمانيين، كما تميزت هذه الفترة بغزارة الإنتاج الفكري للزيدية في مجال التأليف التاريخي، حيث دوّنت خلالها مؤلفات في تاريخ الزيدية السياسي من عهد الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين إلى عهد الإمام المتوكل على الله إسماعيل ابن الإمام القاسم.

وما يميز هذه المرحلة أيضاً أنها لم تشهد ظهور كتابات تاريخية مؤيدة للعثمانيين بنفس المستوى الذي شهدته المرحلة الأولى، على الرغم من أن بعض مؤرخي السلطة عايشوا هذه المرحلة، إلا أنهم توقفوا عن الكتابة، بل أن بعضهم تراجع عن موقفه المؤيد للعثمانيين وأنضموا إلى أئمة الزيدية في صراعهم مع العثمانيين أمثال "عيسى بن لطف الله، و أحمد بن فيروز".

المؤرخون اليمنيون المنحازون إلى جانب العثمانيين (مؤرخو السلطة):.

ثمة فئة من المؤرخين اليمنيين إنحازت إلى جانب العثمانيين في صراعهم مع القوى المحلية بزعامة أئمة الزيدية. ولعبوا دوراً كبيراً في أحداث ذلك الصراع الفكري، لا يقل عن الدور الذي لعبه القادة العسكريون في ميدان المعركة، حيث دونوا أحداث تلك الفترة في مصنفاتهم التاريخية، التي عكست توجهاتهم ومواقفهم من أحداث ذلك الصراع، وأبرزوا فيها الخطاب السياسي للدولة العثمانية، في صراعها مع القوى المحلية بزعامة الأئمة الزيدية. ومن أشهر هؤلاء المؤرخين.

محمد بن يحيى المطيب الزبيدي:

هو محمد بن يحيى المطيب الزبيدي الحنفي[1]. صاحب كتاب "بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام"[2] ، أحد أشهر علماء مدينة زبيد في القرن العاشر الهجري، ومفتيها على المذهب الحنفي، وإمام جامع الأشاعرة فيها[3].

يعد المؤرخ المطيب من أكثر المؤرخين اليمنيين تحيزاً للعثمانيين، فقد تناول في هذا الكتاب جزءاً من تاريخ اليمن خلال فترة حكم الوالي العثماني بهرام باشا (978- 983هـ / 1569- 1575م)، وأبرز فيه أعمال هذا الوالي وبطولاته وإنجازاته،

([1]) سنشير إلى ترجمته في القسم الثاني من هذه الدراسة.

([2]) لم يركز الباحث في هذه الدراسة على وصف مؤلفات المؤرخين من حيث الحجم وأماكن وجودها ، لأن ذلك يعتبر خروجاً عن مضمون الدراسة ، وأهدافها ، وللحصول على معلومات كافية حول تلك المؤلفات يمكن الرجوع إلى كتاب المؤرخون اليمنيون في العهد العثماني الأول للدكتور سيد مصطفى سالم ، وكتاب المؤرخون اليمنيون في العصر الحديث: للدكتور حسين العمري، وكتاب مصادر الفكر الإسلامي في اليمن للأستاذ عبدالله الحبشي .

([3]) رجح الدكتور سيد سالم في كتابه المؤرخون اليمنيون أن المؤرخ المطيب الزبيدي من علماء مدينة زبيد، ومن المدرسين فيها على المذهب الحنفي، وأنه كان إماماً وخطيباً في جامعها الكبير، فكانت المعلومات التي أوردها الدكتور سالم من باب الترجيح تتفق تماماً مع ما أورده المؤرخ الجابري في ترجمته للمؤرخ المطيب الزبيدي في كتابه سفينة السفر. أنظر سيد مصطفى سالم : المؤرخون اليمنيون في العهد العثماني الأول. الجمعية المصرية للدرسات التاريخية، 1971م . صـ 52.

وغلف تلك الأعمال بهالة من المبالغات. كما برر حرب بهرام باشا على آل شرف الدين، وشن فيه حملة دعائية ضدهم.

المطيب وكتاب التيجان الوافرة الثمن:

يعد كتاب (التيجان الوافرة الثمن في تاريخ ولاية مولانا صاحب السعادة رضوان لقطر اليمن وذكر من بعده بالوصف الحسن)[1]، من المؤلفات التي انحاز مؤلفها إلى جانب العثمانيين، والكتاب عبارة عن أرجوزة شعرية تناول مؤلفه سيرة ستة من الولاة العثمانيين، وهم رضوان باشا، ومراد باشا، وحسن باشا، وعثمان باشا، وسنان باشا، وبهرام باشا.

وعلى الرغم من صغر حجمه إلا أنه يعد نموذجاً للكتابات التاريخية التي تصف الأحداث بأسلوب شعري، ويبدو أن المؤرخ أعتمد على الشعر " ليسهل تداوله ونشر أفكاره ، ودعايته التي تدور حول الدفاع عن الولاة العثمانيين وأعمالهم، والهجوم على أئمة الزيدية وتعديهم على ممثلي السلطة العثمانية"[1] .

ولا يعرف على وجه الدقة من هو صاحب كتاب التيجان الوافرة، ولم ترد فيه أي معلومات، أو إشارات إلى ذلك ، كما لم تدون في الصفحة الأولى أي إشارة إلى أسم ناسخ المخطوطة. إلا أن ثمة استدلالات موضوعية، وشكلية يمكن استنباطها من الكتاب نفسه، وأخرى وردت في غيره، تشير إلى أن مؤلفه هو المؤرخ محمد بن يحيى المطيب الزبيدي ومن تلك الإستدلالات ما يلي: .

أولا : الاستدلالات الموضوعية الواردة في محتوى الكتاب:

([1]) مخطوطة مصورة بالخزانة التيمورية بدار الكتب بالقاهرة تحت رقم 2288 تاريخ، وهي مصورة عن نسخة باريس. ومنها نسخة مصورة لدى الباحث.

([1]) سيد سالم : المؤرخون اليمنيون. صـ 64

ـ ذكر مؤلف كتاب التيجان سيرة ستة من الولاة العثمانيين. إلا أنه أورد تفاصيل دقيقة لسيرة خمسة منهم ، حيث ذكر تاريخ وصولهم وتقدمهم في الأقاليم اليمنية، وما واجهوه من متاعب وما قاموا به من أعمال، كما ذكر الحروب والأحداث التي دارت في عصرهم. وأطنب المؤرخ في سرد الأبيات الشعرية التي تصف كل هذه الأعمال، فقد أورد سبعين بيتاً من الشعر في سيرة رضوان باشا، وتسعة وأربعين بيتاً في سيرة مراد باشا، وثلاثة وثلاثين بيتاً في سيرة حسن باشا، وثلاثة وخمسين بيتاً في سيرة عثمان، وثلاثة وأربعين بيتاً في سيرة سنان باشا. في حين أورد تسعة عشر بيتاً في سيرة بهرام باشا اقتصر فيها على الدعاء له، وذكر أوصافه ومحاسنه بنوع من البالغة، ولم يذكر فيها سيرته وأعماله، أوالأحداث التي وقعت في عصره، فخالف بذلك ما سار عليه في ذكر سيرة بقية الولاة[1]. الأمر الذي يوحي بأن المؤرخ . ربما . تعمد عدم ذكر تفاصيل سيرة بهرام باشا كما فعل مع بقية الولاة، ليفرد لهذه السيرة كتاباً خاصاً، وهو كتاب "بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام"[2] الذي ألفه فيما بعد.

ـ كتاب التيجان كما هو واضحاً من عنوانه قد خصصه مؤلفه لذكر سيرة رضوان باشا بن مصطفى باشا قرة شاهين، وهو أخو بهرام باشا[3] ، والذي تولى الحكم في اليمن خلال الفترة 972. 974هـ / 1564. 1566م.

. أن مؤلف كتاب التيجان لم يقم بتأليف الكتاب في عهد رضوان باشا، لأن أخر الولاة الذين ذكرهم فيه كان بهرام باشا الذي تولى الحكم بعد خمس سنوات من رحيل أخيه رضوان باشا من اليمن. الأمر الذي يوحي بأن تأليف الكتاب قد جاء بطلب من بهرام باشا، كنوع من الوفاء والعرفان لأخيه رضوان.

([1]) مؤرخ مجهول : التيجان الوافرة الثمن . ق 2 . 16 .

([2]) سيكون هذا الكتاب موضوع دراسة وتحقيق في القسم الثاني من هذه الدراسة.

([3]) قطب الدين النهروالي: البرق اليماني. صـ 137.

. توقف المؤرخ عند بهرام باشا، ولم يذكر سيرة من تولى بعده حكم اليمن، وأكتفى في هذه السيرة بذكر أوصاف بهرام باشا ومحاسنه[1]، وبالغ في ذلك وهذه الأوصاف والمبالغات نجدها تتشابه – إلى حد كبير – مع الأوصاف والمبالغات التي أوردها المؤرخ المطيب في كتابه "بلوغ المرام" الذي خصصه لذكر سيرة بهرام باشا، والكتابان دونا أحداث الفترة الزمنية نفسها، مما يشير إلى أن مؤلف كتاب "التيجان" عاش في نفس الفترة التي عاش فيها مؤلف كتاب "بلوغ المرام".

ثانياً الاستدلالات الشكلية: .

عند المقارنة بين كتاب التيجان، وكتاب بلوغ المرام للمؤرخ المطيب الزبيدي، نجد أن ثمة تطابق بينهما من حيث الحجم ، وعدد الأسطر ، ونوع الخط .

. فهما من الحجم الصغير.

. متوسط عدد الأسطر فيهما ما بين 12 . 13 سطراً في الصفحة الواحدة.

. الخط الذي كتب به الكتابين يتماثل إلى درجة التطابق.

مما يوحي بأن ناسخ الكتابان يكاد يكون الشخص نفسه[1].

وتوكيداً لما سبق ذكره من الاستدلالات، فإن ما ورد على الصفحة الأولى من كتاب "مطالع النيران في تاريخ اليمن للمؤرخ أحمد بن يوسف بن فيروز، يعد أقوى الاستدلالات . من وجهة نظر الباحث . فقد كتب على الصفحة الأولى لذلك الكتاب العبارة الآتية "وتيجان الوافرة الثمن وبلوغ المرام لمحمد الزبيدي"[2]. ولا يعرف من هو كاتب العبارة السابقة ومتى كتبت، إلا أنها تبدو قديمة، والخط الذي كتبت به يتشابه مع خط عنوان المخطوطة الرئيسي وخط بقية التمليكات الموجودة على نفس الصفحة.

([1]) مؤرخ مجهول : التيجان الوافرة الثمن. ق 15. 16

([1]) لمقارنة الخط بين المخطوطتين أنظر ملحق رقم 15.

([2]) أحمد بن فيروز : مطالع النيران. الورق الأولى الخاصة بالعنوان. أنظر ملحق رقم 16.

واهم ما في الأمر اقتران أسم كتاب "التيجان" مع أسم كتاب "بلوغ المرام" الذي هو فعلاً من تأليف محمد بن يحيى المطيب، وهذا يؤكد أن من كتب العبارة على علم ودراية بمؤلفات المؤرخ محمد بن يحيى المطيب الزبيدي.

ومن واقع الاستدلالات والإشارات السابقة يمكن القول بأن كتاب "التيجان الوافرة الثمن في تاريخ مولانا صاحب السعادة رضوان لقطر اليمن وذكر من وليه بعده بالوصف الحسن" هو من تأليف المؤرخ محمد بن يحيى المطيب الزبيدي الحنفي المتوفى سنة 1007هـ / 1598 م.

عبدالله بن صلاح بن داعر:

يعد المؤرخ عبدالله بن صلاح بن داود بن داعر، صاحب كتاب "الفتوحات المرادية في الجهات اليمانية" من المؤرخين المنحازين إلى جانب العثمانيين، وممن أدلوا بدلوهم في ذلك. إذ يعد كتابه الفتوحات المرادية من أهم الكتب التي تناولت تاريخ اليمن خلال فترة الحكم العثماني الأول بشيءٍ من التفصيل.

حيث تناول أحداث هذه الفترة من وجهة نظر منحازة إلى جانب العثمانيين خاصة في الجزء الذي خصصه لسيرة الوالي حسن باشا. ولم يختلف عن غيره من المؤرخين المنحازين إلى جانب العثمانيين في شنه حملة دعائية ضد الإئمة الزيدية.

وعلى الرغم من شهرة المؤرخ عبدالله بن داعر وكتابه الفتوحات المرادية، إلا أنه . على ما يبدو . لم يلق حظه من الترجمة والتعريف، فلا يعرف مكان وتاريخ مولده ووفاته، كما لا يعرف عن حياته إلا الشيء اليسير من المعلومات التي وردت في كتابه الفتوحات، بالإضافة إلى ما ذُكر في بعض الكتب التاريخية المعاصرة له، وما توصل إليه المؤرخون المُحدَثون.

فهو على ما يبدو من أسرة علمية، وتتلمذ على يديه بعض من لحق بعصره من الفقهاء والأدباء، وإن غاب ذكره في تراجمهم، إلا أن وصف المؤرخ عيسى بن لطف

الله له بكلمة شيخي في حديثه عن حوادث سنة 952هـ/ 1545م بقوله "حدثني شيخي عبد الله بن صلاح بن داعر"[1]، يشير إلى ما كان يحتله المؤرخ عبدالله بن داعر من المكانة العلمية في عصره.

وهذا يؤيد ما ذهب إليه الدكتور سيد سالم من أن المؤرخ عبدالله بن داعر من بيت علم، وممن كان له مكانه علمية في عصره بقوله "ويبدو أنه ولد في بيئة علمية [...] وربما كان كاتباً للإنشاء في ديوان حسن باشا في اليمن ، وأنه كان خطيباً في أحد مساجد صنعاء"[2] .

في حين يرى الدكتور حسين العمري أن المؤرخ عبد الله بن داعر ليس يمنياً وانه كان حياً إلى سنة 1030هـ /1620م[1]، ويبدو أن الدكتور العمري أعتمد في ذلك على ما ذكره المؤرخ نفسه بأنه وصل إلى اليمن سنة 995هـ / 1586م بقوله " فوصلت إليها في أول سنة خمس وتسعين وتسعمائة، فوجدتها على غير ما في التواريخ المروية"[2].

إلا أن ثمة إشارات تبين أن المؤرخ عبد الله بن داعر يمني الموطن من أهمها:.

- أن المؤرخ ابن داعر لم يذكر انتماءه إلى أي إقليم من الأقاليم حتى ننفي أنه يمني، وإن تحدث في كتابه عن سفره وتنقلاته في الأقاليم الإسلامية وسماعه عن أخبار اليمن، ووصوله إليها سنة 995هـ / 1586م ، فذلك لا ينفي أنه يمني الأصل. خاصة وأن أسباب سفره وتنقلاته تظل مجهولة. فربما انتقل من اليمن إلى بعض الأقاليم الإسلامية لطلب العلم، أو الرزق، ولا نستبعد أن تكون العاصمة العثمانية هي ذلك المكان، والتي أثرت طبيعة الحياة السياسية فيها على شخصية المؤرخ، وانعكس ذلك على كتاباته التاريخية.

([1]) عيسى بن لطف الله : روح الروح . تحقيق :إبراهيم المقحفي ، صـ 117 .
([2]) سيد سالم : المؤرخون اليمنيون. صـ 40 . 46.
([1]) حسين العمري : المؤرخون اليمنيون في العصر الحديث. بيروت، دار الفكرالمعاصر، ط أولى،1989م، صـ30 .
([2]) عبد الله بن داعر : الفتوحات المرادية . جـ 1، ق1.

. ذكر المؤرخ أسمه كاملاً في مخطوطته على النحو الأتي "وبعد فيقول العبد الضعيف الملتجئ إلى عفو ربه اللطيف عبدالله بن صلاح بن داود بن علي بن داعر عامله الله بلطفه"[1]، وهذا الاسم يتطابق تماماً مع أسم المؤرخ اليمني صلاح بن داود بن علي بن داعر المرهبي[2] المنتمي . كما يبدو من لقبه . إلى قرية مرهبه من بلاد همدان[3] ، والذي عاصر فترة الإمام شرف الدين وأبنه المطهر وكان من خواص آل شرف الدين. مما يشير إلى وجود صلة قرابة بينهم، إذ أن المؤرخ عبدالله بن صلاح بن داعر كما يبدو هو ابن المؤرخ صلاح بن داعر.

. إن الفترة الزمنية التي عاش فيها المؤرخان متقاربة جداً، وهذا يعزز من احتمال وجود صلة القرابة المشار إليها سابقاً .

إلا أن ما يثير التساؤل هنا هو تجاهل المؤرخ عبدالله بن داعر ذكر موطنه، وذكر والده صلاح في كتابه (على افتراض أنه والده) ؟

ويمكن تعليل ذلك على النحو الأتي : .

. فما يتعلق بذكر موطن المؤرخ فإن عبد الله بن داعر لا يختلف كثيراً عن غيره من المؤرخين الذين لم يذكروا بلدانهم في مؤلفاتهم، خاصة الذين لم يترجموا لأنفسهم مثل عيسى بن لطف الله وأحمد بن فيروز وغيرهم.

. أما بخصوص تحاشى المؤرخ ذكر والده صلاح بن داعر. على اعتبار أنه والده . في كتابه الفتوحات المرادية، فيبدو أنه تعمد ذلك كون والده من مؤيدي أئمة الزيدية. وحالة المؤرخ عبدالله بن داعر تتشابه . إلى حدٍ كبير . مع حالة المؤرخ عيسى بن لطف الله، من حيث ميل كل منهما إلى تأييد العثمانيين ومساندتهم ، والوقوف إلى

([1]) عبد الله بن داعر : الفتوحات المرادية . جـ 1، ق 1.
([2]) سترد ترجمته ضمن مؤرخي المعارضة.
([3]) إبراهيم المقحفي : معجم البلدن. جـ 2، صـ 1496

جانبهم في صراعهم مع الإئمة الزيدية بتأليفهم المصنفات التاريخية التي تمجد وتمدح حكمهم.

في حين كان والداهما من المؤيدين للأئمة الزيدية، وممن أشتركوا في الصراع ضد العثمانيين، سواءً في ميادين الفكر، كما هو حال المؤرخ صلاح بن داعر، أو في ميادين القتال كما هو حال لطف الله بن المطهر والد المؤرخ عيسى، والذي خاض حروباً ضد العثمانيين، أنتهت بأسره وإرساله إلى استنبول مع الإمام الحسن بن علي المؤيدي[1].

وبناءً على ما سبق يمكن القول بأن المؤرخ عبدالله بن صلاح بن داود بن علي بن داعر مؤرخ يمني، وهو ابن المؤرخ اليمني صلاح بن داود بن علي بن داعر المرهبي. و من الذين كانت لهم مكانة اجتماعية وعلمية مرموقة في عصره، وأن حالته تتماثل مع حالة المؤرخ عيسى بن لطف الله بن المطهر.

عبد الصمد الموزعي:

هو المؤرخ شمس الدين عبد الصمد إسماعيل بن عبد الصمد الموزعي، صاحب كتاب "الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان". وهو من المؤرخين الذين لم يلقو حظهم من الترجمة والتعريف في كتب التراجم[2].

وكل ما يعرف عنه انه من مدينة موزع[3] كما هو واضح من أسمه، أما وظيفته ومكان إقامته فقد أشار إلى ذلك عندما ذكر أسمه على غلاف الكتاب في عبارة مقتضبة هي " نائب الشريعة في تعز". كما أشار إلى وظيفة والده بقوله "وكان المشار

([1]) أُرسل الأمير لطف الله، وعلي بن يحيى، وغوث الدين وحفظ الدين أبناء المطهر بن شرف الدين مع الإمام الحسن بن علي المؤيدي إلى أستانبول عاصمة الدولة العثمانية سنة 994هـ/ 1585م. محمد المحبي: خلاصة الأثر . جـ 2، صـ 74.

([2]) المعلومات حول شخصية المؤرخ الموزعي شحيحة جداً ، فقد حقق الأستاذ عبدالله الحبشي كتاب الإحسان للمؤرخ الموزعي ، وأعاد المركز الفرنسي بالقاهرة تحقيق الكتاب ولم يذكروا معلومات حول حياة المؤرخ اكثر مما ذكرها الدكتور سيد سالم في كتابة المؤرخون اليمنيون في العهد العثماني الأول ، والتي ذكرها الباحث في هذه الدراسة .وهي المعلومات المتوفرة إلى الآن بين أيدي الباحثين حول شخصية المؤرخ الموزعي .

([3]) سيرد تعريفها في القسم الثاني من هذه الدراسة.

إليه رحمه الله [يقصد والده] من أجلّ العلماء معرفة وفضلاً وأكملهم ذكاءً وعقلاً، وكانت وظيفته التدريس في الجامع المظفري، والمدرسة الطاهرية في تعز وكذلك النيابة الشرعية في مجلس الشرع الشريف(أعزه الله) بها فأقام رحمه الله في وظيفة التدريس للعلم الشريف على مذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي". وارتبط المؤرخ الموزعي بعلاقات مع العثمانيين وكان من جلسائهم وندمائهم ويبدو أن هذا الإرتباط مكنه من أن يخلف والده في نيابة الشريعة في تعز، وهي من الوظائف التي أقرتها السلطة الحاكمة[1].

وأشترك المؤرخ الموزعي في الصراع الدائر حينها بين العثمانيين والقوى المحلية بزعامة أئمة الزيدية من آل القاسم، حيث ساند العثمانيين، وألف كتابه الإحسان لهذا الغرض. فقد ذكر أن كتابه جاء رداً للجميل الذي قدمه العثمانيون لإنقاذ اليمن من الفوضى التي سادته خلال حكم الإئمة. وأكد المؤرخ الموزعي بأن قصده من تأليف الكتاب "تأييد الدعاء الصالح في صحائفهم [أي العثمانيون]، ولينطق بالدعاء لهم القلب واللسان، والقلم والرق والبيان، مكافأة لهم بدفعهم عنا الجوروالعدوان، وجزاءً لهم بما صنعوا إلى العباد من الخير والبر والإحسان"[2].

وقد توقف المؤرخ عند حوادث سنة1031هـ / 1621م ، وهي أخر سنة في ولاية محمد باشا ، ولا يعرف تاريخ وفاته.

أحمد بن يوسف بن فيروز:

يعتبر المؤرخ أحمد بن يوسف بن محمد بن فيروز من أقل المؤرخين اليمنيين تحيزاً إلى جانب العثمانيين، ظهر ذلك في كتابه "مطالع النيران في تاريخ اليمن" الذي دون فيه تاريخ اليمن منذ دخول العثمانيين سنة 945هـ / 1538م، إلى سنة 974هـ / 1565م. فلم يشن المؤرخ حملة دعائية ضد الأئمة الزيدية من آل شرف الدين كما فعل

([1]) عبد الصمد الموزعي : الإحسان . صـ 91، 92.

([2]) عبد الصمد الموزعي : الإحسان. صـ 9، 17.

غيره، بل اكتفى بتوجيه اللوم للإمام شرف الدين لانشغاله بالعلم وعدم محاسبته للولاة، مما تسبب في ظلم الرعية والتقصير في حقوقهم[1].

والمؤرخ ابن فيروز مثل غيره من المؤرخين المنحازين إلى جانب العثمانيين لم يلق حظه من الترجمة، والتعريف في كتب التراجم. فلا يعرف تاريخ مولده أو وفاته، وكل ما عُرف عنه من معلومات، ما أشار هو إليها في كتابه، أو تناثر في كتب التاريخ المعاصرة له والمتأخرة. فقد أشار المؤرخ في غلاف المخطوطة إلى اسمه بقوله "أحمد بن يوسف بن محمد بن فيروز أفقر عباد الله وأحوجهم إليه عامله الله بلطفه"[1]، فهو ينتمي إلى أسرة آل فيروز كما هو واضح من أسمه، وهي أسرة من أصل كردي. احتلت مكانة علمية ودينية، واجتماعية في مدينة إب منذ عهد الدولة الرسولية [2] .

والمؤرخ لم يخرج عن نهج أسلافه في ذلك، فقد كان خطيباً في الجامع الكبير بمدينة إب كما أشار إلى ذلك صاحب كتاب تاريخ دولة الترك في اليمن بقوله "وكان خطيب إب الفقيه أحمد بن فيروز يميل إلى الأتراك"[3]، وقد عاصر أحداث الصراع بين العثمانيين وآل القاسم في مراحله الأخيرة، وأظهر موقفاً مسانداً للعثمانيين في بداية الأمر، حيث عمل على تحريض الناس على نصرة العثمانيين حيث كان يدور في أزقة مدينة إب مخاطباً العامة بآيات قرآنية يحرضهم بها على قتال ومحاربة آل القاسم[4]. كما حمل رسالة أهالي مدينة إب إلى الوالي العثماني عابدين باشا[5] في

([1]) أحمد بن فيروز : مطالع النيران . ق 19.

([1]) نفس المصدر. الورقة الأولى

([2]) إسماعيل الأكوع: المدارس الإسلامية في اليمن. مؤسسة الرسالة ،ط2 ، 1986م، صـ 141 . 142.

([3]) مؤرخ مجهول: تاريخ دولة الترك في اليمن. مخطوطة مصورة على ميكروفيلم محفوظ في دار المخطوطات اليمنية بصنعاء ق 43.

رجح الدكتور سيد سالم في كتابة المؤرخون اليمنيون . صـ 48، أن أحمد بن فيروز سني متدين من أهالي الهضبة اليمنية من مدينة إب. وهذا الترجيح يتطابق مع المعلومات المستقاة من المصادر التاريخية المعاصرة لفترة المؤرخ أحمد بن فيروز.

([4]) مؤرخ مجهول : تاريخ دولة الترك . ق 43

([5]) عابدين باشا : وهو الوالي العثماني على الحبشة، وصل إلى اليمن سنة 1037 هـ / 1628م بهدف دعم حيدر باشا في مواجهة ثورة الإمام المؤيد محمد بن القاسم، وعند وصوله إلى اليمن همّ بقتل حيدر باشا والي اليمن، إلا أنه تراجع واكتفى بحبسة في جزيرة كمران. وبسبب هذه المعاملة السيئة، كانت نهاية عابدين باشا على يد

زبيد سنة 1038هـ / 1628م، يحثه فيها على القدوم إلى مناطق اليمن الوسطى، ويعده بالنصرة في محاربة الأمير الحسن بن الإمام القاسم. إلا أنه لم يستمر على موقفه السابق المعادي لآل القاسم، بل تراجع عن ذلك وطلب العفو من الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم الذي عفا عنه.

وقد ذكر الشاعر عبدالله بن أحمد هذا الموقف بقوله

قل لابن فيروز أجزاه الإله كما ... جزا ثموداً وعاداً أسوأ البشرِ
ما ضر لو كنت للأشراف منتصراً ... كما أنتصرت لأهل الفحش والمنكر
أما رأيت لآل المصطفى ليدا ... فضلاء كما [.....] [1]
ولست بالرجل المرهوب جانبه ... ولا العظيم ولا ذي الرأي والخطرِ
لكن حويت خصالاً وانفردت بها ... هي الثلاث كما قد جاء في الخبرِ
وجئت مبتغياً عفواً ومكرمةً ... على آمان من الأسواءِ والكدرِ
فأبتغوك بما كنت تأمله ... لو كانت الترك لم تلق سوى السمرِ

وأعيد المؤرخ بن فيروز بعد العفو عنه إلى عمله السابق إماما وخطيباً في الجامع الكبير بمدينة إب[2].

وبقي موالياً للدولة القاسمية. ولا يعرف بالضبط تاريخ وفاته، إلا أنه عاش إلى ما بعد سنة 1038 هـ / 1628م.

عيسى بن لطف الله بن المطهر:

وهو المؤرخ عيسى بن لطف الله بن المطهر بن الإمام شرف الدين، صاحب كتاب "روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح". كان مولده في 27 جمادى الأخرى سنة 986هـ / 31 أغسطس 1578م، اشتهر بعلم النحو والصرف

رجال الوالي أحمد قانصوه باشا الذي عُين خلفاً لـ حيدر باشا وذلك سنة 1039هـ / 1629م . سيد سالم : الفتح العثماني. صـ 398 ، 399 ، 401.

([1]) غير واضحة في الأصل

([2]) مؤرخ مجهول : تاريخ دولة الترك. ق 46، 47.

والطب ، وبالأدب ،والشعر، وعلم الفلك. كما برع في علم التاريخ. كانت وفاته في 2 ربيع الأول سنة 1048هـ /14 يوليو 1638م[1].

وعُرف المؤرخ عيسى بن لطف الله بمهادنته للعثمانيين وتقربه منهم، فقد عاش في فترة سادها نوع من الاستقرار السياسي بين العثمانيين وآل شرف الدين الذين انضووا تحت حكم الدولة العثمانية[2]. حيث سخر فكرهُ في خدمة الولاة العثمانيين، فصنف لهم المؤلفات التاريخية ومنها كتاب "روح الروح" الذي ألفه تلبية لرغبة الوالي العثماني محمد باشا[1]، وذكر فيه وصول الجراكسة إلى اليمن، وما وقع في تلك الفترة من صراعات سياسية وعسكرية بين المماليك والطاهريين، والإمام شرف الدين، وهاجم فيه الدولة الطاهرية، ومجد أعمال أجداده آل شرف الدين، كما ذكر وصول العثمانيين، ومجد أعمالهم، وشن فيه حملة دعائية ضد ثورة الإمام القاسم بن محمد[2]. وبالإضافة إلى كتاب روح الروح، فقد ألف كتاب أخر اسمه "النفحة اليمنية في الدولة المحمدية"[3].

وقد صنف الدكتور سيد سالم المؤرخ عيسى بن لطف الله ضمن المؤرخين المنحازين إلى جانب الأئمة الزيدية ، مشيراً إلى الظروف السياسية والتاريخية التي أحاطت بتأليف كتاب روح الروح. حيث ذكر أن تأليف الكتاب كان بطلبٍ من الوالي العثماني محمد باشا بهدف الاستفادة من تجارب العثمانيين السابقة في مواجهة الأئمة الزيديين، في كشف أسرار تلك الثورات من شخص له دراية بذلك وهو المؤرخ عيسى

([1]) محمد الشوكاني : البدر الطالع . جـ2، صـ516. المحبي : خلاصة الأثر. جـ 3. صـ 336. اسماعيل الأكوع : هجر العلم . جـ4 ، صـ 1873 . 1874. سيد سالم : المؤرخون اليمنيون . صـ 68

([2]) سيد سالم : نفس المرجع . صـ 72 .

([1]) محمد باشا : تولى حكم اليمن بعد الوالي جعفر باشا سنة 1025هـ / 1616م ، كان قبل تعيينه كاتباً في الديوان بمصر، وحين وصل إلى اليمن دخل في صراع مع الإمام القاسم ، ثم عقد الصلح معه سنة 1028 هـ / 1619م. بقي والياً على اليمن إلى سنة 1034هـ / 1624م. اشتهر بأقامة العدل ، فقد أقام ديواناً في صنعاء للنظر في مظالم الناس ، اهتم بالعمران ومن مآثره تجديد تعمير مسجد طلحة في صنعاء. سيد سالم : الفتح العثماني. صـ 383، 384 ، 385 ، 388 ، 392.

([2]) عيسى بن لطف الله : روح الروح. تحقيق :ابراهيم المقحفي ، صـ 7 .

([3]) لم ترد معلومات في كتب مصادر الفكر حول هذا الكتاب، وكل ما ذكر حوله أنه من الكتب التي ألفها المؤرخ وخصصها لذكر محاسن محمد باشا، وانه بلغ في ذلك حتى عُتب من أهل عصره على ذلك. حسين العمري: المؤرخون اليمنيون. صـ 32 . 33.

بن لطف الله، لمواجهة ثورة الإمام القاسم بن محمد. مبيناً أن المؤرخ عيسى بن لطف الله دخل في طاعة الدولة العثمانية في وقت كانت القوة الزيدية منقسمة على نفسها، حيث كانت أسرة آل شرف الدين موالية للعثمانيين ، وأسرة آل القاسم معادية لهم . موضحاً أن المؤرخ أنتهز فرصة تكليفه بتأليف ذلك كتاب ، فاهتم بإبراز تاريخ أسرته. مؤكداً في الوقت نفسه أن المؤرخ كان معتدلاً في ذكر العثمانيين إلى حد يلفت النظر، وأنه أطنب كثيراً في مدح الوالي محمد باشا إلى حد المبالغة التي تثير الملل. وأن المؤرخ فسر حروب أسلافه مع العثمانيين بأنها كانت من كيد الحاسدين[1].

وقد دعّم الدكتورسيد سالم تصنيفه هذا بما ورد عند المؤرخ محمد المحبي في ترجمته للمؤرخ عيسى، فقد أشار إلى أن كتاب المؤرخ عيسى بن لطف الله كان في ظاهره للأروام، وأن المؤرخ أستفاد من علاقته بالعثمانيين ليكتب تاريخ سلفه[1].

والباحث لا يختلف مع الدكتور سيد سالم كثيرا فيما ذكره حول الظروف التي أخرجت كتاب روح الروح ، وأتاحت المجال للمؤرخ عيسى بن لطف الله بأن يكتب تاريخ اليمن خلال تلك الفترة . إلا أنه لايتفق مع رأي الدكتور سيد سالم في تصنيف المؤرخ ضمن تلك الفئة من المؤرخين، و يتفق مع رأي الدكتور حسين العمري في صعوبة تصنيف المؤرخ عيسى بن لطف الله ضمن المؤرخين اليمنيين المنحازين للأئمة الزيدية[2]، بل إن الباحث يرى إمكانية تصنيف المؤرخ عيسى بن لطف الله ضمن المؤرخين المنحازين للعثمانيين للأسباب الآتية :

- أن المؤرخ لم يشن حملة دعائية ضد العثمانيين في صراعهم مع أسرته مثلما فعل مع الطاهريين، أو كما فعل بقية المؤرخين المنحازين إلى جانب الأئمة الزيدية. وإنما اكتفى بذكرهم بنوع من الاعتدال والموضوعية، معللاً أسباب الصراع بين الطرفين إلى كيد الحاسدين الحاقدين من الناس.

([1]) سيد سالم : المؤرخون اليمنيون . صـ 73.71 .

([1]) نفس المرجع : صـ 73.

([2]) حسين العمري: المؤرخون اليمنيون. صـ 31.

- أنحاز المؤرخ بشكل واضح إلى جانب العثمانيين في حربهم مع آل القاسم، وشن هجوماً على دعوة الإمام القاسم بن محمد، التي تعتبر أمتداداً لدعوات آل شرف الدين ، وحمله مسئولية ما يقع في اليمن من الفتن[1].
- إذا كان كتابه روح الروح به نوع من التحفظ في ذكر العثمانيين وذكر أسرته، فإن احتجاج معاصريه ومعاتبتهم له على كتابه "النفحة اليمنية في الدولة المحمدية " يظهر مدى ميوله وانحيازه إلى جانب العثمانيين.

ومما سبق بدا واضحاً ميول المؤرخ إلى جانب العثمانيين، وأن تصنيفه مع المجموعة التي انحازت إلى جانب العثمانيين أقرب من تصنيفه مع المجموعة التي انحازت إلى جانب أئمة الزيدية.

المؤرخون المنحازون إلى جانب أئمة الزيدية (مؤرخو المعارضة):

مثلما انحازت فئة من المؤرخين اليمنيين إلى جانب العثمانيين، فأن فئة أخرى منهم انحازتٍ إلى جانب أئمة الزيدية. وصنفوا مؤلفات تاريخية مجدوا فيها أعمال أئمة الزيدية حاولوا من خلالها اثبات شرعيتهم وحقهم في الحكم، كما شنوا فيها حملة دعائية ضد العثمانيين، ومن أشهر هؤلاء المؤرخين.

الحسن بن محمد الزريقي:

هو الحسن بن محمد بن علي بن سليمان الزريقي الهمداني العنسي الهيصمي عالم ومحقق، و فقيه حافظ ، كان مولده سنة 896هـ /1490م، شارك في الصراع السياسي الدائر بين الإئمة انذاك، فقد كان إلى جانب الإمام مجد الدين المؤيدي[1] في صراعه مع الإمام شرف الدين، ثم تحول بعد ذلك إلى مناصرة الإمام شرف الدين سنة 940هـ

([1]) عيسى بن لطف الله : روح الروح. تحقيق :إبراهيم المقحفي، صـ125، 224، 233، 240

([1]) الإمام مجد الدين المؤيدي : هو الإمام الداعي لدين الله مجد الدين بن الحسن بن عز الدين بن علي المؤيدي ، إمام مجتهد مجاهد ، كانت دعوته بالإمامة سنة 929هـ / 1522م ، دخل في صراع مع الإمام شرف الدين ، ركن إلى الهدوء عقب هزيمته أمام الإمام شرف الدين ، كانت وفاته في صعده سنة 942هـ / 1535م ، ومدة إمامته 14 عاماً . عبد السلام الوجيه : أعلام المؤلفين . صـ 805.

/ 1533م. وتتلمذ على يده في الفقه والحديث والتفسير. ثم صار من خاصته، حيث أعتمد عليه الإمام في الكثير من الأعمال مثل توزيع الصدقات وقضاء حاجات الناس، كما كلفه الإمام ببعض الأعمال السياسية، وكان ممن حضر وشهد على وصية الإمام شرف الدين، توفى بالظفير من بلاد حجة سنة 960هـ/ 1553م[1].

صنف كتاباً في سيرة الإمام شرف الدين أسماه "سيرة الإمام المتوكل على الله يحيى

شرف الدين بن شمس الدين"[1]، ويقع الكتاب في 344 صفحة من الحجم الكبير، ذكر فيه سيرة الإمام وكراماته، وتطرق إلى أحداث الصراع السياسي والعسكري الذي دار بين الإمام والعثمانيين، حيث شن حملة دعائية عليهم بين فيها مظالمهم، واعمالهم السيئة. كما جاء الكتاب مليئاً بالقصائد الشعرية التي تحكي أحداث تلك المرحلة.

لم يلتزم المؤرخ بالترتيب الزمني للأحداث في كتابه آنف الذكر، حيث كان ينتقل من فترة إلى أخرى حسب أهمية الحدث، وبدا واضحاً أنه لم يدوّن الأحداث حال وقوعها، وإعتمد على ذاكرته في سردها وهو ما جعل الأحداث غير مرتبة زمنياً.

كما أنه لم يستكمل سيرة الإمام شرف الدين، لأن وفاته كانت سنة 960هـ / 1553م،في حين كانت وفاة صاحب السيرة بعده بخمس سنوات 965هـ/1557م ويعد كتاب المؤرخ الزريقي مصدراً أساسياً لسيرة الإمام شرف الدين ،فهو . حسب علمي . الكتاب الوحيد الذي دونت فيه سيرة الإمام من قبل أحد مؤرخي عصره، والذي كان على اطلاع واسع بمجريات الأحداث وممن شارك فيها. كما انفرد كتاب مؤرخنا دون

---

[1]) محمد الشوكاني : البدرالطالع . جـ 2 ، صـ 78. إبراهيم بن القاسم :طبقات الزيدية الكبرى. صنعاء، مؤسسة الإمام زيد الثقافية ، جـ1، ط أولى، 2001م ، صـ 342، 343.

([1]) ما يزال الكتاب مخطوطاً ولم يحقق إلى اليوم، ويوجد منه عدة نسخ، منها نسخة في مكتبة حمود شرف الدين في كوكبان، وأخرى في مكتبة آل الغالبي في صعده، وأخرى في مكتبة السيد المرتضى في السر .عبدالسلام الوجيه: نفس المرجع. صـ 349. ومنها نسخه محملة على قرص مدمج (C . D) محفوظة في مؤسسة الإمام زيد الثقافية بصنعاء وهي النسخة التي استخدمها الباحث .

غيره . حسب علمي . بنشر مراسلات الإمام مع السلطان العثماني سليمان القانوني، وكذلك مراسلاته مع والي مصر العثماني داود باشا، وهو ما جعل الكثير من المؤرخين الذين جاءوا من بعده يعتمدون علي كتابه. أمثال عيسى بن لطف الله، و يحيى بن الحسين، وأحمد بن محمد الشرفي، ومحمد بن إبراهيم بن المفضل[1]

أحمد بن شائع اللوزي:

هو أحمد بن شائع اللوزي الدعامي، وصفه صاحب كتاب مطلع البدور بقوله "الفقيه العارف أحمد بن شائع اللوزي رحمه الله كان عابداً، وكان يسكن مدينة ثلا، منزله بجوار المدرسة [...] لم يبايع الإمام القاسم رضي الله عنه لعدم يأسه من الإمام الحسن بن علي بن داود عليه السلام"[1].

درس أحمد بن شايع في مدينة ثلا، وكان من اتباع الإمام الحسن، وصنف كتاباً في سيرته أسماه "سيرة الإمام المؤتمن المحيي للشرائع والسنن الداعي إلى الله في أرض اليمن الولي بن الولي الناصر لدين الله الحسن بن علي سلام الله عليه"[2]. تناول فيه مراحل دعوة الإمام الحسن، وحروبه ضد العثمانيين والقبائل المناصرة لهم، وهاجم فيه كتابه أمراء آل شرف الدين الذين ساندوا العثمانيين، كما شن حملة دعائية ضد العثمانيين، شرح فيها أعمالهم التي تخالف الشرع.

وفي الوقت نفسه بيّن مكانة وأحقية الإمام الحسن بن علي المؤيدي في الإمامة وحث الناس إلى الالتفاف حوله ومناصرته. وضمّن المؤرخ في كتابه الكثير من

([1]) نقل هؤلاء المؤرخون الكثير مما ورد عن الزريقي في كتبهم، وأشاروا إلى ذلك بذكر مصدر النقل.

([1]) أحمد بن صالح بن أبي الرجال : مطلع البدور ومجمع البحور. مخطوطة مصورة بمركز الدراسات والبحوث اليمني، تحت رقم 07، 956. جـ1 ، ق60 .

([2]) أحمد اللوزي : سيرة الإمام الحسن بن علي . ق 1.

كرامات الإمام الحسن التي شاعت في عصره بين الناس، وكان محل انتقاد معاصريه من المؤرخين الذين وصفوها بأنها نوع من الخرافة الغرض منها كسب الأنصار[1].

ويعد كتاب المؤرخ اللوزي من حيث الحجم من اكبر الكتب التي ألفت خلال الفترة التي سبقت دعوة الإمام القاسم ووصلت إلينا، حيث يقع الكتاب في حدود 50 ورقة من الحجم المتوسط . دون فيه الأحداث التاريخية من سنة 986هـ/ 1578م، وهي بداية دعوة الإمام الحسن، وأنتهى بحوادث سنة 993هـ / 1585م وهي سنة نفي الإمام إلى استانبول.

صلاح بن داعر المرهبي:

هوصلاح بن داود بن علي بن داعر[1]، ذكره صاحب مطلع البدور بقوله "الفقيه الماجد فخر الكتّاب أوحد المؤرخين صلاح بن داعر المرهبي[2]، كان عالماً مُتبحراً في أنواع من العلم، اشتهر بالتنجيم، حتى يظن بعض الناس أنه محصوله من العلم وليس كذلك، إلا أنه برع في العلم [...] ووضع تاريخاً لأيامه ولعله لم يتمها لانّا لم نعرف منه إلا كراريس، وهي لأيام الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين عليه

([1]) سترد معلومات مفصلة حول هذه الأنتقادات في الفصل الرابع من هذه الدراسة، في الجزء الخاص بتوظيف السند الغيبي في خدمة الأغراض السياسية.

([1]) هكذا سمى المؤرخ نفسه في كتابه الذي ألفه في سيرة الإمام شرف الدين بقوله " يقول العبد الفقير إلى عفو السميع البصير الراجي رحمة ربه الرحيم الغافر اللطيف القاهر صلاح بن داود بن علي بن داعر تجاوز الله عن فرطاته". صلاح بن داعر : سيرة الإمام شرف الدين . صنعاء ، المكتبة الغربية بالجامع الكبير، مجموع رقم 36 ،من .صـ306 إلى 317 ، صـ 306.

([2]) المرهبي نسبة إلى مرهبة وهي قبيلة من بلاد همدان. إبراهيم المقحفي : معجم البلدان . صـ 1496. وقد ورد هذا اللقب في أسم المؤرخ لدى الكثير من المؤرخين أمثال " محمد بن إبراهيم بن المفضل : السلوك الذهبية . صـ 196 ، 224 ،أحمد الشرفي : اللآلئ المضيئة : جـ3 ، صـ 94، وكثيراً ما ترددت أسماء أشخاص كانوا من خاصة الأمام شرف الدين والإمام القاسم يحملون نفس اللقب ، وهو ما يؤكد أن المؤرخ ينتمي إلى نفس القبيلة وهذا يعزز ما ذهب الباحث إليه من أن المؤرخ عبدالله بن صلاح بن داعر يمني الموطن هو ابن المؤرخ صلاح بن داعر.

السلام خاصة جعله على الأيام، وكان من أعيان الوقت، وقد أثنى عليه السيد عيسى بن لطف الله وغيره من المطلعين على تاريخه"[1].

ولا يُعرف تاريخ مولده أو وفاته، وكل ما يُعرف عن حياته أنه كان حياً إلى سنة 1013هـ / 1604م[2]، وأنه من خاصة الإمام شرف الدين ومن المقربين إليه، وله الكثير من الأشعار التي قالها في مدح الإمام وابنه المطهر، وصف فيها صراعهم مع العثمانيين[3]، ودعا الناس من خلالها إلى الالتفات حول الإمام ومناهضة العثمانيين.

كما شارك في أحداث الصراع السياسي بين الأئمة الزيدية والعثمانيين، وذلك حين تولى سفارة المطهر إلى العثمانيين أكثر من مرة، فقد كان ضمن الوفد الذي أرسله المطهر للتفاوض مع أزدمر باشا لإتمام صلح سنة 956هـ / 1549م[1]، وكان ضمن أعيان الدولة الذين أرسلهم المطهر إلى مدينة تعز لمقابلة مصطفى باشا النشار[2]. لشرح موقف المطهر ومطالبه من الدولة العثمانية[3]. ولم يكتف المؤرخ بتلك المشاركات، بل أنه خاض غمار الصراع الفكري الذي دار بين المؤرخين المنحازين لأطراف الصراع السياسي، حيث كتب كراريس دون فيها سيرة الإمام شرف الدين. وأبتدأ السيرة بذكر دعوة الإمام شرف الدين وصراعه مع الطاهريين، ثم انتقل إلى

([1]) أحمد بن أبي الرجال : مطلع البدور. جـ1، صـ 217.

([2]) محمد عيسى صالحية : المخطوطات اليمانية في مكتبة علي أميري ملّت . بأستانبول . بيروت، دار الحداثة للطباعة والنشر، ط أولى ، 1984 م ، صـ 17.

([3]) وردت الكثير من القصائد الشعرية للمؤرخ صلاح بن داعر في كتب التاريخ منها ما ورد في كتاب السلوك الذهبية : للمؤرخ إبراهيم بن المفضل . صـ 196، 224 . وفي كتاب اللآلئ المضيئة : للمؤرخ الشرفي. جـ 3 ، ق 94. للمزيد من المعلومات عن دور صلاح بن داعر أنظر ترجمته في هذه الدراسة.

([1]) كان الوفد مكون من السيد عماد الدين يحيى بن الحسن المؤيدي ، وصلاح بن داعر المرهبي. عيسى بن لطف الله : روح الروح .نشر / إبراهيم المقحفي، صـ 133.

([2]) مصطفى باشا النشار: كان سراجاً في الجيش العثماني عند دخول مصر، ترقي في الوظائف إلى أن أصبح كاشفاً بمصر، وتولى أمارة الحج لعدة مرات، اشتهر باسم النشار لأنه كان ينشر . يقطع . اللصوص وقطاع الطرق إلى نصفين ويجعلهم عبرة لغيرهم، عُين والياً على اليمن سنة 947هـ/ 1540م، وأستمر في ولايته حتى سنة 952هـ/ 1545م. قطب الدين النهروااللي: البرق اليماني. صـ94.

([3]) كان الوفد المرسل إلى مصطفى باشا مكون من صلاح بن داود بن داعر ،و الحسن بن محمد الهادي. عيسى بن لطف الله : نفس المصدر. صـ 142.

الحديث عن صراعه مع العثمانيين[1]. وكراس المؤرخ لا تتجاوز عدد أوراقه 12ورقة، لخص فيه حوادث اليمن من سنة 907هـ / 1501م إلى سنة 964هـ / 1556م[2].

أحمد بن محمد الشرفي:

هو أحمد بن محمد بن صلاح بن محمد المعروف بالشرفي. كان مولده سنة 972هـ / 1564م ولا يعرف مكان مولده ويرجح أن يكون في بلاد الشرف[3]. طلب العلم ورحل من أجله إلى العديد من الهجر والمدن، وتتلمذ على يد كبار علماء عصره أمثال الإمام القاسم بن محمد، ووصل إلى درجة الاجتهاد. عاصر قيام الدولة القاسمية ، وكان من أعيان الإمام وأحد ولاته، تنقل معه أثناء دعوته، وعايش الكثير من الأحداث، واطلع على عدد كبير من مراسلات الإمام مع القبائل، وأرفق معظمها في الجزء الثالث من كتابه اللآلئ المضيئة.

شغل العديد من الوظائف منها الإفتاء والتدريس في صنعاء، أنتقل إلى هجرة معمرة[1] في أيام الإمام المؤيد محمد بن القاسم، وأستقر بها حتى وفاته، وقد سخر معظم حياته للتدريس والتأليف وإحياء علوم الدين. وتتلمذ علي يده الإمام المؤيد محمد بن القاسم، وقدعرف عن صاحب السيرة التقشف والورع والصلاح، كانت وفاته سنة 1055 هـ / 1645 م[2].

([1]) أشار الدكتور محمد صالحية في كتابه المخطوطات اليمانية في مكتبة علي أميري ، إلى مخطوطة بعنوان " رسالة في تاريخ اليمن " للمؤرخ صلاح بن داود بن داعر ، ثم أشار في الهامش إلى أن نسخة المخطوطة الموجودة في المكتبة الآصفية تنسب إلى المؤرخ عبد الله بن صلاح بن داعر .

([2]) السيرة موجودة في المكتبة الغربية في الجامع الكبير بصنعاء ضمن مجموع رقم 36 ، من صـ 306 إلى صـ317

([3]) بلاد الشرف: منطقة جبلية شمال غرب مدينة حجة، وتشمل حالياً عدة مديريات منها المحابشة، الشاهل، القُفل، كحلان الشرف، المفتاح، أسلم. إبراهيم المقحفي: معجم البلدان. جـ 1، صـ860 .

([1]) هجرة معمرة : تقع في بلاد الأهنوم شمال غرب اليمن في منطقة بني عوف. إسماعيل الأكوع : هجر العلم، جـ4، صـ 2084.

([2]) سلوى المؤيد : دراسة وتحقيق الجزء الثاني من اللآلئ المضيئة في أخبار الأئمة الزيدية . رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة صنعاء ، 2002 م ، صـ 2 . 3.

ويعد المؤرخ الشرفي من أشهر علماء عصره وله مصنفات كثيرة في العديد من العلوم، إلا أن كتاب" اللآلئ المضيئة في أخبار الأئمة الزيدية "هو ما اشتهر به المؤرخ ، حيث يعد موسوعة في التاريخ السياسي للزيدية في اليمن. والكتاب المذكور عبارة عن شرح لقصيدة البسامة لابن الوزير[1]، ويتألف الشرح من ثلاثة أجزاء. خصص المؤرخ الجزئين الأول والثاني لشرح بسامة ابن الوزير التي تنتهي بذكر أخبار الدولة الرسولية. والجزء الثالث خصصه لشرح ذيل البسامة للعلامة داود بن الهادي[2]، والذي تناول فيه ذكر دولة بني طاهر وأخبار الأئمة المعاصرين لهم، ودولة المماليك في مصر، والدولة العثمانية وسلاطينها في عصره، وتوسع في سيرة الأئمة المعاصرين لها. وبعد ذلك شرح قصيدته التي أرخ فيها للإمام القاسم بن محمد وابنه المؤيد، وجزء من سيرة المتوكل على الله إسماعيل، ويقع الجزء الثالث هذا في حوالي 500 ورقة[1].

جاءت كتابة المؤرخ الشرفي متأثرة بالأوضاع السياسية التي عايشها، فقد أتاحت له فرصة خروج العثمانيين، وقيام الدولة القاسمية أن يتناول التاريخ من جانب واحد حيث أظهر تحيزه الشديد إلى جانب الأئمة الزيدية.

([1]) قصيدة البسامة هي المسماة بالقصيدة المضيئة في سيرة الأئمة الأخيار" وهي من نظم العلامة صارم الدين ابراهيم بن محمد الوزير المتوفى سنة 914هـ / 1508م أرخ فيها للإئمة الزيدية إلى سنة 901هـ/= =1495م في نحو 240 بيتاً من الشعر، وحظيت القصيدة بإهتمام العلماء فمنهم من شرحها، ومنهم من ذيلها ، ومنهم من جمع بين الأمرين ومنهم من ذيلها ولم يشرحها وأقتصر على شرح ما ذيله. سلوى المؤيد : دراسة وتحقيق الجزء الثاني من اللآلئ المضيئة. صـ 11.

([2]) داود بن الهادي :هو داود بن أحمد بن الهادي بن أحمد بن المهدي بن الإمام عزالدين بن الحسن الهدوي كان مولده عام 980هـ / 1572م، كان إماماً في العربية والفقه ، له شرح على كتاب الأساس للإمام القاسم، وذيل على بسامة صارم الدين في التاريخ ، كانت وفاته سنة 1035هـ / 1625م. إبراهيم بن القاسم: طبقات الزيدية الكبرى . تحقيق :عبد السلام الوجيه، جـ1، صـ 433. محمد الشوكاني : البدر الطالع . جـ 1،صـ 246.

([1]) سلوى المؤيد : المرجع نفسه. صـ 14.

والجدير بالذكر أن المؤرخ المطهر الجرموزي أعتمد في كتابه النبذة المشيرة على كتاب المؤرخ الشرفي، عند تناوله الإمام القاسم، والإمام المؤيد محمد بن القاسم.

المطهر بن محمد الجرموزي:

هو المطهر بن محمد بن أحمد بن عبدالله الجرموزي، ينتمي إلى أسرة هاشمية

سكنت في هجرة بني جرموز[1]، والتي استقى لقبه منها. كان مولده سنة 1003هـ / 1594م، نال حظاً وافراً من العلم . لقرابة أسرته من الأسرة القاسمية . فصار عالماً وفقيهاً، ومؤرخاً، وسياسياً، وأديباً. عاصر قيام الدولة القاسمية، وشارك في أحداثها ووقائعها، وحظي بمكانة مرموقة لدى آل القاسم، و تقلد العديد من المناصب الوظيفية، العسكرية منها والسياسية، ومنها توليه قيادة الجيوش في العديد من المعارك التي خاضها آل القاسم ضد العثمانيين، وحضر الكثير من اتفاقيات الصلح التي أبرمها الأئمة مع العثمانيين، كما تم تعيينه حاكماً لمناطق وصاب، وبلاد آنس، وعتمة التي بقي حاكماً عليها حتى وفاته في قرية سماة سنة 1077هـ/ 1666م[1].

ويصنف الجرموزي بأنه من أشد المؤرخين اليمنيين تعصباً وتحيزاً في كتابته التاريخية إلى جانب أئمة الزيدية. ويبدو أنه قد تاثر في ذلك بتنشئته وحياته العملية، فهو زيدي بالوراثة، وتربى في كنف أسرته الزيدية المشهورة بالعلم، والمرتبطة بعلاقات قوية بالأسرة القاسمية. كل ذلك جعل من ولائه خالصاً لآل القاسم، ظهر ذلك في كتاباته التاريخية. التي دوّن فيها سيرة ثلاثة من أئمة آل القاسم، وهي "النبذة المشيرة

([1]) هجرة بني جرموز : من قرى مديرية بني الحارث شمال صنعاء على بعد 25 كم ، أول من سكن هذه القرية من الأشراف أسرة من أبناء يوسف بن المرتضى، يعود نسبهم إلى الحسن بن على بن أبي طالب. إبراهيم المقحفي : معجم البلدان . جـ 1 ، صـ 319 .

([1]) عبد الحكيم الهجري : دراسة وتحقيق مخطوطة " تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار " للمؤرخ المطهر الجرموزي . صنعاء، مؤسسة الإمام زيد الثقافية ،ط الثانية ، 2002م صـ 16 . 17. أمة الملك الثور : بناء الدولة القاسمية . صـ 138 . 140. إسماعيل الأكوع : هجر العلم . جـ 4، صـ 2205 .

إلى جمل من عيون السيرة"[1]، جعلها في سيرة الإمام القاسم بن محمد، و "الجوهرة المنيرة في جمل من عيون السيرة"[2]جعلها في سيرة الإمام المؤيد محمد بن القاسم، و"تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار"[3]. وكُتب الجرموزي كما وصفها الدكتور سيد سالم أشبه ما تكون بـ " الكتب الدعائية التي تصدرها الحكومات، والهيئات للإعلان عن أعمالها، لرفع شأنها أمام الحكومات الأخرى، أو أمام رعاياها"[4] .

وتمثل مؤلفات الجرموزي تجسيداً لحالة السيطرة والتسيد للإئمة الزيدية على مجريات الأحداث السياسية والعسكرية والفكرية، ومنها حركة التأليف التاريخي التي شهدتها اليمن في تلك الفترة. خاصة خلال فترة الإمام المؤيد بالله ، والتي يمثل المؤرخ الجرموزي رمزاً من رموزها.

علي بن المهدي بن الهادي النوعة وكتاب تاريخ دولة الترك في اليمن:

يعد كتاب تاريخ دولة الترك في اليمن[1]، من المؤلفات التاريخية التي تناولت سيرة أئمة وأمراء آل القاسم. فقد بدأ الكتاب بذكر ما وقع من أحداث في فترة الإمام الحسن بن علي المؤيدي، ثم ما وقع من أحداث في عهد الإمام القاسم والإمام المؤيد، وركزت معلومات الكتاب على الأعمال السياسية، والعسكرية التي قام بها الأمير الحسن بن

([1]) حُقق الكتاب من قبل الأستاذ عبد الحكيم الهجري في أطروحة دكتوراه غير منشورة. جامعة صنعاء عام 2004 م .

([2]) حُقق الكتاب من قبل الأستاذة أمة الملك الثور في أطروحة دكتوراه غير منشورة في جامعة صنعاء . عام 2005 م .

([3]) حُقق الكتاب من قبل الأستاذ عبد الحكيم الهجري في رسالة ماجستير في جامعة صنعاء . عام 2001م.

([4]) سيد سالم : المؤرخون اليمنيون . صـ 77 .

([1]) لهذا الكتاب عنواناً آخر غير " تاريخ دولة الترك في اليمن " وهو " تاريخ مختصر". وكلا العنوانين ليسا العنوانان الأصليان للكتاب ، فقد وضع العنوان الأول في دار الكتب بالقاهرة ، ووضع الثاني في مكتبة الجامع الكبير في صنعاء. سيد سالم : المؤرخون اليمنيون . هـ. صـ82.

الإمام القاسم[1] في المناطق الوسطى من اليمن خلال توليه قيادة الجيش المحارب للعثمانيين، وانتهي بذكر حوادث سنة 1051 هـ / 1641م.

والكتاب يمثل نموذجاً للمؤلفات التاريخية التي شنت حملة دعائية ضد العثمانيين للتشهير بهم وبأعمالهم. فقد ذكر المؤرخ الكثير من تلك الأعمال وأكد أن أهل اليمن لم يكونوا يعرفونها من قبل، مبيناً فيه ظلم العثمانيين وبشاعة حكمهم، مظهراً تحيزه وحبه لآل البيت من آل القاسم. وقد وصف الدكتور سيد سالم مؤرخ الكتاب بقوله "والمؤرخ يعد نموذجاً لمؤرخي السيّر الذين يكلفون من قبل أحد الحكام بكتابة سيرة الأجداد والأباء لتدعيم الحكم القائم ، وتثبيت أركانه"[2]. وأشار إلى أن تأليف كتابه هذا كان بتكليف من أحد السادة، ورجح أن الأمير الحسن بن الإمام القاسم ربما يكون هو من كلف المؤرخ بتأليف ذلك الكتاب، لأن المؤرخ أطال الحديث عن الأمير الحسن بشكل ملحوظ[1].

هذا ما يتعلق بالكتاب أما المؤلف نفسه فما زال مجهول . حتى يومنا هذا . حيث لم يرد ذكر لاسمه داخل الكتاب، وكل ما ذكره المؤرخ عن نفسه وأسرته، أنه ابن المهدي بن الهادي، دون أن يذكر بقية أسمه، وأن والده كان من المقربين من آل القاسم، وممن اطلع على أحداث تلك الفترة، وشارك في صنعها. كما ذكر بأنه أعتمد على رواية والده في الكثير من مادة هذا الكتاب بقوله "استندت فيما لم أعاينه إلى رواية والدي السيد

([1]) الحسن بن الإمام القاسم بن محمد : كان مولده في شعبان سنة 996هـ / يونيو 1587م ، تلقى العلم على يد والده، ومشائخ عصره ، وتفرغ للجهاد مع والده ، ونال من الأتراك ما لم ينله أحد ،، أسر في عهد والده وحبس في صنعاء ، وتمكن من الهرب، وعاد لحرب الأتراك حتى اخرجهم من اليمن . أسس حصن الدامغ في بلاد ضوران سنة 1040هـ / 1630م ، وبناه وأجرى إليه المياه ،وأستقر فيه حتى وفاته في شوال سنة 1048هـ / فبراير 1638م. محمد الشوكاني : البدر الطالع . جـ 1 ، صـ 205، 207. محمد المحبي : خلاصة الأثر . جـ2 ، صـ 39.

([2]) سيد سالم : نفس المرجع. صـ 86 .

([1]) سيد سالم : المؤرخون اليمنيون. صـ 83.

المهدي بن الهادي رحمه الله، فأنه ممن شهد معظم المواقف والخطوب، ودارت عليه رحى تلك الوقائع والحروب"[1].

هذا ما ورد من معلومات عن المؤرخ ووالده في الكتاب .

وقد سعى الباحث إلى معرفة شخصية المؤلف من خلال التعرف على شخصية والده التي تردد ذكرها في الكثير من الحوادث، وتمكن بالفعل من التعرف على شخصية والد المؤرخ، وذلك حين قارن بين نص إحدى الحوادث التي وردت عند المؤرخ، وأشار فيها إلى مشاركة والده في صنعها، وبين ما ورد عن غيره من المؤرخين حول نفس الحادثة.

فقد ذكر المؤرخ في الورقة 59 من كتابه "تاريخ دولة الترك في اليمن" ما رواه والده من خبر الصلح بين الأمير الحسن بن القاسم و حيدر باشا[2] سنة 1038هـ / 1628م، وتكليف الأمير الحسن له لقبض المال المتفق عليه من حيدر باشا بقوله "قال السيد المهدي: أرسلني الحسن لقبض ما تم عليه الصلح، وهو سبعون ألف حرف[1]، فدخلت إلى المخا، ونصب ليّ كرسي وأقام لي الأتراك سماطين[2]، وأخرجوا ليّ البر[3] فكنت آخذ النفيس، وأرمي بالخسيس، فتحاملوا و إغتاظوا، وكتبوا إلى

([1]) مؤرخ مجهول : تاريخ دولة الترك . ق 1

([2]) حيدر باشا: عُين والياً على اليمن سنة 1034هـ / 1624م ، عُرف عنه البطش والتخبط السياسي فقد أقدم على قتل محمد بن سنان باشا الكخيا حال وصوله إلى اليمن ، كما ساءت سمعته بين الأهالي بسبب شربه للخمر وحبه للهو ،حُبس في جزيرة كمران بأمر من عابدين باشا سنة 1038هـ / 1628م ، حكم ولاية اليمن من بعده الوالي أحمد قانصوه باشا . سيد سالم : الفتح العثماني . صـ 392، 398.

([1]) الحرف : عملة نقدية نحاسية ويصل صرف الريال من هذه العملة إلى عدة ألاف. الموسوعة اليمنية. جـ4، صـ 3038.

([2]) السماط: اللحاف. ابن منظور: لسان العرب. جـ2، صـ202.

([3]) البر : القمح. مطهر الأرياني: معجم الألفاظ. صـ 62.

الحسن، فأجاب عليهم، أن العمل على السيد، ثم قال الحسن لأصحابه : فَعل السيد هذا عندي خير مما يجئ به"[1] .

وقد أورد المؤرخ الجرموزي هذه الحادثة، وما وقع فيها من قبض المال المتفق عليه بين الأمير الحسن وحيدر باشا بقوله "أرسل مولانا الحسن رحمه الله للسيد المهدي بن الهادي النوعة لقبض مال الصلح [...] في المخا، فتحكم فيهم في التقويم والتبديل، وأسمعهم ما لا نحبه، فخفنا عليه من شدتهم، فأرسلنا إليه سراً، أن اقبض ما أعطوك، فلم يفعل، بل تحكم فيهم أكثر، فأعدنا عليه أخرى، فكان الجواب أن أول من يقتلون أنا وأنتم القاهرون فدعوني وإياهم" [2] .

وعند مقارنة ما ورد في النص المؤلف المجهول ونص المؤرخ الجرموزي يتضح الأتي : .

. أتفق المؤرخان على أن من تولى سفارة الأمير الحسن إلى حيدر باشا هو السيد المهدي بن الهادي.

. أضاف المؤرخ الجرموزي لقب "النوعة" إلى أسم السيد المهدي بن الهادي، و بذلك أُميط الغموض عن شخصية السيد المهدي . والد المؤرخ . وأصبحت شخصيته معروفه الآن، فهو السيد المهدي بن الهادي بن علي اليوسفي المعروف بالنوعة[1]. وهو من

([1]) مؤرخ مجهول : تاريخ دولة الترك . ق 49

([2]) المطهرالجرموزي : الجوهرة المنيرة . تحقيق / أمة الملك الثور ، صـ 583 .

([1]) هو المهدي بن الهادي بن علي بن أحمد بن محمد بن سليمان اليوسفي الملقب بالنوعة، عالم وفقيه ومؤرخ صنف فيه كتاب أسماه الإقبال ، ولاه الأمير الحسن بن القاسم على منطقة ذي السفال، واستمر والياً عليها في أيام الإمام لمؤيد بالله محمد بن القاسم، جمع ثروتطائلة، وعرف ببسطة يده في أنفاق الأموال، عمر لكثير من العمائر في بيوت الله في اليمن الأسفل والشام، عزله الإمام المتوكل على الله إسماعيل، وعين مكانه الأمير أحمد بن الحسن.عاد المهدي إلى بلده ساقين في صعده، ودعا إلى نفسه بالإمامة حين اضطربت أمور عمال الإمام المتوكل في بلاد صعده، ثم تراجع عن دعوته. صادر الإمام المتوكل ثروته ثم أعادها إليه بعد أن أكد للإمام بأنه جمعها من غلة أمواله التي اشتراها أيام الحسن. قدم ما يقارب ثلاثة= =ألف ريال هبة منه للإمام المتوكل على الله إسماعيل الذي قبلها لما عرفطيبة نفسه ببذلها له. كانت وفاته سنة 1072هـ/ 1661م وقبر

الشخصيات العلمية والسياسية المرموقة، ومن الذين تولوا العديد من المناصب السياسية في عهد آل القاسم، كما شارك أحداث تلك المرحلة.

هذا ما يتعلق بشخصية والد المؤرخ، أما شخصية المؤرخ نفسه فإن الباحث قد حاول بمجهوده المتواضع، وبما توفر لديه من معلومات وضع فرضية حول شخصية المؤرخ. حيث رجح أن مؤلف كتاب تاريخ دولة الترك في اليمن هوعلي ابن الهادي بن المهدي النوعة مستنداً في ترجيحه هذا إلى الأتي: .

اولاً: لم يرد في كتب التراجم والطبقات . حسب علمي . أي ذكر لأسم أحد من أبناء الهادي بن المهدي غير ابنه علي.

ثانياً: كان علي من الشخصيات الأدبية والعلمية في عصره، وهو ما يخوله أن يكون مؤرخاً. فقد وصفه المؤرخ زبارة في ترجمته له بقوله "السيد العلامة الرئيس علي بن المهدي بن الهادي بن علي بن احمد [...] كان سيداً عارفاً واميراً ماجداً"، وأورد زبارة في ترجمته تلك قصيدة للشيخ محمد بن حسين المرهبي، وهي قصيدة رثائية بينت ما كان يتمتع به علي بن الهادي من علم وادب، منها هذه الأبيات.

لا تلمني عن البكاء في الرسوم ** ما أنا في مبادئ التعليم

لست بالصادق النصيحة عندي ** في حديث يا عاذلي أو قديم

إن حزني على جمال المعالي ** لعظيم وازن ذاك العظيم

عالم بالبيان والنحو والصرف ** وفن المنثور والمنظوم

في بلدة ساقين بصعده. المطهر الجرموزي: تحفة الأسماع والأبصار. تحقيق : عبد الحكيم الهجري، صـ 199. عبد الإله الوزير: طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى. تحقيق : محمد جازم، مركزالدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط أولى، 1985م، صـ 180 . 181. إسماعيل الأكوع : هجر العلم . جـ 2، 778، عبدالسلام الوجيه : أعلام المؤلفين الزيدية . صـ 1051 . 1052.

لا تقل فيه بحر العلم ولكن ** قل جمال الأنام بحر العلوم[1]

ثالثاً: كان علي بن الهادي من الشخصيات السياسية المرموقة، فقد تولى حكم بلاد خولان بن عامر في عهد الإمام المتوكل على الله اسماعيل سنة 1083 هـ / 1673م[2]، كما تولى بعد ذلك كثيراً من البلاد، ومنها كما يبدو بلاد ذي السفال، لأن له ذريه بها باقية إلى اليوم[3].

رابعاً: كانت وفاته سنة 1108هـ / 1696م وهي فترة مقاربة للفترة التي عاش فيها مؤلف الكتاب، الذي كان حياً حتى سنة 1100هـ / 1688م، فقد ذكر أحداث وقعت في هذه السنة بقوله "وفي وقتنا هذا سنة ألف ومائة قد صارت بلدان اليمن الأسفل ..."[4].

ومن واقع الاستدلالات السابقة يرجح الباحث أن صاحب كتاب "**تاريخ دولة الترك في اليمن**" هو **علي بن المهدي بن الهادي بن علي بن أحمد بن سليمان اليوسفي المعروف بالنوعة المتوفى سنة 1108هـ / 1696م.**

وما يتعلق باسم كتابه فإن أسمه يظل .كما هو معروف الآن . "تاريخ دولة الترك في اليمن" إلى أن تستجد معلومات حول الاسم الصحيح للكتاب.

أولئك هم أشهر المؤرخين اليمنيين الذين مثلوا نموذجاً لاشتراك العلماء في أحداث الصراع السياسي والفكري في اليمن خلال العهد العثماني الأول. حيث دونوا أحداث تلك الفترة من وجهات نظر متباينة ، وبأساليب وطرق مختلفة فأختص بعضهم بكتابة التاريخ العام أمثال المؤرخ عبدالله بن داعر، والبعض الآخر أرخ لفترة زمنية محددة

([1]) محمد بن محمد زبارة: نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف. صنعاء، مركز الدراسات البحوث اليمني، ط الثانية، 1985م، جـ 2 ، صـ 286.

([2]) عبد الإله الوزير : طبق الحلوى. صـ 304 .

([3]) محمد زبارة : نشر العرف. صـ 286 .

([4]) مؤرخ مجهول : تاريخ دولة الترك . ق 65 .

أمثال المؤرخ أحمد بن فيروز، والمؤرخ عبد الصمد الموزعي، أخرون أرخوا لحكام أو أسرة معينة أمثال المطيب، الجرموزي، ومن تلك المؤلفات ما جاء على شكل أرجوزة شعرية مثل كتاب التيجان.

والجدير بالذكر أن التنوع في الكتابة قابله تنوع في توجهات المؤرخين من حيث التحيز والموضوعية. كما ارتبطت غزارة الإنتاج الفكري . عدد المصنفات التاريخية . للمؤرخين المنحازين لطرفي الصراع السياسي، بالظروف السياسية والتاريخية التي مرت بها القوى المتصارعة من حيث القوة والضعف، وهو ما تم الإشارة إليه سابقاً.

وعلى الرغم من تنوع أساليب وطرق كتابة التاريخ لدى المؤرخين إلا أن هناك صفات جمعت بين مؤرخي كل طرف من أطراف الصراع .

حيث نجد أن مؤرخي السلطة اشتركوا في الصفات الآتية: .

. معظمهم كانوا من مناطق اليمن الأسفل، التي خضعت لسيطرة العثمانيين لفترات تاريخية طويلة، وشهدت نوعاً من الاستقرار السياسي.

ـ أغلبهم من يتبعون المذاهب السنية . الشافعي، الحنفي . المنتشرة في مناطق اليمن الأسفل وتهامة.

. حظي معظم هؤلاء المؤرخين بدعم ورعاية الولاة العثمانيين، والكثير منهم كانوا من موظفي الدولة الرسميين الذين عملوا في القضاء، والتدريس، والإفتاء.

. صنفت معظم مؤلفاتهم تلبية لطلب الولاة العثمانيين، أو كنوع من الاعتراف بالجميل من قبل المؤرخين تجاه أصحاب الفضل من الولاة والحكام. وكنوع من التكسب.

ـ أُهمل ذكر معظم هؤلاء المؤرخين في كتب التراجم، ويبدو أن تحيزهم إلى جانب العثمانيين ومعاداتهم للأئمة كان سبب ذلك الإهمال، خاصة وأن الفترة التي أعقبت

خروج العثمانيين كانت السيادة فيها للأئمة الزيدية. فسادت بذلك ثقافة المنتصر الذي يظهر من التراث ما يخدم مواقفه، و يمحو ما يعارضها.

- معظم مؤلفاتهم التاريخية خرجت من اليمن، وحفظت في المكتبات العالمية عامة والتركية خاصة. وذلك لأن الكثير منها أهدى إلى الولاة والحكام، واغلبها صُنف بطلب من الولاة الذين أخذوها معهم بهدف إبراز أعمالهم أمام مرؤسيهم، يضاف إلى ذلك أن ثقافة المرحلة التي ساد الحكم فيها للأئمة الزيدية عقب خروج العثمانيين أعاقت إعادة نسخ هذه الكتب، باعتبارها كتباً غير مرغوب فيها لما تحمله في طياتها من أفكار تعارض السلطة القائمة[1].

ومثلما اجتمعت في مؤرخي السلطة صفات مشتركة، فإن مؤرخي المعارضة

اجتمعت فيهم الصفات الآتية :

. ينتمي أغلبهم إلىمناطق اليمن الشمالية، وهي مناطق عادة ما كانت مركزاً لانطلاق دعوات أئمة الزيدية، ومعاقلاً تحصنوا فيها أثناء حروبهم مع العثمانيين.

. معظمهم من اتباع المذهب الزيدي المنتشر في أغلب مناطق اليمن الشمالية، وهو مذهب الأئمة المعارضين للدولة العثمانية.

- ينتمي أكثر هؤلاء المؤرخين إلى أسر الأئمة أو الأشراف، كما كانوا من المقربين إلى الأئمة إما بحكم قرابة النسب أو لتوليهم المناصب العليا في الدولة في المجالات الإدارية منها أو العسكرية.

- نُسِخَت معظم مؤلفاتهم بأعداد كبيرة، وحُفِظَت داخل اليمن وخارجه. حيث كانت ظاهرة نسخ هذه الكتب وإهدائها سائدة آنذاك، كنوع من تمجيد ذكرى الأسلاف في

([1]) سيد سالم : المؤرخون اليمنيون . صـ 39، 67 .

صراعهم مع العثمانيين، خاصة وأن ثقافة الأئمة الزيدية المنتصرين قد سادت خلال تلك الفترة وما أعقبها حتى سنة 1962م[1].

([1]) سيد سالم : المؤرخون اليمنيون. صـ 67 ، 68.

عوامل ازدهار حركة التأليف التاريخي في العهد العثماني الأول:

شهدت حركة التأليف التاريخي في اليمن في العهد العثماني الأول (945ـ 1045هـ / 1538ـ 1635م) نشاطاً نوعياً متفرداً، تمثل في ظهور أكثر من خمسين مؤرخاً خلال هذه الفترة، تناولوا في مؤلفاتهم التاريخية الأوضاع والنواحي المختلفة لأحداث تلك المرحلة[1]، كما شهدت هذه الفترة حالة من الصراع الفكري بين مؤرخي السلطة، ومؤرخي المعارضة، مما جعلها أكثر تميزاً عن غيرها من الفترات التاريخية، وذلك بنوعية وخصوصية ما ظهر خلالها من كتابات تاريخية تناولت أحداث تلك الفترة من وجهات نظر مختلفة، تعكس أراء ومواقف مؤلفيها تجاه تلك الأحداث. وهذا التفرد والتميز في الكتابات التاريخية يعتبر حالة منفردة لم تتكرر في المراحل التاريخية اللاحقة، أي في العهد العثماني الثاني1289 .1337هـ / 1872ـ1918م ، على الرغم من تشابه الظروف التاريخية بين الفترة الأولى للحكم العثماني في ليمن والفترة الثانية، إلا أن حركة التأليف لم تشهد صراعاً فكرياً بين المؤرخين اليمنيين، فلم يظهر مؤرخون مؤيدون للعثمانيين . حسب علمي . خلال مراحل الصراع السياسي بين الدولة العثمانية والقوى المحلية بزعامة الإئمة الزيدية، ولم تفرز الفترة نفسها نتاجاً تاريخياً مماثل للفترة السابقة من حيث عدد المؤرخين، كما أن المؤلفات التاريخية دونت أحداث الصراع من طرف واحد وهو الطرف المؤيد للأئمة[2].

الأمر الذي أكسب هذه الفترة من تاريخ حركة التأليف التاريخي في اليمن هذه الميزة والتفرد وعكس مدى الازدهار الذي حظيت به[1].

([1]) حسين العمري : المؤرخون اليمنيون . صـ 17

([2]) ذكر الدكتور حسين العمري في كتابه المؤرخون اليمنيون في العصر الحديث. أربعة من المؤرخين اليمنيين في العهد العثماني الثاني، وهم ممن ألفوا سيرة ثلاثة من الأئمة، دون أن يشير إلى وجود مؤرخين لنفس الفترة دونوا أحداثها من وجهة نظر متحيزة إلى جانب العثمانيين. حسين العمري: نفس المرجع. صـ94. 96.

([1]) أبدى الدكتور سيد سالم إعجابه واندهاشه من النشاط الذي حظيت به حركة التأليف التاريخي في اليمن. من حيث عدد المؤرخين و تنوع الكتابة التاريخية، في القرنيين العاشر والحادي عشر الهجريين / السادس عشر والسابع عشر الميلاديين. مقارنة بمثيلتها في مصر والتي لم يظهر بها غير أثنين من المؤرخين هما ابن أياس وابن أبى السرور البكري . سيد سالم: المؤرخون اليمنيون . صـ1.

إلا أن ما يثير التساؤل:ما هي العوامل التي أدت إلى ازدهار حركة التأليف التاريخي في اليمن خلال مرحلة الحكم العثماني الأول ؟

قُبيل محاولة الإجابة على التساؤل السابق، ينبغي معرفة أن هذا الازدهار لم يكن وليد تلك اللحظة التاريخية. بل كان نتيجة تراكم فكري ومعرفي وسياسي لعصور ومراحل سابقة، شكلت في مجملها العوامل الأساسية المؤثرة في ازدهار حركة التأليف في فترة الدراسة، مع تفرد هذه الفترة بمتغيرات آنية خاصة بها.

فثمة عوامل ذات طابع ثابت أثرت في الحياة الفكرية والحضارية بما فيها حركة التأليف التاريخي في اليمن على مر العصور. وفي الوقت نفسه لعبت المتغيرات الآنية دوراً في ازدهار هذه الحركة خلال فترة الدراسة، وأبرزت ملامح تميزها وتخصصها. وتتمثّل هذه العوامل بالأتي:.

أولاً : أهمية علم التاريخ:

يعد علم التاريخ أقرب العلوم إلى قلب الإنسان، لما يحمله من العظات والعبر التي مرت بها الأقوام والمجتمعات منذ القدم، فالإنسان كثيراً ما يتوق إلى معرفة ماضيه، كما أن التاريخ من اكثر العلوم اتصالاً بالسياسة وشؤون الدولة، وكثيراً ما يتخذ وسيلة من وسائل الدعوة، ولذا فإن بعض المؤرخين كانوا يتقربون من الحكام والولاة بروايات ترضيهم[1]، و احتلوا بفضله مراكز مرموقة في الدولة.

وقد جاء تأكيد الإسلام على أهمية علم التاريخ حيث أسهم في تعزيز مكانته بين العلوم الأخرى، وذلك بما ورد في القرآن والسنة النبوية من آيات وأحاديث تحكي قصص الأقوام الغابرة، ودعوة الإنسان للتفكر والتدبر فيها لأخذ العظة والعبرة [1]. وأكد العلماء المسلمون على أهمية علم التاريخ بتعريفاتهم المختلفة له . لا يسع المجال هنا لذكرها . ولعل أهم من أبرز أهميه التاريخ وعرفه بطريقة فلسفية هو العالم المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون بقوله "أعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم

([1]) أحمد أمين : ضحى الإسلام . جـ2 ، صـ 26 .

([1]) محمد أحمد الكامل: التدوين التاريخي في القرن الثامن الهجري. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صنعاء ، 2000م ، صـ 51.

والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الإقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا" وقال أيضاً "التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال، وتشد إليه الركائب والرحال، وتسمو إلى معرفته السوقة والأغفال، وتتنافس فيه الملوك والأقيال، ويتساوى في فهمه العلماء والجهال، إذ هو في ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأول [...] وفي باطنه نظر وتحقيق ، وتعليل للكائنات، ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لهذا أصيل في الحكمة عريق"[1].

وقد أدرك المؤرخون اليمنيون في العهد العثماني الأول أهمية علم التاريخ ومدى ارتباطه بالسياسة والحكم، وما فيه من فائدة في تجنب الأخطاء وتحاشي الزلات، والاعتبار مما مضى. وإدراكهم هذا دفعهم إلى الاشتراك في أحداث الصراع السياسي الدائر آنذاك بين القوى المحلية بزعامة الأئمة الزيدية ، والدولة العثمانية بتأليف مصنفات تاريخية مثلت نوعاً من الدعاية الإعلامية لهذا الطرف أو ذاك ، وقد عبر المؤرخون عن تلك الأهمية بأساليب وطرق مختلفة.

منها قول المؤرخ عيسى بن لطف الله في مقدمة كتابه روح الروح "ثم أن أول ما يعتمده أولو الأمر وأصحاب الزمان، ومن بأيديهم مقاليد المُلك والسلطان [...] إدمان النظر في كتب السير، والتتبع للأخبار، والآثار، والتفكير في حال من مضى من الأخيار والأشرار [...]، ويآخذوا من الأمور بأحزمها، ومن التجارب بأحكمها، فمهما تكن من حسنة اقتبسوا منها، ومهما تكن من سيئة ارتدعوا عنها [...]، لأن العقل غريزة في الإنسان، والتجارب مكتسبة في الزمان والرأي لقاح العقل والتجربة نتاجه" [1].

وأكد صلاح بن داعر في مقدمة كتابه "سيرة الإمام شرف الدين" على أهمية علم التاريخ بقولة "فإنه لما كان الزمان ذا عبر لمن اعتبر، وتقلب أحواله موعظة لمن ازدجر، أحببت أن أضع في هذه النبذة اليسيرة شيئاً مما شاهدته من أحوال ملوك

([1]) عبد الرحمن بن خلدون : مقدمة ابن خلدون . يروت، دار الفكر ، ط أولى، 1997م ، صـ5، 7.

([1]) عيسى بن لطف الله : روح الروح . تحقيق : إبراهيم المقحفي، صـ 8 . 9.

اليمن، وتحول كثير في مدة قصيرة، ليستعين من كان له قلب، أو ألقي السمع وله بصيرة"[1].

ثانياً : الموقع والموضع الجغرافي.

يتميز اليمن بموقع جغرافي على جانب كبير من الأهمية، إذ يقع على الطرف الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية،عند نقطة يلتقي فيها البحر الأحمر بالبحر العربي، وتتقارب عندها القارتين الأسيوية والإفريقية .

وقد لعب هذا الموقع الجغرافي المتميز لليمن دوراً كبيراً في إثراء الجوانب الحضارية لليمنيين منذ أقدم العصور، حيث شكل حلقة وصل بين الحضارات القديمة، ووسيلة اتصال اليمن بتلك الحضارات[2].

كما أن وقوع اليمن على طرق التجارة القديمة، البرية منها والبحرية بين الشرق والغرب، قد جعل موانئه ومدنه الساحلية تتصل بتلك الحضارات المختلفة، بما تحمله من ثقافات وعلوم وفنون متباينة، الأمرالذي أفرز نوعاً من التأثير والتأثر بين تلك الحضارات والحضارة اليمنية[3] .

لقد شهدت مدن السواحل اليمنية مثل المخا، وعدن، والشحر ازدهارا حضارياً وثقافياً متميزاً، تمثل في وصول العديد من الأقوام المختلفة ذات الثقافات المتباينة إلى هذه المدن وأستقرارهم بها، ووفود الكثير من العلماء وطلاب العلم والتجار إليها، كما ورودت إليها الكتب والمؤلفات العلمية، التي انتشرت فيما بعد في بقية أقاليم اليمن[1] وأنعكس ذلك إيجاباً على الحياة الفكرية، ومنها حركة التأليف التاريخي.

وفي حين أوجد الموقع الجغرافي تنوعاً ثقافياً وحضارياً، فإن الموضع الجغرافي أوجد تنوعاً سياسياً أيضاً. فاليمن تتميز بتكوينات تضاريسية مختلفة، تتمثل في الجبال العالية شديدة الوعورة، والهضاب، والأودية. وهذا التكوين التضاريسي، والبعد الجغرافي

([1]) صلاح بن داعر : سيرة الأمام شرف الدين . مجوع رقم 36 ، صـ 306.

([2]) سيد سالم : الفتح العثماني . صـ 30.

([3]) بدر الأغبري : عوامل ازدهار التعليم في عصر الدولة الرسولية. ندوة الحياة العلمية والفكرية في عصر الدولة الرسولية، جامعة عدن ، 2001 م، من صـ 211 إلى 227 ، صـ 217.

([1]) رياض المشرقي : التعليم في اليمن خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين. ندوة الحياة العلمية والفكرية في عصر الدولة الرسولية، جامعة عدن ، 2001 م. من صـ 237 إلى 255، صـ 237.

عن عواصم الخلافات الإسلامية، جعلها ملجأ حصين للكثير من القوى السياسية، الطامحة لإقامة دول مستقلة.

فقد شهد تاريخ اليمن السياسي ظهور العديد من الدول والإمارات المستقلة، والعصبيات المذهبية منذ القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي. والتي دخلت في صراعات سياسية وفكرية من أجل السيطرة على حكم اليمن الفتح العثماني[1]. فأوجد ذلك حراكاً ثقافياً أثرى الحياة الفكرية خاصة في مجال التأليف التاريخي في اليمن خلال تلك المراحل التاريخية.

ثالثاً: العامل المذهبي.

عرفت المذاهب الفقهية الإسلامية طريقها إلى اليمن في وقت مبكر، فكان المذهبان المالكي والحنفي هما السائدان في اليمن حتى أواخر القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي[2]، وكانت المصنفات الفقهية لتلك المذاهب تدرس في اليمن، ويرُجع إليها في أمور التشريع، أما المذهب الزيدي فقد انتشر في اليمن نهاية المائة الثالثة للهجرة / العاشرة للميلاد، على يد الإمام الهادي يحيى بن الحسين الرسي[3]، وبعد المائة الثالثة للهجرة حل المذهب الشافعي محل المذهب الحنفي، خاصة في مناطق اليمن الأسفل[4] . في حين أصبح المذهب الأباضي هو المذهب الرسمي في حضرموت منذ القرن الثالث الهجري وحتى القرن الخامس الهجري[1]، ومن ثم حل محله المذهب الشافعي في تلك المناطق[2].

([1]) سيد سالم : الفتح العثماني. صـ30،38 ، 39.

([2]) عمر بن سمرة الجعدي :طبقات فقهاء اليمن . تحقيق / فؤاد السيد، بيروت، دار الكتب العلمية،ط الثانية 1981م، صـ 89.

([3]) حسين العمري : المؤرخون اليمنيون . صـ 22.

([4]) أيمن فؤاد السيد : المذاهب الإسلامية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري. الدار المصرية اللبنانية، القاهرة،ط أولى، 1988م، صـ 85.

([1]) عوض سعيد باوزير : الفكر الثقافة. صـ 65.

([2]) زيد بن علي الفضيل: الصراع العثماني الإمامي في اليمن بين الأختلاف السياسي و الخلاف الطائفي. دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية عبر العصور، الدوحة، 2004م، صـ 503.

وانتشر المذهب الإسماعيلي في اليمن، والذي ظهر على شكل تنظيم سياسي منذ أواخر القرن الثالث الهجري، وأصبحت اليمن بذلك موئلاً لدعاته[1]، كما حمل الأيوبيون إلى اليمن المذهب الأشعري عند قدومهم سنة 569هـ / 1173م، وانتشر في كثير من المناطق اليمنية ومال إليه كثير من الشافعية [2].

وقد أثرت المذاهب المختلفة في الحياة الفكرية في اليمن، بما تحمله من موروث فقهي كبير، حيث أجمعت على جعل العلم والاجتهاد من شروط الخلافة والإمامة فيها[3] . فأسهم ذلك في وصول العديد من العلماء إلى سدة الحكم، الذين بدورهم عملوا على تشجيع العلم، وأسهموا مباشرة في تصنيف العديد من المؤلفات في شتى العلوم[4].

إن التنوع المذهبي " الفكري" الذي انتشر في اليمن على مر المراحل التاريخية قد أوجد حالة من التثاقف، والتبادل، والتتلمذ، والتنافس، والتناظر بين علماء المذاهب المختلفة[5]، والذي بدوره أفرز نوعاً من الحراك الفكري والثقافي. أسهم في تهيئة مناخ ملائم للازدهار الحضاري في اليمن، فظهرت العديد من المصنفات الفقهية، والأدبية، والفكرية، وفي شتى العلوم والمعارف متأثرة بالانتماء المذهبي لمؤلفيها[1]، والكتابة التاريخية جزء من تلك العلوم التي تأثرت بهذا التنوع المذهبي.

شهدت فترة الحكم العثماني الأول في اليمن ظهور العديد من المؤلفات التاريخية التي أنحاز مؤلفوها بحكم زيديتهم إلى جانب أئمة الزيدية في صراعهم مع العثمانيين، كما ظهرت أيضا مؤلفات تاريخية أنحاز مؤلفوها المنتمون إلى المذهبين الحنفي أو

([1]) اسماعيل الأكوع: مدخل إلى هجر العلم ومعاقله في اليمن. بيروت، دار الفكر المعاصر، ط أولى، 1995م، صـ 144.

([2]) أيمن فؤاد سيد : المذاهب الإسلامية. صـ 73 .

([3]) شروط الخليف كما أجمعت عليها معظم المذاهب الإسلامية هي : العدل ، العلم و الإجتهاد ، سلامة الحواس ، سلامة الأعضاء ، الرأي الصائب، الشجاعة ، النسب " أن يكون من قريش " . أبو الحسن علي بن محمد الماوردي :الأحكام السلطانية. تحقيق : رضوان السيد، بيروت، دار الطليعة، 1979م، صـ 6. وفي المذهب الزيدي الهادوي يشترط النسب العلوي الفاطمي. سبق الإشارة إلى ذلك.

([4]) عبد الله الحبشي: حكام اليمن المؤلفون المجتهدون. بيروت، دار القرآن الكريم، ط أولى، 1979م، صـ219 . 248.

([5]) تزخر كتب التراث اليمني بالعديد من المناظرات الفقهية والعلمية خاصة مناظرات علماء المعتزلة والأشاعرة ، وعلماء الزيدية والحنابلة. ايمن فؤاد يسد : نفس المرجع. صـ 76 . 77.

([1]) سيد سالم : المؤرخون اليمنيون . صـ 23 .

الشافعي إلى جانب العثمانيين في صراعهم مع الائمة الزيدية. حيث أتاح لهم التنوع المذهبي هامشاً واسعاً لرؤية الحدث التاريخي من مواقع مختلفة، وبوجهات نظر متباينة، أفرزت في نهاية الأمر نتاجاً علمياً ضخماً من المؤلفات التاريخية .

رابعاً : العامل السياسي.

شهدت اليمن خلال النصف الأول من القرن العاشر الهجري الهجري السادس عشر الميلادي حروباً سياسية وعسكرية بين الدولة العثمانية والقوى المحلية بزعامة الأئمة الزيدية . سبقت الأشارة إلى ذلك في الفصل الأول . و قد أفرز ذلك صراعاً في النواحي الفكرية، وذلك حين تبنت القوى المتصارعة خطابات دينية ذات مضامين سياسية في حروبها، وأعتمدوا على العلماء في صياغة المبررات الشرعية لتلك الحروب. فشهدت ميادين الفكر خلال تلك الفترة صراعاً بين العلماء خاصة المؤرخين. بدا ذلك واضحاً في ميدان التأليف التاريخي، حيث اشتركت فئتان من المؤرخين، فئة منهم انحازت إلى جانب العثمانيون، وأخرى إلى جانب القوى المحلية بزعامة الأئمة الزيدية. وعملت كل فئة على تبرير مواقف الجهة التي انحازت إلي جانبها، مبديةً الأعذار والمبررات لكل أفعالها وتصرفاتها، مؤكدة على شرعيتها. في الوقت نفسه شنت حملة دعائيه معادية للقوة الأخرى، وسفهت من أفعالها ومواقفها، وأكدت في الوقت نفسه على عدم شرعيتها، وذلك من خلال المؤلفات التاريخية التي كانت الفئتين تصنفها[1]، والتي مثلت وسيلة إعلام للقوى المتصارعة. فكان لاشتراك المؤرخين في تلك الأحداث . من خلال مصنفاتهم التاريخية . تأثيراً إيجابياً على حركة التأليف التاريخي كماً وكيفاً. أدى ذلك إلى غزارة الإنتاج الفكري من المؤلفات التاريخية التي دونت فيها أحداث الصراع السياسي وسير قادته وزعمائه لنفس الفترة التاريخية بطرق وأساليب مختلفة، ظهر فيه تأثر مؤلفيها بعوامل مذهبية وسياسية واجتماعية، فأبرزت تلك المصنفات المختلفة ملامح الأوضاع السياسية لليمن من وجهات نظر مختلفة، وهو ما ميز حركة التأليف التاريخي في هذه الفترة دون غيرها من الفترات التاريخية.

([1]) سيد سالم : المؤرخون اليمنيون . صـ 11 .

خامساً : تشجيع الحكام والولاة :

لعب الحكام والولاة في اليمن خلال فترة الدراسة دوراً كبيراً في ازدهار الحركة الفكرية بصفة عامة وحركة التأليف التاريخي بصفة خاصة، وذلك لما أبدوه من اهتمام كبير، و دعم مادي ومعنوي للعلم والعلماء. و اختلفت أوجه دعمهم فمنهم من شارك مباشرةً في العلم بالتصنيف والتأليف كما فعل الإمام شرف الدين ، حتى أخذ عليه بعض أهل عصره هذا الأمر واعتبروه إهمالا في حق الرعية حيث علق المؤرخ أحمد نب فيروز على ذلك بقوله "غير أن إهمال الولاة والمتصرفين على الرعايا، [الذين] بعد عليهم رفع شكايتهم إلى الإمام المذكور، وذلك لاشتغال الإمام بنشر العلم ومراجعة أهله، وعدم التفاته إلى البحث عن الولاة، ولما شوش عليه أمراء الدولة عرف إهمال الرعايا والبعد عنهم، فندم حيث لا ينفع الندم، واشتغاله بالعبادة والتدريس والتصنيف وإن كان حسناً محموداً إلا أن المطلوب ممن وكل إليه أمور الرعايا إنما هو فصل الحكومات، والمناظرة بين المتخاصمين، وإنصاف المظلومين"[1].

ومنهم من قرب العلماء إلى مجالسه وأهتم بهم، وقد وردت في كتب التاريخ والتراجم الكثير من الأخبار عن تقريب الولاة والحكام للعلماء، فقد منح السلطان عبدالله بن بدر الكثيري رتبة قاضي القضاة للعلامة محمد بن عبد الرحمن بن سراج الدين باجمال[2]. وندب الشيخ محمد بن عبدالرحيم باجابر ليوليه التدريس في مدرسة السلطان بدر في الشحر[3]. وذكر المؤرخ محمد المطيب أن بهرام باشا حين قدم إلى اليمن قرب العلماء إلى مجلسه ومنحهم الرعاية والاهتمام[4]. واشتهر الأمير علي بن الإمام شرف الدين[1] بحبه للعلم والعلماء وتقريبهم إليه، حيث جمع الكثير منهم في

([1]) أحمد بن فيروز: مطالع النيران . ق 19.

([2]) محمد باجمال: من علماء حضرموت المبرزين في علم الفقه والتاريخ ،تولى القضاء بعدن ورحل إلى الهند كانت وفاته سنة 1019هـ / 1610م. عبد الله الحبشي : مصادر الفكر . صـ 243.

([3]) محمد بن هاشم : الدولة الكثيرية . صـ 86.

([4]) محمد بن يحيى المطيب : بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام. مخطوطة محفوظة في المكتبة الوطنية في باريس، منها صورة محفوظة في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم 2289 تاريخ. . ق 5.

حصن ذي مرمر[2] وأغدق عليهم العطايا والمنح، وأصبح الحصن من أشهر مراكز العلم بفضل اهتمامه ورعايته[3]. كما ان المؤرخ عيسى بن لطف الله كان من خواص الوالي العثماني محمد باشا المشهور بحبه للعلم والعلماء[4].

حظيت المؤلفات العلمية ومنها التاريخية باهتمام الولاة والحكام خلال فترة الدراسة، وبلغت تلك الرعاية في بعض الأحيان إلى إقدام الحكام على إقامة الاحتفالات الرسمية عند استقدامهم أو شرائهم لبعض الكتب، كما حدث في عهد الإمام شرف الدين سنة 942هـ /1535م حين استقدم كتاب " التكميل الشاف لتفسير الكشاف"[5] إلى صنعاء، حيث أمر الإمام شرف الدين بأن يكون وصوله من صعده إلى صنعاء على محمل، وأن يتم زف الكتاب بالأرتاج والطبلخانات[6]. وأصبحت الكتب من أفضل الهدايا المتبادلة بين الأصدقاء والأعداء، فقد أهدى الإمام المؤيد محمد بن القاسم كتاب الكشاف [7] إلى الوالي العثماني محمد باشا سنة 1029هـ / 1619م[8]. واستقدم الوالي

([1]) ترجمته في القسم الثاني من هذه الدراسة .

([2]) حصن ذي مرمر : حصن تاريخي في وادي السر من بني حشيش شمال غرب صنعاء بحوالي 15كم، ورد أسم الحصن في العديد من النقوش القديمة ، هدم الحصن في عهد الإمام المؤيد بن القاسم ،ونقلت أبوابه وكثير من تجهيزاته إلى حصن شهارة ، أعاد بنائه الأمير أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم. الموسوعة اليمنية : جـ4 ، صـ 2615. إبراهيم المقحفي : معجم البلدان . جـ 2 ، صـ 1494.

([3]) يحيى بن محمد المقرائي : مكنون السر في تحرير نحارير السر. تحقيق : زيد الوزير، صنعاء، مركز الدرسات والبحوث اليمني،ط أولى، 2002م.. صـ146.

([4]) عيسى بن لطف الله : روح الروح. تحقيق: إبراهيم المقحفي، صـ 294 . 295.

([5]) كتاب التكميل الشاف في تفسير الكشاف، للعلامة محمد بن يحيى بهران ، جمع فيه بين فوائد كتاب الكشاف للزمخشري، وتفسير ابن كثير، وما يتعلق بالتفاسير القرآني والأحاديث النبوية ، وهو في ثمانية أجزاء. يحيى المقرائي: نفس المصدر، صـ 84. إبراهيم بن المفضل: السلوك الذهبية. نشر عبدالملك الطيب، صـ196.

([6]) يحيى المقرائي : نفس المصدر. صـ 84. الأرتاج والطبلخانات من أدوات الموسيقى

([7]) عنوان الكتاب " الكشاف في حقائق التنزيل " هو كتاب في علم التفسير للعلامة أبي القاسم جارالله بن محمد بن عمر الزمخشري المتوفى سنة 528هـ / 1133م. حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. بيروت، مكتبة المثنى، (د. ت)، جـ 2 ، صـ 1475.

([8]) يحيى بن الحسين : غاية الأماني . جـ2 ، صـ 815 .

العثماني جعفر باشا كتاب تفسير أبي السعود[1] من استانبول إلى اليمن ونسخ منه عدة نسخ[2] .

لم يقتصر دور الحكام والولاة على الاهتمام بالعلم وتقريب العلماء، بل أنهم أسهموا بشكل مباشر في تشجيع حركة التأليف التاريخي، خاصة وأن الساحة السياسية كانت تشهد حينها صراعاً سياسياً و فكرياً بين القوى المتنافسة، وذلك بتكليف المؤرخين تدوين أحداث الصراع للفترة نفسها أو للفترات السابقة وكتابة السير الذاتية لقادة وزعماء تلك الحروب.

فقد أشار المؤرخ عيسى بن لطف الله أن تأليفه لكتاب روح الروح جاء تلبية لرغبة الوالي العثماني محمد باشا بقوله " أنه ألزمني من لا يسعني خلافه في أمر من الأمور ولا يحسن غير اتباع مقاله [...] الوزير محمد حرس الله ملكه [...] ذِكر وصول الجراكسة إلى اليمن، وظهور تلك الحوادث والفتن"[3]. وذكر المؤرخ عبد الصمد الموزعي أن تأليفه لكتاب الإحسان كان بطلب من الوالي سفر باشا[4] ، الذي أراد وضع تاريخ يذكر فيه ابتداء الدولة العثمانية وأسباب وصولها إلى اليمن " فإنه سألني من تجب عليّ طاعته ولا يسعني مخالفته، الأفندي الأكبر [...] سفر وزير به الأوزار حُطت [...] أن أصنع له رسالة يعين فيها ابتداء خروج الدولة العثمانية [...] وإظهار معالم الدولة، وتبيين مآثر خيارهم"[5]. وبالغ الولاة العثمانيون في اهتمامهم بكتابة تاريخهم وسيرهم، وعملوا على تهيئة السبل أمام المؤرخين، لتحقيق ذلك. فقد ذكر

([1]) تفسير أبي السعود نسبة إلى أبي السعود بن محمد بن العماد الحنف المتوفى 982 هـ / 1574م من علماء العثمانيين المستعربين كان مفسراً وشاعراً تقلد القضاء ، وأضيف إليه الإفتاء، وكتابه في التفسير هذا أسمه " إرشاد العقل السليم في مزايا الكتاب الكريم". حاجي خليفة: كشف الظنون. جـ 1، صـ 65.

([2]) سيد سالم : الفتح العثماني . صـ 388 .

([3]) عيسى بن لطف الله : روح الروح . تحقيق :إبراهيم المقحفي، صـ 7.

([4]) سفر آغا : أحد القادة العثمانيين وصل إلى اليمن سنة 1028 هـ / 1628م في عهد الوالي محمد باشا، عُين والياً على مدينة تعز ، قام بالعديد من الأعمال العسكرية في منطقة تعز. عبد الصمد الموزعي : الإحسان . تحقيق المعهد الفرنسي، صـ 124، 127.

([5]) عبد الصمد الموزعي : نفس المصدر. صـ 7 .

المؤرخ الجرموزي أن بعض قادة العثمانيين طلبوا من السيد محمد بن عبدالله الحوثي[1] أن يكتب لهم تاريخ سيرهم وحروبهم مع الإمام القاسم ، لكي يرسلوها إلى السلطان ، فأجابهم بأنه لا يستطيع ذلك دون أن يكون في منطقة قريبة من الإمام حتى يعرف أخباره، ويختلط بمن يعرف قضايا تلك الحروب، فما كان من القادة العثمانيين إلا أن بنوا له " لذلك داراً قل مثلها في حوث[2] في أيام الصلح [...] وجعلوا في أعلاه السقايا للماء فخالط الإمام عليه السلام مع ذلك على أنه يتحقق الأخبار"[3]

كما ألف الكثير من المؤرخين مصنفاتهم بغرض التقرب من الحكام والولاة، أو كنوع من الوفاء والامتنان تجاههم، وحفظاً لسيرهم من النسيان . فقد أكد المؤرخ عبد الله بن داعر أن تأليفه لكتاب الفتوحات المرادية وفاءً منه لدولة آل عثمان وللوالي العثماني حسن باشا[4]. وأشار المؤرخ المطيب الزبيدي إلى أن سبب تأليفه لكتابه " بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام " هومن باب الطاعة للدولة العثمانية بقوله " ألف هذا الكتاب خدمة للحضرة الشريفة والمكارم العلية المنيفة"[5]. وذكر المؤرخ المطهر الجرموزي أن سبب تأليفه لكتاب النبذة المشيرة لتوثيق وحفظ سيرة الإمام القاسم ممن بقي من الرجال الذين عاصروا سيرته بقوله "فإني قد سمعت الكثير من أخبار مولانا وإمامنا المنصور بالله القاسم بن محمد ، فرأيت أن أعلق في هذه المختصر ما أمكن ممن بقي ، واجعله في هذه الأوراق اليسيرة توقيعاً لما أمكن من الجمل"[6] .

وذكر المؤرخ الشرفي أن سبب تأليفه لكتابه اللآلئ المضيئة بقوله "كنت قد وقفت على كتاب اللواحق الندية للحدائق الوردية للعلامة بدر الدين محمد بن علي الزحيف رحمه الله، فوجدته كتاباً جليلاً مفيداً خلا أنه لم يتسق فيه ذكر المعارضين، ولا تاريخ

([1]) محمد بن عبدالله الحوثي من أولاد الإمام يحيى بن حمزة، وهو من العلماء المجتهدين، عاصر الإمام القاسم، له العديد من القصائد الشعرية المدونة في الكتب التاريخية، وتوفي بصنعاء. يحيى المقرائي : مكنون السر. تحقيق : زيد الوزير، هـ . صـ 80.

([2]) حوث : مدينة كبيرة ما بين صعده وصنعاء، وهي مركز قبيلة العصيمات من حاشد، ترجع شهرتها إلى أنها كانت أحدى أقدم هجر العلم . اساعيل الأكوع : هجر العلم . جـ 1، صـ 490. إبراهيم المقحفي : معجم البلدان . جـ1، صـ 527.

([3]) المطهر الجرموزي : النبذة المشيرة . تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، صـ 280، 281.

([4]) عبد الله بن داعر: الفتوحات المرادية. جـ1 ، قـ 2.

([5]) المطيب الزبيدي : بلوغ المرام . كتبت هذه العبارة على غلاف الكتاب .

([6]) المطهر الجرموزي : نفس المصدر. صـ 275.

دولتهم حيناً بعد حين، فالتقطت منه ما لابد من ذكره في صناعة التاريخ من ذكر النسب والوفاة والزمان [...] وجعلته كالشرح للبسامة، وأضفت إلى ذلك نبذاً من سير المعارضين"[1].

سادساً : العامل الذاتي.

يقصد بالعامل الذاتي هنا العامل المتعلق بالشخصية اليمنية . حيث لعبت شخصية الإنسان اليمني دوراً مهماً في ازدهار الحياة الفكرية، فكما هو معروف أن حضارة اليمنيين من أقدم الحضارات الإنسانية في العالم، والتي أثرت وتأثرت بالحضارات الأخرى بحكم موقعها وممارسة سكانها للتجارة. فأكتسب اليمنيون علوم ومعارف مختلفة المشارب على مر العصور، وأختزل الإنسان اليمني موروث حضارته والحضارات الأخرى التي تأثر بها ونهل من مشاربها في شخصيته، وتوارثت الأجيال ذلك الموروث، الذي أصبح من السمات الملازمة لشخصيتها.

وفترة الدراسة لا تختلف كثيراً عن غيرها من الفترات التاريخية الأخرى، التي يظهر فيها مدى تعلق الأنسان اليمني بالعلم والمعرفة واحترام العلماء ومراكزالعلم.
ومن الصعب إجمال مظاهر النشاط العلمي الذي كانت الشخصية اليمنية محورة الأساسي، لأن ذلك يحتاج إلى دراسة مستقلة بذاتها .

إلا أن هناك مظاهر لهذا النشاط تستحق الوقوف عندها لما تعكسه من قدرات الأنسان اليمني ودوره في تكريس جهوده لخدمة الفكر والعلم ، ويتمثل ذلك في الجهود الفردية منها والجماعية التي قام بها اليمنيون، والتي تمثل نموذجاً لمدى حبهم للعلم وتطلعهم إليه.

يُعد الرحالة اليمنيون نموذجاً للجهود الفردية في ازدهار العلم ، سواء أصحاب الرحلات الداخلية منهم أو الخارجية ، الذين سعوا إلى طلب العلم والرزق في أصقاع الأرض، وتزخر كتب الرحلات والتراجم بأسماء أولئك الرحالة، خاصة أبنا ء حضرموت الذين اشتهروا بحبهم للعلم، والسفر في طلبه إلى جانب طلب الرزق، فكانت وجهتهم من حضرموت إلى عدن وتعز وزبيد وغيرها من المدن الداخلية في اليمن، أو

([1]) أحمد الشرفي : اللآلئ المضيئة . تحقيق سلوى المؤيد، جـ2، صـ 28.

إلى مكة والمدينة، أو إلى بلاد الهند لطلب الرزق والعلم[1]. وأشهر من قام برحلات . خلال فترة الدراسة . إلى أصقاع مختلفة من الأرض، ودوّن أخبار رحلته في كتاب المؤرخ أحمد بن محمد بن مزاحم الجابري[1] صاحب كتاب "سفينة السفر" الذي دوّن تفاصيل رحلته التي قام بها سنة 996هـ / 1588م من الشحر إلى مكة والمدينة ، حيث يعد كتابه من المصادر المهمة التي يُرجع إليها لمعرفة أحوال ورجال تلك البلاد خلال الفترة التي زارها الرحالة الجابري .

ومن الرحالة في هذه الفترة أيضاً محمد بن علي بن حسين الأهدل[2]، الذي رحل إلى العديد من الأقاليم الإسلامية حيث زار مصر والعراق، وبلاد الروم، وقد تناقل المؤرخون تفاصيل رحلته، وعجائب ما ورد فيها[3].

في حين مثل الرحالة نموذجاً للجهد الفردي للشخصية اليمنية في طلب العلم ، فقد شكلت ظاهرة "هجر العلم " نموذجاً للجهد الجماعي "الأهلي" في دعم العلم والمتعلمين، وما أسهمت به تلك الهجر في رفد الحياة العلمية والفكرية بالعلماء والمؤرخين والفقهاء، وذلك بما كانت تقدمه القبائل من خدمات سواء منها التموينية أو الأمنية، لرواد تلك الهجر. حيث وضعت الأعراف القبلية "القوانيين" التي تلزم القبائل باحترام تلك الهجر والمقيمين بها، فأصدرت القبائل ما يعرف باسم "قاعدة التهجير" والتي تتضمن تعهد مشائخ وأعيان القبائل لسكان ونزلاء الهجر الواقعة بين أظهرهم من علماء وفقهاء بحمايتهم ورعايتهم[4]. وجعلت عقوبة من أعتدى على أهل الهجرة عقوبة مربعة . أربعة أضعاف . وتكفلت القبائل بحماية الهجر أيضاً من أي أعتداء خارجي ، كما كفلت الالتزام بتأدية المغارم[5]، ووفرت القبائل أسباب الرزق والمعاش لأسر العلماء ولطلاب العلم بتلك الهجر، وذلك بمنحهم زكاتها عند ما لا يوجد إمام أو حاكم قوي[6]. وعند وجود إمام قوي فإن القبائل تعطي في كثير من الأحيان لأهالي الهجر مالاً

([1]) سيد عوض باوزير: الفكر الثقافة. صـ91 .

([1]) ترجمته في القسم الثاني من هذه الدراسة .

([2]) لم أعثر له على ترجمة .

([3]) عبدالله الحبشي : الرحالة اليمنيون . صـ 19.

([4]) إسماعيل الأكوع : مدخل إلى هجر العلم .صـ23، .

([5]) نفس المرجع. صـ24 .

([6]) يحيى محمد المقرائي : مكنون السر. تحقيق : زيد الوزير، صـ73. 74 .

يساوي مقدار الزكاة التي تأخذها الدولة منهم، فكانت مسألة التموين مكفولة من قبلهم[1]، فشكلت بذلك الهجر ملجأً أمناً لطلاب العلم وأسرهم، ومناخاً مناسبا لتقلي العلم والمعرفة، كل ذلك بفضل رعاية القبائل (الأهالي). وقد استمر وضع الهجر على هذا الحال منذ نشأتها وإلى عهد قريب، وشكلت أحد روافد استمرارية الحياة الفكرية المزدهرة في اليمن خلال القرون الماضية.

سابعاً : النشاط العلمي.

إن إعداد العلماء علمياً وفقهياً ومنهم المؤرخين يحتم بالضرورة وجود مراكز علمية يتلقون فيها صنوف العلوم المختلفة، ويرتبط مدى ازدهار النشاط العلمي ومخرجاته في أي بلد بعدد هذه المراكز، واستمراريتها في رفد المجتمع بأجيال متعاقبة من العلماء، وبما تتطلبه هذه المراكز من مقومات الاستمرارية المتمثلة في رعاية الدولة، أو السلطة والأهالي وبمدى توافر الاستقرار السياسي، الذي يكفل لها مناخاً مناسباً لتأدية دورها المنوط بها.

وقد شهدت فترة الدراسة إنشاء العديد من المراكز العلمية في مختلف مناطق اليمن، التي كان لها دور كبير في رفد المجتمع بالعديد من العلماء. منها على سبيل المثال لا الحصر المدرسة الشمسية في ذمار التي أنشأها الإمام شرف الدين سنة 947هـ / 1540 م، ومدرسة الإسكندرية التي أسسها إسكندر موز في زبيد سنة 943هـ / 1536م، والمدرسة السلطانية التي أسسها السلطان بدر بوطويرق في الشحر سنة 959هـ/ 1551م، والمدرسة العادلية في صنعاء التي أسسها مراد باشا سنة 984 هـ / 1576م، والمدرسة البكيرية في صنعاء التي أسسها حسن باشا سنة 1005هـ / 1596م[2]، فشكلت هذه المراكز إلى جانب المراكز الأخرى التي بنيت في فترات سابقة عاملاً مهماً في ازدهار الحياة الفكرية ومنها حركة التأليف التاريخي في اليمن خلال هذه الفترة.

وهذه المراكز العلمية تشبه مثيلاتها في بقية أقاليم العالم الإسلامي، والتي عادةً ما كانت تتأثر بالصراعات السياسية والحروب، وفي بعض الأحيان تكون هدفاً للسلب

([1]) إسماعيل الأكوع : هجر العلم . جـ 1، صـ 6. 7.

([2]) إسماعيل الأكوع :المدارس الإسلامية . صـ396،360،358، 397 .

والنهب من قبل القوى المتصارعة، أو من الغوغاء، فنشاطها مرتبط بمدى استقرار الأوضاع السياسية.

والجدير بالذكر أن استمرارية الحركة العلمية في اليمن لم تشهد تدهوراً كبيراً، بالرغم مما عاشته اليمن من فترات اضطراب وصراعات سياسية منذ القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي . فترة ظهور الدويلات المستقلة . وحتى فترة الدراسة. ولعل ذلك يرجع إلى وجود نوع خاص من المراكز العلمية التي تفردت بها اليمن دون غيرها من الأقاليم الإسلامية[1]، تَمثّل ذلك في ظاهرة هجر العلم[2] التي انتشرت في مناطق كان يسودها المذهب الزيدي ، و معاقل العلم أو الأربطة التي انتشرت في مناطق يسودها المذهب الحنبلي أو الشافعي[3]. حيث تميزت هذه المراكز عن غيرها ببعدها عن ميادين الصراع والتنافس السياسي، فلم يحدث لها ما كان يحدث للمراكز العلمية في المدن من سلب ونهب بين الحين والأخر بسبب تلك الأحداث، كما حظيت برعاية الأهالي في مناطق تأسيسها خاصة الهجر وذلك بتوفيرهم الرزق والحماية لروادها و معلميها. فكانت موئلاً للعلماء وطلاب العلم، ورافداً من روافد الفكر والمعرفة التي شهدها تاريخ اليمن[4].

وفترة دراستنا من الفترات التاريخية التي جنت ثمار هجر العلم، حيث نجد أن كثيراً من مؤرخي اليمن خلالها كانوا ممن تلقوا تعليمهم في تلك الهجر، أو المعاقل منهم على سبيل المثال لا الحصر :

. المؤرخ عيسى بن لطف الله بن المطهر الذي عاش في هجرة كوكبان .

([1]) نظر القاضي إسماعيل الأكوع إلى أن ظاهرة الهجر " ظاهرة اجتماعية تدعو إلى الإعجاب بفكرة نشأتها ، وسر بقائها آماداً مختلفة ، وهذه الخصائص الفريدة في هجر العلم قد لا توجد في أي مركز من مراكز نشر الثقافة والتعليم في ديار المسلمين قاطبة ، ولا يوجد بلد إسلامي ظفر بمثل ما ظفرت به اليمن من وجود هجر العلم على ظهرها بمفوهمها الاصطلاحي الشائع، أو عرف نظائرها ،أو حذا حذوها في إيجاد ما يماثلها، أو ما يقرب منها تحت أي أسم من المسميات الدالة على مدلول الهجر في اليمن. إسماعيل الأكوع : هجر العلم . جـ 1 ، صـ 7.

([2]) الهجر : ومفردها هجرة هي القرية التي يهاجر إليها بعض أهل العلم المشهورين ليجعلوها دار إقامة لهم ، ويتخذون منها مكاناً لطلب العلم. لا يعرف على وجه الدقة أقدم هجرة ظهرت في اليمن. إسماعيل الأكوع : مدخل إلى هجر العلم . صـ 16. إسماعيل الأكوع : هجر العلم. جـ 1، صـ 7 .8.

([3]) إسماعيل الأكوع : نفس المرجع. جـ1 صـ10.

([4]) نفس المرجع. صـ 141.

. المؤرخ أحمد بن محمد الشرفي صاحب كتاب "اللآلئ المضيئة" الذي كان مولده في هجرة القويعة[1] سنة 975هـ / 1567م ، ثم سكن هجرة معمرة[2] حتى وفاته بها سنة 1055هـ / 1645م، وقد ذكر صاحب كتاب طبقات الزيدية الكبرى أن المؤرخ الشرفي ما أن "بلغ سن النضج حتى سعى إلى طلب العلم من هجرة إلى هجرة يتتلمذ على يد كبار علماء عصره"[3].

. المؤرخ المطهر الجرموزي صاحب كتب "النبذة المشيرة" ، و"الجوهرة المنيرة"، و"تحفة الأسماع والأبصار" ،الذي ينسب إلى هجرة بني جرموز.

كانت تلك هي أهم العوامل التي أدت إلى ازدهار حركة التأليف التاريخي في العهد العثماني الأول في اليمن، والتي شجعت على ظهور اتجاهين فيها. وقف الأول فيها إلى جانب العثمانيين، في حين وقف الثاني إلى جانب الأئمة الزيديين. وتجسدت تلك المساندة في مؤلفات اؤلئك المؤرخين، حيث عملوا من خلالها على نشر وترويج الخطابات السياسية التي تبناها طرفا الصراع، كما تجلت فيها أهم وسائل الدعاية التي وظفتها القوى المتصارعة لتحقيق المكاسب السياسية.

([1]) هجرة القويعة : هجرة خاربة في الغرب من مُجز ناحية بني جماعة من أعمال صعدة. اسماعيل الأكوع: هجر العلم. جـ3، صـ 1769.

([2]) هجرة معمرة : سبقت ترجمتها .

([3]) أبراهيم بن القاسم: طبقات الزيدية الكبرى . جـ1 ، صـ 182.

الفصل الثالث

توظيف الدين في خدمة الأغراض السياسية

من واقع كتابات المؤرخين

توظيف الدين في كتابات المؤرخين:

استدعى الصراع السياسي بين العثمانيين و أئمة الزيدية، وهما طرفان مُسلمان، إلى تبنيهما لخطابات دينية ذات مضمون سياسي، سعى كل طرف من خلالها إلى إثبات شرعيته وأحقيته في الحكم، وعمل على استغلال كافة الوسائط الاجتماعية، وتوظيف كل الوسائل لنشر وترويج مفاهيمه السياسية. فأوجد ذلك ميداناً جديداً من ميادين الصراع تمثل في مجال الفكر. لعب العلماء وخاصة المؤرخين دوراً كبيراً في في مراحله لا يقل عن دور القادة العسكريين في ميادين القتال.

فلم يقتصر تأثير المؤرخين في أحداث ذلك الصراع على ما دونوه في مؤلفاتهم التاريخية فحسب، فما دونوه فيها هو خلاصة أفكارهم، وحصيلة نهائية لجهود سنين من العمل الفكري الدعائي، الذي سعوا من خلاله إلى مخاطبة الأجيال القادمة وهو الهدف المعتاد من تدوين التاريخ. بل كان لهم تأثير مباشر في الهامش الاجتماعي الواسع، حيث عملوا على نشر وترويج خطابات القوى المتصارعة فيه وحاولوا أثبات شرعيتها، لإقناع فئات المجتمع المختلفة بعدالة موقف من انحازوا إليه. ومثلت حلقات العلم في صحون المساجد، وجلسات السمر، والمنادمة في المناسبات الدينية والاجتماعية، ومجالس القات وسائط مناسبة للقيام بذلك الدور. موظفين في ذلك قدراتهم العلمية واللغوية بما يتوافق والوسط الثقافي الذي خاطبوه.

وإذا أفترضنا أن مؤلفاتهم التاريخية لم تكن الوسيلة المباشرة، التي ساهموا من خلالها . كوسيلة إعلام . في أحداث الصراع. فإنها قطعاً قد كانت بمثابة وعاء أستوعب خطابات القوى المتصارعة، وتجسدت فيها صور الصراع ووسائله المختلفة، وتبلورت فيها أوراق اللعبة السياسية التي راهنت القوى المتصارعة عليها لتحقيق أهدافها السياسية، والتي من أجلها وظفت كل ما لديها من إمكانات بما في ذلك اللجوء إلى الدين .

فقد كان إيجاد السند الديني وتوظيفه سياسياً من أهم جوانب الصراع الفكري التي اعتنت به القوى المتصارعة، وجسده المؤرخون في مؤلفاتهم. ولم يكن توظيف الدين من قبل طرفي الصراع من باب المزايدة منهم، بل كان ضرورة حتمية فرضتها ظروف الصراع، فالحضارة الإسلامية في الأساس حضارة فقه[1]. وتأطير الأعمال السياسية دينياً يمنحها تبريراً شرعياً، ويخفي الشعور بالإثم عند من يقوم بها، ويحولها إلى واجبات دينية، يكون في قبولها وتنفيذها طاعة لله، وفي رفضها ومحاربتها، والابتعاد عنها معصية ومحاربة للإرادة الإلهية[2].

لذا فإن أهم ما اعتنت به القوى المتصارعة في خطابها السياسي، كان سعيها لإثبات شرعيتها، من خلال العودة إلى النصوص الدينية " القرآن لكريم" ، الحديث النبوي، والموروث الفقهي، لانتقاء وتأويل ما يتوافق منها . من وجهة نظرها . مع خطابها السياسي الذي تبنته، لإيجاد السند الديني لتدعيم واثبات هذه الشرعية.

انطلاقاً من هذا التوجه فقد اجتهد كل طرف في إيجاد ذلك السند، وتوظيفه لإثبات شرعيته، وتهميش خصمه السياسي، وإظهاره بمظهر المخالف والعاصي، الخارج عن الشريعة الإسلامية. وهو ما لم يكن بالأمر السهل، لأن هذا النوع من التوظيف موجه بالدرجة الأولى لمخاطبة أهل العلم "النخب المثقفة" في المجتمع، التي يصعب إقناعها بشرعية هذا الطرف أو ذاك، وكسب تأييدها إلا بالدليل الشرعي من الكتاب والسنة. الأمر الذي يتطلب دقة وعناية في اختيار النص القرآني، أو الحديث النبوي، أو الحكم الفقهي، بما يضفي على الأعمال السياسية والعسكرية، التي ستؤطر في إطاره نوعاً من الشرعية وفقاً لظروف الصراع. ولا يتأتى كل ذلك دون وجود مرجعية في الفقه السياسي الإسلامي، يتخذ منها هذا الطرف، أو ذاك قاعدة له في بناء خطابه السياسي.

وعلى الرغم من صعوبة إيجاد السند الديني وتوظيفه سياسياً، إلا أن طرفي الصراع بما فيهم المؤرخون، قد عملوا جاهدين من أجل إيجاده وتوظيفه بما يحقق مآربهم

([1]) محمد عابد الجابري : تكوين العقل العربي . بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،ط5 ، 1991م ، صـــ 96.

([2])عبد المجيد زراقط الشعر الأموي بين الفن والسلطان. بيروت، دار الباحث، ط أولى، 1983م، صـ67.

السياسية، ويتوافق مع ظروف الصراع وطبيعته، مستندين ذلك على مرجعيات مختلفة في الفقه السياسي الإسلامي.

فقد أتخذ أئمة الزيدية من موروث الفقه السياسي الزيدي . وهو الفقه الذي تقوم دعوتهم على أساسه . قاعدة لهم في بناء خطابهم السياسي، بما يحمله من ثوابت ومبادئ سواءً ما يتعلق منها بأصول الدين، أو بشروط الإمامة.

حيث أستثمروا بعض مبادئ ذلك الفكر، وصيروا منها ركائز أساسية في خطابهم الذي بنوا دعوتهم الدينية والسياسية عليه، بما يتوافق وظروف الصراع أنذاك. فكان مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أهم تلك المبادئ التي أنطلقوا منها في صرعهم مع العثمانيين. ويعد هذا المبدأ من أصول الدين الخمسة في المذهب الزيدي (الهادوي)[1]. إلى جانب بقية الأصول التي أشار إليها الإمام الهادي بقوله "ما لا يسع أحداً من المكلفين جهله معرفة أصول الدين،من توحيد الله، وعدله، وإثبات وعده ووعيده، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإثبات الإمامة في المصطفين من آل نبي الله"[2].

يستدعي تطبيق ذلك وفق الفكر الزيدي الهادوي أن يبادر المكلف إلى تغيير الأوضاع الفاسدة التي تظلم الإنسان وتحرمه العيش الكريم بالأخذ على يد الظالم إحياءً للحق، وهو ما أكده الإمام الهادي بقوله "وندين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن نصرة المظلوم والأخذ على يد الظالم فرض لازم، وحق واجب، لأن في ترك الأمر بالمعروف للحق إماته، وفي النهي عن المنكر للباطل إماته"[3].

كما جعلوا من مبدأ أثبات الإمامة في آل البيت أحد ركائز دعوتهم، وهذا المبدأ اصبح من أصول الدين الخمسة في المذهب الزيدي "الهادوي"، بعد أن أحله الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الرسي محل أصل المنزلة بين المنزلتين، الذي كان

([1]) نسبة إلى الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الرسي مؤسس المذهب الزيدي في اليمن، سبقت ترجمته في الفصل الأول.

([2]) علي زيد : معتزلة اليمن . صـ 222، نقلاً عن كتاب الأصول في الدين للإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الرسي. ق 103.

([3]) نفس المرجع. صـ 256.

من أصول الدين في المذهب الزيدي عند الإمام القاسم الرسي[1]، فأصبحت بذلك نظرية الإمامة واثباتها في آل البيت من أصول الدين، ومن القضايا الجوهرية التي ينبغي أقامتها لإصلاح شأن الأمة عند الزيدية [2].

إلى جانب تلك المبادئ فإن قضية محاربة الظلم، والخروج على الظلمة، كانت من الركائز الأساسية في خطابهم السياسي، وهذة القضية تعد من الأسس التي لا تثبت أمامة الداعي من آل البيت إلا بها، حيث يعد شرط الخروج على الحاكم الظالم، وإشهار السيف في وجه الظلمة شرطا من شروط الإمامة في المذهب الزيدي[3]. وهو الشرط الذي أكد عليه الإمام زيد بن علي (رضي الله عنه) بقوله "إن الإمام منا أهل البيت المُفترَضُ الطاعة على المسلمين الذي أشهر سيفه، ودعا إلى كتاب ربه وسنة نبيه، وجرت بذلك أحكامه وعرف بذلك قيامه، فذلك الذي لا تسمع جهالته، فأما عبد جالس في بيته مرخي عليه سترته تجري عليه احكام الظلمة، ولا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر فلن يكون ذلك إماما"[4].

كانت تلك أهم مبادئ الفكر الزيدي، التي أنطلق منها أئمة الزيدية في صراعهم مع العثمانيين، مستثمرين في ذلك ظروف المرحلة لتحويل تلك المبادئ إلى مواقف سياسية شرعية. حيث شكلت الممارسات الخاطئة، والأفعال القبيحة التي أقترفها بعض الولاة العثمانيين الحجة والذريعة و العناصر الرئيسة التي بنى عليها أئمة الزيدية خطابهم السياسي، الذي أظهروا من خلاله ممثلي الدولة العثمانية بمظهر الظالمين الفاسقين،

([1]) هو الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب المعروف بالرسي نسبة إلى جبل الرسّ في المدينة المنورة التي كان مولده بها، دعا لنفسه بالإمامة سنة 220هـ/ 835م، في عهد الخليفة العباسي المعتصم، دخل في حروب مع العباسيين، أعتزل السياسة بعد ضايقه بني العباس وفضل التفرغ للعلم، ويعد الإمام القاسم من أشهر علماء آل البيت وله العديد من المؤلفات في الفقه= =وعلم الكلاموغيرها كانت وفاته عام 246هـ / 860م. مجد الدين المؤيدي : التحف شرح الزلف. صنعاء، مكتبة بدر، 1997م، جـ3، صـ 145 . 148. عبدالسلام الوجيه: أعلام المؤلفين. صت 860.

([2]) علي زيد : معتزلة اليمن. صـ223،222 .

([3]) يعد الخروج على الحاكم الظالم وإشهار السيف في وجه الظلمة احد شروط الإمامة في المذهب الزيدي إلى جانب بقية الشروط وهي أن يكون الإمام : ذكراً، حراً، فاطمياً، سليم الحواس والأطراف، سخياًَ، مدبراً، مقداماً، ورعاً، عالماً، شجاعاً، مجتهداً، عادلاً. علي زيد: نفس المرجع، صـ 221.

([4]) عبد الفتاح شايف: الإمام الهادي. صـ22. نقلا عن علي بن محمد العباسي: سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين . صـ 28.

واعتبروا أن استمرارهم في حكم اليمن هو اغتصاب لحق آل البيت، الذي يجب أن يكون الحكم والإمامة فيهم. فهيأت تلك الظروف مناخات مناسبة لإعلان الجهاد ضدهم بقيادة الرضا من آل البيت.

وتطبيقاً لذلك شن أئمة الزيدية حرباً شاملة ضد الحكم العثماني تحت هذه المبررات. واستحضروا ما أمكن استحضاره من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، والأحكام الفقهية، لتأكيد شرعية مطالبهم وحربهم تلك.

وفي الوقت الذي اعتمد فيه أئمة الزيدية في صراعهم مع العثمانيين على مفردات الفكر الزيدي، فإن العثمانيين ومؤيديهم رأوا أن سلاطينهم هم أولو أمر المسلمين الواجبة طاعتهم، وعدم الخروج عليهم، و أن دولتهم تمثل استمراراً تاريخياً لدولة الخلافة الإسلامية، وأن حكمها في الأقاليم التي سيطرة عليها هو حكم شرعي "سلطة شرعياً"، خاصة بعد تولي سلاطينها مسئولية حماية الأماكن المقدسة في مكة والمدينة. وهو ما يعرف في الفكر السياسي الإسلامي بخلافة القوة أو خلافة الغلبة، التي ينعقد الإجماع على قبول شرعيتها. بناءً على القاعدة الفقهية القائمة على أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح. والتي يعد فيها الخروج علي الحاكم، أو السلطة بغي وشق لعصا المسلمين، نظراً للأضرار الجسيمة، التي تترتب على ذلك الخروج، كون المتغلب أو المستولي على السلطة عادة ما يمتلك القوة، وطرق إزالته لا تتحقق إلا بالقوة، وهو ما قد يؤدي إلى ضرر أكبر يتمثل في نشوب الحروب والفتن الداخلية، التي تلحق الأذى بالمسلمين[1].

لذلك رأوا إن وصولهم إلي اليمن وحكمهم له هو أمر شرعي، خاصة وأن ذلك الوصول كان في إطار الهدف الديني الواسع لحملتهم التوسعية في جنوب البحر الأحمر، المتمثل في جهاد الفرنج وحماية ثغور الإسلام من الخطر الصليبي.

ومن هذا المنطلق جاء الخطاب السياسي العثماني مرتكزاً على فكرة طاعة أُولِيّ الأمر، وعدم الخروج عليهم، وأن ما يقوم به الأئمة الزيدية يعد نوعاً من الفتنة، تجلى ذلك في مؤلفات مؤرخيهم الذين عملوا على تدعيم هذا التوجه السياسي بما أمكن من النصوص الدينية والأحاديث النبوية.

([1]) فؤاد محمد النادي: موسوعة الفقه السياسي الإسلامي،طرق اختيار الخليفة. القاهرة، دار الكتاب لجامعي، ط أولى ، 1980م، صـ 220.222.

انطلاقا من تلك المرجعيات الفكرية سعت القوى المتصارعة إلى توظيف السند الديني، بما يخدم مصالحها السياسية، وتفاوتت درجة التوظيف تلك من قبل أطراف الصراع، وفق الظروف التي كان يمر بها كل طرف. حيث أعتمد أئمة الزيدية بشكل كبير على توظيف الأسانيد الدينية لخدمة قضيتهم السياسية، ويأتي ذلك نتيجة الوضعية السياسية التي كانوا يمرون بها، فهم يمثلون قوة معارضة للسلطة، وهذا الموقف المعارض "الثائر" بحاجة إلى أن يمتلك خطاباً قوياً معززاً بالأسانيد الدينية التي تبرر هذه المعارضة وتجيز الخروج. لذلك فقد كان خطاب أئمة الزيدية مليئاً بتلك الأسانيد. بدا ذلك واضحاً في رسائلهم و خطبهم السياسية، التي كانت وسيلتهم الأساسية في شرح مبادئ دعوتهم. والتي تكفل مؤرخوهم بتدوينها في ومؤلفات.

وتجدر الأشارة إلى أن الدولة العثمانية، ومناصريها قليلاً ما اعتمدوا على الأسانيد الدينية في صراعهم مع أئمة الزيدية. لأن هذا النوع من التوظيف يكون لغرض الإقناع، والدولة العثمانية لم تكن بحاجة . على ما يبدو . لإقناع الناس بشرعيتها، بقدر ما كانت بحاجة لإيجاد الدليل على عدم شرعية من يخرج عليها. ومن هنا كان توظيفها للأسانيد الدينية . إلى حد كبير . مقصوراً على مسألة إظهار طاعة الحاكم، وعدم الخروج عليه، والتأكيد على أن ما يقوم به أئمة الزيدية هو نوع من الفتنة، والبغي، والخروج وشق عصا الجماعة، الأمر الذي يجيز لصاحب الشرعية محاربته. وتجلى هذا الأمر واضحاً في مراسلات سلاطينها، ومؤلفات مؤرخيها.

على أية حال فإن الأسانيد الدينية التي وظفتها القوى المتصارعة، أخذت أشكال مختلفة بما يخدم مفرداتها السياسية، فقد جاءت إما على شكل "نص قرآني"، أو "حديث نبوي"، أو "حكم فقهي".

توظيف النص القرآني والحديث النبوي.

يأتي استثمار النص القرآني، والحديث النبوي من قبل أطراف الصراع السياسي، وانتقاء ما يتصورونه مناسباً منها لخدمة قضيتهم السياسية، من باب توظيف الدين لكسب الشرعية، وإيجاد المسوغات التي تبرر الحرب. فالنصوص الدينية لها تأثير كبير في حشد المؤيدين والأنصار في ساحة المعارك، لأن العقل تابع للنص، والإنسان المسلم الذي يبحث عن الحق، ويسعى لمناصرته يصبح مرهوناً بتلك النصوص[1].

وتوظيف الدين في خدمة القضايا السياسية . في فترة الدراسة . ليس بالأمر الجديد، فالتاريخ الإسلامي مليء بالشواهد التي كان فيها الدين بشقيه "النص القرآني والحديث النبوي" أداة من أدوات الصراع السياسي. ولعل أول توظيف للنصوص القرآنية في التاريخ السياسي الإسلامي، كان في أحداث الخلاف السياسي بين الإمام علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، حين عمل معاوية على إقناع الناس في معركة صفين، بأن حربه مع الإمام علي أمر مقدر من الله تعالى لا مناص منه بقوله "وقد كان فيما قضاه الله أن ساقتنا المقادير إلى هذه البقعة من الأرض، ولّفت بيننا وبين أهل العراق، فنحن من الله بمنظر، وقد قال الله تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[2]. وحين ظهرت بوادر هزيمة جيشه في تلك المعركة لجأ إلى رفع المصاحف على أسنة السلاح، داعياً الإمام علي إلى الصلح والاحتكام إلى كتاب الله، وتلا أحد رجاله قول الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوْتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾[1]، وهو ما جعل الإمام علي يوافق على مسألة التحكيم[2].

ولا يختلف التوظيف السياسي للحديث عن النص القرآني، بل أن مجاله أوسع. إذ تعد أحاديث مناقب الرجال وفضائل البلدان من المواضيع التي تسابق النسابون إلى

([1]) نصر حامد أبو زيد: نقد الخطاب الديني. القاهرة، مكتبة مدبولي،ط الثالثة، 1995م، صـ103.

([2]) سورة البقرة: آية 253. محمد عابد الجابري: المسألة الثقافية. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،ط1، 1994م، صـ149.

([1]) آل عمران : أية 22.

([2]) محمد علي أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام. الإسكندرية،دار المعرفة الجامعية، 1993م. صـ126.

وضع الأحاديث فيها، وكثيراً ما يلجأ الساسة والمؤرخون إليها لتحقيق أغراضهم السياسية[1]. والتاريخ السياسي الإسلامي ملئ بالشواهد التي وظف فيها الحديث في النزاعات والصراعات السياسية.

كانت البداية الأولى لذلك عقب وفاة الرسول اللهﷺ حين أجتمع المسلمون في سقيفة بني ساعدة لاختيار خليفة لهم، ووقع حينها النزاع بين المهاجرين والانصار حول من يخلف الرسول اللهﷺ، وكاد ذلك النزاع يصل إلى درجة الفتنة. إلى أن تدخل أبو بكر الصديق وفك ذلك الخلاف بما رواه من حديث رسول اللهﷺ " الأئمة من قريش"[2]، فكان ذلك الحديث قاعدة سار عليها الفقهاء المسلمون في اختيار الخليفة حيث أصبح النسب القرشي أحد شروط الخلافة عند الكثير منهم[3].

واستمر التوظيف السياسي للحديث النبوي في العهد الأموي، أثناء الصراع الذي دار بين آل البيت وبني أمية[4]. فقد وظفت أحاديث الفضائل، التي تمدح الأشخاص والأماكن، والأمم، والقبائل، إذ عمل بني أمية على ترويج العديد من الأحاديث التي تمدح معاوية وتظهر فضله، في حروبه مع الإمام علي. ومنها حديث " الأمناء ثلاثة أنا وجبريل ومعاوية"[1]، وحديث "اللهم علم معاوية الكتاب ومكن له في البلاد، ووقِهِ العذاب"[2]، وغيرها من الأحاديث التي تظهر مناقب الأمويين[3].

وفي فترة الصراع الاموي . العباسي، كان الحديث من الوسائل التي لجأ إليها الطرفان لتحقيق المكاسب السياسية، حيث عملا على نشر وترويج الأحاديث التي من شأنها أن ترفع مكانة هذا الطرف وتحط من قدر خصمه السياسي.

فقد عمل الخلفاء العباسيون على نشر الكثير من الأحاديث التي تحط من مكانة بني أمية . والتي قيل أنها وردت على لسان رسول اللهﷺ ومنها حديث "رأيت بني

([1]) أحمد أمين: ضحى الإسلام. جـ2، صـ132.

([2]) ورد الحديث بلفظ "الأئمة من قريش، إذا أسترحموا رحموا، إذا عاهدوا وفوا، وإذا حكموا عدلوا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين". مسند الإمام أحمد بن حنبل حديث رقم 19404.

([3]) فؤاد النادي: موسوعة الفقه السياسي. صـ77.

([4]) عبدالمجيد زراقط الشعر الأموي. صـ 67.

([1]) ذكره الحسن بن هبه الله بن عبدالله الشافعي المعروف بابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق. تحقيق :محب الدين بن سعيد بن غرامه العمروي، بيروت، دار الفكر، 1995م، جـ27، صـ 135.

([2]) نفس المصدر. جـ59، صـ 75.

([3]) محمد عابد الجابري: مسالة الثقافة. صـ 150.

مروان يتعاورون على منبري فساءني ذلك، ورأيت بني العباس يتعاورون على منبري فسرني ذلك"[1]، كما انتشرت في عهدهم . أي بني العباس . أحاديث رفعت من شأنهم، منها ما روي عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول اللهﷺ مخاطباً عمه العباس "فيكم النبوة والمملكة"[2] وغيرها من الأحاديث[3].

وفي فترة الدراسة سعت القوى السياسية المتصارعة إلى صبغ مواقفها السياسية بالصبغة الدينية لخدمة أغراضها وقضاياها السياسية. فقد أتخذت من الدين أداة ووسيلة من وسائلها الدعائية لإثبات شرعيتها في الحكم، ولتبرير حروبها، ونفي خصومها السياسيين، تجلى ذلك في كتابات مؤرخي الطرفين.

فقد عملت تلك القوى على انتقاء ما يتوافق من النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية مع واقع الصراع، و يخدم مفردات الخطاب السياسي المتناقة التي تبناه كل طرف، والمتمثلة في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجوب الخروج على الحاكم الجائر، لإثبات الإمامة في آل البيت وأحقيتهم في الحكم بالنسبة لأئمة الزيدية. و في طاعة الحاكم، وعدم الخروج عليه بالنسبة للدولة العثمانية.

كان مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من أهم مفردات الخطاب السياسي ذي المضمون الاجتماعي الديني الذي عول عليه أئمة الزيدية في صراعهم مع العثمانيين، والركيزة الأساسية في دعوتهم، والمنطلق الأول الذي ضمن استمرار هذا الخطاب. فقد دعوا الناس في رسائلهم وخطبهم إلى وجوب إنكار المنكر، والمبادرة إلى تغييره، وشددوا على أهمية تطبيقه لإصلاح شأن الأمة، وأكدوا أن دعوتهم وخروجهم على العثمانيين تأتي من باب إقامة العدل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. مستشهدين على ذلك بالعديد من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تكرر ذكرها في كتابات المؤرخين المؤيدين لهم[1].

([1]) ذكره ابن عساكر: تاريخ دمشق. جـ 57، صـ340.

([2]) نفس المصدر: جـ 27، صـ135.

([3]) أحمد أمين : ضحى الإسلام . جـ2 ، صـ 30

([1]) عند توثيق الأحاديث من المصادر التارخية سيكتفي بالأشارة بعبارة ورد الحديث عند المؤرخ، للدلالة على أن هذا الحديثورد الحديث عند المؤرخ كذا في كتابه كذا، مع ذكر أخراج الحديث من كتب الصحاح، أو كتب الفقه والحديث الزيدية.

منها قوله تعالى ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون﴾[1].

وقوله تعالى﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2].

وقوله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[3].

وقوله ﷺ "مروا بالمعروف وأنهوا عن المنكر، ولا تكونوا مثل قوم ركبوا السفينة، فأعطي كل واحد مجلسه، فكان مع رجل منهم قدّوم، فأخذ ينقب به السفينة، فقالوا ما تصنع، فقال مجلسي وحقي الذي لي، فإن نهوه نجوا جميعاً، وإن تركوه غرق و غرقوا"[1] .

وقوله ﷺ " إنكم منصورون ومصيبون ومفتوح عليكم، فمن أدرك ذلك منكم فليتق الله وليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"[2].

([1]) سورة آل عمران : آية 104. المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة . تحقيق : عبد الحكيم الهجري، صـ420. المطهر الجرموزي : الجوهرة المنيرة. تحقيق / أمة الملك الثور، صـ208، أحمد الشرفي : اللآلئ المضئية. جـ3، قـ 140. أحمد اللوزي: سيرة الإمام الحسن قـ11.

([2]) سورة النحل :آية 90. أحمد الشرفي : نفس المصدر. جـ3، قـ 137. المطهرالجرموزي: الجوهرة . تحقيق : أمة الملك الثور، صـ208. أحمد اللوزي: نفس المصدر. قـ 12.

([3]) سورة آل عمران: آية 110 . المطهر الجرموزي: نفس المصدر، صـ 208، أحمد الشرفي : نفس المصدر. جـ3 ، قـ 137 .

([1]) ذكره أحمد بن يوسف زبارة: أنوار التمام في تتمة الاعتصام بحبل الله المتين. عمّان، مطابع الجمعية العلمية الملكية، 1983م.. جـ5، صـ522، أحمد بن حنبل: مسند أحمد. حديث رقم 18027.ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي : الجوهرة منيرة. تحقيق : أمة الملك الثور صـ209.

([2]) ذكره يحيى بن الحسين الهاروني: تيسير المطالب. صـ410. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي : الجوهرة منيرة. تحقيق : أمة الملك الثور صـ209.

وقولهﷺ " أن رجلاً من بني إسرائيل كان يرى الرجل على المعصية فينهاه، ثم لا يمنعه ذلك أن يكون أكيله، وخليطه، فلما رأى الله ذلك ضرب بقلوب بعضهم على بعض، فلعنهم على لسان أنبيائهم داود وعيسى بن مريم. وكان رسول الله متكئاً فجلس وقال: والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر، ولتأخذن على يد السفيه، أو يلعنكم الله كما لعنهم"[1].

وربط أئمة الزيدية في رسائلهم وخطبهم . التي تكفل مؤرخيهم بتدوينها في مؤلفاتهم . بين القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتأدية بقية العبادات من صلاة وزكاة وغيرها، فهو بذلك يعد فرضاً يجب القيام به لأكمال أركان الدين، وإن دعوتهم إلى العمل به هي مما يجب عليهم. وأستندوا إلى العديد من الآيات القرآنية التي تعزز ذلك.

منها قوله تعالى ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[2].

وقوله تعالى ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيم﴾ [1].

وقوله تعالى ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [2].

وقوله تعالى ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[1].

---

[1]) ذكره يحيى بن الحسين الشجري: الأمالي الخميسية. بيروت، عالم الكتاب، ط الثانية،1982م جـ2، صـ 231.ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة تحقيق: أمة الملك الثور .صـ375.

([2]) سورة الحج: آية 41. أحمد الشرفي : اللآلئ المضئية. جـ3 ، قـ 137.

([1]) سورة التوبة: آية 71. المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة . تحقيق : عبد الحكيم الهجري، صـ308. المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة تحقيق : أمة الملك الثور، صـ211.

([2]) سورة الحج: آية 40، 41. المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة. تحقيق: أمة الملك الثور، صـ 266.

كما شددوا في تلك الرسائل والخطب على ضرورة تطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إتقاء سخط الله وغضبه، لأن في إغفاله وعدم الإلتزام به عصيان لله، واستحقاق لعذابه. مستشهدين على ذلك بالنص القرآني و بالأحاديث النبوية المؤيدة لذلك.

منها قوله تعالى ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُون ۞ كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُون ۞ تَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [2].

منها قوله ﷺ "لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو يسلطن الله عليكم شراركم، فيسومنكم سوء العذاب، ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم حتى إذا بلغ الكتاب أجله، كان الله هو المنتصر لنفسه، ثم يقول ما منعكم إذ رأيتموني أعصى أن تغضبوا ليّ"[1].

وقولهﷺ " يؤتى بأعوان الظلمة فيجعلوا في سرادق[2] من نار، ويجعل لهم أظافير من حديد فيحكون بها صدورهم حتى تبدو أفئدتهم فتحرق، فيقولون ربنا ألم نكن نعبدك، فيقول بلى ولكنكم كنتم أعواناً للظالمين"[3].

وقوله ﷺ ما من قوم يُعمل فيهم بالمعاصي، وهم يقدرون على أن يغيروا فلا يوشك أن يعمهم الله تعالى بعقاب"[1].

([1]) سورة لقمان: آية 17. المطهر الجرموزي: نفس المصدر، صـ 213.

([2]) سورة المائدة : آية 78، 79، 80 . الحسن الزريقي: سيرة الإمام شرف الدين. قـ11، المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة. تحقيق : أمة الملك الثور، صـ208. المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة. تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، صـ 306. أحمد الشرفي : اللآلئ المضيئة. جـ3، قـ 137.

([1]) ذكره يحيى بن الحسين الهاروني: تيسير المطالب. تحقيق : عبد الله العزي، صـ403، أحمد بن حنبل ،جـ5، صـ 388، سنن الترمذي: المجلد الرابع، صـ468. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة. تحقيق : أمة الملك الثور صـ195، 375، المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة . تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، صـ416.

([2]) سرادق : السردق ما أحيط بالشيئ والجمع سرادق. ابن منظور: لسان العرب. جـ10، صـ 157.

([3]) ذكره القاسم بن محمد: الاعتصام بحبل الله المتين. عمّان، مطابع الجمعية العلمية الملكية،1983م. جـ 5، صـ435. ورد عند الحديث المؤرخ المطهر الجرموزي : النبذة المشيرة . تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، صـ 289.

وقولهﷺ "أن الله أوحى إلى نبي من أنبيائه أني معذب من قومك مائة ألف أربعين ألف من شرارهم، وستين الفاً من خيارهم، فقال يارب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار، فقال داهنوا أهل المعاصي، ولم يغضبوا لغضبي"[2].

وفي الوقت الذي مثل فيه مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة الظلم الجانب الاجتماعي في مضمون خطاب أئمة الزيدية. فإن مكانة آل البيت، واحقيتهم في الحكم والإمامة، ووجوب اتباع الناس لهم، مثلت الجانب السياسي في مضمون ذلك الخطاب. لذلك فقد دأبوا في رسائلم وخطبهم على تأكيد تلك الأحقية، وبينوا أفضليتهم ومكانتهم المقدسة التي أختصهم الله تعالى بها، والتي أهلتهم تولي أمر المسلمين وفق ذلك المفهوم. مستشهدين على ذلك بالعديد من النصوص القرآنية.

منها قوله تعالى﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً﴾"[1] .

وقوله تعالى﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [2].

وقوله تعالى﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[3].

وقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [4].

([1]) أخرجه ابن حبان :صحيح ابن حبان.جـ1، صـ78، أحمد بن يوسف زبارة: أنوار التمام. جـ5، صـ 451، يحيى بن الحسين الهاروني: نفس المصدر. صـ 410. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر= =الجرموزي : الجوهرة منيرة. تحقيق : أمة الملك الثور صـ 210. المطهر الجرموزي : النبذة المشيرة . تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، صـ 421.

([2]) ذكره يحيى بن الحسين الهاروني: تيسير المطالب. صـ404. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة. تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، صـ 416.

([1]) سورة النساء: آية 54. 55. المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة. تحقيق : أمة الملك الثور، صـ196

([2]) سورة الشورى: آية 23. المطهر الرجرموزي : نفس المصدر. صـ 222.

([3]) سورة الأحزاب : آية 33. الحسن الزريقي. سيرة الإمام شرف الدين قـ 19. المطهر الجرموزي: نفس المصدر، صـ196.

([4]) سورة الأنبياء: آية 105. أحمد اللوزي: سيرة الإمام الحسن بن علي. قـ 11.

وقوله تعالى﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1].

كما وظفوا في رسائلهم وخطبهم تلك العديد من الأحاديث التي وردت في كتب الصحاح، و كتب الفقه الزيدي. والتي تخدم هذه القضية، وسارت عملية التوظيف في اتجاهات متعددة.

حيث عملوا في الأتجاه الأول منها على أبراز مكانة آل البيت الدينية والإجتماعية، التي اختصها الله بهم، مبينين فيها وجوب طاعتهم، ومحبتهم لنيل رضى الله، موضحين أيضاً أن حبهم ومولاتهم شفاعة لمن زلت قدمه في المعاصي، ومؤكدين فيها على أن إيمان المرء لا يستكمل إلا بتأدية النصيحة لهم.

مُدللين على ذلك بالعديد من الأحاديث

منها بقوله ﷺ "أهل بيتي كالنجوم كلما أفل نجم طلع نجم"[1].

وقوله ﷺ أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، واحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي"[2].

وقوله ﷺ " أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي"[3].

وقولهﷺ "ذُخرت شفاعتي لثلاثة من أمتي: الضارب بسيفه بين يدي ذريتي، والقاضي لهم حوائجهم عند ما أضطروا إليه، والمُحب لهم بقلبه ولسانه"[4].

([1]) سورة البقرة: آية 124. المطهر الرجرموزي : النبذة المشيرة . تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، صـ 419.

([1]) ذكره يحيى بن الحسين الهاروني: تيسير المطالب. تحقيق : عبد الله العزي، صـ 191. علي القرشي : مسند شمس الأخبار المنتقى من كلام النبي المختار. صنعاء، مكتبة اليمن الكبرى، طـ أولى، 1987م، جـ1. صـ133. ورد الحديث عند المؤرخ أحمد الشرفي : اللآلئ المضيئة. قـ 201. المؤرخ المطهر الجرموزي : النبذة المشيرة . تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، صـ686.

([2]) ذكره يحيى بن الحسين الهاروني: نفس المصدر. صـ454. علي القرشي: نفس المصدر. صـ133. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي : الجوهرة المنيرة: تحقيق : أمة الملك الثور. صـ 217.

([3]) أخرجه مسلم : صحيح مسلم. جـ15، صـ 149، مسند الإمام أحمد : حديث رقم 18906. وردعند المؤرخ المطهر الجرموزي: نفس المصدر. صـ653.

([4]) ذكره يحيى بن الحسين بن القاسم : مجموع الرسائل الأصولية. صـ507. علي القرشي: نفس المصدر. صـ124. ورد الحديث عند المؤرخ المؤرخ المطهر الجرموزي : نفس مصدر، صـ 217.

وقوله ﷺ "ما أحبنا أهل البيت أحد، فزلت به قدم إلا ثبتتهُ قدم، حتى ينجيه الله يوم القيامة"[1].

وقوله ﷺ "من أسبغ وضوءه، وأحسن صلاته، وأدى زكاة ماله، وغض بصره، وسجن لسانه، ووضع معروفه، واستغفر لذنبه، وأدى النصيحة لأهل بيتي، فقد استكمل حقائق الإيمان،وأبواب الجنة له مُفتحة"[2] .

وفي الإتجاه الثاني أكدوا في تلك الرسائل والخطب على ضرورة موالاة آل البيت، ووجوب طاعتهم واتباع من دعا منهم إلى إقامة الدين، وأزالة البدع، ومحاربة الظلم، وكل انواع المنكرات، وبينوا فيها أهلية آل البيت في تولي أمر المسلمين، فهم سفن النجا، الذائدون عن الدين من تحريف الغالين، وأنتحال المبطلين. مستندين في ذلك على العديد من الأحاديث.

منها قولهﷺ " من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر من ذريتي فهو خليفة الله في أرضه، وخليفة كتابه، وخليفة رسوله"[1].

وقولهﷺ " في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين، ألا إن أئمتكم وفدكم إلى الله، فانظروا من تفدون في دينكم"[2] .

([1]) ذكره يحيى بن الحسين الهاروني: تيسير المطالب. صـ591 ، يحيى بن الحسين بن القاسم: مجموع الرسائل الأصولية. صـ507. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي : الجوهرة المنيرة: تحقيق : أمة الملك الثور. صـ 548.

([2]) ذكره علي القرشي: مسند شمس الأخبار. صـ123. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي : نفس المصدر . صـ72.

([1]) ذكره يحيى بن الحسين : الأحكام في الحلال والحرام جمعه علي بن أحمد أبي حريصه، مكتبة التراث الإسلامي (د. م) ط الثانية، 1999م . جـ2، صـ 155، القاسم بن محمد: الاعتصام بحبل الله . جـ5، صـ 407، الهندي : كنز العمال . جـ 3، صـ 77. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي : الجوهرة المنيرة . تحقيق :أمة الملك الثور صـ 214. المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة. تحقيق: عبد الحكيم الهجري ، صـ419. أحمد الشرفي : اللآلئ المضيئة. جـ 3 ، قـ 21 .

([2]) ذكره مجد الدين المؤيدي: لوامع الأنوار في جوامع العلوم والأثار. صعدة، مكتبة التراث الإسلامي، ط أولى، 1993م جـ2، صـ597. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي : الجوهرة المنيرة . تحقيق :أمة الملك الثور صـ196، 214.

وقوله ﷺ "إن عند كل بدعة تكون من بعدي يكاد بها الإسلام ولياً من أهل بيتي موكلاً يذب عنه، ويعلن الحق، وينوره، ويرد كيد الكائدين"[1].

وفي الإتجاه الثالث أكدوا أن كره، ومخالفة، ومعاداة، ومحاربة آل البيت، أو حرمانهم من أي حقوق أقرها الله، وبينها رسوله، أوعدم مناصرة دعاتهم وأئمتهم، يعد مخالفة صريحة للإرادة الإلهية، والسنة النبوية، مبينيين أن الله قد توعد بعذاب من يقترف مثل تلك الأعمال، فيما روي من أحاديث على لسان رسوله.

ومنها قولهﷺ " من سمع واعيتنا آل البيت فلم يجبه كبه الله على منخريه في نار جهنم"[1] .

وقوله ﷺ " من سره أن يحيا حياتي ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن التي غرسها ربي، فليتول علياً من بعدي، وليتول وليه، وليتقيد بالأئِمة من بعدي، فإنهم عترتي، خلقوا من طينتي، ورزقوا فهماً وعلماً ، فويل للمكذبين بهم من أمتي القاطعين فيهم حبلي، لا أنالهم الله شفاعتي"[2]

وقولهﷺ " النجوم أمان لأهل السماء، واهل بيتي أمان لأمتي من الإختلاف ، فإذا خالفتها قبيلة من العرب صاروا حزب أبليس"[3].

وقوله ﷺ " ما بال قوم إذا ذكر عندهم آل إبراهيمﷺ أستبشرت قلوبهم، وتهللت وجوههم، وإذا ذكر أهل بيتي إشمأزت قلوبهم ، وكلحت وجوههم، والذي بعثني بالحق

([1]) ذكره يحيى بن الحسين الهاروني: تيسير الوصول. صـ 178، علي بن حميد القرشي: مسند شمس الأخبار. جـ1، صـ 133. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي : الجوهرة المنيرة. تحقيق :أمة الملك الثور، صـ 196. المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة . تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، صـ417. أحمد الشرفي: ال اللآلئ المضيئة. ق201

([1]) ذكره أحمد بن يوسف زبارة : انوار التمام. جـ 5 ،صـ 407 ، علي القرشي: نفس المصدر جـ1، صـ134. رد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي : النبذة المشيرة. تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، صـ 304. أحمد اللوزي : سيرة الإمام الحسن بن علي . ق42.

([2]) ذكره يحيى بن الحسين الشجري: الأمالي الخميسية. صـ136، القاسم بن محمد: الاعتصام بحبل الله. جـ1، صـ160. علي القرشي: نفس المصدر. جـ1، صـ126 . ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة. تحقيق :أمة الملك الثور، صـ653 المؤرخ المطهر الجرموزي : تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، صـ789.

([3]) ذكره القاسم بن محمد : نفس المصدر. جـ 1، صـ 157. علي القرشي: نفس المصدر. صـ127. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة . تحقيق :أمة الملك الثور صـ 218.

لو أن رجلاً لقي الله بعمل سبعين نبياً ثم لم يلقه بولاية أولي الأمر من أهل بيتي ما قبل الله منه صرفاً ولا عدلاً"[1].

وقوله ﷺ " من أحب أن يملى له في عمره، وان يُمتع بما خوّله الله، فليخلفني في أهلي خلافة حسنة، فمن لم يخلفني فيهم، بُتر عمله، وورد عليه يوم القيامة مسوداً وجهه"[2].

وقولهﷺ " مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركب عليها نجا ، ومن تخلف عنها غرق وهوى، ومن قاتلنا آخر الزمان، فكأنما قاتل مع الدجال"[1]

وقولهﷺ " أنا حرب لمن حاربتم، وسلم لمن سالمتم"[2].

وقوله ﷺ "سيرد عليّ يوم القيامة ثلاث رايات أحدها سوداء أشد من سواد الليل المظلم، تحتها خلق كثير وهم ينادون وآعطشاه وآعطشاه، قال رسول الله فأقول: من أنتم، قال : فينسون ذكري، قال : فأقول أنا محمد، قال: فيقولون نحن من أمة محمد، قال : فأقول فما خلفتموني في كتاب ربي وعترتي، لم تنصروهم ولم تجاهدوا معهم، قال : فأولي وجهي عنهم فيصدون عطاشا إلى النار، قالﷺ، ثم يرد عليّ راية أخرى أشد سواداً من الأولى وتحتها خلق كثير وهم ينادون وآعطشاه وآعطشاه، قال : فأقول من أنتم فينسون ذكري، ويقولون: نحن من أهل العدل والتوحيد، قال : فأقول أنا محمد، فيقولون: أما نحن من أمة محمد. قال :فأقول فما خلفتموني في كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، قال: فيقولون: أما كتاب ربك فضيعنا، وأما عترتك فقتلنا ومزقنا [يعنون أنهم

([1]) ذكره الإمام احمد بن سليمان بن محمد: حقائق المعرفة في علم الكلام. صنعاء، مؤسسة الإمام زيد الثقافية،2003م، جـ1، صـ474. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي :الجوهرة المنيرة . تحقيق :أمة الملك الثور، صـ 723.

([2]) ذكره الإمام القاسم بن محمد: الاعتصام بحبل الله. جـ1، صـ139. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي : نفس المصدر. صـ723.

([1]) ذكره علي القرشي: مسند شمس الأخبار. صـ 125. ورد الحديث عند المؤرخ الجرموزي : الجوهرة المنيرة . تحقيق : أمة الملك الثور. صـ726. المطهر الجرموزي : النبذة المشيرة. تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، صـ784.

([2]) روي عند الإمام أحمد بلفظ " نظر النبيﷺ إلى علي والحسن والحسين وفاطمة فقال : أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم" مسند الإمام أحمد حديث رقم 9558، سنن الترمذي: جـ10، صـ417، حديث رقم 4037. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي : الجوهرة المنيرة . تحقيق : أمة الملك الثور. صـ 723.

أحربواعترة رسول الله] قال: فأولي وجهي عنهم، ويصدرون عطاشا إلى نار جهنم، قال: ثم ترد عليّ راية أخرى لها نور يضئ ما بين المغرب والمشرق، وتحتها خلق قليل. قال: فأقول من أنتم ، قال : فلاينسون ذكري، ويقولون نحن من أمة محمد، قال: فأقول فما خلفتموني في كتاب ربي وعترتي أهل بيتي، قال: فيقولون أما كتاب ربك فحفظنا، وأما عترتك فنصرنا وأسينا بأنفسنا وأموالنا قال: فأقول صدقتم فيشربون شربة لا يظمى بعدها ويصدرون إلى الجنة، لايقولون إن معهم جماعة من فسقة آل محمد"[1].

كما عمل أئمة الزيدية على التأكيد بأنهم الفرقة الناجية التي بشر بها الرسولﷺ وذلك حين ربطوا في رسائلهم بين حديث الفرقة الناجية، وحديث الثقلين. فأوردوا رواية الحديثين في رسائلهم على النحو الأتي: قال رسول الله ﷺ " ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها هالكة إلا واحدة " فلما سُمع ذلك من رسول الله ﷺضاق به المسلمون ذرعاً، وضجوا بالبكاء، وأقبلوا على رسول الله ﷺ وقالوا كيف لنا بعدك بطرق النجاة، وكيف لنا بمعرفة الفرقة الناجية، حتى يُعتمد عليها، فقال النبي ﷺ "إني تارك فيكم الثقلين ما أن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً، كتاب الله، وعترتي آل بيتي، أن اللطيف الخبير أنبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض"[1].

وفي حين مثلت دعوات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة الظلم، ومكانة آل البيت وأحقيتهم في الإمامة الجانب النظري في الخطاب السياسي الذي تبناه أئمة الزيدية،وعمل مؤرخوهم على على تدوينه في مؤلفاتهم التاريخية، فإن الدعوة إلى الجهاد كانت بمثابة التطبيق العلمي لتلك الجوانب. فقد أكدوا في رسائلهم وخطبهم أن العثمانيين ظلمة، وفسقة، وكفرة، لأنهم لا يطبقون شرع الله، ولا يحكمون بما أنزل، لذلك وجب قتالهم لإقامة الدين، ودرء المفاسد، وبينوا أن في

([1]) لم أجد له تخريج. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي : النبذة المشيرة . تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، صـ285.

([1]) أخرجه أحمد بن حنبل : مسند أهل البيت . صـ4، يحيى بن الحسين الهاروني : تيسيير المطالب. تحقيق :عبد الله العزي ، صـ 260. يرد هذا الحديث في معظم كتب الصحاح بلفظ "وسنتي" وليس " وعترتي" . ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي : الجوهرة المنيرة. تحقيق : أمة الملك الثور. صـ189، 204. المطهر الجرموزي : النبذة المشيرة .قـ تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، صـ417. أحمد الشرفي : اللآلئ المضيئة. جـ3، قـ140. أحمد اللوزي: سيرة الإمام الحسن بن علي . قـ14.

مجاهدتهم تحقيقاً للخير العدل، واستكمالاً لأركان الإيمان، مستشهدين في ذلك بالعديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

منها قوله تعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُون﴾[1].

وقوله تعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[2].

وقوله تعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [3].

قوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِين﴾ [1] .

وقوله تعالى﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾[2] .

وقوله تعالى﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[3].

قوله تعالى﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً

([1]) سورة المائدة : آية 44. أحمد الشرفي : اللآلئ المضيئة . ق 142.

([2]) سورة المائدة : آية 45. أحمد الشرفي : نفس المصدر. ق 142.

([3]) سورة المائدة : آية 47. أحمد الشرفي : نفس المصدر. ق 142.

([1]) سورة الأنفال: آية 39. 40. المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة. تحقيق :أمة الملك الثور، صـ 207. المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة : تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، صـ 306.

([2]) سورة الصف : آية 14. المطهر الجرموزي : النبذة المشيرة . تحقيق : عبد الحكيم الهجري، صـ 304 . المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة : تحقيق :أمة الملك الثور صـ504.

([3]) سورة البقرة : آية 216. المطهر الجرموزي : النبذة المشيرة. تحقيق : عبد الحكيم الهجري، صـ304. المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة : تحقيق :أمة الملك الثور صـ207.

عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[1].

وقولهﷺ "إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر"[2].

وقولهﷺ " سيكون بعدي أمراء يقولون مالايفعلون، ويفعلون مالا يأمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن"[3]

وقولهﷺ " ما من نبي بعثه الله في أُمة إلا كان له أمنه حواريون، وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم تخلف من خلوف يقولون مالا يفعلون، أو يفعلون ما لا يأمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل"[1]

وسعى أئمة الزيدية في رسائلهم وخطبهم إلى تحفيز الناس على قتال العثمانيين، حيث بينوا ما أعد الله من جنات ونعيم لمن أستجاب لدعوة الجهاد، وتوعدوا في الوقت نفسه من تقاعس عن أداء هذا الواجب، بأن له خزياً في الدنيا، وعذاباً في الأخرة. مستندين في ذلك على العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

ومن ذلك قوله تعالى﴿لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيما﴾[2].

([1]) سورة الحج: آية 77، 78. المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة. تحقيق :أمة الملك الثور، صـ237.

([2]) أخرجه الترمذي : سنن الترمذي. المجلد الرابع. صـ 471. ابن ماجة: سنن ابن ماجة. جـ2، صـ1329. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي : نفس المصدر. صـ210.

([3]) ذكره أحمد بن يوسف زبارة: أنوار التمام. جـ 5، صـ 451. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي : نفس المصدر. صـ 195.

([1]) أخرجه أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد: جـ1، صـ458، البيهقي: السنن الكبرى. جـ 10، صـ 90. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي : نفس المصدر. صـ209.

([2]) سورة النساء: آية 95 . أحمد الشرفي : اللآلئ المضيئة. جـ3 ، ق137 .

وقوله تعالى ﴿إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [1] .

قوله تعالى﴿ وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ﴾[2].

ومنها قولهﷺ " المُعين للظالمين كالمعين لفرعون على موسى"[3].

وقولهﷺ " ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب"[1].

وقولهﷺ " من لقي الله بغير أثر من الجهاد، لقي الله وفي إيمانه ثلمة"[2].

وقولهﷺ " لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها"[3] .

ولإنجاح حروبهم مع العثمانيين عمل أئمة الزيدية جاهدين على توفير المصادر المالية لتحقيق ذلك، حيث وجهوا دعوات صريحة في رسائلهم إلى ضرورة الجهاد بالمال، وأكدوا أن هذا النوع من الجهاد مقدم على الجهاد بالنفس، وعلى حب الأباء والأبناء، فهو التجارة الرابحة في الدنيا والأخرة. كما عملوا في الوقت نفسه على قطع التموين والإمداد عن العثمانيين، وذلك بتحريض الناس على عدم دفع الزكاة، والضرائب، أو تقديم أي إعانات مالية لهم، وأعتبروا مخالفة ذلك نوعاً من اعانة الظالمين. مستندين في ذلك إلى العديد من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية.

([1]) سورة البقرة : آية 216. المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة. تحقيق : أمة الملك الثور، صـ 207. المطهر الرجرموزي : النبذة المشيرة . تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، صـ 306.

([2]) سورة هود: آية 113. المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة. تحقيق :أمة الملك الثور، صـ 205، المطهر الرجرموزي : النبذة المشيرة . تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، صـ596.

([3]) ذكره القاسم بن محمد : الاعتصام. جـ5، صـ 557. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الرجرموزي : النبذة المشيرة . تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، صـ 307.

([1]) محمد السعيد بسيوني: ومسوعة أطراف الحديث النبوي. جـ9، صـ96. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي : الجوهرة المنيرة. تحقيق : أمة الملك الثور. صـ 504.

([2]) أحمد بن يوسف زبارة: أنوار التمام. جـ5، صـ 448. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي : نفس المصدر: صـ 504.

([3]) ابن ماجة: سنن ابن ماجة. جـ2، صـ922. الهند: كنز العمال. جـ4، صـ441. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي : نفس المصدر: صـ 504.

منها قوله تعالى ﴿انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1].

وقوله تعالى﴿ إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[2].

وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمَ ۞ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1]

وقوله تعالى﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[2]

وقوله تعالى﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِ﴾[3].

([1]) سورة التوبة : آية 41. المطهر الرجرموزي : النبذة المشيرة . تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، صـ 304.

([2]) سورة التوبة: آية 111،. المطهر الرجرموزي : الجوهرة المنيرة . صـ 243 ، أحمد الشرفي : اللآلئ المضيئة. جـ3 ، ق137 . أحمد اللوزي: سيرة الإمام الحسن بن علي. ق 12.

([1]) سورة الصف: آية 10-11 . أحمد الشرفي : نفس المصدر. جـ3 ، ق138، المطهر الرجرموزي : الجوهرة المنيرة .صـ 234 ، المطهر الرجرموزي : النبذة المشيرة . تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، صـ 305.

([2]) سورة الحجرات: آية 15. المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة. تحقيق : أمة الملك الثور. صـ214.

([3]) سورة التوبة: آية 24. المطهر الجرموزي: نفس المصدر. صـ 213. المطهر الرجرموزي : النبذة المشيرة . تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، صـ 306.

ومنها قولهﷺ " من جبى درهماً لإمام جائر كبه الله على منخريه"[1].

وقوله ﷺ "ينادي منادي يوم القيامة أين الظلمة وأعوان الظلمة، حتى من لاق لهم دواة، أو برى لهم قلماً، فيجعلون في تابوت من نار"[2].

وقولهﷺ " أمراء يكونوا من بعدي لا يهتدون بهديي، ولا يستنون بسنتي، فمن صدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فاؤلئك ليسوا مني ولست منهم ، ولايردون على حوضي، ومن لم يصدقهم على كذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني، وأنا منهم وسيردون على حوضي، ومن الإعانة لهم تسليم الأموال إليهم"[1].

إن محاولة توظيف آيات الجهاد السابقة من قبل أئمة الزيدية في دعوة الناس لمحاربة العثمانيين. يضع تساؤل عن مدى توافق سياق هذه الآيات مع دعوة لأئمة تلك ؟

وقبل الإجابة على ذلك ينبغي الإشارة إلى أن أصل الدعوة في سياق الآيات السابقة موّجه للمسلمين للجهاد في سبيل الله ضد أعداء الدين، والمحاربين له، وهذا لا يتوافق . إجمالاً . مع دعوة الأئمة الزيديين في محاربة العثمانيين. لأن العثمانيين مسلمون وممن لا ينطبق عليهم سياق تلك الآيات.

إلا أن ظروف الصراع السياسي وما تبعه من تبرير ديني، قد جعل كل طرف يصف خصمه بأوصاف تخرجه من الملة الإسلامية، وتجيز محاربته وقتاله. فقد كان العثمانيون . من وجهة نظر الأئمة . ممن يجوز جهادهم، فهم "ظلمة،بغاة،طغاة.."، وبالتالي ينطبق عليهم سياق الآيات السابقة. حيث تقمص الأئمة دور المؤمنين في تلك الآيات، ووضعوا خصومهم السياسيين موضع الخارجين عن تعاليم الدين الواجب مجاهدتهم بالنفس والمال، ومن هنا يمكن القول إن الجهاد في سياق الآيات السابقة

([1]) ذكره الهادي يحيى بن الحسين: الأحكام في الحلال والحرام . جـ2، صـ 538. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي : الجوهرة المنيرة. تحقيق : أمة الملك الثور، صـ 206. المطهر الجرموزي : النبذة المشيرة . تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، صـ 307.

([2]) ذكره القاسم بن محمد: الاعتصام بحبل الله. جـ 5،صـ 557. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي : النبذة المشيرة . تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، صـ289.

([1]) ذكره يحيى بن الحسين الهاروني: تيسير المطالب. صـ 412. ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي : نفس المصدر. صـ 307.

يتوافق . من وجهة نظر الأئمة . مع دعوتهم، وأن هذا التوظيف للآيات القرآنية جاء منسجماً مع ذلك التوصيف.

لم يكتف أئمة الزيدية بذكر الآيات والأحاديث التي تدعو إلى الجهاد عامة ضد الظلم، بل أنهم وظفوا أحاديث تدعو إلى قتال العثمانيين بعينهم، ساعين من وراء ذلك إلى إقناع الناس بوجوب قتالهم تلبية للإرادة الألهية وفق ما ورد على لسان نبيه ﷺ، حيث انتقوا من التراث الإسلامي أحاديث جعلوا العثمانيين هم المعنيون والمقصودون بها، مستغلين في ذلك تشابه الأوصاف التي وردت فيها مع أوصاف العثمانيين.

ومنها قوله ﷺ " لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً وجوههم كالمحان المطرقة[1] [يعني الترك] صغار الأعين دلف الأنوف، فمن وآلاهم وأطاعهم فقد خرج من الإسلام حقاً، ومن عاداهم وباينهم وسعى في قتالهم وقاتلهم، فهو على دين الإسلام حقاً، فاحذروا غضب الله"[2].

قوله ﷺ " إذا كان أخر الزمان جاء بنو قيطور أعراض الوجوه، صغار الأعين، حتى نزلوا على شط النهر فتفرق أهلها إلى ثلاثة فرق. فرقة ياخذون أذناب البقر والسرية، وهلكوا [يعني هلكوا في دينهم لتركهم جهاد الترك]، وفرقة يأخذون لأنفسهم وكفروا [يعني يأخذون لأنفسهم الأمان فيكفرون]، وفرقة يجعلون ذراريهم خلف ظهورهم، ويقاتلون وهم الشهداء"[3]

إن توظيف أئمة الزيدية المفرط للأسانيد الدينية لدعم خطابهم السياسي الذي تبنوه لتبرير شرعية حربهم ضد العثمانيين، وتكفل مؤرخوهم بنشرها وترويج مضمونها في مؤلفاتهم التاريخية، كان نتيجة طبيعية أفرزتها وضعيتهم السياسية، التي حتمت عليهم إيجاد خطاب سياسي مقبول معزز بالأسانيد الدينية. فقد كانوا في موقف المعارض الثائر الذي أشد ما يكون في عوز إلى سند ديني يمنحه الحق الشرعي في إعلان الحرب على خصمه.

([1]) المحان المطرقة: الوجوه العريضة. إبن منظور: لسان العرب. جـ10، صـ220.

([2]) مسند الإمام أحمد حديث رقم 7242، ابن حبان: صحيح ابن حبان: جـ6، صـ247. ورد الحديث عند المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة. تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، صـ301. أحمد الشرفي : اللآلئ المضيئة . جـ3، ق202.

([3]) لم أجد له تخريج . ورد الحديث عند المؤرخ المطهر الجرموزي: نفس المصدر : صـ308.

وإذا كان هذا حال أئمة الزيدية، فإن وضع العثمانيون كان مُغايراً تماماً. فقد رأى العثمانيون في دولتهم استمراراً تاريخياً لدولة الخلافة الإسلامية، وأن حكمها في الأقاليم التي سيطرة عليها هو حكم شرعي "سلطة شرعية" . كما أشرنا سابقاً . لذلك لم يعط العثمانيون هذا الجانب كثيراً من الاهتمام لتأكيد شرعية حكمهم. تجلى ذلك في مؤلفات مؤرخيهم، حيث ندر توظيف الأستشهادات النصية فيها، فلم يصل أو يقارب مستوى التوظيف في مؤلفات مؤرخي المعارضة، ومعظم ما ورد فيها من استشهادات نصية أو نبوية، ما هو إلا اجتهاد شخصي من مؤرخيهم لتأكيد شرعية الحكم العثماني في اليمن.

فقد عمل مؤرخوهم . أي العثمانيين . على توظيف الأسانيد الدينية في اتجاهين متوازيين، ركزوا في الأول منها على قضية وجوب طاعة ولي الأمر، وعدم الخروج عليه، لأن في طاعتهم طاعة لله ورسوله، وفي الخروج عليهم معصية لله ورسوله. مدللين على ذلك بالنص القرآني و الحديث النبوي.

ومن ذلك قوله تعالى﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [1].

و قوله ﷺ "السلطان ظل الله في الأرض"[2].

وقوله ﷺ "من أراد أن يفرق أمر هذه الأمة، وهم جمع فاضربوه بالسيف"[3].

وحديث رسول الله ﷺ الذي رواه الحافظ نعيم عن عمر بن الخطاب رضي عنه أنه قال: قلت يارسول الله اخبرني عن السلطان الذي ذلت له الرقاب، وخضعت له الأجساد ، ما هو. قال هو ظل الله في الأرض، إن أحسنوا فلهم الأجر والشكر، وإن أساؤا فعليكم الصبر، وعليهم الأصر، لا يحملنكم إنسان على أن تخرجوا من طاعته،

([1]) سورة النساء : آية 59. أحمد بن فيروز. ق 22.

([2]) الهندي: كنز العمال. جـ6، حديث رقم 14589، ورقم 14615. ورد الحديث عند المؤرخ المطيب الزبيدي: بلوغ المرام . ق47.

([3]) أخرجه مسلم: جـ 12، صـ 190، الإمام أحمد: مسند أحمد. حديث رقم 18645. ورد الحديث عند المؤرخ عبدالله بن داعر: الفتوحات المرادية. جـ1.ق 157.

فإن الذل في طاعة الله خير من الخلود في النار، ولولاهم ما صلح الناس، اللهم أصلح الأئمة، واصلح رعاياها، برحمتك يا أرحم الراحمين"[1].

وفي الاتجاه الثاني سايروا الأحداث التاريخية، ووظفوا أسانيد دينية بما يتوافق معها، ويخدم في الوقت نفسه قضية تأكيد شرعية الحكم العثماني في اليمن، وبطلان ادعاءات أئمة الزيدية في أحقيتهم في الحكم. حيث استغلوا ظروف السيطرة السياسية والعسكرية، ومرحلة القوة التي كانت تمر بها الدولة العثمانية. في التأكيد على أن العثمانيين هم عباد الله الصالحون، وأن سيطرتهم على الحكم، جاءت وفق الإرادة الإلهية.

مستندين في ذلك إلى قول الله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُون﴾[1] .

ودلّلوا على خيرية العثمانيين، حيث ربطوا بين قيام ولاتهم بالأعمال الخيرية مثل بناء المساجد، وتعبيد الطرق، وغيرها من تلك الأعمال، وقول الله تعالى﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِين﴾[2].

وبرروا الأخطاء السياسية التي ارتكبها بعض الولاة العثمانيين، وأوجدت نوعاً من عدم الثقة فيهم، بأن ذلك مقدر من الله سبحانه وتعالى، وأنه لا مرد لقضائه.

حيث برر المؤرخ الموزعي قتل الأمير عامر بن داود الطاهري، من قبل الوالي العثماني سليمان باشا الخادم بأن ذلك مقدر. واستند إلى قوله الله تعالى ﴿كَانَ ذَلِك فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً﴾ [3]، وقوله تعالى﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً﴾[4].

([1]) ورد الحديث عند المؤرخ أحمد بن فيروز. ق 22.

([1]) سورة الأنبياء : آية 105. عبد الصمد الموزعي: الإحسان .تحقيق / المركز الفرنسي، صـ 14.

([2]) سورة التوبة : آية 18. عبد الصمد الموزعي: نفس المصدر. صـ 14.

([3]) سورة لإسراء أية 58 . الصمد الموزعي: نفس المصدر. صـ18.

([4]) سورة الأحزاب: أية 38. الصمد الموزعي: نفس المصدر. صـ18.

ونظروا إلى الأعمال الحربية التي تبناها أئمة الزيدية ضد الدول العثمانية، على أنها إغواء عن طريق الحق، ووصفوا من يحرض عليها بأنه مثل الشيطان الذي أقسم على أن يغوي الناس لاتباع أمره. حيث أشار المؤرخ عبد الله بن داعر إلى أن موقف المطهر حين خالف الدولة العثمانية، وحرض الناس عليها، يشبه موقف إبليس حين أقسم على إغواء الناس، بدفعهم إلى إرتكاب المعاصي . ودلل على تشابه الموقفين في قوله تعالى﴿ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [1].

واستثمر المؤرخ الموزعي الانتصارات التي حققها العثمانيون على جيش المطهر أثناء حصاره لهم في زبيد سنة 975هـ/1567م ، بأن في ذلك النصر تأكيد على أن العثمانيين هم أصحاب الحق، وأن المطهر على باطل. مستشهداً بقوله تعالى ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[2].

كما وظفوا النصوص الداعية للجهاد، حيث نظروا إلى الأعمال العسكرية التي يقوم بها العثمانيون ضد الخارجين عن طاعة السلطان، بأنها نوع من الجهاد على البغاة المفارقين للجماعة. مستندين في ذلك إلى قوله تعالى ﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[3].

وفي نفس الاتجاه أيضا عمل مؤرخو السلطة على توظيف أحاديث فضائل البلدان والقبائل، التي تزخر بها كتب الحديث، لإظهار خيرية وفضل الدولة العثمانية، بهدف الدعاية وجلب الأنصار.

([1]) سورة الأعراف: آية 17.عبد الله بن صلاح بن داعر : الفتوحات المرادية.جـ1 ، ق 206..

([2]) عبد الصمد الموزعي: الإحسان .تحقيق / المركز الفرنسي. صـ26. سورة البقرة : آية 249.

([3]) عبد الله بن صلاح بن داعر : الفتوحات المرادية. جـ2 ، ق 234. سورة التوبة: آية 111.

حيث انتقوا الأحاديث التي وردت في كتب الحديث عن فضل الروم، وأسقطوها على الدولة العثمانية، مُستغلين في ذلك تشابه التسمية، فقد كان يطلق على العثمانيين اسم الروم نسبة للمكان الذي نشأت فيه دولتهم.

ولعل ما ورد عند المؤرخ المطيب الزبيدي من أحاديث حول ذلك في كتابه بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام يعد خير دليل. حيث صرح في مقدمة كتابه أن هذه الأحاديث هي مما ورد في فضل الروم. بقوله " مقدمة نذكر فيها ما ورد من الأحاديث المصرحة بفضل الروم، ودوام ملكهم السعيد"[1].

ومن تلك الأحاديث قوله ﷺ "تقوم الساعة والروم اكثر الناس"[2]. وأستشهد المؤرخ المطيب برأي عمر بن ا لعاص الذي بيّن فيه خصال الروم بقوله "إن فيهم لخصالاً أربع، أنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة عند مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وأجبرهم لمسكين ويتيم وضعيف، و خامسة حسنة جميلة أمنعهم من ظلم الملوك"[3].

ومما ورد عند المؤرخ الزبيدي في ذلك أيضاً قوله ﷺ "فارس نطحة أو نطحتان، ثم لا فارس بعدها أبدا، والروم ذات قرون كلما ذهب قرن خلفه قرن إلى آخر الأبد"[4].

ومن تلك الأحاديث التي أستدل المؤرخ بها لتأكيد فضل الروم، وبقاء وديمومة دولتهم، التي عنى بها الدولة العثمانية "ما ذكره العلامة الحافظ شهاب الدين احمد بن حجر العسقلاني في فتح الباري شرح صحيح البخاري قال: واخرج ابو عبيد في كتاب الأموال من مراسل عمير بن أسحاق قال: كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقيصر، فأما

([1]) وردت هذه الأحاديث عند المؤرخ المطيب الزبيدي في كتابه بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام. من ق2 . ق3.

([2]) مسلم : صحيح مسلم .ج 18، ص22.

([3]) ابن الأثير: جامع الأصول من أحاديث الرسول. بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج10، 1984م، ج10، ص144. أنظر المطيب الزبيدي: بلوغ المرام. ق2.

([4]) الهندي: كنز العمال، ج12، ص303. أنظر المطيب الزبيدي: نفس المصدر. ق2.

كسرى فلما قرأ الكتاب مزقه وأما قيصر فلما قرأ الكتاب طواه ثم رفعة ، فقال رسول الله ﷺ أما هؤلاء فيمزقون يشير إلى كسرى وأصحابه ، وأما هؤلاء فسيكون لهم بقيه"[1].

وعلى الرغم من بعد السياق الزمني لفترة رواية هذه الأحاديث، والأحداث التي رُويت فيها، إلا إن المؤرخين قد عملوا على توظيف تلك الأحاديث لإيجاد المسوغات الشرعية للحكم العثماني،وهي عادة جرى المؤرخون على التفنن فيها، حيث يقومون بعمل إسقاطات للأحاديث النبوية، التي أختصت بفترة وأحداث معينة، على فترة وأحداث معاصرة لهم.

توظيف المفردات الفقهية والأدعية

كانت مسألة طاعة الحاكم، أو الخروج عليه من القضايا التي دار عليها محورالصراع السياسي والفكري بين أئمة الزيدية والعثمانيين. ولم يكتف طرفا الصراع بتوظيف القرآن والحديث النبوي لتأكيد صحة رؤيتهم حول تلك القضية فحسب، بل ركنوا أيضاً إلى الموروث الفقهي الزاخر بالتنوع والتباين، فانتقوا منه ما يتناسب مع توجههم الفكري والسياسي. ووظفوا ذلك الموروث فيما يمكن أن نسميه سياسة الإقصاء والإلغاء ونفي الأخر، حيث عمل كل طرف على اتهام خصمه السياسي بتهم تجعل منه مخالفاً للشريعة الإسلامية، وخارجاً عن الملة، كوصفه بالبغي والظلم والفجور، وأحياناً بالكفر وغيرها من التهم التي تجيز محاربته وقتاله، وهو المبرر الذي سعى طرفا الصراع لإيجاده من وراء تبنيهم لتلك السياسة، في شرعنة صراعتهم تلك.

فقد كانت تلك هي الوسيلة المتعارف عليها آنذاك لمواجهة الخصوم السياسيين، وتجريدهم من أي حقوق سياسية ودينية. وهي أشبه بما يعرف في وقتنا الراهن باسم الجريمة السياسية[1].

---

[1]) القاسم بن سلام العروي الأزدي: كتاب الأموال . شرحه عبدالأمير علي المهنا، بيروت، دار الحداثة، 1988م، صـ 27 . أنظر المطيب الزبيدي: نفس المصدر . ق3.

[1]) محمد يونس: التكفير والدين والسياسة. القاهرة، مركز القاهرة لدراسات حقوق الأنسان، 1999م. صـ99.

انطلاقاً من ذلك شن كل طرف حملات تكفير على خصمه السياسي، بوصفه بألفاظ ذات مدلول فقهي، أو تحمل أحكاماً فقهية، تنفي عنهم إسلامهم، وتخول قتالهم وتبيح دماؤهم. وتزخر المؤلفات التاريخية بالكثير من هذه الألفاظ والمفردات، التي ذكرت إما على لسان الزعماء والقادة في رسائلهم وخطبهم، أو وظِفتَ مباشرة في كتابات المؤرخين عند وصف خصومهم السياسيين.

إن ا نتقاء وتوظيف هذه المفردات من قبل طرفي الصراع لم يكن عشوائياً، بل كان انتقاء مدروساً بدقة وعناية، فقد حملت كل مفردة أو مصطلح حكماً شرعياً، يتوافق مع الموقف الذي وظف لأجله.

وعلى الرغم من صعوبة حصر تلك المفردات وفرزها وتصنيفها، ومعرفة أحكامها، إلا أن أخذ نماذج من تلك المفردات التي وردت في مصنفات المؤرخين، وتحليل مدلولاتها، ومدى تأثيرها في مجريات الصراع لا مناص منه. خاصة وأن من أستخدمها هم من العلماء المطلعين على أحكام تلك المفردات. وقد تكرر توظيفها من قبل مؤرخي السلطة والمعارضة على حدٍ سواء.

وقبل أخذ نماذج من تلك المفردات أو المصطلحات، ينبغي أن نشير إلى أن توظيفها من قبل طرفي الصراع قد سار في اتجاهين متوازيين. حيث وظفت في الأول منهما مفردات تحمل أحكام شرعية واضحة، تجعل من يتصفون بها خارجين عن تعاليم الشرع، كوصفهم بالبغاة أو الفئة الباغية، العصاة، الفاسدين.. وغيرها من الألفاظ. وهذا النوع من المفردات يحمل مدلولاً مباشراً، أو ما يعرف بالمنطوق به والمصرح به في معنى اللفظ.

وتزخر مصنفات المؤرخين بالعديد من تلك الألفاظ والمفردات التي وظفت من قبل طرفي الصراع باتجاهاتها المختلفة. ومن أهم تلك المصطلحات التي وظفت في الأتجاه الأول مصطلح البغاة أو الفئة الباغية، أو أهل البغي، والضالين أو الفئة الضالة ، والطغاة ، المفسدين أو أهل الفساد.

فقد وردت هذه المفردات بشكل كبير في كتابات مؤرخي السلطة والمعارضة . على حد سواء . فيكاد لا يخلو مصنف من مصنفاتهم التاريخية، إلا وفيه ذكر لها، لذلك فقد حرص كل طرف على وصف خصمه بها، لما تحمله من معاني، وأحكام فقهية تحقق المآرب السياسية التي وظفت من أجلها.

فالبغي معناه مجاوزة الحد والظلم والخروج على الحاكم، أو على من تثبت خلافته، أو إمامته، وبغى الرجل عدل عن الحق، والبغي هو الظلم[1]، والفئة الباغية هي الفئة الظالمة، الخارجة عن الحق. وحكم البغاة في الإسلام حسب اتفاق العلماء هو قتالهم لدفع شرهم، ولا يعتبر الباغي كافراً باتفاق أئمة الدين[1]. ويشدد المذهب الزيدي على حرب البغاة وجهادهم باعتبار أنهم أتوا الإسلام من معدنه[2].

والضلال ضد الهدى والرشاد، وهو سلوك طريق لا يوصل إلى المطلوب[3]، والضالون أو الفئة الضالة هم الهائمون الخارجون عن طريق الحق[4]، وحكمهم هنا حكم العصاة، بحسب نوع المعصية[5] والمتمثل هنا في حكم الخروج على الجماعة

والطغاة هم من تجاوزوا الحد في الظلم والتكبر والعصيان، وحكمهم في الشرع أنهم كفار[6]، والفسدة أو أهل الفساد هم الذين لا يسعون في الصلاح الأرض، وحكمهم الشرعي يختلف بحسب نوع فسادهم، فالفساد في الدين كفر، والفساد في الأخلاق فجور[7]، والفساد في الأرض هو الكفر قولاً وعملاً، ومن عصى الله في الأرض وأمر بالمعصية فقد أفسد في الأرض، لأن الصلاح يكون بطاعة الله والفساد بالمعصية[8].

إن أدراك طرفي الصراع ومنهم المؤرخون لمدلول هذا المصطلحات وحكمها الشرعي، هو ما جعلهم يوظفوها في صراعهم السياسي، لما تحمله من تبرير شرعي يجيز حرب وقتال من يوصف بها، وهو المبرر والذريعة التي عمل كل طرف على

([1]) عبد الله فروان : الخروج على الحاكم الجائر في الفكر السياسي الإسلامي. صنعاء ، أوان للخدمات الأعلامية، (د.ت)، صـ108، صالح بن عبدالله حميد: نظرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم. دار الوسيلة للنشر والتوزيع،ط أولى، المجلد التاسع، صـ 4085.

([1]) عبد الله فروان: نفس المرجع. صـ 121.

([2]) أشواق غليس : التجديد في فكر الإمامة عند الزيدية في اليمن. القاهرة، مكتبة مدبولي، ط أولى، 1997م، صـ 109.

([3]) محب الدين أبي فيض محمد مرتضى الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس: بيروت، دار الفكر، 1994م. جـ 15، صـ420.

([4]) إسماعيل بن كثير: تفسير بن كثير. بيروت، دار المفيد، (د.ت) جـ1، ص،30.

([5]) صالح بن عبد الله حميد: نظرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم . المجلد العاشر، صـ 4796.

([6]) نفس المرجع. المجلد العاشر، صـ 4835.

([7]) نفس المرجع. المجلد الحادي عشر، صـ 5237.

([8]) عبد الله فروان : نفس المرجع. صـ39.

إيجادها لشرعنة حربه السياسية، فحين يوصف أحد طرفي الحرب أو الصراع بهذه الأوصاف تصبح مسألة قتاله ومحاربته واجباً دينياً. و تخول لخصمه السياسي الحق في حربه وجهاده.

وفي الإتجاه الثاني وظفت مفردات لا يقف مدلولها على فهم المنطوق منها، أو المصرح الذي تعبر عنه، بل لها مدلول ومعنى خفي، أو ما يعرف بالمسكوت عنه في معنى اللفظ[1]، ولعل أشهرها مصطلح المجاهدين[2]، المسلمين، أو المؤمنين[3]، الشهداء[4]، والفرقة الناجية، وتزخر مؤلفات المؤرخين بالعديد من هذه المفردات أو المصطلحات، فالا يخلو مصنف من مصنفاتهم التاريخية إلا وفيه ذكر، أو إشارة لها.

فحين يصف أحد طرفي الصراع جنوده المقاتلين بالمجاهدين، فمدلول لفظ المجاهدين لا يقتصر على المعنى المصرح به، والدال على أنهم أصحاب الحق والمقاتلين في سبيل إحياء شريعة الله، بل يحمل مدلول أخر "خفي" يتمثل في وصف خصومهم بأنهم ليسوا من المجاهدين، بل هم من المحاربين لشرع الله، مما يعني نفي صفة الشرعية الدينية لحربهم، لأن الجهاد لا يكون إلا على غير المسلمين، أو على الخارجين على الدين. ينطبق الحال كذلك على كلمة المسلمين والشهداء، فحين يوصف المؤرخين أحد طرفي الصراع بهذه الأوصاف فهذا يعني أن خصومهم ليسوا من المسلمين، وأن قتلى خصومهم ليسوا من الشهداء.

ومن المصطلحات التي وظفت أيضاً مصطلح الفرقة الناجية بما يحمله من بعد ديني يجعل من يحمل هذه الصفة صاحب الحق، وغيره من الفرق الهالكة ، أستناداً إلى الحديث النبوي المروي عن رسول الله ﷺ " أن أمة موسى أفترقت إلى أحدى وسبعين فرقة، فرقة ناجية، وسبعون في النار، وأفترقت امة عيسى إلى اثنتين وسبعون

([1]) نصر أبو زيد: نقد الخطاب الديني. صـ 27.

([2]) أحمد اشرفي: اللآلئ المضيئة. جـ3، قـ 114، عبد الله داعر: الفتوحات المرادية.جـ 2، قـ44، مؤرخ مجهول : دولة الترك في اليمن. قـ 49. أحمد اللوزي: سيرة الإمام الحسن. قـ 14.

([3]) المطهر الجرموزي: الفتوحات المرادية. قـ 274، أحمد الشرفي: نفس المصدر، قـ 381.

([4]) مؤرخ مجهول: دولة الترك في اليمن. قـ36، أحمد الشرفي: اللآلئ المضيئة. جـ3، قـ158، عبد الله داعر: نفس المصدر.جـ 1، قـ 210.

فرقة، فرقة ناجية، واحدى وسبعون في النار، وان أمتي ستفترق إلى ثلاث وسبعون فرقة، منه فرقة ناجية، واثنتان وسبعون في النار"[1].

حيث عمل كل طرف أثناء الصراع على وصف نفسهم بأنهم الفرقة الناجية و يصف خصمه السياسي بأنه من الفرق الهالكة، ليكون هذا الوصف حجة له على خصمه.

وقد جاء توظيف هذه المفردات والمصطلحات من قبل طرفي الصراع، من باب الترويج والتضليل اعتمادا على ما في الموروث الفقهي من أسانيد تخدم قضاياهم السياسية.

ولم يقتصر دور المؤرخين على الترويج لتلك المفردات ذات الدلالات الشرعية في مؤلفاتهم التاريخية، بل عملوا على إضفاء نوع من الشرعية على زعماء طرفي الصراع، وذلك حين أحاطوا أسماء الزعماء السياسيين الذين انحازواإلى جانبهم بهالة من الألقاب والأدعية التي ترفع من شأنهم، كما انهالوا على خصومهم السياسيين بأنواع من السب والشتم التي تحط من مكانتهم السياسية والدينية.

فلا يخلو مصنف من مصنفات مؤرخو السلطة أو المعارضة، إلا وفيه ذكر لمثل تلك الألقاب والأدعائية، أو الشتائم. فقد كان أغلب مؤرخي السلطة يضيفون ألقاب التفخيم والتبجيل إلى أسماء السلاطين العثمانيين، ويصفوهم بأوصاف تنزلهم منزلة الخلفاء، ويصفون دولتهم بدولة الخلافة، وأضافوا ألقاباًوأدعية إلى أسماء الولاة العثمانيين، وأغلبها ألقاب تبين عدالتهم، وخيريتهم.

([1]) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: جـ3، صـ120. روي هذا الحديث بمعنى أخر يختلف عما ورد سابقاً، فقد روي على النحو الأتي " ستفترق أمتي على نيف وسبعين فرقة، كلها في الجنة إلا فرقة واحدة" العجلوني : كشف الخفاء. جـ1، صـ169.

و يشكك بعض الباحثين في صحة هذا الحديث، لأختلاف المعنى في روايته، ولإسباب أخرى منها:

. أنه يصور للأمة أن الفرقة قدرهم، وانه قد قضي عليهم بالتمزق، ولا أمل لهم في النصرة ولم الشمل، وليس امامهم إلا البغض الطائفي.=

. أنه صنع جواجز نفسية بين المسلمين، بحيث صار أتباع المذاهب يتعاملون فيما بينهم، وكأنهم من ديانات مختلفة.

. أوقع هذا الحديث كثيراً من الجماعات في حبائل التعصب.

. جعل للفرق شرعية تضليل بعضها بعضاً . محمد عزان: كتاب المسار، حديث إقتراق الأمة تحت المجهر. صنعاء، مركز التراث والبحوث اليمني،ط أولى، 2001م، صـ28،26.

كما انهالوا في الوقت نفسه بالشتائم والسباب على الأئمة الزيدية، حيث وصفوهم بالمارقين، الملاعين، الشرذمة الفاجرة.. وغير ذلك.

في حين كان مؤرخو المعارضة يصفون أئمة الزيدية بألقاب، وأدعية تضفي عليهم نوعاً من القداسة، والمكانة الدينية، . على سبيل المثال كانوا يضيفون عبارة عليه السلام عند ذكرهم لأسماء الأئمة الزيدية "الإمام القاسم بن محمد عليه السلام".. فإنهم في الوقت نفسه كانوا يتبَعوا اسماء القادة أو ولاتها العثمانيين، . في كثير من الأحيان . باللعن والسب، مثل قولهم " أقماهم الله"، "لعنهم الله"، أخزاهم الله" ، أو يصفونهم بالعلوج، وغير ذلك من الأوصاف.

وهكذا عمل طرفا الصراع على استغلال النصوص الدينية بما يخدم قضاياهم السياسية، خاصة القوة الزيدية التي عولت كثيراً على تلك النصوص، في تبرير حربها ضد العثمانيين، والتي عملت على نفي صفة الخروج والمروق عنها، و أن ما قام به أئمتها هو نوع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة الظالمين، والخروج عليهم. وعملت الدولة العثمانية على تأكيد شرعية حكمها، وأن طاعة الدولة من طاعة الله، واكتفوا بالآيات والأحاديث التي تؤكد هذه القاعدة.

الفصل الرابع

توظيف الكرامات "السند الغيبي" و الشعر في خدمة السياسية

من واقع كتابات المؤرخين

إذا كان طرفا الصراع " أئمة الزيدية . العثمانيون" قد اعتمدوا في خطابهم السياسي على النص الديني والدليل الشرعي، لإقناع المجتمع، خاصة فئة العلماء "النخب المثقفة" بشرعيتهم. فأنهم أيضاً حاولوا . بشكل أو بآخر . أن يقنعوا المجتمع عامة ويكسبوا تأييده، معتمدين في ذلك على الأساليب البسيطة، التي يسهل فهمها وتناقل أفكارها، ويكون لها تأثير في أوساط المجتمع الذي تخاطبه. فكانت القصص والحكايات الغريبة، التي نسجت حول شخصيات الزعماء السياسيين، ووصلت درجة المبالغة فيها إلى ما يمكن أن نسميه بالأساطير[1] و الخرافات[2]، وكذلك القصائد الشعرية متعددة الأغراض هي وسيلتهم في ذلك.

فقد شجع طرفي الصراع الرواة والشعراء على صياغة تلك المرويات والقصائد بما يتوافق ورؤيتهم ومفاهيمهم. ومن ثم نشرها بين الناس لتحقيق مكاسبهم السياسية. آخذين في الإعتبار مدى أهميتها من حيث مخاطبتها للعاطفة، وسهولة انتشارها. إذ تعتمد في تناقلها على الرواية الشفهية.

يتضح اهتمام طرفي الصراع بهذه الوسيلة بما ورد منها في مؤلفات مؤرخيهم، التي صنفت إما بطلب منهم، او بهدف إرضائهم والتقرب منهم، فلا يخلو مصنف من تلك المصنفات إلا وفيه ذكر لتلك المرويات المختلفة، ووصل اهتمام بعض المؤرخين بهذه المرويات إلى تخصيص فصول خاصة بها في مؤلفاتهم. كما وردت في تلك المؤلفات التاريخية العديد من القصائد الشعرية متعددة الأغراض.

([1]) الأسطورة : هي حكايات تقليدية تلعب فيها قوى ما وراء الطبيعة أدوارها الرئيسية، ويؤمن أهل الثقافة التي أنتجتها بصدق روايتها، إيماناً لا يتزعزع ، ويرون في مضمونها رسالة سرمدية موجهة لبني البشر. فراس السواح: الأسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية. دمشق، دار علاء الدين، ط أولى، 1997م صـ 8، 15.

([2]) الخرافة : هي فكرة ليس لها أساس علمي واقعي، وهي عبارة عن تصور ذهني غير عقلاني، بل صورة لما يطلق عليه اللامعقول... وتقوم الخرافة على عنصر الأدهاش، وتمتلئ بالمبالغات والتهويلات ، وتجري أحداثها بعيداً عن الواقع، حيث تتحرك الشخصيات بسهولة عن المستوى الطبيعي المنظور... وتتشابك علاقاتها مع كائنات ما ورائية متنوعة مثل الجن والعفاريت. خالد العفيري: التفكير الخرافي وعلاقته ببعض المتغيرات في المجتمع اليمني رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة صنعاء، 2002م، صـ 23 فراس السواح: المرجع السابق. صـ 15.

توظيف الكرامات (السند الغيبي)

كانت الحكايات والقصص الغريبة التي لعبت قوى ماوراء الطبيعة أدوراً رئيسة فيها، من الوسائل التي أعتنت بها القوى المتصارعة، وشجعت الرواة . بطريقة أو بأخرى . على نشرها، كنوع من الحرب الدعائية التي لجأت إليها لتعزيز موقفها السياسي. فقد عملت على استغلال البعد الديني الذي أحيط بتلك المرويات في إضفاء نوع من القداسة على شخصيات من نسجت حولهم، وتأكيد وقوف المشيئة الإلهية إلى جانبهم. فقد وصُفت الأحداث الغريبة فيها تحت ما يعرف في الموروث الثقافي الإسلامي بالكرامات والبركات، وهذا الوصف له دلالته الدينية، ولمن يختص به مكانة ومنزلة جليلة.

فالكرامة : أمر خارق للعادة، غير مقارن بالتحدي، ودعوى النبوة[1]، ويفرق المتصوفة بينها وبين المعجزات، فظهورها على بعض الأولياء من الاختصاص والتفضل كالرؤية الصادقة في المنام، وسماع خطاب من هاتف، وكالإلهام[2].

والكرامات في الثقافة الإسلامية واردة ولم ينكرها الشرع، بل أكد عليها، ويذهب شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني إلى أن الكرامات أمر مشروع وممكن أن يقع، وأن يختص بها أفراد، تكون لهم منزلة عند الله، و لهم قدرات يستقوها من فضل الله. وحصر الإمام الشوكاني هذه الكرامات على أولياء الله الذين لهم صفات محددة، حيث يقول "إن الكرامات لا تكون إلا في أولياء الله"، وإستقى الإمام الشوكاني مكانة ومنزلة الولي مما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[3] وقوله تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[4]، و من ما ورد في السنة النبوية من حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي قال فيه : قال رسول الله ﷺ أن الله تبارك وتعالى قال "من عادى

([1]) مرتضى الزبيدي: تاج العروس. ج17، صـ 613.

([2]) جان شوفيني: التصوف والمتصوفة: ترجمة عبدالقادر قيني، بيروت، أفريقيا الشرق للطباعة، 1999م، صـ121.

([3]) سورة يونس : الأية 62.

([4]) سورة المائدة: أية 55.

لي ولياً فقد أذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن أستعاذ بي لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله، ترددي عن نفس عبدي المؤمن يكره الموت، واكره مسألته"[1].

كما حدد الإمام الشوكاني صفات الولي التي من أهمها "أن يكون مجاب الدعوة، راضياً عن الله عز وجل في كل حال، قائماً بفرائض الله سبحانه، تاركاً لمناهيه، زاهداً فيما يتكالب الناس عليه من طلب الدنيا، والحرص على رياستها، لا يكون لنفسه شغل بملاذ الدنيا ولا بالتكاثر فيها، ولا بتحصيل أسباب الغنى". ويرى الإمام الشوكاني أن الكرامات لا تنافي الشريعة الإسلامية، بل أن الشريعة تقر بها، وأن من ذهب إلى أن الكرامات الخاصة بالأولياء هي من باب الأفعال الشيطانية، أو التصرفات الإبليسية فإنه غير مصيب في ذلك، كما يرى في الوقت نفسه أن من لا يتصف بصفات الأولياء، وأمتلك عملاً خارق للعادات، فإن هذا العمل ليس من الكرامات، بل هو من الولايات الشيطانية[2].

وقضية الكرامات واختصاص بعض الناس بها من القضايا الشائعة في الثقافة الإسلامية، حيث تزخر كتب التراث بالعديد من الروايات، ومنها كرامة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مع جيش سارية[3]، فقد ورد في كتب التاريخ أن الخليفة عمر أثناء خطبته على منبر مسجد المدينة، اخذ يصيح يا سارية الجبل .. يا سارية الجبل، وبعد فترة وصل رسول جيش سارية، فسأله عمر بن الخطاب عن أخبار معركتهم، فقال يا أمير المؤمنين لقينا عدونا فهزمونا، فإذا بصائح يقول : ياسارية الجبل .. يا سارية

([1]) أخرجه البخاري : صحيح البخاري. حديث رقم 6355، ابن حبان: صحيح ابن حبان. جـ1،صـ94، حديث رقم 346، يحيى بن الحسين: تيسير المطالب. صـ549.

([2]) إبراهيم إبراهيم هلال : ولاية الله والطريق إليها. دراسة وتحقيق لكتاب قطر الولي في أحاديث الولي، للإمام محمد بن علي الشوكاني، القاهرة، دار الكتب الحديثة، (د.ت)، صـ 240، 241، 243، 256.

([3]) سارية بن زنيم بن عبدالله، من التابعين روى عن الرسول الكريم العديد من الأحاديث، وقد ولاه عمر بن الخطاب ناحية فارس. ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة. تحقيق :طه الزيني، القاهرة ، مكتبة الكليات الأزهرية، 1970م، جـ3، صـ98.

الجبل فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمناهم[1]. ومنها ما روي عن كرامة سعيد بن زيد[2]، الذي عُرف أنه كان مجاب الدعوة، فقد ذكر أنه دعا على إمراءة لما كذبت عليه بقوله اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها، وأقتلها في أرضها، فعميت، ووقعت في حفرة في أرضها وماتت[1].

كما وردت في كتب التاريخ العديد من الروايات التي تظهر كرامات آل العباس، والتي عمل المؤرخون على ذكرها للتقرب حينها من الخلفاء العباسيين، ومنها: أن الخليفة عمر بن الخطاب أستسقى بالعباس عم النبيﷺ عام الرمادة، لما أشتد القحط، فسقاهم الله به، وخصبت الأرض، فقال عمر هذا و الله الوسيلة إلى الله والمكانة منه. ومنها أن عبدالله بن العباس لما مات و الناس في جنازته جاء طائر أبيض يقال له الغرونق فدخل في النعش فلم ير بعد[2]. وغير ذلك من الروايات.

إن مفهوم الكرامات من منظور شرعي يبين ما يحتله صاحبها من منزلة و مكانة دينية قوية، فمن يختص بها هم أولياء الله، وأولياء الله يجب طاعتهم، وعدم معاداتهم، فهم حزب الله الغالبون، ومن عاداهم فهو معاد لله ورسوله، وفق النصوص الشرعية. ومن هنا جاء الربط بين مدلول مفهوم الكرامات، ومكانة من يختص بها من منظور شرعي، وتوظيفه سياسياً في أحداث الصراع، حيث تعمد الرواة على وصف الأحداث الغريبة، في المرويات التي تخص القادة السياسيين بأنها كرامات. وهذا الوصف يجعل ممن أختص بها من الأولياء، الذين لهم مكانة ومنزلة كبيرة ، ويجب طاعتهم، واتباعهم، وعدم محاربتهم، وفق منظور الثقافة الإسلامية. كما يضفي هذا الربط على أصحاب تلك الكرامات هالة من القداسة الدينية، لأهداف سياسية تمثل صفة الشرعية الدينية لتوليهم الحكم أهمها.

لذلك فقد أهتم طرفا الصراع " أئمة الزيدية . العثمانيون" بتوظيف العديد منها، وفق ذلك المفهوم، باعتبارها وسيلة من وسائل التأثير التي كانت سائدة آنذاك لإثبات

([1]) إبراهيم هلال : نفس المرجع. صـ251، 252.

([2]) سعيد بن زيد: هو أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، من السابقين إلى الإسلام، شهد المشاهد كلها مع رسول الله، ما عدا بدر، كانت وفاته سنة 50هـ / 670م. ابن حجر العسقلاني: لإصابة. جـ4، صـ189.

([1]) إبراهيم هلال : ولاية الله والطريق إليها. صـ 252.

([2]) أحمد أمين: ضحى الإسلام. جـ1، صـ29.

ملازمة السند الغيبي لهذا الطرف أو ذاك. تجلى ذلك بورود العديد منها على صفحات مصنفات مؤرخي تلك المرحلة، والتي وصل الإهتمام بها لدى بعضهم، إلى إفراد فصول خاصة بذكرها في مؤلفاتهم[1].

وعلى الرغم من تفاوت مستوى توظيف هذه الوسيلة الدعائية عند مؤرخي تلك المرحلة، إلا أن ذلك لا يعني اهتمام طرف بتوظيفها، وتجاهل الطرف الأخر لأهميتها. فقد لعبت الظروف التاريخية التي مرت بها القوى دوراً مهماً في سعي كل طرف لإستفادة منها.

لقد اعتنى أئمة الزيدية بتوظيف السند الغيبي في صراعهم مع العثمانيين، ظهر ذلك واضحاً بما ورد في مؤلفات مؤرخيهم من مرويات تحكي وقوع كرامات وبركات الأئمة. وجاء اهتمامهم بتوظيف هذه الوسيلة نتيجة ظروف سياسية واجتماعية أثرت وسهلت في الوقت نفسه أعتمادهم على مثل هذا الأسلوب في مواجهة العثمانيين. فقد مثل أئمة الزيدية القوة المعارضة "الثائرة" ضد الحكم العثماني في اليمن، وهذه الحالة السياسية تتطلب منهم امتلاك خطاب سياسي قوي و مؤثر، إلى جانب تمتع شخصياتهم بنوع من الكارزمية[2]، التي تتخذ من العاطفة وسيلة رئيسة للإقناع، دون اللجوء إلى القوة واستخدام العنف في حشد الأنصار، لخوض غمار حرب ضد عدو يمتلك خطاباً سياسياً قوياً، وآلة عسكرية قادرة على تثبيته وتدعيمه.

لذلك رُبطت الكرامات بشخصياتهم لإظهار تفردهم، ومكانتهم الدينية، ويبدو أن المكانة الاجتماعية الدينية التي كان يحتلها الأئمة في قلوب الناس، كونهم من سلالة بيت النبيﷺ، قد ساعدت إلى حد كبير في إمكانية أرتباط شخصياتهم بالكرامات، وهذا

([1]) أفرد الكثير من المؤرخين فصولاً خاصة بهذا الجانب ، وتحت نفس المسمى في مؤلفاتهم التاريخية. أنظر المطهر الجرموزي : النبذة المشير. تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، صـ 310. الجوهرة المنيرة/ تحقيق أمة الملك الثور، صـ173 ، الحسن الزريقي: سيرة الإمام شرف الدين. قـ 52، أحمد اللوزي: سيرة الإمام الحسن بن علي المؤيدي. قـ 5. أحمد الشرفي: اللآلي المضيئة. جـ3، قـ 175.

([2]) الشخصية الكارزمية: لازلت كلمة الكارزما من الكلمات الغامضة، التي يعتبر غموضها سر سحرها، فهي قد تستخدم بمعنى الشخصية الساحرة، أو الشخصية الملهمة، أو الآسرة، تختص الشخصية المعنية بالكارزمية بأعتقاد أتباعها ومنافسيها بأن صاحبها يملك صفات خارقة، أو ملهمة ، ويتوافق مفهوم الكارزما هنا مع مفهوم البطل، أو الرجل العظيم. بشير محمد الخضرا : النمط النبوي . الخليفي في القيادة السياسية العربية والديمقراطية.بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية،ط أولى، 2005م، صـ 90،91.

الأمر أسهم . بشكل لا يمكن تجاهله . في تسهيل توظيف هذه الوسيلة في خدمة المصالح السياسية في ذلك الصراع.

وفي الاتجاه الأخر نجد أن العثمانيين ومؤيديهم، لم يهملوا توظيف الأسانيد الغيبية في التدليل على شرعيتهم بوقوف السند الغيبي إلى جانبهم، حيث وردت في مؤلفات مؤرخيهم العديد من المرويات التي تحكي وقوع كرامات وبركات لسلاطين الدولة العثمانية، أو ولاتها في اليمن، وإن لم يصل مستوى ذلك التوظيف ما لدى أئمة الزيدية ومؤيدهم، فإن ذلك يرجع إلى وضع العثمانيين السياسي الذي كان ينظر إليه الكثير بما فيهم بعض أئمة الزيدية بأنه حكم شرعي.

وعلى الرغم من أن توظيف هذا النوع من الوسائل الدعائية كان بهدف إيجاد السند الغيبي، الذي يمنح بدوره تبريراً دينياً للأعمال السياسية والعسكرية لهذا الزعيم أو ذاك، ولمخاطبة العاطفة الدينية، لجمع الأنصار ومحاولة إقناع العامة من الناس بعدالة قضية هذا الطرف أو ذاك، إلا أن ما يثير الاهتمام في ذلك التوظيف أن أصحاب الشأن تلك الكرامات لم يرووا بأنفسهم، أو يشيروا مباشرة إلى ما وقع لهم من كرامات، كما أنهم في الوقت نفسه لم يستنكروا ما روي منها على لسان مؤيديهم.

ويبدو انهم قد تعمدوا هذا الموقف، فهم حين سكتوا أو تغاضوا عن ما كان يروى، ويشاع من وقوع الكرامات لهم، فذلك يأتي من أدراكهم لأهمية هذه الوسيلة، وما يمكن أن يجنوه من وراء توظيفها في التأثير على الناس. وليس ببعيد أن يكون توظيفها بإيعاز منهم، أو بموافقتهم خاصة إذا ما علمنا أن اكثر المؤلفات التاريخية صنفت بطلب منهم، هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية يمكن القول أن تحاشيهم ذكرها على ألسنتهم، أو التصريح بصحتها، كان من باب منع الشك والريبة فيهم. خاصة وأن هذا النوع من الوسائل الدعائية كثيراً ما يكون محل شك وانتقاد من قبل العلماء، وقد حدث أن تعرضت بعض تلك الروايات لمثل هذا النقد . على سبيل المثال . فقد شن المؤرخ عبدالله بن داعر حملة انتقادات لاذعة، لما كان يروج بين الناس، وورد في كتابات المؤرخين [1]من حدوث كرامات خاصة بالإمام الحسن بن علي المؤيدي، والتي تدل على أحقيته في الإمامة والحكم. ومنها ظهور اسمه وصفته كإمام على أوراق الشجر، وفي الأحلام والرؤى وغيرها.

([1]) وردت هذه الكرامات عند المؤرخ الشرفي ، والمؤرخ أحمد اللوزي، وسنشير إلى ذلك لاحقاً

فقد علّق ابن داعر على ذلك بقوله "هذا ولقد تمالى الناس عند دعوة الحسن بن علي من جبل الأهنوم، على نصرته بما قدروا عليه كما هو معلوم، وتنوعوا في معاضدته أنواعاً وفنوناً، [...] وهتكوا في إقامة أمره كما يريد من آمرهم حجاباً مصونا، وجاءوا بالآفات والزور[...]، فمنهم من فعل مناماً، وروى عن غيره أحلاماً، وزعم أن إمامه لسائر الأئمة إمام فهو أجلهم حالاً[...]،ومنهم من يقول رأيت أسمه مكتوب في الشجر والثمر، مرسوماً على الصفا وصمصم الحجر، ولقد سمعت بعض أشياعه، ومن زعم انه أصدق اتباعه أنه رأى مكتوباً على حبة عنب أسم الحسن بن علي، وهذا أمر ظاهر الاستحالة معلوم الامتناع، ومع تقدير صحة ما رواه فإن ذلك بحيلة من أصحابه لخداع من سواه"[1].

كما بيّن أن اعتماد الأئمة على هذه الأساليب كان لغرض الوصول إلى الحكم والرياسة وتوريثها في أبنائهم بقوله إن "الإعتماد على الخيالات من وجود أسمائهم على ورق الشجر والثمرات ليلتمسوا بذلك الرياسات، ويضعونها في ابنائهم وبناتهم، لبئس ما كانوا يصنعون ، وويل لهم مما يفترون، وقبحاً لما يجتابونه لأنفسهم من عقد الرياسات ، ويقولون هذا من عند الله، فويل لهم مما كتبت أيديهم، وويل لهم مما يكسبون"[2].

إن هذه التشكيكات والانتقادت التي وجهها مؤرخ معاصر للأحداث، تبين وقوف أناس متخصصين وراء الترويج لتلك الدعايات، ونشرها بين الناس، لإحاطة من اختص بها بهالة من القداسة الدينية، وهذا التوظيف . كما أشار المؤرخ . هو توظيف سياسي بهدف الوصول إلى الحكم. ومن هنا يمكن القول أن من تولى هذا النشر والترويج هم من المتخصصين القادرين على فبركة تلك المرويات وجعلها قوة مؤثرة في توجهات ومواقف الناس. ولا ضير في القول أن الزعماء السياسيين الذين أختصوا بتلك الكرامات والبركات، قد أوكلوا مهمة توظيفها في صراعهم السياسي إلى أولئك المتخصصين. لأن توظيف مثل هذه الوسيلة عادة يحدث كما يقول الدكتور فراس السواح انه خلال فترات الاضطربات السياسية، يعمل المفكرون على الإستفادة من النزوع الأسطوري لدى الناس "فيعمدون إلى فبركة أساطير مدروسة بمهارة يضعونها

([1]) عبدالله بن داعر : الفتوحات المرادية . ج2 ، ق51، 52.

([2]) نفس المصدر. ج2 ، ق51، 52.

تحت تصرف أساطين الإعلام من شأنها إسقاط الأحوال الأنفعالية عند الجماهير، ومصادرة محاكاتها المنطقية، لصالح نزعاتها غير العقلانية، ويعتمد هؤلاء على الإستفادة القصوى من طلال الكلمات، ومن الطابع السحري للغة، وينحتون مصطلحات ذات شحنة عاطفية هائلة تحرك الجماهير وتوجههم نحو الغايات المرسومة"[1].

ويعتبر مؤرخو السلطة والمعارضة جزءاً من المتخصصين، الذين تحملوا مسئولية توصيل ونشر تلك الأفكار بأسلوب ادبي، بغرض التأثير، وتغيير توجهات ومواقف الناس، فهم بمثابة أساطين الإعلام الذين أشار إليهم السواح أنفاً.

تجلى ذلك بما أحتوته مؤلفاتهم التاريخية من مرويات تعددت فيها طرق إثبات ملازمة السند الغيبيي لأطراف الصراع، ويمكن تقسيم تلك المرويات إلى صنفين. الصنف الأول: اقتصر دور المؤرخين فيه على إعادة صياغة القصص والروايات الغريبة ، والظواهر الخارقة التي فبركت حول شخصيات الصراع السياسي، بأسلوبهم الخاص، وتدوينها في مؤلفاتهم.

وفي الصنف الثاني لعب المؤرخون دورا رئيساً فيه، وذلك حين عملوا على الربط بين وقوع الأحداث السياسية والعسكرية، وكذلك وقوع الظواهر الطبيعية والاقتصادية، وبين شخصيات زعماء الصراع، وعزوا ذلك إلى المشيئة الألهية، أو أنها من كرامات وبركات تلك الشخصيات لإضفاء نوع من القداسة حولها.

ومن الصعب إجمال كل ما ورد في مؤلفات المؤرخين من تلك المرويات بصنفيها، ونكتفي بذكر بعضها، لإيضاح كيفية توظيف هذه الوسيلة في الأحداث السياسية خلال تلك المرحلة. والأبعاد السياسية التي عملت القوى السياسية على قطف ثمارها من خلال ذلك التوظيف.

ففي الصنف الأول ورد ت مرويات تحكي وقوع أحداث غريبة و خارقة للعادة مثل:سماع أصوات مجهولة المصدر، وظهور رسوم على أوراق الشجر، وعلى لحم وعظام الحيوانات، وتجلي النبي في الرؤى والأحلام، واشتراك الحشرات والحيوانات في

([1]) فراس السواح : الأسطورة والمعنى. صـ 32.

الأحداث، واستجابة الأدعية، وغيرها " والتي تظهر دلالات وعلامات، تؤكد وقوف المشيئة الألهية إلى جانب أبطالها.

فقد أورد الكثير من المؤرخين قصة سماع الصوت الذي كان يردد في مآذن مدينة صنعاء أسم الإمام القاسم (يا إمام يا قاسم .. يا إمام يا قاسم ....) بتفخيم القاف، ولا يرى شيء من مصدر الصوت سوى طائر[1].

إلا أن اكثر ما روي عند المؤرخين في ذلك، هي قصص الكتابات والرسوم التي وجدت على أوراق الشجر، وعلى لحم وعظام الحيوانات[2]، ومنها ما ذكره المؤرخ احمد بن شايع اللوزي، أنه شاهد بعد صلاة الجمعة في بلاد الأهنوم[3] مع خلق كثير رسماً جلياً على غصن شجرة جاء به رجل، فيها ما لفظه أمير المؤمنين الحسن بن علي[4]. وأورد المؤرخ أحمد الشرفي أن القاضي جمال الدين علي بن محمد فاضل[5] من أهالي الأهنوم "رأى في ورقة من الرمان ما لفظه الحسن بن علي"، وأن الفقيه دغيش "رأى رسماً غريباً جلياً في ورقة من الهند[6] ما لفظه الناصر لدين الله الحسن بن علي"، وأن السيد فخر الدين بن محمد بن إبراهيم شاهد " في حبة من العنب ما لفظه أمير

([1]) أحمد الشرفي: اللآلئ المضيئة. جـ 3، قـ 210، المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة. تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، صـ 315. ذكر صاحب تاريخ دولة الترك أن سنان باشا الكيخيا خرج بنفسه لتتبع الصوت ، فرأى طائر أبيض على منارة جامع صلاح الدين ينادي .. يا إمام يا قاسم .. يا إمام يا قاسم .. ، فعلم أنه أمر من الله وجب . أنظر مؤرخ مجهول: تاريخ دولة الترك. ق26.

([2]) وردت الكثير من هذه القصص التي تكاد تكون متشابه في العديد من مؤلفات التاريخية، والتي ربما نقلها المؤرخون من بعضهم، وقد أقتصر الباحث هنا على ذكر بعض الامثلة. أحمد الشرفي: نفس المصدر. جـ3، قـ 128، 132، أحمد بن شايع اللوزي: سيرة الإمام الحسن: ق 5 –6 ، المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة : تحقيق أمة الملك الثور، صـ 173. 183 وفي النبذة المشيرة. تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، صـ 310 . 318.

([3]) ناحية من بلاد حاشد وتتبع محافظة عمران شمال صنعاء. إبراهيم المقحفي:معجم البلدان جـ1،صـ114.

([4]) أحمد اللوزي : نفس المصدر. ق 5. أحمد الشرفي: نفس المصدر. جـ3، ق130.

([5]) في هذا الجزء من الدراسة سترد العديد من أسماء الأشخاص الذين وقعت معهم الأحداث التي تؤكد كرامات الأئمة، أو الولاة العثمانيين، والباحث لم يعط ترجمة لتكلك الشخصيات كونها شخصيات جانبية، وليست ذات أهمية في الدراسة، إلا أن ذكرها في متن الدراسة ضرورة لا بد منها لتأكيد الدقة في نقل الرويات، نظراً لورود العديد منها وتشابه مضومنها في مؤلفات المؤرخين، التي أعتمد الباحث عليها في نقل تلك الروايات.

([6]) الهند : الذرة الشامية.

المؤمنين الحسن بن علي، وروي أن بعضهم استخرج الماء الذي في الحبة لزيادة التحقيق، فبقي الرسم على حاله بعد خروج الماء"[1].

وورد عند المؤرخ أحمد اللوزي، أنه وجد في بيت القاضي شرف الدين بن الحسن سنة 999هـ/ 1591م" ما لفظه الحسن بن علي بن محمد في أحد جانبي كبش، وفي الجانب الأخر، لقد علمه الله هذا "، وذكر أيضاً أن الشيخ عبد الله بن المعافا ذبح كبشاً أضحية في نفس السنة، فوجد في إحدى خصيتيه "ما لفظه بسم الله الرحمن الرحيم الناصر لدين الله الحسن بن علي"[1].

ومنها ما ورد عند المؤرخ أحمد الشرفي، أن الفقيه صلاح بن محمد روى أن رجلاً من بلاد الظاهر "جاء إليه بخصيتي كبش ذبحه في شهر رمضان سنة 988هـ [1590م] وفيها ما لفظه الحسن بن علي، وزيادة غلب ظنهما أنها أمير المؤمنين" [2]، ومما ورد عنده أيضاً، ما رواه السيد عماد الدين يحيى بن ناصر الغرباني، أن الشيخ عبدالله بن المعافى "وجد في خصية كبش ذبحه بعض جيرانه في السنة المذكورة (989هـ/ 1591م) ما لفظه لا إله إلا الله الحسن بن علي"[3]، كما ذكر أيضاً أن السيد يحيى بن الناصر وجد في خصية كبش ذبحه أضحية ما لفظه "الولي الحسن بن علي"[4]، وذكر المؤرخ مطهر الجرموزي أن السيد علم الدين بن نجم الدين "وجد في لوح أضحيته مكتوباً بخط بيّن الإمام محمد أمير المؤمنين"[5].

ومن القصص التي أوردها المؤرخون لإثبات المساندة الإلهية لزعماء وقادة القوى السياسية، تلك التي كانت الحيوانات والحشرات تلعب فيه دوراً رئيسياً، حيث كانت بمثابة الرسل، أو النذر الموجهة من الإرادة الإلهية، التي تعيد الحق إلى نصابه. منها ما رواه المؤرخ الجرموزي، من أن أحد أتباع الإمام المؤيد بالله وهو الفقيه هلال بن القاسم، حين غاضب الإمام المؤيد بكلمات، وخرج يريد اللحاق

([1]) أحمد الشرفي: اللآلئ المضيئة. ق131.

([1]) أحمد اللوزي: سيرة الإمام الحسن. ق 5.

([2]) أحمد الشرفي: نفس المصدر. جـ 3، ق 130.

([3]) نفس المصدر. جـ 3، ق 130.

([4]) نفس المصدر. جـ 3، ق 130.

([5]) المطهر الجرموزي : الجوهرة المنيرة . تحقيق : أمة الملك الثور، صـ 175.

بالترك، وفي طريقه إليهم دخل سقاية ماء للشرب ، فإذا باب الساقية مُنسد بثعبان عظيم فاتح فاه، فحاول الفقيه الدفاع عن نفسه، إلا انه أدرك أن لا طاقة له بذلك، فراجع في نفسه ما كان منه تجاه الإمام، وأستغفر الله وتاب من حينها، فما كان من الثعبان إلا أن انصرف عن الباب في تلك اللحظة. ومما رواه المؤرخ أيضاً أن الفقيه عبد الله بن إبراهيم بن سلامة، كان يحدث نفسه أن الإمام محمد المؤيد أقّل من والده القاسم في العلم ولا يصلح للإمامة، حتى رأى في منامة رؤيا، ذكرها المؤرخ على لسان الفقيه بقوله " فرأيت كأني سرت أنا وبعض الأصحاب إلى مكان، فلما وصلنا بالقرب من ذلك المكان، فإذا نحن بحنش أبيض قصير يخرج من موضع ثم يدخل فيه مرة بعد مرة، وهو يتنحنح مثل تنحنح الرجل، قال فرجمته بحجر فلم تصبه، فقال [يقصد الحنش] لولا حجار بلادكم لأكلتكم أحناش منع، قلت ما نسمع بمنع إلا أن يكون ينبع ، فقال الحنش ينبع منع، وأقسم الحنش بيمين نطق بها بالجلالة فقال : والله لقد قالت بإمامة محمد الإنس والجن"[1].

ومن تلك الحكايات التي وردت عند المؤرخ ايضاً، ما أخبره السيد الفاضل صالح بن ناصر، أنه رأى قبل موت الإمام القاسم أن نملاً كثيرة خرجت من موضع في شهارة[2] حوالي بركة الطوف، تنادي المؤيد محمد .. المؤيد محمد"[3].

وعلى الرغم من تشابه حجم المبالغة في هذا النوع من المرويات مع غيرها، إلا أن الملفت للانتباه فيها، أن الحيوانات والحشرات التي لعبت أدواراً بطولية في هذه المرويات وهي "الكبش، الثعبان، النمل". سبق وأن لعبت أدواراً مهمة في حياة ومعجزات الأنبياء. كبش إسماعيل ، وثعبان موسى ، ونمل سليمان عليهم السلام، من هنا يمكن القول أن اختيار الرواة لهذه المخلوقات في رواياتهم وقصصهم كان اختياراً مدروساً بدقة وعناية، حيث عملوا من خلال اختيارهم لتلك على المخلوقات على إيجاد نوع من العلاقة بين معجزات الأنبياء، وروايات كرامات الأئمة. بهدف محاكاة الموروث الديني والثقافة الإسلامية في فكر الناس للتدليل على وقوع الكرامات لتلك الشخصيات،

([1]) المطهر الجرموزي : الجوهرة المنيرة . تحقيق : أمة الملك الثور . صـ 174، 175.

([2]) مدينة شهارة تتبع محافظ حجة، إلى الشمال الغربي من صنعاء، وتعد من أشهر حصون اليمن. إبراهيم المقحفي: معجم البلدان. جـ1،صـ881.

([3]) المطهر الجرموزي : نفس المصدر. صـ 181.

فيصبح أمر وقوعها غير مستبعد.لأنه سبق وأن قامت هذه المخلوقات بأدوار رئيسة في معجزات الرسل والأنبياء.

ومن الأساليب التي شاع ذكرها لدى المؤرخين لإثبات كرامات الزعماء السياسيين، رواية الأحلام والرؤى التي تناقل الناس أخبارها. ومنها ما كان يتجلى النبي ﷺ فيها ويتحدث مع ابطالها، وتعكس رواية هذه الأحلام المكانة المقدسة لهؤلاء الأشخاص، كما أنها تُعد دليلاً على المساندة الإلهية لهم، وأن حكمهم واعمالهم تلقى قبولاً ورضا من الله سبحانه وتعالى ومن نبيه ﷺ، وتعطي ايحاء في نفوس العامة بصدق موقف من يظهر له النبي ﷺ.

ومن تلك الروايات ما ذكره المؤرخ الحسن الزريقي من أن رجلاً غريباً زار ذمار، أنه رأى الإمام شرف الدين وكان في بداية شبابه يصلي مع ابناء خاله في مشهد الإمام المطهر بذمار، فأخبر الناس بأنه رأى رؤية لأحد أولئك الشبان، فأدخلوهم عليه واحداً بعد الأخر ليتعرف عليه، حتى دخل الإمام شرف الدين فقال " هذا الذي أريده، رأيته واقفاً بين يدي رسول الله ﷺ ، وهو يقرأ عليه " تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"[1] ، فأستبشر والد الإمام رحمه الله بهذه الرؤيا"[2].

ومنها ما ذكره المؤرخ عبد الله بن داعر، من تجلي النبي ﷺ للسلطان مراد الرابع في الرؤيا التي رآها السلطان، أثناء حروبه مع الصفويين بقوله " فألقى رب العزة في قلب خليفته المؤتمن المعتمد الغيرة على السنة، والغضب لله على من طغى وتمرد، وأراه في منامه حضرة النبي المصطفى محمد ﷺ [...] وحوله الخلفاء وأصحابه أرباب الهدى والرشد، فقال له أتعرف من هؤلاء أيها الخليفة الأمجد، انهم أصحابي نجوم الهدى ورجوم العدى العاصمة المانعة لمن لاذ بها وأنتجي، فبما لديك من حبي وحبهم، فليكن أخذك مبغضهم بالصارم المهند"[3].

وذكر المؤرخ الجرموزي رواية مشابه، بقوله " روى الفقيه صلاح بن علي البريشي أنه سمع الأمير الحسين بن الإمام القاسم يتحدث، أنه رأى قبل وقعة الأنودية أنه

([1]) سورة الملك: آية 1.

([2]) الحسن الزريقي: سيرة الإمام المتوكل على الله شرف الدين . ق 52.

([3]) عبد الله بن داعر: الفتوحات المرادية. ج1، ق 216.

وصله خط من النبي ﷺ وعلامته الشريفة محمد ﷺ رسول الله، وفيه الآية " نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ "[1].

ومما روي في ذلك ما أورده المؤرخ الشرفي "أن الفقيه الورع سعيد بن صلاح[...] رأى في منامه بعد قيام الإمام عليه السلام [يقصد به الإمام الحسن بن علي] أن رجلاً ناوله كتاباً فقرأه، فإذا فيه هذا خليفة رسول الله القائم بأمر الله، قال : فقلت مَن المعني بهذا الكتاب، فقال : الإمام القائم الحسن بن علي"[1].

ومن الوسائل التي أُستخدمت بغرض تأكيد السند الغيبي إلى جانب القوى السياسية التي انحاز إليها المؤرخين، رواية تلك القصص التي لعبت القوى ماوراء الطبيعة (الجن) دوراً رئيسياً فيها. فقد ورد عند المؤرخ الجرموزي قصة تروي، دعم ومساندة الجن للإمام في حروبه مع الأتراك، ومفاد هذه القصة أن رجلاً من أتباع الإمام القاسم خرج ليحضر الماء لبقية الجنود، إلا أنه غاب لفترة ثم عاد وقد صار في حالة ضعيفة مُصفر اللون، قال الراوي " فسألناه عن خبره، وأين كان هذه الأيام وهو فارقنا على انه يسقينا الماء، فقال أتفق ليّ قضية، وهي أنيّ لما خرجت من عندكم، فلما هبطت إلى أسفل منكم، إلا وقد حملت فيما بين السماء والأرض حتى أوصلوني محل فلان [...] فأحضروني عند امير الجان وشكاني قوم أني قتلت منهم بأن وقعت عليهم مع النزول،[...] فقلت كيف ذاك ، فقالوا كنا محطين تحتكم، وكنا في محطة من الجن خرجنا للجهاد في سبيل الله، قال (الراوي) فحبسوه حتى سكنت فورتهم، وطلبوه وأبروه، وسمحوا له لأجل القتال مع لإمام القاسم" وعلق المؤرخ الجرموزي بأن ذلك من كرامات الإمام القاسم وما أتفق من إجتماع الجن والأنس على وجوب نصرته[2].

ومنها ما رواه المؤرخ عبد الصمد الموزعي،من أن الله وقف إلى جانب العثمانيين في حربهم مع المطهر وأ ن جيشه أنهزم في أحداث سنة 973هـ/1565م، في زبيد، بعد أن رمتهم مدافع كان يسمع صوتها من جهة مقبرة زبيد ولا يرى لها أثر، وأكد أن ذلك من قدرة الله، ومساندته للعثمانيين بقوله "وسُمعت حينئذ من مقابر زبيد أصوات مدافع ترمي عليهم، من غير أن يرى شخص، فنصر الله العساكر السلطانية على

([1]) سورة الصف. آية 13. المطهر الجرموزي : الجوهرة المنيرة . تحقيق : أمة الملك الثور. صـ474.

([1]) أحمد الشرفي: اللآلئ المضيئة. جـ3 ، قـ 28.

([2]) المطهر الجرموزي : النبذة المشيرة . تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، صـ 344.

الطوائف الباغية، وقتل من الزيدية يومئذ ما لا يعلم عددهم إلا الله، وغنمت العساكر أوطاقهم، واحمالهم وأثقالهم، وولوا على أدبارهم نفوراً، ولم يقدموا بعد ذلك زبيد، كأنما عليها حصن من حديد من عند الله الملك الحميد"[1].

إن الروايات التي تحكي مشاركة الجن أو الملائكة في أحداث الصراعات ليست بالأمر الجديد، أو الغريب، فالتراث الإسلامي يحكي قصة مشاركة الملائكة إلى جانب المسلمين في معركة بدر، وهي من القصص التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، والتي تظهر مساندة الله لرسوله في تلك المعركة وتثبيت أقدام المسلمين، ومن هنا يظهر وجود نوع من التقمص للقصه وللأدوار التي عمل المؤرخون على إستقائها من التراث الديني.

كما وردت الكثير من الروايات عند المؤرخين، والتي تظهر تدخل الظواهر الطبيعية من نزول أمطار، ووقوع صواعق .. وغيرها، في حياة الناس، وأن وقوع بعضها ما هو إلا من كرامات وبركات من وقعت لهم.

منها ما ورد عند المؤرخ الشرفي أن قبيلة آل قشيب[2] آووا طريداً، خصيماً للإمام شرف الدين "فلما سكن بين أظهرهم منعهم المطر، فقالوا ما لنا سبب إلا أن هذا الرجل الذي أويناه وهو خصم الإمام، فتعطفوا قلب الإمام بعقيرة عقروها في محطة الإمام [...] فشاهدوا المطر تلك الساعة فوق بلادهم، فلم يرجعوا إلا وقد سقاهم الله"[3]. وذكر المؤرخ الجرموزي أن رجلاً من أهل الظاهر[4] سّلم على الإمام القاسم بن محمد في مكان قفر وقال "يا مولانا أنا راعي غنم ليّ، وقد أضر بنا القحط، وقلة الماء فأدع لنا، فتوجه القبلة ودعا والوقت قريب غروب الشمس، وما في السماء قزعة، فما جاء وقت العشاء، إلا وقد مُطر ، وأرسلت السماء غرابيلها، وأقبلت السقايا بما فيها"[5] .

([1]) أحمد الشرفي: اللآلئ المضيئة. جـ3 ، ق46.

([2]) أسرة مشهورة تسكن بلاد آنس جنوب صنعاء. إبراهيم المقحفي: معجم البلدان. جـ2، صـ1277.

([3]) عبد الصمد الموزعي: الإحسان . صـ 26.

([4]) الظاهر: مديرية إلى الغرب من صعدة، تتصل بسهول تهامة ، وتتبع محافظة حجة. إبراهيم المقحفي: نفس المرجع. جـ1،صـ114.

([5]) المطهر الجرموزي : النبذة المشيرة . تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، صـ316.

وورد عند المؤرخ اللوزي أن الإمام الحسن بن علي المؤيدي أرسل أحد رجاله إلى بعض مشائخ عذر[1] لقبض الزكاة، فوصل إلى أحدهم وطلب ما عليه "فأمتنع وتكلم على الفقيه كلاماً جافياً، فما لبث أن أرسل الله سبحانه صاعقة في ذلك الوقت أهلكت بعض غنمه، فسلم بعد ذلك ما عليه واعتذر من كلامه السابق"[2].

وذكر صاحب كتاب تاريخ دولة الترك أنه لما صعب على الإمام اقتحام حصن مدع[3] أرسل الله صاعقة على جزء من الحصن، وأحدث فتحة فيه دخل منها أصحاب الإمام، وأستولوا على الحصن[4].

ولم يكتف المؤرخين بذكر القصص التي وقعت مع غيرالمعنيين بها، بل أوردوا العديد من القصص التي حدثت مع أصحاب الشأن أنفسهم سواءً كانوا من الأئمة، أو الولاة العثمانيين، وجاء ذكر هذه القصص تأكيداً للمكانة الروحية التي كان يتمتع بها أولئك الزعماء، وما حظوا به من كرامات وبركات، تظهر أحقيتهم ونصرة الله لهم، مما يوجب على الناس اتباعهم.منها ما اختص الله به الأئمة من استجابة الدعاء (وهي من صفات الأولياء).

فقد ورد عند المؤرخ أحمد الشرفي أن الشريفة مريم بنت الإمام المنصور بالله محمد بن على السراجي، كان يعاودها ألم شديد، وأثناء زيارة الإمام شرف الدين منطقة الجراف[5]، دخلت إلى المنزل الذي كان يسكنه الإمام، وأخذت عمامته ووضعتها على رأسها، وسائر جسدها، وهي تقول "بفضل الإمام شرف الدين وسره وبركته، أن يذهب عني هذا الألم" فلم تنزع العمامة من يدها إلا وقد شفيت منه[6].

([1]) عذر: قبيلة من حاشد إلى الجانب الشمالي من مدينة عمران . إبراهيم المقحفي: معجم البلدان. جـ2، 1033.

([2]) أحمد اللوزي: سيرة الإمام الحسن بن علي. ق 44.

([3]) مدع: منطقة تقع إلى الشمال الغربي من مدينة ثلا، شمال صنعاء. إبراهيم المقحفي: نفس المرجع. جـ2، صـ 1464.

([4]) مؤرخ مجهول: تاريخ دولة الترك في اليمن. ق 9.

([5]) الجراف: كانت قرية شمال صنعاء والأن أصبحت جزء من صنعاء. إبراهيم المقحفي: نفس المرجع. جـ1، صـ 308.

([6]) أحمد الشرفي: اللآلئ المضيئة. جـ3 ، ق 45.

وورد عنده أيضاً أن الفقيه محمد بن جابر كان يعتاده ألم في كل شهر منذ خمس عشر سنة، وحين سمع بدعوة الإمام الحسن بن علي قال " إذا كان هذا الداعي إمام حق شفاني الله، من هذا الآلم، قال : فشفاه الله ولم يعد أبداً". ومنها أيضاً، أن شخصاً يسمى النعمي كان به شيء من الجنون فدعا له الإمام الحسن بن علي فشفي من حينها[1].

ومما ورد عنده أيضاً أن الإمام القاسم "دعا على رجل من ذي حسين من دهمه، أشار بيده إلى الثياب التي على الإمام وأصحابه، وتكلم بكلام فيه أذية للإمام، فسقط الرجل فغابت أصبعه في كفه،فندم الرجل وسأل الإمام أن يرضى عنه، ويدعو له فدعا له الإمام عليه السلام، فرجعت يده كما كانت من قبل صحيحة"[2]

وذكر الجرموزي " أن شخصاً كان يدعى يحيى أبو عروق من برط[3] ، تبرأ من الإمام القاسم حين علم بقدوم الأتراك، فدعى عليه الإمام، ولم يلبث إلا أسبوعاً ومات"[4].

ومن تلك القصص وقوع حوادث غريبة لمن كان يتعدي على الأئمة، بالسب وغيره، دون أن يدعوا عليه، حيث فُسر كل ذلك بتدخل المشيئة الألهية، وأن ذلك من كراماتهم.

فقد ورد عند المؤرخ الشرفي أن رجلاً كان يصدر منه كلام في حق الإمام شرف الدين في حضور مجموعة من الناس "فغضبوا عليه ولاموه، وقالوا إن كان للإمام سر وبرهان كان كذا، فما إستتموا كلامهم إلا وقد سقط حجر عليه من جدار كانوا تحته، فطحنته ومات من ساعته"[5].

وذكر صاحب تاريخ دولة الترك، أن رجلاً كان يسب الإمام القاسم، وفي احدى الليالي أصابته رصاصة في فمه وسقط ميتاً، ولم يحدث فيه أثر الرصاص حتى فُتح فمه، فوجدوا الرصاصة قد طوت لسانه إلى حلقه، كما يطوى القرطاس، وسكنت في

([1]) نفس المصدر. جـ3 ، ق 129.

([2]) نفس المصدر. ق 209.

([3]) برط: منطقة شمال شرق صنعاء، وتتبع حالياً محافظة الجوف. إبراهيم المقحفي: معجم البلدان. جـ1، صـ 155.

([4]) المطهر الجرموزي : النبذة المشيرة . تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، صـ310.

([5]) أحمد الشرفي: نفس المصدر. جـ3. ق 48.

أقصى حلقه"[1]. وروى المؤرخ الجرموزي أيضاً أن احد الأشخاص كان يسب الإمام المؤيد بن القاسم، " فقتل في الحرب، فأراد بعض المجاهدين أن يقطع رأسه، فوجد لسانه قد أخذته الرصاصة إلى موضع بعيد فبقي الناس يعجبون"[2]

وفي الصنف الثاني من تلك المرويات أسهم المؤرخون بشكل مباشر في فبركة أحداثها، حيث ربطوا وقوع الأحداث السياسية، والظوهر الطبيعية والاقتصادية بشخصيات الزعماء السياسيين، بما يمنحها هالة وقداسة دينية كبيرة.

وقد شاع هذا النوع من الربط في مؤلفات مؤرخي السلطة، الذين كانوا أقل توظيفاً للسند الغيبي لخدمة الأغراض السياسية . كما هو الحال في توظيف الدين، وقد سبقت الإشارة إلى سبب ذلك . حيث أكتفوا بأضفاء نوعاً من الخيرية على الولاة العثمانيين، مبينيين أن ذلك من بركاتهم ، وهو مصطلح أخف من الكرامات. كما فسروا حدوث حالات الاستقرار السياسي في عهد الولاة الأقوياء، وما يتمخض عنها من وقوع نوع من الانتعاش الاقتصادي في حياة الناس، إلى أن ذلك من فضل وبركة أولئك الولاة.

فقد ذكر المؤرخ المطيب أن موت الأمير المطهر بن شرف الدين، كان من تدبير المشيئة الألهية لمساعدة بهرام باشا في حروبه "ومن السعادة لمولانا والحظ الأوفر، وإقبال الأيام له بمساعدة القدر، أن قدر الله تعالى في هذا العام الأزهر موت الملحد ملك الفرقة الزيدية مطهر"[3].

وأكد أن حالة الرخص التي كانت تقع في بعض الأقاليم في اليمن كان بفضل وبركة بهرام باشا. حيث قال "ومن عظيم بركته وحسن نيته(يقصد بهرام باشا) أنه كان قبل وصوله إلى المحل المذكور[يقصد مدينة زبيد] كان غلاء وشدة في السعر، فزال ذلك ببركة قدومه، وحصل رخص في الطعام وغيره في تلك المدة"، وقال كذلك "فحل ركابه السعيد بها [يقصد مدينة القاعدة] ولم يبال بما تشعث من جوانبها، وحصل بتلك الناحية عند قدومه المبارك من الرخص في الأسعار ما لا يعهد قبل ذلك"[4].

([1]) مؤرخ مجهول : تاريخ دولة الترك . ق 27.

([2]) المطهر الجرموزي : الجوهرة المنيرة . تحقيق : أمة الملك الثور، صـ178. يوحي تشابه مضمون القصتين، مع إختلاف بطليهما، على أن هذا النوع من القصص . كما يبدو. كان رائجاً بين الناس، وكان يحدث إسقاطاً لمضمون القصة على الفترات الزمنية المختلفة.

([3]) المطيب الزبيدي: بلوغ المرام. ق 30.

([4]) المطيب الزبيدي: بلوغ المرام . ق5 ، 11.

كما وصف المؤرخ الموزعي أن الرخص والخير الذي عم اليمن عند قدوم واليها جعفر باشا بقوله "ومن سعادات هذا الوزير وكراماته، عموم الأمن والأمان في أقليم اليمن والإيمان، وحصول الأمطار في جميع الأكناف والأقطار، وصلاح الغلات والثمار، وكثرة الأرزاق مع رخاء الأسعار [...] في أقليم اليمن كأنه جنة عدن"[1]. وذكر أيضاً أن ما حصل من رخص في مدينة تعز، كان من بركة الوالي سفر باشا بقوله "وطابت حينئذ مدينة تعز بقدوم ولي أمرها الأمير سفر، وحصل الخير والبركة لمن بدا وحضر، وتحرك فيها البيع والشراء، وحلت الخيرات"[2].

ووصف أحمد بن فيروز أن ما حصل من رخص في اليمن سنة 963هـ/ 1555م، كان من بركة الوالي مصطفى باشا بقوله "فتوجه (يقصد مصطفى باشا) من الديار الرومية إلى الديار اليمنية، وذلك سنة ثلاث وستين وتسعمائة، فوصل إلى اليمن في أحسن حال وأنعم بال، وفي جهات اليمن الكثير من الخصب وصلاح الثمار ورخص الأسعار ما لا يوجد ولا يوصف، وذلك ببركة نية الباشا مصطفى المذكور وقدومه المبارك"[3].

وهكذا كان البحث عن السند الغيبي من أقوى الوسائل التي وظفتها القوى المتصارعة لخدمة اهدافها السياسية، خاصة وأن توظيف هذا النوع من الوسائل، كان الهدف من ورائه استثارة الحماس الديني (العاطفة الدينية) لدى العامة، فملازمة الكرامات والبركات لشخصية الزعماء السياسيين يعزز من مكانتهم وسلطتهم الدينية والروحية، ويصنع حولها هالة من القداسة، والتي بدورها تمنحهم المشروعية السياسية في الحكم.

كما أن تبني المؤرخين مسئولية نشر وترويج هذه الوسيلة كان من باب الحرب الدعائية، التي شنوها ضد خصومهم، في إطار توظيف الجانب الفكري في الصراعات السياسية، التي مثلوا فيها ركناً أساسياً.

([1]) عبد الصمد الموزعي: الإحسان. صـ84 .

([2]) نفس المصدر. صـ153.

([3]) أحمد بن فيروز: مطالع لنيران. ق 23.

توظيف الشعر

أحتل الشعر مكانة كبيرة عند العرب، فهو كما قال الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه " الشعر ديوان العرب". وتأتي أهمية توظيفه في القضايا السياسية، لما لكلماته المنمقة والحكيمة من قوة تأثير، إلى جانب سهولة حفظه، وتناقل الناس لأبياته، التي عادة ما تتناقله الأجيال جيلاً بعد جيل و يضرب به المثل. وتتحول القصائد الجيدة منه . في كثير من الأحيان . إلى برهان تاريخي، أو بديل عن التاريخ[1].

أدرك أرباب السياسة حقيقة الشعر ودوره كسلاح معنوي في وجه الخصوم، وكناشر يؤثر في توجهات الناس، وكسجل خالد لا يفنى، ما جعلهم يحرصون على توظيفه لتنفيذ توجهاتهم السياسية، ونشر آرائهم والدفاع عن شرعيتهم كما شنوا بواسطته حملات دعائية معادية ضد خصومهم السياسيين. فحين يرغب أولئك الساسة في نشر فكرة، أو قضية معينة بين الناس، يوعزون إلى شعرائهم بأن يتبنوا تلك القضايا، ويصوغونها في قصائد تتضمن تلك الأفكار في إطار فني محبب، بغرض النشر والتأثير على أوسع نطاق[2] . ولا يعد الشعر السياسي شعر مديح، بل هو دفاع من جهة، وهجوم من جهة ثانية، دفاع عن فكرة أو نظرية تعتنقها جماعة أو فرقة من الفرق، وهجوم على خصومها ومن يقفون في المعارضة لها. فهو أشبه ما يكون بالبيانات السياسية التي تصدرها جهات معينة تتبنى فيها قضاياها السياسية وتدافع عنها[3] .

إن توظيف الشعر في الصراع السياسي ليس بالأمر الجديد، فقد كان الشعر يحتل مكانة كبيرة في الصراعات السياسية والدينية، خلال فترات التاريخ الإسلامي المختلفة. فقد وظف في أحداث الصراع الذي دار بين المسلمين والكفار في مراحل الدعوة الإسلامية الأولى. حيث أخذ الكثير من شعراء قريش في نظم القصائد الهجائية التي

---

(1) عبد الله البردوني : اليمن الجمهوري. دار الأندلس، (د.م)، ط الخامسة، 1997م، صـ 97، 98.عبد المجيد زراقطالشعر الأموي . صـ 72.

(2) عبد المجيد زراقط: نفس المرجع. صـ32، صـ 72.

(3) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي. القاهرة، دار المعارف، 1996م، جـ 7، صـ 336.

تطعن في الإسلام، وفي شخصية النبيﷺ، وجاء رد الرسول ﷺ على ذلك بتشجيع شعراء المسلمين على مناصرته بشعرهم بقوله "ما يمنع القوم الذين نصروا الرسول بسلاحهم، أن ينصروه بألسنتهم"[1]. وأمر حسان بن ثابت بهجائهم بقوله " أهجهم فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام، أهجهم مع جبريل روح القدس"[1].

وقد اعتنى الخلفاء الأمويون بالشعر وجعلوه نصب أعينهم، حيث أوصى الخليفة معاوية بن أبي سفيان بني أمية بضرورة الاهتمام بالشعر بقوله "اجعلوا الشعر أكبر همكم، وأكثر دأبكم" . كما وضع الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وصية حذّر فيها بني أمية من التعرض للشعراء بقوله "يا بني أمية أحسابكم أعراضكم، لا تعرضوها على الجهال، فإن الذم باق ما بقي الدهر"[2].

وكان الشعر من الأسلحة التي وظفت خلال فترات الصراع السياسي، حول قضية الخلافة والحكم بين العلويين من جانب والأمويين والعباسيين من جانب أخر. وتزخر كتب التراث بالعديد من القصائد الشعرية التي عبر فيها الشعراء عن مواقفهم سواء المناصرة، أو المعارضة لهذا الطرف أو ذاك. وأمثلة ذلك ما نظمه الشاعر أبو الأسود الدؤلي من شّعر مدح فيه آل البيت خلال صراعهم مع بني أمية بقوله

أحب محمداً حباً شديداً وعباساً وحمزة والوصيا
أحبهم لحب الله حتى أجيء إذا بعثت على هويا
هوى أعطيته منذ أستدارات رحى الإسلام لم يعدل سويا[3]
بنو عم النبي وأقربوه أحب الناس كلهم إليا
فإن يك حبهم رشداً أصبه ولست بمخطئ إن كان غيا[4]

ونظم الشاعر عبد الله بن قيس بن أبي الرقيات قصيدة في مدح بني أمية قال فيها:

ما نقموا من بني أمية إلا أنهم يحلمون إن غضبوا

---

(1) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي،جـ2، صـ47.

(1) عبد المجيد زراقط الشعر الأموي . صـ 28.

(2) نفس المرجع . صـ 22، صـ 31 .

(3) لم يعدل سويا : لا مثيل له.

(4) شوقي ضيف: نفس المرجع. صـ 318.

وأنهـــم معـــدن المـــلوك فـــلا تصلـــح إلا عليهـــم العـــرب
وأن الفنيـــق الـــذي أبـــوه أبـــو العاصـــي عليـــه الوقـــار والحجـــب
خليفـــــة الله فـــــوق منبـــــره جفّـــت بـــذاك الأقـــلام والكتـــب
يعتـــدل التـــاج فـــوق فتـــرقه علـــى جبيـــن كأنـــه الذهـــب[1]

وحث الشاعر أبو عطاء السندي بني هاشم على ترك موضوع الخلافة والألتفات إلى شؤون معيشتهم بقوله:

بني هاشم عودوا إلى نخلاتكم فقد قام سعر التمر صاعاً بدرهم
فإن قلتم رهط النبي وقومه فإن النصارى رهط عيسى بن مريم[2]

وفي فترة الصراع العلوي . العباسي شارك الشعراء بالعديد من القصائد التي عبرت عن موقفهم تجاه قضية استئثار بني العباس بأمر الخلافة دون العلويين. ومنها قصيدة دعبل الخزاعي التي قال فيها:

ملامـــك فـــي آل الـــنبي فإنهـــم أحبـــائي مـــا عاشـــوا وأهـــل ثقـــاتي
فيـــارب زدنـــي مـــن يقينـــي بصـــيرة وزد حبهـــم يـــارب فـــي حســـناتي
ألـــم تـــر أنـــي مـــن ثلاثـــين حِجّـــة أروح وأغـــدوا دائـــم الحســـرات
أرى فيئهـــم فـــي غيرهـــم متقســـماً وأيـــديهم مـــن فيئهـــم صفـــرات
ولـولا الـذي أرجـوه فـي اليـوم أو غـدٍ تقطـــع قلبـــي أثرهـــم حـــسرات
خـــروج إمـــام لا محـــالة خـــارج يقـــوم علـــى أســـم الله والبركـــات
يمـــيز فينـــا كـــل حـــق وباطـــل ويجيـزى علـى النعمـاء والنقمـات[3]

وعلى نفس المنوال دافع الشعراء عن أحقيه بني العباس في الخلافة والحكم، بحجة أن صلتهم بالنبي أقرب من صلة العلويين، فهم بذلك أحق بتولي الخلافة. ومن

(1) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي. جـ2، صـ 299.
([2]) شوقي ضيف: نفس المرجع. جـ 3، صـ 340.
([3]) شوقي ضيف : نفس المرجع. صـ 320 .

تلك القصائد التي عبرت عن هذا الموقف السياسي قصيدة أبان بن عبد الحميد اللاحقي التي قال فيها:

نشـــدت بحـــق الله مـــن كـــان مســـلماً أعـــم بمـــا قـــد قلتـــه العجـــم والعـــرب
أعـــــم نبـــــي الله أقـــــرب زلفـــــة إليـــه أم أبـــن العـــم فـــي رتبـــة النســـب
وأيهـــــما أولـــــى بـــــه وبعهـــــده ومـــن ذا لـــه حـــق التـــراث بمـــا وجـــب
فـــإن كـــان عبـــاس أحـــق بتلكمـــو وكـــان علـــي بعـــد ذاك عـــلى ســـبب
فأبنـــــاء عبـــــاس هُمـــــوُ يرثـــــونه كما العم لابن العم في الأرث قد حجب[1]

انطلاقا من ذلك الموروث الأدبي، بادر طرفا الصراع في اليمن "أئمة الزيدية . العثمانيون" إلى توظيف الشعر في أحداث الصراع الذي دار بينهم لخدمة قضاياهم السياسية، فقد كانت مسألة إكساب الحكم صفة الشرعية الدينية هي جوهر الصراع الذي دار بين الطرفين، التي من أجلها سعى كل طرف إلى إيجاد المسوغات لإثباتها، ووظفوا كل الوسائل الدعائية ومنها الشعر لتحقيق ذلك.

فكانت القصائد الشعرية سواءً التي نظمها المؤرخون بأنفسهم، أو نظمها غيرهم، وأوردوها المؤرخون في مؤلفاتهم، تمثل إحدى الوسائل الدعائية، التي روجت مضامين الخطـــاب السياســـي للقـــوى المتصـــارعة بشـــقيها المؤيـــد للعثمـــانيين، أو لأئمة الزيدية. كما شكلت في الوقت نفسه نموذجاً للصراع الفكري الذي كان يدور بين النخب المثقفة، والتي سعوا من خلالها إلى نشر وترويج خطابات من انحازوا إليه. وشنوا من خلالها حملات دعائية على خصومهم السياسيين.

فقد عمل مؤرخو المعارضة على إيراد العديد من القصائد الشعرية، التي تظهر مساوئ العثمانيين، وأفعالهم القبيحة، وما يرتكبوه من منكرات توجب الخروج عليهم وقتالهم . من وجهة نظرهم . واصفةً تلك الأعمال بأنها تعطل الشريعة الإسلامية، وأن من يقوم بها هم طغاة، بغاة، فسده. وتضمنت العديد منها دعوة صريحة لآل البيت للقيام بدورهم التاريخي في إحياء شريعة الله، ومحاربة الظلم، وإعادة الحق إلى نصابه.

([1]) أحمد أمين : ضحى الإسلام. جـ2، صـ 125.

فاتضمنت بذلك إحدى مفردات الخطاب السياسي عند أئمة الزيدية، والمتمثل في مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة الظلم.

ومن القصائد التي عبرت عن هذه الأوضاع قصيدة العلامة حسام الدين صالح بن عبد الله الغرباني، نختار منها هذه الأبيات.

ضاع الوفاء وضاعت بعده الهممُ ... والدين ضاع وضاع المجد والكرمُ
والجور في الناس لا يخفى معالمه ... والعدل من حوله الأستار والظلمُ
وكل من تابع الشيطان محترمُ ... وكل من عبد الرحمن مهتضمُ
وليس تلقى بهذا الدهر مؤتمنا ... في نصحه لك إلا وهو متهمُ
يشاهدون ضلالات بأعينهم ... وإن تجلى لهم وجه الصواب عموا
الغدر والمكر والأضغان طبعهم ... والزور والغي البهتان نطقهمُ
والزمر والطار والرنات دينهم ... كذلك الرقص والتصفيق والنغمُ
أحكامهم في أمور الدين منبعها ... أراؤهم وكتاب الله بينهمُ
كأن آل رسول الله عندهم ... لم يفرض الله في القرآن ودهمُ
لم يعرفون لهم حقاً بلى عرفوا ... لكنهم تركوا الحق الذي علموا
إن صالحوا نقضوا أو عاهدوا نكثوا ... أو ناصحوا خدعوا أوعوملوا ظلموا
وجملة الأمر أن القوم ليس لهم ... على الحقيقة لا عهد ولا ذممُ[1].

ولـه أيضاً

يا سيدي ياأمير المؤمنين ويا ... من شأن همته تدنو لها الهممُ
كيف البقاء وأهل البغي في دعة ... ونار جورهم في الأرض تضطرمُ
أليس ذكرهم أوهى قواعدهم ... فبعد عزمكم لا شك تنهزم
فاصدع بأمرك إن الهم منفرج ... على يديك وحبل الجور منصرم[2]

ومنها أيضاً قصيدة العلامة عزالدين محمد بن علي الشكايذي، التي وصفت تلك الأوضاع. نختار منها هذه الأبيات.

([1]) المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة. تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، صـ 410 . 411.

([2]) أحمد الشرفي: اللآلي المضيئة.جـ3، ق 219.

بشـــرى لنـــا أهـــل البيـــت بشـــرانا قـد أدبـر العسـر حـين اليسـر فاجانـا
فالحمـــــد لله أســـــرارا وإعـــــلانا حمـــداً يكـــون رضـــى الله ســـبحانا
مـــن بعـــد يـــأس وقـــد كانـــت معطلـــة معالـــم الـــدين والعصـــيان أفنانـــا
والمنكـرات علـى الأشـهاد قـد ظهـرت لا يســـتطاع لهـــا رداً وكتمانـــا
والقتـل والصـلب والتخزيـق قـد فعلـوا وشـحن الجلـد بعـد السـلخ أتبانـا
كـذا الربـا والزنـا الخمـر قـد شـربوا جهـراً وبـاعوه فـي الأسـواق أدنانـا
والمـرد فـي حلـة النسـوان قـد شـادوا علـيهم مـن رفيـع القـز قمصـانا
قـد عممـوا بمناديـل لهـا هـدبُ مـن الحريـر وفيـه الصـبغ ألوانـا
علـى قلانـس فـوق الـروس تحسـبها مـن كثـرة الـذهب المحبـوك تيجانـا
والجاهـل النـذل يـاتي كـل مخزيـة بـين العـوالم فـي الأسـواق إعلانـا
والعـالم الحبـر لا تبـدوا مسـائله خوفـاً كـأن إكتسـاب العلـم عصـيانا
والشـرع قـد طمسـت اعلامـه فبقـوا كـل الخلايـق بعـد الطمـس عميانـا
قاضـي الشـريعة علـج مالـه ثقـة دانٍ علـى الـدن لا ينفـك سـكرانا
يقضـي بجهـل لمـن رشـا ولـوا كـذبوا شـهوده وأدعـى زوراً وبهتانـا
تـالله ماملـة جـاءت بـذا أبـدا ولا حكـوه لفرعـون وهامانـا
وأتـى مـن عتـى كفـراً وزندقـة كمثلـة لا ولا مـن يعبـد أوثانـا[1].

ووجه الشعراء دعوات تحريضية من خلال هذه القصائد، إلى أهل العلم، أو من يختص بقضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لإقامة العدل ومحاربة الطغيان، والبغي والفساد الذي يعم البلاد جراء حكم العثمانيين، موجهين بذلك دعوات صريحة لآل البيت للقيام بتلك المهمة.

ومن تلك القصائد قصيدة الحسن بن حمزة بن علي، والتي وجه فيها الدعوة لآل البيت للقيام بأمر الدعوة، نختار هذه الأبيات.

الـدين ضـاع وضـاهى الكفـر والنصـب والعلـم تـاه وباهـا الجهـل واللعـب
وأصـبح الـدين فـي الـدنيا كأولـه بـدا غريبـاً فهـاهو الأن مغتـرب

([1]) مؤرخ مجهول : تاريخ دولة الترك. ق 6، المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة. تحقيق :عبد الحكيم الهجري ، صـ 512.

فهـــل يؤنســـه منهـــم ويجـــذبه حبـــر كـــريم عظـــيم حـــاني حـــدب
يـــدعوا إلـــى ســـبيل الخيـــرات إن رغبـــوا ويمـــنح الـــوفر والمعـــروف إن طلبـــوا
فقـــل لأعيـــان هـــذا الـــوقت كلهـــم أمـــا يقـــومون فيـــه بالـــذي يجـــبُ
فيـــــذكرون لمـــــولانا وقائـــــمنا مـــا عـــذره فـــي ســـكوت مالـــه ســـببُ
هـــلا أثـــار علـــى الكفـــار فتنتـــه إمـــا نفاهـــم وإمـــا أنهـــم غلبـــوا
يقـــوم بحربهـــم مـــن كـــل ناحيـــة ومـــا عليـــه إذا لـــم ينفهـــم عتـــبُ
ونحـــن ياناـــاس والـــرحمن نعضـــده كمـــا عضـــدناه فـــي الأولـــى وقـــد وثبـــوا
كـــذا أئـــمتنا لا قـــوا بأنفسهـــم أئمـــة الكفـــر مـــا حـــادوا ومـــا نكبـــوا
فيـــا أولـــي العلـــم هـــذا الكفـــر بيـــنكم والظلـــم والبغـــي جهـــراً لـــيس يحتجـــبُ
امـــا تخافـــون ربـــي مـــن ســـكوتكم والكفـــــر بينكـــــم والظلـــــم يرتكـــــبُ
مـــا بـــال بعضـــكم قـــد قـــال[1] فـــي ملـــل وبعضـــكم قـــال أخشـــى يلحـــق الأدب
إن لـــم تقومـــوا علـــى هـــذا بـــأجمعكم حتـــى يـــزول وديـــن الله ينتصـــبُ
فويلكـــــم ياحمـــــاة الـــــدين ويلكـــــم وأبشـــــروا بعـــــذاب مالـــــه عـــــقبُ
مـــا خصـــم ســـنة خيـــر الرســـل غيـــركم ضـــيعتموها وأنـــتم ســـادة نجـــبُ[2]

كما وجهت قصائد تحريضية تدعو القبائل إلى محاربة العثمانيين، نختار منها بعض الأبيات من قصيدة العلامة عزالدين محمد بن علي الشكايذي. والتي دعا فيها القبائل إلى مساندة الإمام القاسم.

أيـــن القبائـــل مـــن بـــدو ومـــن حضـــر كحاشـــد[3] وبكيـــل[4] ثـــم خـــولانا[5] طـــاغ
هـــم الأســـود أســـود الحـــرب مـــا قصـــدوا فأبقـــــوا لـــــه فـــــي الأرض إمكـــــانا
أبطـــالهم فـــي ظـــلام الليـــل مـــا رقـــدوا ولا بـــــرح غـــــازي الأتـــــراك ســـــهرانا
أيـــا قبائـــل لا تعصـــوا الإمـــام ومـــن ولـــــي علـــــيكم أطعـــــتم ذاك إعلانـــــا

([1]) قال: هنا بمعنى القيلولة.

([2]) أحمد الشرفي: اللآلئ المضيئة . جـ 3 ، ق119

([3]) حاشد : أحدى اكبر القبائل اليمنية وتمتد من صنعاء إلى بلاد صعدة في الشمال. إبراهيم المقحفي. معجم البلدان. جـ 1، صـ 389.

([4]) بكيل : أحدى أشهر لقبائل اليمنية وتنقسم إلى أربعة فروع ، أرحب، نهم، مرهبة، شاكر. إبراهيم المقحفي. نفس المرجع. صـ191.

([5]) خـــولان : مـــن القبائـــل اليمنيـــة المشـــهورة. إبـــراهيم المقحفـــي. نفـــس المرجـــع. صـ587.

فقـد دعـاكم لمـا تحيـوا بـه أبـداً وتسـتحقوا مـن الـرحمن رضـوانا
دعـا إلـى الله فـي وقـت قـد انطمسـت فيـه الحقـوق كـأن الـدين مـا كانـا[1]

ومن القصائد التحريضية التي دعت القبائل إلى مساندة الإمام القاسم، قصيدة العلامة صالح بن عبدالله الغرباني، نختار منها هذه الأبيات.

ألا هـل إلـى نيـل العُـلا مـن يسـاعد وهـل لحسـام المجـد كـف وسـاعدُ
وهـل بقيـت فـي المسـلمين حميـة إذا هـي قـد ذلـت بكيـل وحاشـدُ
أفيقـوا عبـاد الله مـن غشـواتكم فلـيس سـواء قاعـد ومجاهـد
إمـامكم المنصـور قـد أحـدقت بـه طوائـف أهـل البغـي كيـف التقاعـدُ
تـرون سـحاب الروميـات وبرقهـا ومـا برحـت منهـا تحـن الرواعـد
وأنـتم وقـوف فـي البيـوت كـأنكم بهـائم ترعـى أو نسـاء قواعـد
أترضـون هـذا علـى إمـام زمـانكم وفـيكم علـى عهـدي حمـاة أماجـد[2]

وإلى جانب ما ورد عند مؤرخي المعارضة من قصائد تبين مساوئ العثمانيين، ووجوب الخروج عليهم. فإن إظهار مكانة آل البيت، ودور أئمتهم في إقامة الدين، وأحقيتهم في الإمامة، كانت أهم القضايا التي عمل المؤرخون على ابرازها من خلال القصائد الشعرية التي دونوها في مؤلفاتهم التاريخية.

حيـث أوردوا العديـد مـن القصـائد التـي تظهـر مكانـة آل البيـت الدينيـة والإجتماعيـة، وبمـا أختصـهم الله من شرف النسب، كونهم من سلالة البيت النبوي، مبينيـين فيهـا وجـوب محبـتهم، والتعـاطف معهـم، لنيـل رضـى الله وشـفاعة نبيـه يـوم الحساب. ومن تلك القصائد التي عبرت عن هذه المكانة، قصيد العلامة صلاح بن عبد الخالق الجحافي التي مدح فيها آل القاسم بقوله:

لهـم فـوق كـل النـاس عـز ورفعـة فمـا أن يسـاوي بحـرهم أبـدا بحـر
ومـنهم علـي والحسـين وجعفـر وزيـد ويحيـى مـن عـلا لهـم قـدرُ
وأقـربهم عهـداً مـن القاسـم الـذي لهـم همـم مـن دونهـا البـر والبحـر
اقـام علـى الأعـداء يـوم قيامـة ولـم بخـل مـن رايـات عسـكره قطـرُ

([1]) المطهر الجرموزي : النبذة المشيرة . تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، صـ515.

([2]) أحمد الشرفي: اللآلئ المضيئة. جـ 3 ، قـ 298

إلى أن محى من حارب الدين كلهمُ وأفتـــنهم الأقيـــاد والقتـــل والأســـرُ
فهـذ مســاعيهم وهــذي صــفاتهمُ فـلا يكـون فـي أذنيـك عـن سـمعها وقـرُ
أؤلئـــك ســـادات كـــرام وشـــيعةُ يطيب لهم أن يـذكروا فـي المـلا نشرُ[1]

ومن تلك القصائد أيضاً قصيدة صارم الدين إبراهيم بن عامر بن علي، نختار منها هذه الأبيات.

وحـــبهم للـــدين كهـــفُ ومعقـــل يتم بـه الإحسان من كل ما أنبرا
وهــم حــبهم يــوم القيامــة راجــحُ إذا ســـأل الله العبـــاد وكـــررا
وهــم بغضــهم يــوم القيامــة مــانعُ شفاعة خير المرسلين من الورى
أبـــوهم رســـول الله ســـيد خلقـــه فـــإن لهـــم حقـــاً بهـــذا لمفخـــرا
وجـــدهم خيـــر الوصـــيين كلهـــم وأمهـــم الزهـــرا التـــي قـــد تخيـــرا
ومـا قيـل فـيهم كـان قـولاً مصـدقاً إذا قيـل فـي قـوم سـوهم لقد فـرا[2]

وأوردا أيضاً قصائد بينوا فيها دور ائمة آل البيت في القيام بأمر الدعوة، وتحمل أعبائها، وما يبذلوه من جهود في الذود عن حياض الدين، وتجديد معالمه، ومحابتهم للظلم، وللبدع، والضلالات.

منها قصدة العلامة محمد بن عبد الله الحوثي في مدح الإمام القاسم.

وعـــد عـــن ذات اللمـــا تغـــزلا وأذكـــر امير المـــؤمنيين قاســـما
القـائم المنصـور حقـاً مـن غـدى لمـــادة الجهـــل البســـيط حاســـماً
خليفـــة الله الإمـــام المنتضـــي ســـيفاً علـــى هـــام العداصـــارما
فهـو الـذي أيقـظ ديـن المصـطفى مـــن رقـــدة وكـــان قبـــل نائمـــا
وهـو الـذي أحيـا رسـوماً قـد عفـت مـــن ديننـــا وانهـــض المكارمـــا
نفـى الضـلال بالضـياء والهـدى من بعد ما قد كـان جـواً قاتمـا
فكـم زوى عـن الـورى مظالمـاً وكـم محـى عـن كهلهـم مآثمـا[3]

([1]) المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة. تحقيق : أمة الملك الثور . صـ 450. 451 :

([2]) نفس المصدر. صـ1006.

([3]) المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة. تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، صـ340 .

ومن تلك القصائد ايضا قصيدة علي بن حسين المسوري في مدح الإمام محمد بن القاسم.

وأقسم لولا انت لم يك للهدى نصير ولا للدين في الناس عاضدُ
ولا للورى راع بحق ولا لما تهدم من دار المكارم شائدُ
تحملت أعباءالإمامة بعد ما جرى ما جرى والموت للخلق حاصدُ
وقمت بأمر لو تحمل مثله الجبال لذابت من ذراها الجلامدُ
وأدحرت شيطان الضلال بدعوة لها ذل ذو بغي وأرغم حاسدُ
وعز بها الدين الحنيف وأطدت بها منه من بعد انهيار معاقد[1]

ومنها أيضاً قصيدة وردت في كتاب تاريخ دولة الترك في اليمن، نظمها صاحبها في مدح الإمام القاسم، ونختار منها هذه الأبيات.

فما في السابقين له نظيرُ ولا في أهل دهرنحن فيهُ
رأه الله أهلاً للمعاني فقدمه الزمان على بنيه
وجدد الدين حتى لاح كوكبه للناظرين فطراه وأطراه
فالدين والملك والقوم قاطبة راضون عن سعيه والله والله[2]

كما أوردوا قصائد بينوا من خلالها أحقية آل البيت في الإمامة والحكم، وخاطبوهم بألقاب الخلافة، وأكدوا فيها أن منازعتهم ومحاربتهم عليها هو تعدٍ على حقوقهم المكتسبة.

ومن تلك القصائد، نختار بعض الأبيات التي وردت في مؤلفات مؤرخيهم، منها ما ورد عند المؤرخ الزريقي، والتي تخاطب الإمام شرف الدين بصفته خليفة الله.

خليفة رب العرش في أرضه الذي نصر الدين الحنيف وأبدا
ودمر أحزاب الضلال ولم يزل على أهله سيفاً مجردا[3]

([1]) المطهر الجرموزي: الجوهرة المنيرة. تحقيق/ أمة الملك الثور. صـ 239.

([2]) مؤرخ مجهول: تاريخ دولة الترك. ق 26.

([3]) الحسن الزريقي : سيرة الإمام الحسن. ق 176

وعنده أيضاً

هـو حجـة الله العظـيم علـى الـورى للفـــرق بـــين شـــكوره وكفـــوره
وعلـــى خلافتـــه البريـــة أجمعـــت وقضـــت بـــأن الرشـــد فـــي تـــوفيره
فله يد بيضاء اسداها على الإسلام منـــذ كـــان خيـــر ســـفيره[1]

ومن تلك القصائد أيضأ قصيدة وجيه الدين المهدي بن محمد بن المهلا الشرفي، والتي نظمها في مدح الإمام محمد بن القاسم بن محمد، ونختار منها هذه الأبيات.

فأنتم نجوم المجد إن غاب واحد بـــدا واحـــد مـــنكم مطالعـــة الفجـــر
فمـــا مـــنكم إلا رئـــيس مُملـــك ومـــا مـــنكم إلا إمـــام لـــه الأمـــرُ
لـئن غـاب مـنكم سـيد قـام سـيدُ صـــليع بـــأمر الله أيامـــه زهـــر
ففـيكم أميـر المـؤمنين محمـد خليفـــة رب العـــالمين هـــو البـــدر
عليـه سـلام الله مـا هبـت الصـبا ومـا ثـوب[2] الـداعي ومـا طلـع الفجـر
وآل كـرام كـم لهـم مـن فضـائل وجـدهم المختـار مـا تلـى الـذكر[3]

ومنها أيضاً قصيدة نظمها الفقيه رضي الدين أبو بكر بن عبدالله الشافعي الحضرمي في مدح آل القاسم، نختار منها هذه الأبيات.

أنـتم مصـابيح الدجسـفن النجـا أصـل التقـى وذخيـرة المتـزودِ
وعقيـــدتي أن الإمامـــة فيكـــم وســواكم أخـذ الخلافـة معتـدي
والله لا يرضـــى القبيـــح لنفســـه أبـــداً ولا يرضـــى لكـــل موحـــدِ
والله مـا خلـق الفسـاد سـوى الـذي ركـب الفسـاد مجـاهراً بتعمـدِ[4]

إن تلك الأبيات الشعرية التي أختارها الباحث، ما هي إلا نموذج للقصائد الشعرية التي وظفها أئمة الزيدية في صراعهم السياسي مع العثمانيين، وعمل مؤرخيهم على نشرها في مؤلفاتهم التاريخية، والتي عبرت عن مفردات خطابهم السياسي في ذلك الصراع.

([1]) نفس المصدر. ق 228.

([2]) ثوّب : دعا إلى الصلاة. المرتضى الزبيدي. ج 1، صـ 342.

([3]) المطهر الجرومزي الجوهرة المنيرة. تحقيق/ أمة الملك الثور، صـ 1019، 1020.

([4]) المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة. تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، صـ 883.

ومثلما زخرت مؤلفات مؤرخي المعارضة بمثل هذه القصائد، فإن مؤلفات مؤرخي السلطة لم تكن اقل شأناً في هذا الجانب، حيث وردت في مؤلفاتهم العديد من القصائد التي تناولت فيها مكانة الدولة العثمانية، التي كانت في نظرهم تمثل أمتداداً للخلافة الإسلامية، وحملت القصائد الشعرية تلك مضمون هذا التوجه، فخاطبت السلاطين بلقب الخلفاء، وأطلقت على الدولة العثمانية تسميات ذات مدلول ديني، فهي دولة الخلافة الإسلامية، دولة الجهاد حامية الإسلام.

ويصعب بمكان أجمال تلك القصائد وحصرها، ونكتفي ببعض الأبيات الشعرية التي توضح الفكرة، والتي وردت في مؤلفات المؤرخين. منها هذه الأبيات التي وردت عند المؤرخ عبد الله بن داعر في مدح الدولة العثمانية:

هـــذه دولـــة المكـــارم والفخـــر وكســـا العُـــلا وأنـــس الأنـــام
هـــذه دولـــة المحامـــد والحمـــد ونشـــر الثنـــا وطـــي أعـــلام
هـــــذه دولـــــة الأقيـــــال والفـــتح وأجتيـــاح الطغـــام
مـــن لـــه دولـــة التواصـــل والبـــر ورفـــع الكـــرام فـــوق اللئـــام
مـــن لـــه دولـــة الخلافـــة والعـــز مـــراد الله خـــافق الأعـــلام
طلعـــت شمســـها فأشـــرقت الأرض وكنـــا مـــن قبـــل فـــي إظـــلام[1]

وأورد في مدح السلاطين العثمانيين هذه الأبيات

سلطاننا الأعظم الخاقان من شرف الخلافـــة فـــي ســـرٍ و إعـــلان
أحيـا بـه الله مـا قـد مـات مـن كـرم ومـن وفـاء ومـن عـدل وإحسـانٍ
وحـاط سـنة خيـر المرسـلين بـه ورد مـا فـات مـن أمـر إيمـان
كأنـــه كوكـــب يهـــدي الســـراة بـــه طـرق الرشـاد ويرمـي كـل شـيطان[2]

وورد عنده أيضاً

فهـــم شـــموس لـــيس تافـــل دائمـــاً وهـم بـدور مـالهن سـواء سـماء
وهـــم نجـــوم للهـــدى أراوهم(أرائهـــم) وسـيفوهم شـهب لهـا استسـعار

([1]) عبد الله بن داعر : الفتوحات المرادية. جـ 2 ، صـ 3.

([2]) عبد الله بن داعر : الفتوحات المرادية. جـ 2 ، صـ 25.

لهـــم المقـــانب والكتـــايب والنـــداء والمجـد والايـراد والاصـدار[1]

كمامدح السلطان مراد الرابع بهذه الأبيات.

أتتـــــه الخلافـــــة منقـــــادة تجـــري إليـــه علـــى أذيـــالها
فلـــم تـــك تصـــلح إلا لـــه ولـــم يـــك يصـــلح إلا لـــها
فلـــو رامهـــا أحـــد غيـــرهُ لزلزلـــت الأرض زلزالهـــا[2]

ولم يكتف المؤرخون بتدوين القصائد الشعرية التي تظهر الدولة العثمانية بمظهر دولة الخلافة الإسلامية فحسب، بل أنهم أوردوا قصائد تصف الخروج عليها بأنه نوع من العصيان، والفساد في الأرض، واصفة كل من يخرج ويتمرد عليها بأوصاف ذات مدلول فقهي وحكم شرعي تخرج صاحبها من الملة الإسلامية.

ومن تلك القصائد التي تبنت هذه الأفكار، ما ورد عند المؤرخ عبد الله بن داعر في ذمّ الخارجين على الدولة العثمانية،نختار منها هذه الأبيات.

كأنـــه ذكـــر مـــولانا ومالكـــنا جـــم المعـــادن مـــولى كـــل سلطـــان
حـامي حمـى الـدين حيـف الملحـدين مبيـد المفسـدين عظـيم القـدر والشـأن[3]

وورد عنده أيضاً

بـــروق النصـــر لاح لهـــا إبتســـام أنـــار لنورهـــا يمـــن وشـــام
وشـــمس الســـعد والإقبـــال لاحـــت فـــزال الشـــك وانجـــاب الظـــلام
بعـــون الله نلنـــا كـــل ســـؤل وتـــم لنـــا بقـــدرته المـــرام
أزلنـــا المارقيـــن وكـــل بـــاغ وحـــل بهـــم مـــن الله انتقـــام[4]

وذكر صاحب كتاب التيجان أبيات على ذلك النحو في وصف حروب عثمان باشا على الزيدية بقولة

([1]) نفس المصدر. جـ1 ، صـ 16.

([2]) نفس المصدر. جـ 2 ، صـ295.

([3]) نفس المصدر. جـ 2 ، قـ 25.

([4]) عبد الله بن داعر : الفتوحات المرادية. جـ 2 ، قـ 31 .

مــن غيــر أمهــال ولا تحــادي صـــــار بـــــالإبراق والإرعـــــاد
يرعـــب أهـــل الزيـــغ والفســـاد عصـــابة العصـــيان والإفســـاد[1]

وورد عنده أبيات تصف حروب سنان باشا على المطهر، نختار منها.

فســـار مولانـــا الـــوزير عـــاني فـــي أكمـــل الأوصـــاف والمعـــاني
مشـــتملاً بالعـــدل والإحســـان مشـــمراً فـــي طـــاعة الســـلطان
يقتـــل أهـــل البغـــي والعـــدوان فحـــط فـــي قاعـــدة بالعـــاني[2]

كما ورد عند المؤرخ عيسى بن لطف الله أبيات شعر تصف أتباع الإمام القاسم بالخارجين عن طاعة السلطان.

أمـا محمـد الباشـا الـوزير أعادتـه نفـوس فأصـمت وهـي مـرنان
وكـم كتائـب نحـو الخـارجين عـن الطاعات لم يحصها عدُ وحسبان
وكـم عساكـر هيـأها لحـربهم ملائـك النصـر فيمـا شـاء أعـوان[3]

إن نعت القصائد لكل من عادى العثمانيين، وأعلن الحرب عليهم، بأنهم بغاة ، عصاة، مفسدون، كان نتيجة الانطباع العام الذي ساد لدى المؤرخين وناظمي هذه القصائد عن الدولة العثمانية ومكانتها الدينية. حيث نظروا إليها على أنها دولة خيرية، وتسعى في صلاح الأمة، وتثبيت دعائم الدين. وأن اليمن في ظل حكمها في أمن واستقرار، ورخاء وعدل. وأن إعلان بعض الأطراف في اليمن الحرب عليها في ظل هذه الأوضاع ما هو إلا إنكار للجميل، ونوع من البغي والإفساد.

وقد تجلى هذا التوجه في العديد من القصائد الشعرية، التي نظمت في مدح الولاة العثمانيين في اليمن، وما تنعم به اليمن من خير، ورخاء، وعدل، وأمّن، واستقرار في ظل حكمهم.

ومن هذه القصائد نختار بعض الأبيات التي وردت عند المؤرخ الموزعي في مدح سفر باشا.

([1]) مؤرخ مجهول : التيجان الوافرة الثمن . ق 10

([2]) مؤرخ مجهول : نفس المصدر. ق 13.

([3]) عيسى بن لطف الله : روح الروح . نشر / إبراهيم المقحفي، صـ 304.

خلــع الســعادة والسيــادة والظفــرُ جـــاءت بتـــأييد لمـــولانا ســـفرُ
أعنـي الأمير البيك من ظهر ت لـه بـين الأنـام مناقـب فيهـا اشـتهر
فــتح البـــلاد جميعهـــا بشجاعـــة وبحســـن تدبيـــر ورأي معتبـــر
حتـــى أطاعـــت سهلـــها وجـــبالها مـن بعـد أن كانـت كنـار تسـتعر
فـــأتى وأطفـــأ نـــارها بحســـامه وحسـامه يرمـي الأعـادي بالشـرر[1]

كما مدح محمد بن سنان باشا بالأبيات الآتية:

فهـو السـنان بـن السـنان بـلا خفـا وهـو الكـريم بـن الكـريم بـلا مـرا
أن جـاء يـوم السـلم كـان غمامـة أو جـاء يـوم الحـرب كـان غضـنفرا
لكـن شـبل الأسـد مثـل أسـودها والشـبل ليـث إن أردت المخبـرا
عقمـت نسـاء العـالمين جميعهـا عـن أن يجـئن بمثلـه بـين العـرى[2]

وورد عند المؤرخ عيسى بن لطف الله أبيات في مدح الأمير محمد باشا منها

سل الدهر ما هداه للناس من بشرى ووفّـىَ بـه مـن نعمـة للـورى كبـرى
ومـا نشـرت أيامـه مـن مـطارف وألبسـه ديـن الهـدى حلـلاً خضـرا
مـا واصـل الإسـلام فيـه مـن الهنـا ومـن مكرمـات شـرقت أرضـنا قـدرا
مـن خبـر وافـا بـه عـن محمـد محمـد باشـا يقـدم السعـد والنصـرا
مليـك تملكنـا بـه كـل نعمـة قـدوماً وأسـرى الـروح فينابمـا أسـرى[3]

ومدح المؤرخ المطيب الزبيدي بهرام باشا بالعديد من القصائد منها.

هـو المقـام الكـريم القـرم ملجأنـا ملاذنـا حسـن الأخـلاق والشـي
إن جـاد أغنـى المـلا أو ذاد يـوم وغـا أفنـى بسـمر القنـا مـن شـاء مـن أمـمِ
وإن سـرى فـوق طـرف خلتـه أسـداً مـن فـوق صـقر أتـى الأعـداء بـالنقم
شـكراً لـه مـن جـواد مـا أمتطـى فخطـا إلا وأسـرع يقفـوا إثـر منهـزم[4]

وقوله في نحو ذلك

ملكـت الـبلاد بقهـر وعـز وخفضـت مـن مـال فيهـا لنشـز

([1]) عبد الصمد الموزعي : الأحسان . صـ 138 .

([2]) عبد الصمد الموزعي : المصدر نفسه. صـ 108.

([3]) عيسى بن لطف الله : روح الروح . نشر / إبراهيم المقحفي، صـ 296، 297.

([4]) المطيب الزبيدي : بلوغ المرام . قـ 11.

وشـــردت مـــن ظـــن أن قـــد ثـــوى معاقـــل عـــز ومـــا عنـــه تجـــزى
وأشـــرق بالبشـــر وجـــه الزمـــان ومـــاس ســـروراً بعطـــف وهـــز
ولمـــا ثويـــت تعـــز أسمـــت وذل المنـــاوي أســـيً عـــن تعـــز
ومهـدت مـا عـاث فـي سوحهـا ببـيض رقـاق وإحكـام وجـز[1]

وأورد المؤرخ عبد الله بن داعر أبياتاً شعرية تصف إعادة بناء مدينة عمران. نختار منها.

أيهـــا النـــاس والقبائـــل طـــرا هـــل ســـمعتم بمثـــل هـــذا القـــران
كـــان يكفـــيكم العبـــادة لمـــا عمـــرت فـــي حســـابكم عمـــران
عمروهـــا فـــي أربعـــين نهـــارا فـــاق بنيانهـــا علـــى المبـــاني
لـــو عقلـــتم وعـــرفتم بهـــذا لـــدخلتم فـــي طاعـــة الســـلطان[2]

ووردت عنده أبيات في مدح الوالي العثماني حسن باشا منها

وأدام الفتـــوح والغـــزو والنصـــر لـــوزير الخليفـــة العثمـــاني
مـــلا القطـــر عدلـــه فهـــي أمـــنُ وأبـــاد العـــدا بحـــد يمـــاني
نـــال بالســـعد كلمـــا يشـــتهيه بأختصـــاص المهـــيمن المنـــان
عمـــر الأرض عدلـــه فلهـــذا ســـره قـــد ســـرى بكـــل مكـــان
خلـــد الله فخـــره وعـــلاه وحمـــاه بحـــق آي المثـــاني[3]

وورد عند صاحب كتاب التيجان أبيات شعرية تصف ما عم اليمن من رخاء في عهد رضوان باشا.

وعمّـر الـدور وشـاد الأركـان فعـادت الـبلاد مثـل البسـتان
وصـار كـل ظـالم فـي خسـران أمـا الرعايـا حظهـم فـي رجحـان
فـأعلنوا مـن حمـدهم للـرحمن وضـاء كـل مسـكن بالسـكان[4]

([1]) المصدر نفسه. ق10 .

([2]) عبد الله بن داعر : الفتوحات المرادية. جـ2، ق 111 .

([3]) المصدر نفسه. جـ 1، ق12.

([4]) مؤرخ مجهول: التيجان الوافرة الثمن ، ق1.

إن القصائد الشعرية التي أنشأها الشعراء، ووردت في المصنفات التاريخية، تتضمن مواقف سياسية، وهذه المواقف ربما هي مواقف الشعراء أنفسهم تجاه هذه الأحداث، وعبروا عنها بهذه القصائد، أو قد تكون مواقف مملاة عليهم، عمل من خلالها أرباب السياسية على الإستفادة من هذا الفن وإقحامه في مجريات الصراع السياسي، بهدف التأثير في الرأي العام، لما للشعر من قوة تأثير كما أشرنا في بداية الفصل.

الخاتمة

يتضح بعد استكمال فصول الدراسة أن الظروف التاريخية التي مرت بها المنطقة في النصف الأول من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي جعلت الدولة العثمانية تحتل مكانة سياسية مرموقة، وذلك بعد أن تحملت مسئولية حماية البحر الأحمر، والأماكن المقدسة في مكة والمدينة، من الخطر البرتغالي. فقد تعامل العلماء وكثير من الحكام مع الدولة العثمانية على أنها دولة الخلافة الإسلامية، وخاطبوا سلاطينها بلقب الخليفة، أطلقوا عليها العديد من التسميات التي تدل على تلك المكانة.

وإن وصول العثمانيون إلى اليمن كان في إطار الخطة الجهادية التي تبنتها الدولة العثمانية لمواجهة ذلك الخطر، وأن القوى السياسية في اليمن بصفة عامة رحبت بذلك الوصول. وما وقع من صراع بين العثمانيين و أئمة الزيدية كان له ظروفه الخاصة، وذلك بعد أن توغل العثمانيون في مناطق حكم الإمام شرف الدين، لإسباب سياسية واقتصادية، وشكل توغلهم تهديداً لنفوذ الإمامة، وهو ما دفع الإمام شرف الدين وأبنائه ومن ثم آل القاسم إلى الدخول في صراع ضد الحكم العثماني أستمر قرابة قرن من الزمان.

ورأينا في فصول هذه الدراسة كيف مر هذا الصراع بمراحل مختلفة، وكيف عمل الطرفان على الخروج من المأزق الديني كونهما مسلمان والحرب بينهم محرمة شرعاً، حيث تبنى الطرفان شعارات وخطابات ذات مضامين سياسية ودينة لمحاولة تبرير تلك الحروب، وإيجاد المصوغات الدينية التي تظهر مدى التزام كل طرف بأحكام الشريعة الإسلامية، وتنفيذه للإرادة الإلهية، وفي الوقت نفسه نفي صفة الإسلام عن خصمه، وإظهاره بمظهر المخالف لأحكام الشريعة، ليتسنى له إعلان حق الجهاد ضده.

هذا الوضع الجديد للصراع دفع طرفيه إلى العودة إلى الموروث المتباين في الفقه السياسي الإسلامي، ليتخذ منه هذا الطرف، أو ذاك قاعدة له في بناء خطابه السياسي.

فأتخذ أئمة الزيدية من موروث الفقه السياسي الزيدي، قاعدة لهم في بناء خطابهم السياسي، بما يحمله من ثوابت ومبادئ سواءً ما يتعلق منها بأصول الدين، أو بشروط الإمامة، حيث أستثمروا بعض مبادئ ذلك الفكر، وصيروا منها ركائز أساسية في خطابهم الذي بنوا دعوتهم الدينية والسياسية عليه، بما يتوافق وظروف الصراع آنذاك. فكان مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أول تلك المبادئ التي أنطلقوا منها في صراعهم مع العثمانيين، وثاني تلك المنطلقات كان مبدأ اثبات أحقية آل البيت في الإمامة وتولي الحكم، وثالثها كان وجوب الخروج على العثمانيين، وجهادهم لأقامة العدل.

في حين تركز فكر وتوجه العثمانيين في محاور أو مبادئ أساسية تقوم على فكرة وجوب طاعة السلطان وعدم الخروج عليه، وأن الخروج يمثل بغي، وشق لعصى المسلمين، كما انه نوع من الفتنة التي يتوجب على صاحب الأمر محاربتها والقضاء عليها ، ونظروا إلى أن أعمال ائمة الزيدية العسكرية ضدهم هي نوع من الفتنة، وأن الأئمة عصاة بغاة فسدة يجب محاربتهم.

وانطلاقاً من هذه الوضعية الجديدة عمل كل طرف على إشراك القلم إلى جانب السيف، وذلك حين شجعوا العلماء وخاصة المؤرخين إلى الدخول في معمعة أحداث الصراع لما يملكونه من قدرات علمية يستطيعون من خلالها إعادة صياغة الادعاءات السياسية بتعابير دينية، تضفي نوعاً من الشرعية على الأعمال السياسية والعسكرية لكل طرف وتنفي عن الطرف الأخر شرعية ما يقوم به، ترتب على ذلك ظهور فئتين من المؤرخين، فئة ساندت العثمانيين " مؤرخي السلطة" وأخرى ساندت أئمة الزيدية " مؤرخي المعارضة" ولعبت العوامل الأجتماعية، والمذهبية، وكذلك الظروف السياسية التي مرت بها مراحل الصراع دوراً كبيراً في تحيز المؤرخين إلى كلا الطرفين.

ولم يكن غريبا أن يشترك المؤرخون في أحداث الصراع السياسي والفكري، فهم يمثلون جزءاً رئيسياً من تركيبة التيارين المتصارعين، وكانوا بمثابة وسائل الإعلام في وقتنا الراهن، خاصة وأن كثيراً منهم كانوا موظفين رسميين لدى القوى المتصارعة، وكتبوا مصنفاتهم التاريخية إما بطلب منهم، أو نتيجة انسجام مواقفهم وتوجهاتهم السياسية والمذهبية والسلالية مع مضامين الخطابات السياسية التي تبنتها تلك القوى، فحملت مؤلفاتهم التاريخية صفة رسمية، وكان إسهامهم في الصراع الفكري جزءاً من عملهم، وتلبية لتوجهات أطراف الصراع، حيث حملوا على عاتقهم مسئولية نشر الخطاب السياسي والفكري للطرف الذي انحازوا إليه في مؤلفاتهم التاريخية، وشنوا في الوقت نفسه حملة دعائية ضد خصومهم السياسيين.

وقد دوّن مؤرخو السلطة والمعارضة أحداث تلك المرحلة من وجهات نظر متباينة. وكانت مؤلفاتهم بمثابة وعاء أستوعب خطابات القوى المتصارعة، وتجسدت فيها صور الصراع ووسائله المختلفة، وتبلورت فيها أوراق اللعبة السياسية التي راهنت القوى المتصارعة عليها لتحقيق أهدافها السياسية.

ومن خلال تلك المؤلفات نجد أن الصراع حدث بين الطرفين، عندما عملت الدولة العثمانية على مد نفوذها وتوسيع ممتلكاتها في اليمن، في إطار التوجه العام الذي تبنته تجاه الأقاليم الإسلامية لأسباب سياسية واقتصادية، وشكل ذلك التوسع تهديداً لطموح أئمة الزيدية في اقامة الدولة الزيدية في اليمن. فأصطدمت مصالح الطرفين ودخلا في صراع سياسي وفكري، ووظفا فيه الوسائل المختلفة من أسانيد دينية، ومرويات، وأشعار بهدف ايجاد الشرعية الدينية لتلك الحروب السياسية وصبغها بالصبغة الدينية.

فقد عمل الطرفان على العودة إلى النصوص الدينية "القرآن لكريم"، الحديث النبوي، والموروث الفقهي، لانتقاء وتأويل ما يتوافق منها . من وجهة نظرهم . مع خطابهم السياسي الذي تبنوه، لإيجاد السند الديني لتدعيم واثبات شرعيتهم.

وسعوا من وراء ذلك إلى مخاطبة أهل العلم "النخب المثقفة" في المجتمع، التي يصعب إقناعها بشرعية هذا الطرف أو ذاك، وكسب تأييدها إلا بالدليل الشرعي من الكتاب والسنة.

وكانت الحكايات والقصص الغريبة التي لعبت قوى ما وراء الطبيعة أدوراً رئيسة فيها، من الوسائل التي أعتنت بها القوى المتصارعة، تجلى ذلك بما ورد منها في كتابات المؤرخين، فقد لجأت تلك القوى إلى توظيف هذه الوسيلة وشجعت الرواة . بطريقة أو بأخرى . على نشرها، كنوع من الحرب الدعائية لتعزيز موقفها السياسي. وسعت من وراء ذلك التوظيف إلى استغلال البعد الديني الذي أحيط بتلك المرويات في إضفاء نوع من القداسة على شخصيات من نُسجت حولهم، وتأكيد وقوف المشيئة الإلهية إلى جانبهم. بهدف تأكيد شرعيته وكسب الأنصار إلى جانبه.

كما عمل الطرفان على توظيف الشعر في أحداث الصراع الذي دار بينهم لخدمة قضاياهم السياسية، فكانت القصائد الشعرية سواءً التي نظمها المؤرخون بأنفسهم، أو نظمها غيرهم، وأوردوها المؤرخون في مؤلفاتهم، تمثل إحدى الوسائل الدعائية، التي روجت مضامين الخطاب السياسي للقوى المتصارعة بشقيها المؤيد للعثمانيين، أو لأئمة الزيدية. كما شكلت في الوقت نفسه نموذجاً للصراع الفكري الذي كان يدور بين النخب المثقفة، والتي سعوا من خلالها إلى نشر وترويج خطابات من انحازوا إليه. وشنوا من خلالها حملات دعائية على خصومهم السياسيين.

إن تدوين المؤرخين لتلك الوسائل في مؤلفاتهم التاريخية، وإن لم تكن أغلبها من صياغتهم وخيالهم ونظمهم، إلا أن اتفاق مضمونها مع توجهاتهم السياسية والفكرية هو ما دفعهم لنشرها، كما يحكي في الوقت نفسه قوة الصراع وأهمية تلك الوسائل في تجميع الأنصار، وانها أصبحت جزء من الأحداث الدائر حينها، ولولا أهميتها وقوة تاثيرها ما دونها المؤرخين.

وتجلت في كتابات المؤرخين درجة تفاوت ذلك التوظيف، إذ بدا واضحاً اعتماد أئمة الزيدية على توظيف كل الوسائل المتاحة حينها والمتمثلة في الدين والشعر والمرويات، وأن اعتمادهم على تلك الوسائل كان نتيجة للظروف السياسية التي كانوا يمرون بها، فقد شكلوا أو مثلوا قوة معارضة "ثائرة"ضد الحكم العثماني في اليمن، وهذه

الحالة السياسية تتطلب منهم امتلاك خطاب سياسي قوي و مؤثر، يتمكنون من خلاله إقناع الناس بمشروعهم أو عملهم السياسي الذي يقومون به

في حين نجد أن الوضع السياسي للحكم العثماني في اليمن كان مختلف عن وضع أئمة الزيدية، فقد مثل العثمانيون قوة شرعية في نظر الكثير، وامتلكت دولتهم آلة عسكرية قوية قادرة على تحقيق طموحهم السياسي وضرب مخالفيهم، لذلك لم يركز العثمانيين وأنصارهم بشكل كبير على قضية توظيف الوسائل خاصة الدين، أو المرويات بهدف أقناع الناس بصدق توجهم أو بشرعية حروبهم لأنهم . كما يبدو . لم يكنوا بحاجة إلى ذلك، وإنما جاء توظيفهم لتلك الوسائل مرتكزاً على قضية رئيسة تمثلت في وجوب طاعة ولي الأمر، وعدم شرعية الحروب التي يخوضها ائمة الزيدية ضدهم.

انطلاقاً مما سبق يمكن الخروج بالتصور التالي.

عمد مؤرخو السلطة والمعارضة إلى إظهار إيجابيات من والوّهم بصفتهم أصحاب حق . من وجهة نظرهم . كما أبرزوا سلبيات خصومهم السياسيين وأقصوهم عن ذلك الحق أو الشرعية في الحكم. هذا التباين في موقف المؤرخين يبيّن أن ذلك الصراع لم يكن صراعاً بين حق وباطل، لأنه يصعب الحكم على أن كل الولاة العثمانيين هم من الفسدة، أو الظلمة، كما يصعب الحكم أيضاً على أن كل أئمة الزيدية هم أئمة عدل وحق والعكس صحيح. إلا أنه يمكن الحكم بأن ظروف وطبيعة الصراع كان لها خصوصياتها، ولكل طرف سلبياته وايجابيته.

كانت قضية الحكم وتولي السلطة جوهر الصراع ، وما دار من حروب بين الطرفين هي حروب سياسية في الأصل، وأن تاطيرها دينياً كان بهدف تبريرها ليس ألا. فقد عمل كل طرف على تأصيل ذلك الصراع فقهياً لأيجاد شرعية دينية تبرره، ومن اجل ايجاد تلك المبررات رجع كل طرف إلى الموروث الديني ليتخذ منه قاعدة لبناء خطاب سياسي يحقق من خلاله أغراضه السياسية.

لم يشكل الحكم العثماني لليمن بأي حال من الأحوال غزوا أو استعمار، وإنما مثّل نوعاً من بسط النفوذ والسيطرة، كما أن الحروب التي خاضها أئمة الزيدية ضد ذلك الحكم لم تأخذ أبعاداً وطنية أو قومية، بل كانت حروب سياسية غلب على طابعها التوجه الديني، فلم يُنظر إلى العثمانيين، على أنهم دخلاء أو غرباء، بل كانوا يُعدّون جزء من تركيبة المجتمع الإسلامي، ولم يرد في تلك الكتابات ما يشير إلى أن وصولهم وحكمهم لليمن يمثل غزو، بل وردت إشارات بيّنت أن حكم الدولة العثمانية لليمن يمثل امتداداً لحكم دولة الخلافة الإسلامية، وهذه النظرة لم ينكرها حتى أئمة الزيدية أنفسهم، تجلى ذلك بما ورد في مؤلفات مؤرخيهم من الرسائل التي خاطبت السلاطين بلقب الخليفة.

و نجد في الوقت ذاته أن كتابات المؤرخين سواء مؤرخي السلطة أو المعارضة لم تعتبر حروب أئمة الزيدية ضد العثمانيين بأنها حروب وطنية، أو قومية، بل وصفتها بأوصاف ذات مفاهيم دينية، فقد أكد مؤرخو المعارضة أنّ تلك الحرب جهاد يهدف إلى إقامة الحق ومحاربة الظلم، في حين أكد مؤرخو السلطة أنّ تلك الحرب ما هي إلا سعي للحصول على السلطة وأنها بغي وشق لعصى الطاعة، وخروج عن طاعة السلطان.

القسم الثانـي

دراسة وتحقيق مخطوطة

بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام

للمؤرخ/ محمد بن يحيى المطيب الزبيدي الحنفي

ترجمة حياة المؤرخ المطيب

اتسمت الفترة التي عاش فيها مؤرخنا، بالصراعات السياسية والعسكرية، و ما نتج عنها من وقوع حالة صراع في الجوانب الفكرية والثقافية، حيث اشترك المؤرخون في ذلك الصراع من خلال تدوينهم لأحداثه، كل من وجهة نظره الخاصة.

ويُعد مؤرخنا المطيب أحد أولئك المؤرخون الذين عايشوا أحداث تلك الفترة، وتأثروا بها وأثروا فيها، فهو ممن أرخ لبعض مجريات تلك الأحداث (فترة حكم بهرام باشا 977. 983هـ /1569 . 1575م)، وكان من أشد المؤرخين تحيزاً إلى جانب العثمانيين، وإن أغفلته كتب التراجم سواءً منها اليمنية أو الإسلامية، فهذا لا ينفي عنه ما اشتهر به من العلم، خاصة علوم العربية والفقه، ولا يقلل من مكانته الاجتماعية ، فقد حظي مؤرخنا بشهرة علمية كبيره في مدينة زبيد، فهو كما وصفه الرحالة الجابري[1] في كتابه(سفينة السفر)[1]، حين زار مدينة زبيد سنة 996هـ / 1588م والتقى بمؤرخنا المطيب في مسجد الأشاعر بقوله "الشيخ الإمام سيبويه اليمن وبهجة الزمن شيخ العربية، ورافع علمها الخافق وناشرها، وجامع أدواتها المتفرقة وحاشرها جمال الدين محمد بن يحيى المطيب الحنفي، طيب الله أنفاسه وحلا بثمار الفرايد غراسه، إمام برع في هذا الفن وأعرب عن مخابئه وأتقن، وقصده الطلاب من كل فج، فألف قلوبهم بالألفية وتصرف إّذ صرف عنهم الأفعال المخفية، فكانت أوقات تدريسه للقلوب شافية

([1]) الجابري : هو أحمد بن محمد بن عبد الرحمن باجابر الحضرمي المشهور بالجابري، تربى في حجر والده الشيخ محمد و تعلم على يده، وعلى يد غيره من العلماء، رحل إلى الهند وأخذ العلم عن الشيخ عبدالقادر شيخ وغيره، كانت وفاته ببلدة لاهور من الديار الهندية في 10 شوال 1001هـ / 11يوليو1592م. المحبي : خلاصة الأثر. جـ1 ، صـ274 ،292.

([1]) هو عنوان كتاب الجابري كما أسماه هو بقوله " قد جمعت في هذا السفر ما يستعمله المسافر سفيره ويتخذه سميره، وعنّ لي أن أسميه سفينة السفر"، ولم أجد أي عنوان لهذا الكتاب في" صلابه" أوراقه الأولى، سوى إشارة كتبت بخط حديث سمته " تراجم رحلة الجابري " ويبدو أن هذه الإشارة كانت بخط المرحوم عبد الرحمن الحضرمي، لذا فضلت استخدام الإسم الذي سماه مؤلفه به، مختلفاً في ذلك مع مالكه المرحوم الحضرمي ، الذي أستخدمه كمصدر أساسي في كتابه زبيد مساجدها ومدارسها، وكتابه جامع الأشاعرة باسم " تراجم الجابري" . أحمد بن محمد الجابري : سفينة السفر. مخطوطة محفوظة بمكتبة الأستاذ عبد الرحمن الحضرمي، بزبيد، منها نسخة بمعية الباحث، ق 2.

، ولكل قارئ ومستمع كافيه [...] وصار ابن مالك[1] مملوكاً لديه، وابن هشام[2] كهشيم تذروه الرياح، وابن الخباز[3] شغل بخبزه وتنوره، وابن الحاجب[4] محتجباً بمرسلات ستوره"[5].

شهد العلماء المعاصرين له بعلمه ومكانته في المجتمع، فقال عنه المؤرخ الجابري أيضا "وحضرت مراراً مجالس تدريسه فما رأيت أفصح من منطقه وترسله للقراءة في الإملاء للتفسير وغيره، مع اللهجة البارعة المعجمة، والألفاظ المطيعة له في حال الإملاء "، وقال أيضا "وكان باذلاً نفسه للإقراء، ولنفع المسلمين من الطلاب وحلقته مشحونة بالصغير والكبير والشريف والحقير، مع لطافة الأخلاق [فراغ في الأصل]، والتقشف وطرح التكلف محيي اسمه ورسمه ولم يحب الظهور [فراغ في الأصل] اشتهر بظهور هذا الفن، وأنقاد له من بين الجمهور وكفاه شرفاً أن صيته بلغ الأفاق، وانه بهذا الفن وتفرده بالعربية حصل له الاتفاق"وله الاستدراك البديع وقوة العارضة، وجميع فضلاء زبيد الآن وكتابها، وفضلائها وأدبائها يحفوا في هذا الفن عليه، وهو شيخ ملقح، قل من قرأ عليه إلا ونجب"[1]. وقال عنه الإمام برهان الدين ابراهبم بن محمد جعمان "إن كان لـ ابن هشام وابن مالك ثالث فهو محمد بن يحيى المطيب"،

([1]) ابن مالك: محمد بن عبدا لله بن مالك الطائي الجياني، أحد الأئمة في علوم العربية، ولد في جبان بالأندلس سنة 600هـ / 1203 م، له مصنفات عديدة أشهرها الألفية في النحو، و الكافية والشافية وله كتاب الضرب في معرفة لسان العرب وغيرها. توفى بدمشق سنة 672 هـ / 1274م . الزركلي : الأعلام. المجلد السادس ، صـ 233 .

([2]) عبدا لله بن يوسف بن أحمد، المعروف بابن هشام ، من أئمة العربية، من تصانيفه مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، وعمدة الطالب في تحقيق تصريف ابن حاجب، شذور الذهب. كان مولده سنة 708هـ /1309م، ووفاته سنة761هـ / 1360 م. الزركلي : نفس المرجع . المجلد الرابع ، صـ 147.

([3]) أحمد بن الحسين بن أحمد الاربلي الموصلي أبو عبد الله شمس الدين بن الخباز، نحوي ضرير له تصانيف منها0 الغرة المخفية في شرح الدرة الألفية وتوجيه اللمع شرح كتاب اللمع لابن جني. كان مولده سنة 537هـ / 1142م ، ووفاته سنة 614 هـ / 1217م الزركلي: نفس المرجع. المجلد الأول ، صـ 117.

([4]) عثمان بن عمر بن أبي بكر أبو عمرو جمال الدين بن الحاجب، كردي الأصل ولد بمصر سنة570 هـ/ 1174م ، كان أبوه حاجباً فعرف به،له تصانيف منها الشافية في الصرف وجامع الأمهات في الفقه وغيرها. كانت وفاته سنة 646هـ / 1249م. الزركلي : نفس المرجع. المجلد الرابع ، صـ 211 .

([5]) أحمد الجابري: سفينة السفر . ق 105 . 106 .

([1]) نفس المصدر. ق 106.

وقال عنه العلامة محمد بن الصديق الخاص[1] ، "ما سمعنا بل ما رأينا مثل هذا الإنسان الذي انقاد له هذا الفن [يقصد اللغة العربية] ودخل تحت قيادته وبلغ فيه مراده"[2].

شغل مؤرخنا منصب القضاء والإفتاء في زبيد على المذهب الحنفي و تولى التدريس في مدارسها كالمدرسة الفاتنية [3] كما تولى إمامة جامع الأشاعرة والتدريس فيه إلى جانب التدريس في الجامع الكبير الظافري[4].

و تتلمذ على يد مؤرخنا مجموعة من علماء تهامة عامةً، وزبيد خاصة و الذين نالوا شهرة واسعة، منهم العلامة برهان الدين إبراهيم بن محمد جعمان[1]، والعلامة حسين بن عبد الباقي الزاهر الزبيدي[2]، والعلامة الطيب بن أحمد الناشري[3] والعلامة أبو بكر بن أبي قاسم بن أحمد الأهدل[4].

([1]) محمد بن الصديق الخاص من أعيان مدينة زبيد ومفتيها على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان كان على جانب عظيم من العلم ، وله مكانة عند الباشوات العثمانيين ، توفي سنة 1054 هـ / 1644م. محمد بن الطاهر البحر: تحفة الدهر في نسب الأشراف بني البحر ونسب من حققنا نسبه وسيرته من أهل العصر. مخطوط محفوظة بمكتبة الدكتور حسن الأهدل، ق 80. الطيب بافقيه : تاريخ الشحر . صـ447.

([2]) أحمد الجابري : سفينة السفر. ق 106 .

([3])عبد الرحمن الحضرمي: زبيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ.صنعاء، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية ، 2000م ، صـ 63 .

([4]) أحمد الجابري : المصدر نفسه. ق 106 .

([1]) برهان الدين إبراهيم بن محمد بن إبراهيم جعمان، أخذ العلم عن مؤرخنا المطيب وكان من أحد تلامذته، وأجازه في الألفية و النحو وغيرها من العلوم، قال عنه صاحب تحفة الدهر " الإمام العلامة البحر الفهامة [...] برهان الدين إبراهيم بن محمد جعمان، مفتي مدينة زبيد[...] كان على جانب كبير من نشر العلم والتدريس، وإكرام الدارسين والوافدين ، وكانت إليه رياسة مدينة زبيد مسموع الكلمة مقبول الشفاعة" كانت وفاته 1034هـ / 1624م. أحمد الجابري: نفس المصدر. ق80، محمد البحر: المصدر نفسه. ق34، المحبي: خلاصة الأثر. جـ1، صـ 39، عبد الرحمن الحضرمي: نفس المرجع . صـ 192.

([2]) حسين بن عبد الباقي الزاهر الزبيدي. تتلمذ على يد مؤرخنا المطيب في علوم الفقه، وهو من الأدباء الذين ذاع صيتهم في زبيد في الأدب والشعر . أحمد الجابري: المصدر نفسه. ق 107 .

([3]) الطيب بن أحمد الناشري : هو من علماء آل الناشري من تهامة، لم أعثر له على ترجمة.

([4]) أبو بكر بن أبى القاسم بن أحمد الأهدل، من أشهر علماء تهامة، درس علم النحو على يد مؤرخنا المطيب، له العديد من المصنفات منها " النور الباسم في مناقب بني الأهدل، الأحساب العلية في الأنساب الأهدليه، نفحة

ولـيس غريبـاً علـى مؤرخنـا أن يحظـى بتلـك السـمعة والشهـرة العلميـة، ويشهـد لـه معاصروه بذلك، فهو سليل أسرة اشتهرت بالعلم، خاصة علم اللغة والفقه الحنفي.

حيث ورد ذكر العديد من فقهائها، وعلمائها في كتب التاريخ والتراجم، منهم العلامة علـي بـن عثمـان المطيـب الزبيـدي الحنفـي، الـذي تـولى رئاسـة الحنفيـة بزبـيد، وعمـل مدرساً للفقه الحنفي بالمدرسة المنصورية السفلى بزبيد[1] وخلفه ابنـه العلامة محمد بن علـي الـذي عمـل مدرسـاً فـي المدرسـة المحالبيـة حتـى وفاتـه سنـة 907هـ/ 1501م[2]، ومنهم القاضـي عبـد الرحمن بـن الصـديق المطيـب الحنفـي الـذي تولـىَ القضـاء بزبيد سـنة 912 هـ/1506م[1]، وكـذلك العلامـة أبـو العبـاس أحمـد شـهاب الـدين بـن شـيخ الإسـلام محمـد المطيـب، الـذي درس الفقـه وعـلم القـراءات فـي المدرسـة الياقوتيـة، والسابقـية، والمحـالبية، والوهـابية وتـوفي سـنة 937هـ/1530م[2]. وأشتهـر مـن آل المطيب أيضـاً الفقيه علـي ابن أحمـد المطيب الـذي تولى إمامـة جـامع الأشـاعر سنة 949 هـ /1542م بتكليف من مصطفى باشا النشار[3].

إلا أن أكثر من اشتهر من آل المطيب هو العلامة أحمد بن محمد بن يحيى المطيب الحنفـي الزبيدي ابن مؤرخنـا، وصفـه المـؤرخ الـمحبي بقولـه انـه "سيبويه زمـانه وإمام سائر الفنون والآداب في أوانه، كان فقيهاً آلت الفتوى في مذهبالإمام أبـي حنيفة إليه، وأمده الله بالحفظ، فكان بحراً زاخراً في جميع الفنون، وخصوصاً علم النحو ومتعلقاتـه،

المندل بذكر بني الأهدل " كانت وفاته سنة 1034 هـ/1634م. عبد الرحمن الحضري: جامعة= =ألاشاعرة. مخطوط محفوظة بالمكتبة المركزية بجامعة صنعاء، ق270، محمد البحر: تحفة الدهر. ق 34، الجابري : سفينة السفر. ق 66.

([1]) عبدالرحمن الحضرمي : زبيد مساجدها ومدارسها. صـ 208 0

([2]) عبد الرحمن بن علي بن الديبع : الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار زبيد ، تحقيق محمد عيسى صالحيه، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب ،ط اولى، 1983م صـ160، بافقيه : تاريخ الشحر. صـ 60 .

([1]) ابن الديبع : نفس المصدر. صـ 205.

([2]) عبد الرحمن الحضرمي : نفس المرجع. صـ 322.

([3]) نقس المرجع. صـ57 0

مع التحقيق الوافي والتدقيق الوافر أخذ عن والده وغيره [...] وعلا صيته وأشتهر أمره، وكانت وفاته في ذي القعدة سنة سبع وعشرين وألف بزبيد"[1]. ومن مؤلفاته رسالة في النحو بعنوان "رسالة إعراب خصوص أقصى رتبة الوارد لفظها في دعاء الشيخ أبي حربة "[2].

وكما أشرت سابقاً، من أن مؤرخنا لم يلق حظه من الترجمة والتعريف، فلا يُعرف متى كانت وفاته على وجه الدقة، ولا توجد أي إشارات حول ذلك سوى ما ذكره العلامة الحضرمي في كتابة (جامعة الأشاعرة) حيث حدد تاريخين مختلفين لوفاته بقوله "العلامة محمد بن يحيى المطيب المتوفى سنة 1007هـ [1599م] وقيل سنة 1028هـ [1618م] "[3]. ولا تُعرف المصادر التي أعتمد عليها الحضرمي في تحديده لهذه التواريخ .

اعتماداً على ما ذكره العلامة الحضرمي فإن التاريخ الأقرب إلى الدقة لوفاة المؤرخ المطيب هو عام 1007هـ / 1559م. لأن الفتوي على المذهب الحنفي في زبيد كانت من الوظائف التي شغلها المؤرخ، وانتقلت هذه الوظيفة إلى ابنه أحمد المتوفى سنة 1027هـ / 1617م. فلو اعتبرنا أن وفاة المؤرخ كانت سنة 1028هـ / 1618م، فكيف تؤول وظيفة الفتوى إلى ابنه ومورخنا مازال على قيد الحياة. كما أن وفاة أحمد بن محمد المطيب وهو ابن المؤرخ كانت سنة 1027هـ / 1617م[4]، ومن الطبيعي والمألوف ـ ليست قاعدة ـ أن تكون وفاة والده قبل هذا التاريخ، لوجود فارق زمني بين الأب والابن.

لذلك فإن سنة 1007هـ / 1559م هي التاريخ الأكثر دقة الذي ربما يكون مؤرخنا المطيب توفى فيه .

وإذا نظرنا إلى ما تركه مؤرخنا المطيب من مؤلفات، نجد أن له استدراكات، على بعض علماء اللغة العربية مثل الإمام أثير الدين أبي حيان [5]، وابن هشام،

([1]) محمد المحبي : خلاصة الأثر . جـ 1 ، صـ 65 ، صـ 292.

([2]) مجموع رقم (17) ، المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء ، من صـ 21 – 39.

([3]) عبد الرحمن الحضرمي : جامعة الأشاعرة . ق 255

([4]) محمد المحبي : المصدر نفسه . جـ1 ، صـ 65 ،292 .

([5]) محمد بن يوسف بن علي أبي حيان الغرناطي الأندلسي أثير الدين أبو حيان ، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتفسير والتراجم ، ولد في غرناطة سنة 645هـ / 1256م ، اشتهرت تصانيفه في حياته منها " البحر المحيط ،طبقات نحاة الأندلس " . الزركلي : الأعلام . المجلد السابع ، صـ 152.

وابن مالك[1]. إلا أن كتابه الذي بين أيدينا "بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام" الذي دوّن فيه سيرة الوالي العثماني بهرام باشا في اليمن، يُعد أشهر مؤلفاته، بل به كانت شهرة مؤرخنا، لما رصده من أخبار تلك الحملة بتفاصيلها الدقيقة.

أسباب اختيار المخطوطة:

جاء اختيا الباحث لمخطوطة "بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام" لتكون محلاً للدراسة والتحقيق في القسم الثاني من هذا البحث لإسباب عدة منها :

ـ أن هذه المخطوطة تمثل نموذجاً للمؤلفات التاريخية التي عاصر مؤلفوها أحداث الصراع السياسي بين الأئمة والعثمانيين، ودوّن فيها اخبار تلك المرحلة باسلوبه الخاص.

ـ أنها تمثل موقف ووجهة نظر شريحة من المفكرين والمثقفين اليمنيين (في تلك الفترة) في الحكم العثماني لليمن، والتي لا يمكن . بأي حال . تجاهلها، وتؤكد في الوقت نفسه بأنه مثلما كان للعثمانيين أعداء في اليمن، فقد كان لهم حلفاء ومؤيدون أيضاً.

ـ تعد من المخطوطات اليمنية النادرة، التي يصعب علىالباحثين . داخل اليمن . الأطلاع عليها، كونها نسخة وحيدة موجودة خارج اليمن، كما أن مؤلفها احد المؤرخين اليمنيين الذين انحازوا إلى جانب الحكم العثماني، ولم يلقو حظهم من التعريف في كتب التراجم .

ـ أن هذا النوع من المخطوطات لم يلق حظه من الدراسة والنشر من قبل الباحثين، مقارنة بتلك المخطوطات التي انحازت إلى جانب الأئمة الزيديين في صراعهم مع العثمانيين.

([1]) أحمد الجابري : سفينة السفر. ق106

. بالإضافة إلى كل ما سبق، فإن اختياري لها جاء من باب الإسهام في نشر التراث، خاصة تراث تهامة الذي ما يزال الكثير منه حبيس المكتبات.

منهج المؤرخ:

إذا ما انتقلنا إلى منهج مؤرخنا وأسلوبه، فنجده امتدادا لكتابات المدرسة الإسلامية في كتابة التاريخ ، حيث حرص المؤلف على ذكر الغرض من تأليفه للكتاب بقوله "ألف هذا الكتاب خدمة للحضرة الشريفة والمكارم العلية المنيفة من خصها الله تعالى بالرياسة الأنسية بالإستحقاق، والنفس القدسية الحاوية لمحاسن الأخلاق"[1]. ولذكر بعض أيامها في اليمن في عهد بهرام باشا "جمعت فيه بعض تاريخ بعض أيام الدولة العثمانية باليمن المعمور، وما وقع في تلك الأيام من الفتح المشهور، المنصورة بنيابة مولانا [...] بهرام باشا"[2]، وبين كيفية تقسيمه لكتابه إلى أبواب بقوله " ورتبته على مقدمة وتتمة تلي ستة أبواب"[3] مضمنا أحداثً كل سنة في باب.

إلى جانب تقسيم المؤلف كتابه إلى أبواب فقد قسم تلك الأبواب إلى فصول – عدا الباب الثالث – ولم يتبع أسلوباً موحداً في ذلك، فنجد أن الباب الأول أشتمل على أربعة فصول، والباب الثاني على ستة فصول، والباب الثالث لم يشتمل على أي فصل، والباب الرابع على خمسة فصول، والباب الخامس على خمسة فصول، والباب السادس على عشرة فصول، والباب السابع على عشرة فصول أيضاَ، ويبدو أن المؤلف قد ركن في تقسيمه على غزارة الأحداث، فنلاحظ أن السنوات الأخيرة من حكم بهرام باشا قد كثرت بها الأحداث الجسام، فأكثر المؤلف من فصول أبوابها ، بهدف إعطاء كل حدث ما يستحقه من الذكر، حيث أفرد للحدث الواحد فصلاً قائماً بذاته . في بعض

([1]) وردت هذه العبارة على غلاف المخطوطة. أنظر والورقة الأولى من المخطوطة.

([2]) النص : ق 1

([3]) النص : ق1 . 2

الأحيان . في حين أن بعض السنوات لم يحدث بها ما يستحق الذكر فجاءت أبوابها خالية من الفصول كما في الباب الثالث أحداث سنة 979هـ/1571م.

والتزم المؤرخ بطريقة الإسناد والتوثيق في نقله للمعلومات من الكتب السابقة بذكر عناوينها وأسماء ومؤلفيها . على سبيل المثال . "ومن ذلك ما ذكره العلامة الحافظ شهاب الدين احمد بن حجر العسقلاني في فتح الباري شرح صحيح البخاري"[1]، كما رتب أحداث كتابه بطريقة الحوليات، فقد دون أحداث ست سنوات، وهي فترة حكم بهرام باشا، ونتيجة لإتباع المؤلف لطريقة الحوليات، فقد وقع في مشكلة تقسيم الأحداث التاريخية. فعلى سبيل المثال لا الحصر، فقد أورد في الباب الثاني في حوادث سنة 978هـ / 1570م، أن بهرام باشا جهز حملة عسكرية في 15 رمضان من نفس السنة ، بقيادة مصطفى آغا بقصد الاستيلاء على حصون بلاد ريمة، ودنوة، وبلاد الجمعة، والسلفية وغيرها، و ذكر أنه تم حصار هذه الحصون لمدة سنة وشهر وسبعة عشر يوماَ، وأن الله فتح لهم تلك الحصون[2]، ثم انتقل بعد ذلك لسرد بقية أحداث تلك السنة، وفي الباب الثالث في حوادث سنة 979هـ/ 1571م استكمل الحديث عن هذه الحملة وأعطى تفاصيل دقيقة لكيفية الاستيلاء عليها، وما آلت إليه تلك البلاد، وتعامل بهرام باشا مع أهلها [3] .

إلا أن ما ذكرناه سابقاً من اتباع المؤلف لطريقة الحوليات، ووقوعه في مشكلة تقسيم الأحداث لا ينقص من القيمة التاريخية للكتاب، فهو أشبه ما يكون بالتقارير "السنوية التي تهتم حكومات الولايات بإصدارها، للإعلان عن أعمالها ومنجزاتها "[4].

([1]) النص : ق 2

([2]) النص : ق 19

([3]) النص : ق 21

([4]) سيد سالم : المؤرخون اليمنيون . صـ53

وأستخدم المؤلف منهج الضبط و التوقيت في سرده للوقائع التاريخية، فبدأ بذكر أحداث كل سنة من سنوات حكم بهرام بحوادث شهر محرم على النحو الأتي "الباب الثاني في ذكر ما أشتمل عليه سنة ثمان وسبعين، من الفتوحات وغيرها، لما كان في غرة محرم الحرام من السنة المذكورة "[1]، ثم يذكر ما وقع في بقية أشهر السنة مشيراً إلى السنة بقوله "من السنة المذكورة " أو مشيراً إلى السنة بلفظة (منها) للدلالة على أن تلك الأحداث هي في السنة نفسها، وكثيراً ما كان المؤلف يحرص على ذكر تاريخ اليوم الذي وقعت فيه الأحداث، بل أنه في أحيان كثيرة كان يحدد وقت وقوع الحدث بقوله "ثم نقل أعزه الله تعالى ركابه السعيد [000] إلى محروس مدينة زبيد فدخلها نهار الخميس تاسع الشهر المذكور منها"[2] وكذلك بقوله "وفي السابع عشر من شهر ربيع الأخر منها توجه مولانا [000] إلى حصار مأخوذ حب ، فطلع بعدان نهار الخميس"[3] 0

كما كان مؤرخنا متحيزاً للجانب العثماني، فكتابه هذا قد وضعه أصلاً لذكر بعض أيام الدولة العثمانية في اليمن، وظهر ذلك جلياً بإضافة ألقاب التعظيم والتفخيم، والأدعية عند ذكر أسماء السلاطين من آل عثمان أو ولاتهم، في حين نعت الزيدية وأمرائها بنعوت الإلحاد والتكفير، ووصف العديد من أفعال بهرام بأنها بتأييد إلهي، وجعل له الكثير من الكرامات وغير ذلك.

اتبع مؤرخنا المطيب المنهج الإسلامي في الاستشهادات خاصة الأحاديث النبوية، وبرز ذلك في الباب الأول في ذكر فضل الروم، فأورد العديد من الأحاديث الدالة على فضلهم ، أما الاستشهاد بالشعر فلم يستشهد بأشعار من سبقه ويبدو أن كل الأشعار التي وردت في كتابه هي من قرضه أو من نظم أحد أعوان بهرام باشا. لأنها تحاكي

([1]) النص : ق 9 .

([2]) النص : ق4

([3]) النص :ق 13

نفس الفترة التاريخية، ونُظمت لمدح بهرام باشا، والإشادة بمنجزاته وانتصاراته وأعماله و غير ذلك.

ومن الملاحظ أن المؤلف لم يستشهد بأي آية قرآنية في كتابه، وهو ما لم يكن مألوفاَ لدى مؤرخي تلك الفترة 0

أما أسلوب المخطوطة فقد جاء مُبسطاً اعتمد فيه مؤرخنا على السجع، فأكثر من إدخال الألفاظ التي ليس لها مدلول أو معنى يخدم السياق التاريخي للأحداث بقدر ما تخدم الناحية البلاغية لغرض التناسق السجعي للنص

أما لغة المخطوطة فهي عربية فصحى، ولم يرد فيها إلا القليل من الألفاظ العامية سواء من حيث المعنى أو طريقة رسمها.

البحث عن نسخ المخطوطة:

بعد أن وقع اختياري لمخطوطة "بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام" للمؤرخ محمد بن يحيى المطيب الزبيدي، لتكون الجزء الثاني من هذه الدراسة، بادرت بالبحث عن أماكن نسخ المخطوطة في كتب مصادر التراث ، و فهارس المخطوطات اليمنية، فبحثت في فهارس المكتبة الغربية في الجامع الكبير بصنعاء، وفهارس دار المخطوطات اليمنية، فلم أجد أي ذكر لهذه المخطوطة كما بحثت في كتاب " مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني " للدكتور حسين العمري ، وكتاب "مصادر التراث في المكتبات في اليمن" للأستاذ عبدالسلام الوجيه، وكتاب "المخطوطات اليمنية في مكتبة علي أميري " للدكتور محمد عيسى صالحيه. **فلم أجد ذكر للمخطوطة في كل كتب مصادر التراث السابقة الذكر.**

في حين ورد ذكرها في كتاب "مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي" للأستاذ أيمن فؤاد سيد[1] ، وفي كتاب "الأدبيات اليمنية في المكتبات والمراكز الثقافية العالمية" لـ كارل بروكلمان[2]، وفي كتاب " المؤرخون اليمنيون في العهد العثماني الأول " للدكتور سيد مصطفى سالم [3] ، وكتاب" مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن " للأستاذ عبد الله محمد الحبشي[4]، وأجمعت كل هذه المصادر والمراجع، على ذكر نسخة وحيدة للمخطوطة وهي النسخة الموجودة في المكتبة الوطنية بباريس، وصورتها الموجودة في الخزانة التيمورية بدار الكتب في القاهرة[5].

لذلك فقد اعتمدت على هذه النسخة الوحيدة واعتبرتها هي النسخة الأم، وحصلت على صورة المخطوطة من الخزانة التيمورية بدار الكتب بالقاهرة، وهي صورة منسوخة من ميكروفيلم للنسخة الأصلية.

وصف المخطوطة:

الوصف الشكلي : .

بحكم أن المخطوطة المتوفرة لدينا نادرة ووحيدة، فهي ستكون بمثابة النسخة الأم، و المخطوطة من الحجم الصغير 23,5×17,5سم، وعدد أوراقها تسع وخمسون ورقة، وعدد الأسطر متساوي تقريباً في الصفحات بمتوسط ثلاثة عشر سطراً في كل صفحة.

([1]) أيمن فؤاد سيد: مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي. القاهرة، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية . 1974م ، صـ 212– 213. ذكر الإستاذ نجيب عقيقي في كتابه المستشرقون أن مخطوطة بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام قد نشرت في فرنسا سنة 1843 م بعناية. Quatremere أيمن سيد : المرجع السابق . صـ 213.

([2]) كارل بروكلمان : الأدبيات اليمنية في المكتبات والمراكز الثقافية العالمية . تحقيق : صالح بن الشيخ أبوبكر، ، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني ط أولى ، 1985م ، صـ 198.

([3]) سيد سالم : المؤرخون اليمنيون . صـ52

([4]) عبد الله محمد الحبشي : مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن. أبو ظبي، المجمع الثقافي ، 2004م، صـ508 .

([5]) النسخة الأصلية من المخطوطة موجودة في المكتبة الوطنية في باريس ، ومنها صورة محفوظة في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم 2289 تاريخ. سيد سالم : نفس المرجع. صـ 52.

عدا الصفحة الأولى و الأخيرة، وقد جاءت الورقة الأولى مليئة بالكتابات الشعرية، والأحاجي النحوية بأسلوب شعري ، وليس لها أي علاقة بموضوع المخطوطة، كما لم تشر من قريب أو بعيد إلى صاحب المخطوطة، أو إلى أي تمليكات لها، وهذه الأشعار جاءت من أعلى الصفحة إلى أسفلها.

على النحو الأتي .

للجنابي رحمه الله تعالى[1]

ملكنا فكان العفو منا سجية فلما ملكتم سال بالدم أبطح

وحللتم قتل الأسارى وطالما غدونا عن الأسرا نعفوا ونصفحُ

وحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إناءٍ بالذي فيه ينضحُ

لبعضهم رحمه الله

لو كان للشمس ضوء غرتهُ لم يغتمض طرفها من الظللِ

مهدبُ ما رأيت طلعتهُ إلا رأيت الأنام في دجلِ

أريني جواداً مات[...][2] لعلني أرى ما ترين أو بخيلاً مخلد

لابن الصيرفي[3] في شيخه

سلّم على شيخ النحاة وقل لهُ عند سؤال من يجبه يعظم

([1]) الأبيات السابقة هي للشاعر أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن صفي الدين المعروف بحيص بيص والمتوفى سنة 574 هـ 1178م. صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي : الوافي بالوفيات. بيروت، دار صادر، 1991م ، جـ 15 ، صـ 165 ، 168.

([2]) الكلمة غير واضحة في الأصل

([3]) هناك أكثر من شخص حمل لقي الصيرفي من علماء النحو، ولم أتمكن من التعرف على صاحب هذه الأبيات.

أنا إن سكتُ فأنني أنا جازم وإذا جزمت فإنني لم أجزم
قل في الجواب بأن إن في شرطها جزمت ومعناها التردد فاعلم

وإذا الجزم الشرط أن شرطية وقعت فإن جوابها لم يجزم
علوم النحو جزماً في ارتفاع وبدر الدين هذا مساعد
فإن ترد الأدلة واضحاتٍ على المطلوب فأرجع للشواهد

ولـه

علــوم النحــو أضــحت فــي أرتفــاع بــدا جــزم المعانــد والمســاعد
على خفض العدول ونكر حالِ [...] [1] قد نصب الشواهد

وفي الورقة الثانية ذُكر أسم المؤلف بداخل شكل هندسي دائري كُتب بداخله الأتي "ألف هذا الكتاب خدمة للحضرة الشريفة، والمكارم العالية المنيفة،من خصها الله تعالى بالرياسة والإنسية بالاستحقاق، والنفس القدسية الحاوية لمحاسن الأخلاق ، العبد الفقير الحقير المعترف بالقصور والتقصير، محمد بن يحيى المطيب الحنفي الزبيدي، خادم العلم الشريف غفر الله له ولوالديه، ولجميع المسلمين آمين".

في حين ورد أسم المخطوطة في الورقة الثالثة في أعلى الصفحة اليمنى، بداخل إطار مربع الشكل على النحو الأتي "بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام"، فقد كانت هذه الصفحة هي أول صفحات متن المخطوطة، أما الصفحة الأخيرة من المخطوطة، فليس بها أي إشارة إلى أسم الناسخ أو تاريخ النسخ، فقد ختم المؤلف كتابه بقوله "وفي اليوم الثاني عشر من الشهر المذكور، توجه بالسلامة إلى مكة المشرفة من طريق البر، صحبته أمير اللواء الشريف محمود بك عين أمراء مصر، يسر الله طريقه على

(1) غير واضحة في الأصل .

أحسن حال، وسهل عليه ما يرجو من صلاح الأحوال، وجمعه بكافة أهله، وفتح عليه ما يطلبه من كريم فضله"[1] .

انتهى نص المخطوطة بهذا الشكل، ويبدو أن المخطوطة نُسخت بخط المؤلف نفسه، لعدم ذكر أسم الناسخ .

وأهتم ناسخ المخطوطة بالإعجام، ووضع علامات تشير إلى ذلك، فوضع نقطة أسفل حرف الدال لتمييزه عن حرف الذال، ووضع حرف حاء صغير أسفل حرف الحاء في الكلمة لتمييزه عن حرفي الجيم والخاء.

كما كتب بعض الكلمات باللهجة اليمنية العامية مثل (يقرونها) / (يقرؤونها) وكلمة (قريت) / (قرأت)، وكلمة (فقراهم) / (فقرائهم).

في حين نجده يجمع بين الطريقة العامية، والعربية في كتابة بعض الكلمات مثل (قبائيل، طوائيف، البشائير)، فقد كتب الهمزة المكسورة على حرف الياء في تلك الكلمات، كما أعتمد على كتابة بعض الكلمات على الرسم القرآني لها مثل (صلوة، زكوة أسحق، ثلثة، وغيرها)، أما كتابة الهمزات فلم يكن الناسخ دقيقاَ في كتابته لها، فنجده يكتب كلمة(بالطف) بمعنى (بألطف)، وأحياناَ كان يكتب الألف المقصور الفاً ممدود مثل أسرا بمعنى (أسرى) والمسما بمعنى (المسمى)، وكان الناسخ يضع الكلمات التي سقطت سهواَ أثنأْء النسخ، أعلى السطر في المكان الذي كان من المفترض أن توضع فيه، ويكتب جوارها لفظة (صح) دليل على أن مكانها الصحيح هنا، كما كان يكرر بعض الكلمات دون أن يعالج ذلك التكرار، وقد أهتم الناسخ بالشكل الجمالي للمخطوطة، فرسم أطاراً للصفحات كتب بداخله متن المخطوطة ، وواضح أن رسم الإطار قد تم قبل كتابة المتن، حيث أضطر الناسخ أحياناَ إلى كتابة

([1]) النص : ق 57

بعض الكلمات خارج الإطار، وأحياناً يعمل على ضغط الكلمات وتصغيرها في السطر، حتى لا تخرج عن أطار الصفحة.

وفيما يخص ترقيم الصفحات، فقد أتبع الناسخ الأسلوب المتعارف عليه في عصره، وهو كتابة أول كلمة من الصفحة اللاحقة في أسفل الصفحة التي تسبقها.

وصف المضمون

روعيت النواحي الجمالية فيها والفنية ، فخطها واضح وجميل، ومكتوب بعناية فائقة ، وقلت فيها الأخطاء النحوية والإملائية، كما وضع الناسخ فواصل بين الجمل عبارة عن نقاط سوداء، وفي الشعر فصل بين شطري البيت الواحد بنقاط سوداء أيضاً ، وأستخدم الناسخ ألوان مختلفة . إذ لم تك تظهر بعض الكلمات بشكل واضح خاصة أسماء السلاطين وأسم بهرام باشا . وعمد الناسخ إلى كتابة لفظة "وفي" بحجم كبير للدلالة على بداية يوم جديد، أو شهر جديد، وهو أسلوب فيه نوعاَ من شد الانتباه. وكما ذكرنا سابقاَ فقد أتبع المؤلف منهج الحوليات في كتابه هذا ، فقسمه إلى سبعة أبواب، ولم يضع عنوان لكل باب بل أقتصر على تحديد السنوات فكل باب يضم أحداث سنة – عدا الباب الأول – وبالرغم من حرص المؤلف على الإكثار من الحواشي خارج نص المتن، إلا أنها كانت بمثابة عناوين جانبية للنص، فهي – إلى حدٍ كبير – تلخيص أو اختصار للنص، فقد أختزل المؤلف في تلك الحواشي أبرز الأحداث المدونة في كل صفحة، فعلى سبيل المثال، أورد المؤلف في الورقة (رقم 3) أخبار فضل الروم والأحاديث الدالة على ذلك، وكتب حاشية لتلك الصفحة نصها " فضل الروم المزيد ودوام ملكهم السعيد "، وأحياناً كان يكتب المؤلف أكثر من حاشية للصفحة الواحدة ، إذا كانت أحداث تلك الصفحة كثيرة ومهمة، فعلى سبيل المثال أورد المؤلف في الورقة (رقم 49) أخبار وصول مصطفى باشا ثم موته و أخبار أخرى ،

وكتب حاشيتين نص الأولى "وصول الخبر بنزول مصطفى باشا بندر البقعة المعمور"، ونص الثانية "وصول الخبر بوفاة مصطفى باشا وما جرى بعد ذلك "0

منهج التحقيق والنشر:

لقد عمل الباحث قدر المستطاع على أن يلتزم بالمنهج العلمي عند التحقيق، فحرص عند النسخ على ضبط نص المخطوطة، وتوثيقه لإيصاله . بقدر المستطاع . إلى الصورة التي أرادها المؤلف، دون إحداث تغيير أو تبديل، إلا بما اقتضته الضرورة. وعلى سبيل المثال ، قد أضاف الهمزات إلى الكلمات التي تركها الناسخ بدون همزات مثل أمرآ (أمراء) ، صُلحآ (صُلحاء) ، المسا (المساء) وهكذا.

وقام الباحث بالتصحيح اللغوي لبعضا الكلمات ، مثل أسرا (أسرى)، المسما (المسمى)، وهكذا ، وحرص أيضاً على وضع النقاط على التاء المربوطة وعلى غيرها من حروف الكلمات غير المنقوطة، وهي حالات قليلة، وتصحيح بعض الكلمات مثل سورة بمعنى (صورة)، أما الكلمات التي رسمها الناسخ بهمزة مكسورة وياء، مثل (قبائيل، طوائيف، كتائيب) فقد أثبتها بالطريقة الصحيحة في اللغة العربية بالهمزة (قبائل، طوائف، كتائب) .

وبالنسبة للكلمات التي كتبت بالرسم القرآني، فقد أثبتها بالطريقة الصحيحة مثل (صلاة، زكاة، أسحاق، ثلاثة) وغيرها، وفيما يخص الحواشي التي هي جزاءُ من النص – تحتوي المخطوطة على حالة واحدة فقط – فقد وضعها في مكانها الصحيح، وكذلك الحال بالنسبة للكلمات التي كُتبت أعلى السطور في نص المتن، فقد أثبتها في مكانها الصحيح، وقد أثبت تلك التصحيحات اللغوية، والإملائية، والفنية في متن المخطوطة دون الإشارة إلى ذلك في الهامش 0

أما الكلمات التي رسمها الناسخ بالطريقة العامية، مثل قريت بمعنى (قرأت)، بقاه بمعنى (بقائه) ، فقد تركها الباحث في أصل المخطوطة، مع الإشارة إليها في

الهامش، وفيما يخص الكلمات العربية غير المتداولة، واليمنية العاميةمثل (ربعة،ختم، عطيف)، وكذلك الكلمات والألقاب العسكرية العثمانية مثل (اليازجية، الخنكارية، الجندكارية، آغا، اللوند، وغيرها)، والتي وردت في المخطوطة بزخم كبير، فقد حرص الباحث على توضيح معانيها في الهامش، واستعان في ذلك بأستخدام المعاجم العربية، واليمنية، العثمانية مثل (لسان العرب)، لـ ابن منظور، و (معجم الألفاظ اليمنية)، لـ مطهرا لأرياني و(المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية) لـ سهيل صابان، وغيرها من المعاجم، وفيما يخص أسماء الشخصيات التي وردت في النص ، فقد تمت الترجمة لعدد كبير منها وضبطها في الهامش، واعتمد الباحث على أمهات كتب التراجم الخاصة بتلك الفترة مثل (خلاصة الأثر) للمحبي، و (البدر الطالع) للشوكاني، و (نشر العرف) لزبارة و(النور االسافر) للعيدروس وغيرها.

ومما يلفت الانتباه هنا أن المؤرخ قد أورد أسماء الكثير من أسماء الباشوات والقادة، و أمراء الطوائف العثمانية، وشخصيات اجتماعية يمنية، أكثرها لم يكن له من الشهرة والتميز، ليدرج ضمن كتب التراجم المعروفة، الأمر الذي أستدعى القيام بأعداد تراجم لبعض الشخصيات، من واقع كتب التاريخ التي اهتمت بذكر تراجمهم مثل كتاب (البرق اليماني) للنهروای، و (الفتح العثماني) لـ سيد سالم، أو بالاعتماد على المخطوطة نفسها في إعداد تراجم بسيطة للشخصيات الأخرى، ووضّحت ذلك في الهامش .

أما أسماء المواضع مثل القرى والعزل والمدن، والحصون والقلاع والوديان والقيعان والجبال، والتي أوردها المؤلف، وهي كثيرة بحكم أن معظم أحداث المخطوطة أحداثاً عسكرية، فقد حرص الباحث على توضيح المواقع الجغرافية لتلك المناطق معتمداً على الكتب، والمعاجم المعروفة مثل (صفة جزيرة العرب) لـ الهمداني (مجموع بلدان اليمن وقبائلها) لـ محمد الحجري، (معجم البلدان والقبائل اليمنية) لـ ابراهيم المقحفي، وبعض

المواقع تُرِكَت دون تعريف نظراً لعدم العثور على تعريف لها في تلك المصادر، وربما يرجع ذلك إلى تغيير في أسماء المناطق أو اندثارها بعامل مرور السنين وغير ذلك.

ومن المميز للمخطوطة أن معظم الأحاديث التي أستشهد بها المؤرخ، قد وردت في الباب الأول وكما ذكرنا سابقاً. وقد قام الباحث بتخريج تلك الأحاديث من كتب الصحاح، وثبّت كل ذلك في الهامش.

ومن المألوف أن يستخدم المؤرخ التاريخ الهجري لتحديد زمن الوقائع، طول أحداث المخطوطة، وذلك نتيجة للثقافة والمنهج الإسلامي السائد آنذاك في كتابة التاريخ ، ولذا فقد عمد الباحث إلى إثبات ما يقابلها بالميلادي في الهامش .

وقام الباحث بتقسيم النص إلى فقرات، واستخدم علامات الترقيم (النقطة، الفاصلة، علامات الاستفهام، والتعجب، وغيرها)، مما يسهل عملية قراءة النص واستيعابه، واستخدم الأقواس المختلفة لتمييز بعض النصوص، حيث وضع القوسين ( ) للإشارة إلى الأحاديث النبوية، و القوسين المعقوفين [.....] مع خمس نقاط للدلالة على أن الكلمة غير واضحة من الأصل، وبالنسبة للفراغات الموجودة في الأصل، فقد وضع عبارة (فراغ في الأصل) بين القوسين للدلالة على ذلك. ووضع علامة التنصيص " " للدلالة على الاقتباسات. كما وضعت حرف [ق ...] مع رقم ورقة المخطوطة بين معقوفين للدلالة على بداية كل ورقة من ورقات نص المخطوطة.

وبهذا أرجو أن أكون قد وفقت بعملي المتواضع هذا بما ينال رضى أساتذتي الإجلاء.

أهمية المخطوطة:

تناولت مخطوطة "بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام" فترة مهمة من تاريخ اليمن في القرن العاشر الهجري – السادس عشر الميلادي – فقد شهدت اليمن فيه

أحداثاً سياسية كبيرة، كانت بمثابة نقاط تحول في تاريخه، ففي النصف الأول منه انضوت اليمن تحت حكم الدولة العثمانية، وأصبحت إحدى ولاياتها، وما ترتب على ذلك من اندلاع الصراع السياسي، والعسكري بين العثمانيين والأئمة الزيدية، حيث استمر الصراع إلى أن تم إخراج العثمانيين من اليمن للمرة الأولى سنة (1045هـ/ 1635م).

ولم يقتصر الصراع على الجوانب السياسية والعسكرية فحسب، بل " وقع صدام أخر في النواحي الفكرية والثقافية ، إذ كان من طبيعي أن يشترك القلم في المعركة القائمة حينذاك "، فانفردت مرحلة الحكم العثماني الأول لليمن بظهور فئتين من المؤرخين اليمنيين ، فئة انحازت إلى جانب الأئمة الزيديين، والأخرى إلى جانب العثمانيين[1] ، ولكل فئة توجهاتها الفكرية والسياسية الخاصة بها في كتابة تاريخ تلك المرحلة، وهذه الظاهرة الفكرية انفردت بها هذه المرحلة من تاريخ اليمن، إذ لم تشهد فترة الحكم العثماني الثاني لليمن 1289ـ 1337هـ / 1872ـ 1918م– حسب علمي – أي صراعات في الجوانب الفكرية أو ظهور مصنفات تاريخية مؤيدة للعثمانيين. فقد كانت المصنفات التاريخية تكتب من طرف واحد وهو الطرف المؤيد للقوة الزيدية.(سبقت الإشارة إلى ذلك في الفصل الثاني).

وكما ذكرنا سابقاً من أن المخطوطة تمثل نموذجاً للمصنفات التاريخية التي أنحاز مؤلفوها إلى جانب العثمانيين ، فقد دونت أحداث فترة حكم بهرام باشا لليمن (977–983هـ / 1569ـ1575م) .

وعلى الرغم من قصر هذه الفترة التي تناولتها المخطوط، إلا أن المؤرخ نجح في . إلى حد كبر . في رسم صورة واضحة للحكم العثماني في اليمن خلال تلك الفترة.

([1]) سيد سالم : المؤرخون اليمنيون. صـ 10.

حيث أبرزت المخطوطة الجوانب السياسية، والإدارية ،والعسكرية، والاجتماعية، والاقتصادية لليمن خلال تلك الفترة.

محتويات المخطوطة:

النواحي السياسية:

شهدت الفترة (963–975هـ / 1556 – 1568م) تدهوراً لأوضاع الدولة العثمانية في اليمن، وذلك عقب ولاية ازدمر باشا .كما ذكرنا سابقاً . ووصل الضعف بها إلى خروج معظم بلاد اليمن عن سيطرتها، وانحصارها أواخر تلك الفترة في مدينة زبيد والمناطق التهامية[1] الأمر الذي كلف الدولة العثمانية إعداد حملة عسكرية لاستعادة ممتلكاتها، فكانت حملة سنان باشا (976–978هـ / 1569– 1571م) . الذي تمكن من استعادة السيطرة على معظم أقاليم بلاد اليمن، حيث أخضع في بداية حملته المناطق الوسطى والجنوبية حتى عدن. في حين واصل إعماله العسكرية في المناطق الشمالية، فسيطر على صنعاء، ووصل بحملته إلى معاقل الأمراء الزيديين في ثلا وكوكبان، وتوصل إلى عقد صلح مع الأمير المطهر بن شرف الدين منتصف ذي الحجة سنة(977هـ/ 1570م)[2].

في أثناء ذلك تمكن الأمير علي بن الإمام شرف الدين المتحصن في حصن حب من فك الحصار، وإنزال الهزيمة بالعثمانيين في تلك الجهات[3]، في الوقت الذي وصل فيه بهرام باشا إلى اليمن بعد تعيينه والياً بدلاً عن عثمان باشا، وعلى الرغم من قلة جنود حملته الذين وصل بهم من مصر[4]، إلا أنه لعب دوراً مهماً في إعادة السيطرة العثمانية على بعض المناطق اليمنية ، فقد كانت الظروف التاريخية التي تمر بها

([1]) سيد سالم: الفتح العثماني. صـ 245 .

([2]) سيد سالم: نفس المرجع. صـ 284 .293 .

([3]) قطب الدين النهروالي : البرق اليماني . صـ 404 .

([4]) نفس المصدر. صـ 433.

اليمن آنذاك مهيأة للعلب مثل ذلك الدور، حيث تولى حكم اليمن بعد سنان باشا الذي يعتبر الفاتح الثاني لليمن[1]0

وتناولت المخطوطة أهم الجوانب السياسية والعسكرية لمراحل حكم بهرام باشا لليمن، منذ وصوله ميناء البقعة إلى أن غادر اليمن، والتي يمكن تقسيمها إلى مرحلتين.

المرحلة الأولى :-

. توطيد الحكم في المناطق الجنوبية والوسطى وإخضاع المتمردين .

فالمخطوطة تطالعنا بأعمال بهرام التي قام بها منذ أن وطأت قدماه أرض اليمن فمن خلال تتبع خط سير حملته التي بدأت من ميناء البقعة، ثم إنتقاله إلى زبيد إلى بلدة حيس، ثم موزع، وتوجهه إلى بلاد الحجرية، ووصوله إلى مدينة تعز نجد أنه قد عمل على إظهار هيبة الدولة العثمانية. وبث الرعب والخوف في قلوب أعدائه في تلك الأقاليم التي مر بها، التي أخضعها سنان باشا في بداية حملته وعين الأمراء عليها[2] "فسار في أحسن نظام، وعسكره في العدد القوة على أكمل تمام، وسنجق العدل يخفق على رأسه، وكل بعيد وقريب قد خاف سطوته وبأسه" [3]، لذلك لم يخض بهرام باشا معارك حربية مهمة في تلك المناطق تجدر الإشارة إليها، وإنما أعاد ترتيب أوضاعها، بنشر العدل فيها – سنشير إلى ذلك في الجانب الإداري و الاقتصادي – وكانت المهمة الرئيسية التي كلف بها بهرام باشا آنذاك هي الاستيلاء على حصن حب، والقضاء على الأمير علي بن الإمام شرف الدين[4]، وقد بيّن لنا مؤرخنا المطيب خطوات بهرام باشا في ذلك، فذكر أن بهرام باشا بدأ أولاً بقتال القبائل الموالية للأمير علي في منطقة القاعدة، ثم توجه بعد ذلك إلى منطقة شبان التعكر، والتي –

([1]) سيد سالم : المؤرخون اليمنيون. صـ54.

([2]) قطب الدين النهروالي : البرق اليماني. صـ 233.

([3]) النص : ق 8 .

([4]) قطب الدين النهروالي : نفس المصدر. صـ438

كما يبدو – أتخذها مركزاً لإدارة عملياته العسكرية ضد الأمير علي بن شرف الدين. حيث دبر خطة لإحراق مخزن البارود في حصن حب "وكان من مبادئ الملك العلام، لمولانا صاحب الإنعام، أن الهمه الله تعالى إعمال التدبير في إحراق الجبخانة، فدبر الرأي إلى أن ظفره الله تعالى بإحراقها"[1]. وتوجه عقب ذلك إلى منطقة بعدان لمحاصرة الحصن مباشرة، إلى أن تم الاستيلاء عليه في رجب 978هـ / 1570م، وذلك بعد موت الأمير علي بن شرف الدين مسموماً في الحصن، وأشار المطيب إلى أ ن موت الأمير علي كان من توافق الحظ السعيد لبهرام باشا للاستيلاء على الحصن[2].

وما يؤخذ على مؤرخنا المطيب هنا، بحكم أنه كاتب سيرة بهرام باشا خلال فترة ولايته لليمن، أنه لم يعط تفاصيل دقيقة حول حادثتي إحراق مخزن البارود في حصن حب، وموت الأمير علي بن شرف الدين، كون الحادثتين قد تسببتا مباشرة في سقوط حصن حب، والذي يُعد من أهم إنجازات بهرام باشا العسكرية. حيث اكتفى بالإشارة إلى أن إحراق مخزن البارود كان من تدبير بهرام باشا، في حين نجد تفاصيل إحراق المخزن لدى مؤرخي الفترة نفسها، فالمؤرخان عبد الله بن داعر و النهروالي يوردان تفاصيل تلك الحادثة، و يُرجعا الفضل في إحراق المخزن إلى حُسن تدبير بعض الأسرى العثمانيين، الذين وقعوا في أيدي الأمير علي بن شرف الدين. ولم يشير إلى دور بهرام، أو تدخله في ذلك[3].

ونجد الأمر نفسه في حادثة موت الأمير علي شرف الدين، حيث ذكر مؤرخنا موت الأمير علي دون إعطاء أي تفاصيل حول كيفية موته. في الوقت الذي نجد فيه أن

([1]) النص : ق 13 .

([2]) النص : ق 13 .

([3]) قطب الدين النهروالي: البرق اليماني. صـ 439. عبدالله بن داعر: الفتوحات المرادية. جـ1، قـ 213.

مـؤرخي الفتـرة نفسـها، أكـدوا ضـلوع بهـرام باشـا فـي تسـميم الأميـر علـي بـن شـرف الدين[1].

يبدو أن مؤرخنا المطيب قد عمد إلى أن ينسب بعض الأعمال العظيمة إلى بهرام باشا ، ويغض الطرف عن أخرى قد تقلل –من وجهة نظره– من شأن ومكانة شخصية بهرام باشا العسكرية، والتي دائماً ما وصفها بالشجاعة، والكرم، والإقدام، وغير ذلك من الأوصاف.

ومهما كان الأمر، فإن بهرام باشا قد تمكن من الاستيلاء على حصن حب، وأنجز المهمة المُوكلة إليه من قبل سنان باشا، ليواصل بعدها مهمة تثبيت السيطرة العثمانية على اليمن، والتي بدأها سنان باشا، وذلك بالقضاء على التمردات القبلية التي وقعت آنذاك.

وتطالعنا المخطوطة بجهود بهرام باشا التي بذلها في سبيل القضاء على التمردات القبلية منها والفردية، والتي قامت بها زعامات محلية، واتصفت تلك التمردات في مجملها بطابعها غير المنظم، الأمر الذي سهل لبهرام باشا القضاء عليها.

ومن خلال استقرائنا لتلك التمردات، نجد أنها اختلفت من حيث أسباب اندلاعها. فتمرد الماطري في منطقة السحول، وتمرد المنتصر العلاف[2] في قفر حاشد، وكذلك الأمر في تمرد الشيخ أحمد قوس[3] في منطقة ذمار. كل تلك التمردات تداخلت العوامل الاجتماعية (الفقر) والسياسية في تحريكها. حيث أقدم أصحابها على السلب والنهب، كما تأتي هذه التمردات في أطار الخطة التي تبناها الأمير المطهر بن شرف

([1]) عيسى بن لطف الله : روح الروح. نشر / المقحفي، صـ 190. قطب الدين النهروالي: نفس المصدر صـ441، 442. عبد الله بن داعر: نفس المصدر. جـ1، ق 213.

([2]) النص : ق 16 .

([3]) النص : ق 42.

الدين، وذلك حين عمل على تحريض مشائخ القبائل على مهاجمة العثمانيين، وعرقلة تحركاتهم عقب الصلح الذي عقده مع سنان باشا[1] .

في حين أختلفت أسباب بقية التمردات، حيث نجد أن تمرد الموبه في جبلة [2] كان رد فعل لسقوط حصن حب في أيدي العثمانيين، وعدم وفائهم بوعودهم له، فالموبه كان أحد قادة الأمير علي بن شرف الدين في حصن حب، وتعاون مع العثمانيين في تسليم الحصن لهم بشرط تعيينه على رأس رتبة عسكرية في جبله، إلا أن بهرام باشا لم يف بوعده الأمر الذي دفع الموبه إلى إعلان التمرد، وحاول الاتصال بالأمير المطهر بن شرف الدين، وكذلك الحال في تمرد مشائخ بني مطر[3] الذين تجمعوا وأعلنوا التمرد على الدولة العثمانية، كما أن تمرد الشيخ العواضي صاحب حصن يفوز[4] الذي خرج عن طاعة السلطة العثمانية، وكذلك تمرد أهالي جبن بزعامة عمر الذرحاني، كان بسبب رفضهم دفع المال السلطاني[5].

وفي الوقت الذي اختلفت فيه أسباب تلك التمردات، فقد تباينت ردود أفعال بهرام باشا تجاهها، حيث استخدم القوة والبطش في إخماد بعضها، كما حدث مع تمرد مشائخ بني مطر ، وذلك حين نكل بهم، وأستخدم وسائل تعذيب لم تكن تعرف من قبل مثل سلخ الجلد وحشوه بالتبن، والطواف بتلك السلوخ المحشية على ظهور الحمير في أسواق المدن[6]. وأحياناً كان يهاجم مناطق التمرد، ويشرد زعمائها كما حدث في مناطق جبن وحصن يفوز[7]، وفي أحياناً أخرى عمل بهرام على الدخول في تفاوض مباشر مع

([1]) عيسى بن لطف الله: روح الروح. نشر / المقحفي . صـ 186 .

([2]) النص : ق 18 .

([3]) النص : ق27 .

([4]) النص : ق27.

([5]) النص : ق 39.

([6]) النص : ق 27.

([7]) النص : ق 28.

بعض المتمردين واستمالتهم، وأعادهم إلى طاعة الدولة العثمانية، وأخذ الرهائن منهم، كما فعل مع الشيخ أحمد قوس[1].

المرحلة الثانية :-

. توسيع ممتلكات العثمانيين في اليمن .

عاشت الدولة العثمانية في اليمن حالة من الاستقرار السياسي نتيجة لحملة سنان باشا، وعقد الصلح مع الأمير المطهر بن شرف الدين. هذا من ناحية، وموت الأمير علي بن شرف الدين والاستيلاء على حصن حب من ناحية ثانية، الأمر الذي مكن بهرام باشا من سحق التمردات القبلية التي اندلعت فيما بعد دون عناء، كما شجعته تلك الظروف على القيام بتوسيع ممتلكات الدولة العثمانية في مناطق لم تكن خاضعة من قبل لسلطتها.

فمن خلال استقرائنا للمخطوطة حول تلك الفتوح الجديدة التي أختص بها بهرام باشا – كما ذكر مؤرخنا – نلاحظ أن معظم التوسعات العسكرية قد تركزت في المثلث الممتد من جنوب غربي صنعاء إلى شمال غربي ذمار حتى حدود المنطقة التهامية وتشمل (حصون دونة، وريمة، وبلاد الجمعة، والسلفية، وحصن سماه، وحصن يفعان، وقلعة عتمة)[2]، يضاف إلى ذلك قلاع المخلاف الجعفري[3] (وهي بلاد السحول وبعدان حالياً)[4]، وكل تلك المناطق تتميز بخصوبتها الزراعية، وهي في نفس الوقت مناطق مرتفعة شديدة الوعورة، وقد بالغ المؤلف حين قال إن هذه الأقاليم لم تفتح من قبل، وأن فتحها من خصوصيات بهرام باشا، فمن خلال تتبع خط سير العمليات الحربية لأزدمر باشا في اليمن نجد انه قد بسط نفوذ الدولة العثمانية على مناطق

([1]) النص : ق 42.

([2]) النص : ق 16 ، 22 ، 37، 38 .

([3]) النص : ق29.

([4]) ربما قصد بذلك بعض القلاع في ذلك المخلاف والتي لم تخضع من قبل لسيطرة العثمانيين .

(ريمة، عتمة، جهات وصاب، جهات سماه بني النوار) سنة960 هـ / 1553م [1]، ويبدو أن المؤرخ أضاف أسماء هذه الأقاليم التي فتحت سابقاَ إلى جانب أسماء مناطق الفتح الجديد مثل (حصون دنوة، وبلاد الجمعة، والسلفية، وحصن يفعان) وذلك من باب التعظيم لأعمال بهرام باشا العسكرية.

ومن ضمن ما أظهرته المخطوطة في الجوانب السياسية، اتباع بهرام باشا لسياسة أخذ الرهائن من زعماء القبائل، وهو نظام أتبعته الدولة العثمانية في اليمن لضمان ولاء زعماء القبائل لها، وعدم خروجهم عن طاعتها.

وذكر المؤرخ أن بهرام باشا كان يطلب من مشائخ القبائل الرهائن من الرجال على جاري عاداتهم، ومن ضمن ما أتبعه بهرام في هذا الأمر إلزامه للرهائن، والمشائخ على المسير معه في حروبه[2].

واهتم المؤرخ برصد وصول العديد من الوفادات إلى بهرام باشا، والتي اختلفت من حيث غرضها، فمنها ما كان تجديداً للولاء والطاعة للدولة العثمانية من قبل أمراء المناطق اليمنية المختلفة، فذكر مؤرخنا وفادة جعفر باشا صاحب الشحر (978 هـ / 1570)[3]، ووفادة محمد بن الناصر صاحب الجوف سنة (982هـ / 1574م)[4]، ومنها ما كانت بمثابة إعلان الخضوع للدولة العثمانية من قبل زعماء بعض القبائل،

([1]) عيسى بن لطف الله : روح الروح . تحقيق : إبراهيم المقحفي، صـ 149.

([2]) النص : ق 10 . أتبعت الدولة العثمانية نظام التثليث في الرهائن، ويقصد به اخذ ثلاث رهائن من ضمنها إمرأه . عبد الصمد الموزعي : الإحسان . صـ 64.

([3]) النص : ق 15 . حرص سلاطين حضرموت على التوجه إلى صنعاء، أوغيرها لتجديد ولائهم للدولة العثمانية، ودفع الموال المقررة عليهم. سيد سالم : الفتح العثماني . صـ 487.

([4]) النص : ق 33.

منهـا وفـادة الشـيخ احمـد الحجـري سـنة (980هـ / 1572م)[1]، ووفـادة الشـيخ أحمـد القائفي سنة (981 هـ/ 1573م)[2].

النواحي العسكرية : .

ولعل أهم مـا تطالعنـا بـه المخطوطـة بهذا الخصـوص، ذكر مؤلفهـا لتفصـيلات دقيقـة للمشـاكل التـي كانـت تحدث فـي أروقـة المعسـكرات العثمانيـة فـي اليمن، ونوعيـة تلـك المشاكل، فمعروف أن معظم الجنود الذين وصلوا إلى اليمن وبقوا مع بهرام باشا، كـانوا من جند حملة سنان باشا، والذين صدرت الأوامر ببقائهم في اليمن لحفظها.

حيث عانى الجنود العثمانيون من مشاكل كثيرة منذ أواخـر عهد سنان باشا، وتركزت معظم مشاكلهم في النواحي المالية، سواء ما يتعلق بالترقيات منها أو العلوفة [3] .

كما وفرت لنا المخطوطـة معلومـات، حول الطوائـف العسكرية العثمانيـة التـي كانـت متواجدة في اليمن، وأسماء أمرائها، ومنها حمليان يمن، عزبـان يمن، نوبخشيان مصـر، الجشـاريان يمـن، الجشـاريان مصـر، بوفكيـان يمـن، الشاوشيـة، الـدرك، اليازجيـة، الأنجشارية[4]، وهـي تسميات عثمانيـة . سنوضـح معناها فـي مكانها من النص . فقد كانـت الفرق العسكرية العثمانيـة المتواجدة فـي اليمن تنقسم إلـى ثلاثـة أنـواع من حيث الانتساب وهي :

. قوات تنسب إلى الباب العالي (الدركاة السلطانية ، أو الأعتاب الشريفة) .

ـ قوات تنسب إلـى مصـر، وهـي القوات التـي وصـلت إلـى اليمن من مصـر مـع حملـة سنان باشـا سنة 976هـ / 1568م، حيث أبقت الدولـة العثمانيـة علـى حوالي ثلاثـة آلاف جنـدي فـي اليمن، عقب مغادرة سنان باشـا، لحفظ الأمن، وبقيت هذه القوات

([1]) النص : ق 26.

([2]) النص : ق 33.

([3]) النص : ق 43، 44.

بدأت مشاكل جنود بهرام باشا منذ إرساله من مصر، فقد عانى جنوده الويلات، حيث كانوا مما لا سلاح له وباعوا ملابسهم من اجل الحصول على ما يسد رمقهم، فوصلوا زبيد وهم عرايا جياع . قطب الدين النهروالي : البرق اليماني . صـ 432.

([4]) النص : ق 48 49.

على شكل طوائف مستقلة في الجيش العثماني، وحمل قادتها تسميات وألقاب تدل على انتمائهم إلى مصر (نوبخشيان مصر، جشاريان مصر)[1].

. قوات تنسب إلى اليمن (مرتب يمن)[2].

كما ورد في المخطوطة ذكر كميات الأسلحة، التي استولى عليها بهرام باشا في حروبه تلك، حيث عمد إلى سياسة انتزاع الأسلحة خاصة النارية منها من أيدي اليمنيين، لإضعاف مقاومتهم، ولإجبارهم على الاستسلام، ولم يكتف بهذا، بل عمل على إرسال جزء كبير منها إلى مصر[3]. فورد في المخطوطة تفصيلات دقيقة حول أسماء ، وأنواع وكميات الأسلحة المستخدمة آنذاك من قبل اليمنيين، فقد ذكر المؤلف المطيب أنه خلال الفترة من 7 ذي الحجة سنة 977هـ/ 14 مايو 1570م، إلى ذي القعدة سنة 982هـ/ مايو 1574م ، استولى بهرام باشا على كميات من الأسلحة[4] .

مفصلة على النحو الأتي :-

ــ من البنادق 7349 قصبة[5]

. من السيوف 10390سيفاً

من الطوس 80 ، من المزاريق 3023 ، ومن العطوف 1000 ، ومن الخوذ 97 ، ومن الحافر 80 .

وتم الاستيلاء على هذه الكميات على مرحلتين

. الأولى من 7 ذي الحجة 977 هـ إلى أخر صفر 982هـ[1]

([1]) محمد صالحية : وثائق جديدة . صـ62. أنظر ملحق رقم 12 .

([2]) نفس المرجع. صـ80 .

([3]) النص : ق 41.

([4]) أورد المؤلف أن مجموع عدد البنادق 7828 بندقاً، ومجموع عدد السيوف 10221 سيفاً، في حين أن مجموع أعددها الصحيحة ، هو ما ذكرنها ، وذلك بحسب ما ورد. النص : ق41.40.

([5]) سنشرح تعريفات هذه الكلمات في الهوامش عند ورودها النص.

. الثانية من جمادى الأخر 982هـ إلى ذي القعدة 982هـ [2]

ومن الملاحظ أن الكميات الكبيرة من الأسلحة النارية التي استولى عليها بهرام باشا من أيدي اليمنيين، يعكس حجم التسلح لديهم بهذا النوع من الأسلحة الذي لم يعرفوه من قبل، إلا منذ فترة قريبة، فقد دخل السلاح الناري لأول مرة إلى اليمن عند قدوم المماليك[3]، كما يظهر مدى شراسة القتال الدائر آنذاك بين العثمانيين واليمنيين المحاربين لهم.

النواحي الإدارية والمالية:

تطالعنا المخطوطة بتفصيلات دقيقة للنواحي الإدارية العثمانية في اليمن ، التي قلما نجدها في المصادر التاريخية اليمنية لنفس الفترة، فذكر المؤلف المشاكل التي كانت تحدث في صفوف الموظفين، و العساكر العثمانيين الأمر الذي يعكس مدى الخلافات والصراعات التي كانت تدور في أروقة الإدارة العثمانية في اليمن خاصة بين الولاة والدفتداريين، والذين كانوا بمثابة وزراء مالية في الولايات، ويحتلون المرتبة الثانية بعد الولاة[4]. فنقل لنا مؤرخنا المطيب صورة مثالية لمثل تلك الصراعات ، والتي كثيراً ما كانت تحدث في تلك الفترة ، فذكر المؤلف أحداث فتنة ذمار سنة982هـ/ 1574م حين طالب الجنود بالترقيات والحصول على العليق والجراية (البخشيش)،

([1]) كمية الأسلحة في المرحلة الأولى على النحو الأتي : 70 حصناً، 6331 بندقاً، 9317 سيفاً، 3023 مزراقاً ، 1000 عطيفاً، 97 خوذه ، 60طاسه. النص : ق 38.

([2]) كمية الأسلحة في المرحلة الثانية هي : 1017 بندقاً ، 1073 سيفاً ، 10طوس ، 80 من الخيل . النص : ق 40. 41.

ورد في الأمر (لم تذكر الجهة أو الشخص الموجه له، ويبدو أنه موجه إلى والي مصر) بتاريخ ربيع أول سنة 982 هـ /1574م أن بهرام باشا جمع من العصاة في اليمن كمية من الأسلحة على النحو الأتي : 6230 بندق ، 30017 سيف ، 500 مزراق ، 500 سكين. ويبدو أن هذه الكمية هي من ما قبض في المرحلة الأولى حيث يتضح ذلك من تاريخ الفرمان. أنظر وثيقة محفوظه لدى الأستاذ فؤاد الشامي، تحمل الرقم 1780، تاريخ ربيع أول سنة 982هـ ، ترجمة محمود علي عامر. ملحق رقم: 13.

([3]) عيسى بن لطف الله : روح الروح. صـ22.

([4]) سيد سالم : الفتح العثماني . صـ390 .

وذلك حينما علموا بوفاة السلطان سليمان بن سليم وتولي السلطان مراد للحكم، وهي من العادات القديمة في الدولة العثمانية التي سنها السلطان محمد الفاتح، حيث كان يمنح الجنود هبات وعطايا وترفع مرتباتهم عند تولي سلطان جديد[1]، وكان الدفترالدار قد أخبرهم بذلك، وحرضهم على المطالبة بها، إذ يعد ذلك من مهماته[2]. وما تلا ذلك من وقوع فتنه الجند، وقيام بهرام باشا بمعالجة الموقف حين أمر بتوزيع الأموال عليهم لإيقاف الفتنة[3].

كما ذكر أيضا أحداث الفتنة الثانية والتي تزعمها الدفتردار، والتي حرض فيها الجنود أيضاً على الخروج عن طاعة بهرام باشا، وأغراهم بدفع الجرايات والترقي، مما أدى إلى وقوع الفوضى في تلك الفترة[4]، وقيام بهرام بمعالجة هذه المشكلة و يعكس هذا مدى التدهور الإداري الذي عاشته إدارة بهرام في فترتها الأخيرة، وهو الأمر الذي لم يستطع المؤرخ إخفاءه، على الرغم من محاولته اتهام العسكر والدفتردار بإثارة الفوضى و الفتن[5] .

([1]) نفس المرجع : صـ 313 .

([2]) كان يتم تعيين وعزل الدفتردار من قبل نظارة المالية ، بعد أخذ رأي الوالي ، ومهام الدفتردار تنفيذ أحكام القانون المالي والأنظمة والتعليمات المالية ، والإشراف على تنفيذ الأحكام الواردة في الميزانية السنوية ببنودها المختلفة من إيرادات ومصروفات ، والإشراف على التشكيلات المالية الموجودة بالولاية باعتباره المرجع الفني لهذه التشكيلات . عبد الكريم العزير : التشكيلات المركزية . صـ210.

([3]) النص : ق 43. 44 .

([4]) النص : ق 46.

([5]) ومما يلفت الانتباه أن الاضطرابات التي وقعت في صفوف الجيش قد وقعت في السبعة الأشهر الأخيرة من حكم بهرام باشا . من14 ذي القعدة سنة 982هـ / الموافق 26فبراير 1574م إلى أوائل جمادى الأول سنة 983هـ/ أغسطس 1575م . وهذه الفترة تخللتها أحداث مهمة ، ففي 14 ذي القعدة 982هـ كان وصول الدفتردار إلى اليمن وحمل معه اخبار وفاة السلطان سليم الثاني ، وتولي السلطان مراد الثالث 982هـ / 1574م ، و عزل بهرام باشا ، وفي هذه الفترة وقعت فتنة الجنود الأولى حينماطالبوا بمخصصاتهم المالية في مثل هذه المناسبة، وفي 24 ذي القعدة من نفس السنة وصل مرسوم سلطاني بعزل بهرام باشا عن ولاية اليمن ، وتعيين مصطفى باشا فوقعت فتنة الجنود الثانية بزعامة الدفتردار وفي 5 ربيع الأول983هـ / 20يونيو1575م وصل مصطفى باشا إلى بندر البقعة ومات في اليوم الثالث من وصوله ، فتولى بهرام شؤون الولاية و كانت الفتنة قد وصلت إلى ذروتها فتمكن من إخمادها في أوائل جمادى الأولى من نفس السنة .

وقد سعى المؤرخ المطيب من وراء ذكر حوادث تلك الفتن والمشاكل إلى جانب كونها جزءاً من تاريخ الفترة، إلى إظهار دور الباشا بهرام في معالجة تلك القضايا .

ومما أظهرته المخطوطة في هذا الجانب أيضا إبراز السياسة التي أتبعتها الدولة العثمانية في التقرب من الأهالي، والاستعانة بهم في إدارة شؤون البلاد في مختلف الوظائف سواء منها الإدارية، أو العسكرية ،أو القضائية.

وتطالعنا المخطوطة بأهم إجراءات بهرام باشا في هذا المجال، فمنذ الوهلة الأولى لوصوله إلى اليمن عمل على تقريب العلماء والأدباء إلى مجلسه، وأختار مجموعة منهم لمساعدته في تسيير بعض أمور الدولة، فقد عين القاضي عبدالصمد بن عبد العليم المحرقي للعمل في الديوان السلطاني . في اليمن . وعين أيضاً القاضي عبدالعليم الاحمر كاتب إنشاء في الديوان السلطاني[1] ، كما قرب إليه القاضي أحمد بن عبدالرحيم التبريزي وجعله من خاصته، وأوكل إليه العديد من الأعمال الخيرية والإعمارية[2]، كما عين الشيخ أحمد الحجري والياً على الحجرية[3]

وتعطينا المخطوطة تفصيلاتً لإجراءات ومراسيم استقبال، وتوديع الولاة العثمانيين في اليمن ،حيث اتبعت الدولة العثمانية إجراءات خاصة بهذا الشأن، فعند عزل الولاة كان يتم إبلاغهم بذلك، عن طريق مندوب يحمل معه مراسيم العزل، ومراسيم تعيين الوالي الجديد، فيجتمع الوالي المعزول مع كبار موظفي الدولة من الأغوات وقادة

ومما سبق يبدو أن شخصية بهرام قد لعبت دوراً كبيراً في وقوع أحداث الفتنة ، فقد بدأت تلك الفتن منذ وصول إخبار عزله مباشرة ، وتواصلت إحداثها حتى وفاة مصطفى باشا ، دون أن يقوم بهرام باشا بإخماد أحداثها ، وحين تولى الحكم مرة ثانية عمل على ضبط الأوضاع وأخمد أحداث الفتنة. ويؤكد ذلك ما ذكره المؤرخ عبدالله بن داعر في حديثة عن بهرام عقب موت مصطفى باشا " فاطمأنت حينئذ نفس بهرام باشا ، وكأنه أستأنف الولاية ورجع إليه من أمره ما شاء [...] وأخذ في انتقام من عاداه قبيل ذلك من الأعيان والعساكر، ومن سعى في أمر محاصرته". عبدالله بن داعر: الفتوحات المرادية.جـ1، ق 214.

([1]) النص : ق 4 .

([2]) النص : ق 21، 22

([3]) النص : ق27

الجند، ويبلغهم بتلك المراسيم، ثم يختار نائباً له يسلمه الأموال الموجودة في الخزانة السلطانية، ويستعد للرحيل [1] .

وأبرزت المخطوطة السياسة الإدارية التي سار عليها الولاة العثمانيون فيما يتعلق بإقامتهم للمخيمات، والمعسكرات السلطانية خارج المدن عند وصولهم، واتخاذهم لهذه المخيمات مقاراً لتسيير أمور الدولة، وتطوير بعض تلك المخيمات لتصبح مدناً . مثل مدينة ملحظ . أو مراكز لحكم الولاية ، فذكر مؤرخنا نزول بهرام باشا في العديد منها ، خلال رحلته من زبيد إلى ذمار [2].

كما أظهرت المخطوطة جانباً من العقوبات التي لم تك معروفة لدى اليمنيين المتمثلة في سلخ جلود . من تعتبرهم خارجين على القانون . وحشوها بالتبن والحشر ، والتشهير بها في الأسواق ، وعلى الرغم من بشاعة هذه العقوبات إلا ان مؤرخنا لم ينتقد بهرام باشا[3].

أما ما يتعلق بالنواحي المالية ، فقد دأبت الدولة العثمانية على التأكيد حول مسألة تحصيل المال السلطاني . دون ظلم الأهالي . في رسائل (فرمانات) سلاطينها إلى ولاتهم[4] ، وتطالعنا المخطوطة بأجراءت بهرام باشا بهذا الخصوص، إذ لم يتهاون في تحصيل تلك الأموال، فقد أتخذ إجراءات رادعة ضد من تلاعب، أو تباطأ في تسليمها من الأهالي، حيث عزل الوالي أحمد الحجري . والي الحجرية . وحبسه حين تأخر عن دفع المال السلطاني المشروط عليه[5]، كما أرسل حملة عسكرية على منطقة جبن حين رفض أهلها دفع تلك الأموال[6] .

([1]) النص : ق25، 35. 45 ، 57.56 .
([2]) النص : ق 4 ، 6 ،7 ،8 ... ق 19 .
([3]) النص : ق 27 .
([4]) أنظر ملحق رقم : 8، 10.
([5]) النص : ق 27 .
([6]) النص : ق 39 .

النواحي الاجتماعية (المناسبات الدينية الأعمال الخيرية) .

لم يغفل المطيب النواحي الاجتماعية . المتمثلة بالأعمال الخيرية و المناسبات الدينية (المولد النبوي ، قافلة الحج) . في كتابه، فقد ذكر العديد من تلك الأعمال التي أهتم بها بهرام باشا وأحاطها بهالة من التعظيم.

حيث أتبع المؤرخ منهجا محددا في حديثه عن تلك الأعمال، بالإشارة إليها عند ذكره لإحداث كل سنة بقوله "في ذكر ما اشتملت عليه سنة [...] من الفتوحات والصدقات، وغير ذلك "[1] .

وترجع أهمية ما ذكره المؤرخ بهذا الخصوص إلى الطريقة والأسلوب الذي أتبعه بهرام باشا في توزيعه للصدقات، حيث أشار إلى أن عملية توزيعها كانت تتم بموجب دفاتر وسجلات خاصة بالحالات المستحقة[2]. و أشار إلى بعض الأعمال الخيرية التي أقرها بهرام باشا في جامع الأشاعرة، التي تمثل جزءاً من تاريخ هذا الصرح التعبدي[3]، كما رسم المؤرخ المطيب صورة دقيقة لتفاصيل الطقوس الدينية الخاصة بإحياء ذكرى المولد النبوي في تلك الفترة ، فذكر أن هذه الاحتفالات كانت تقام ليلة الثاني عشر من شهر ربيع لأول، و تبدأ بقراءة القران الكريم ،وقراءة المولد النبوي

([1]) النص : ق 21

([2]) النص : ق22، 35 . اشتهر العثمانيون بدقة التسجيل واهتمامهم بالسجلات والدفاتر الحكومية وذلك منذ قيام دولتهم ، ففقد كان الولاة والعمال يهتمون بتسجيل التقسيمات الإدارية المختلفة ،وكذلك عنوا بتسجيل أسماء ممولي الخزينة العامة من ملاك وفلاحين وتجار وبتسجيل أوجه الصرف المختلفة وغير ذلك. سيد سالم : الفتح العثماني . صـ483.

([3]) أمر بهرام باشا بكتابة مقدمة وتجزئة للقرآن الكريم وإلقائها بجامع الأشاعر وعين عشرة من الدارسين يقرؤونها بالختم كل صباح ، وأوقف عليها أوقاف وناظر يشرف على ذلك . النص : ق22 .23، ذكر عبد الرحمن الحضرمي أن هذه المقدمة مازالت تقرأ في الجامع المذكور إلى هذه الأيام . عبد الرحمن الحضرمي : زبيد مساجدها ومدارسها . صـ58.

الشريف، ثم الدعاء للسلطان الأعظم ، وبعد ذلك يوزع للناس المأكول الحلو ويرش عليهم الروائح الطيبة[1].

كما أظهر المؤرخ مدى اهتمام بهرام باشا بقافلة الحج (المحمل اليمني)، والذي يعد من التقاليد التي سار عليها الولاة العثمانيون، منذ ولاية مصطفى باشا النشار[2]، فوصف مدى اهتمام بهرام باشا بالمحمل الشريف من حيث تجهيزه وإعداده وتعيين أفراد الحج، وكسوة المحمل واختيار أميرها[3]، ومدى اطمئنان الناس للحج في ظل الدولة العثمانية[4]، ورصد مؤرخنا ست رحلات حج خلال عهد بهرام باشا، كانت أولاها سنة 987 هـ /1570م ، وأخرها سنة 983 هـ /1575م[5].

النواحي الاقتصادية والعمرانية:

كان كتاب المطيب يشبه . إلى حد كبير . التقارير السنوية، حيث دون المؤرخ كل أعمال بهرام باشا وتحركاته، دون التطرق بشكل مباشر إلى الأوضاع الاقتصادية، فقد جاء حديثه عن الحالة الاقتصادية لليمن مقرونا بانجازات بهرام وكراماته، فذكر حالات

([1]) النص : ق 24 ، 32

([2]) سيد سالم : الفتح العثماني. صـ 478 .
سُير أول محمل حج يمني في عهد الوالي العثماني مصطفى باشا النشار سنة 963 هـ /1555م. قطب الدين النهروالي : البرق اليماني . صـ 121.

([3]) النص : ق 30. كانت إمارة قافلة الحج وقفا على أحد أمراء السناجق أو نائب الوالي ، أو لشخص يتفق عليه مجلس الولاية وينال ثقة المفتي والقاضي ولم يتولها أحد الإنكشارية. محمود عامر: قافلة الحج اليمني. مجلة الإكليل ، العدد الأول، 1992م، من صـ 33 إلى صـ45. صـ37.

([4]) النص : ق 20 ،21 ،30، 34. تنافس حكام الولايات العثمانية في الاهتمام بحجاج ولاياتهم، وغدت فترة بقائهم كالولاة رهنا بسلامة محمل الحج ذهبا وإيابا. محمود عامر : نفس المرجع . صـ34.

([5]) كانت مدة ولاية بهرام باشا لليمن سبع سنوات سير خلالها المحمل ولم يتوانى في ذلك .لم يسير محمل سنة 977هـ كونه تولى أمارة اليمن في أواخر شهر ذي الحجة . وهذا يعكس مد الاستقرار السياسي الذي عاشته اليمن خلال عهده حيث أصبح تسيير المحمل مقرون بمدى هدوء الأوضاع السياسية في الولاية ، وخلال الفترة الحكم العثماني الأول لليمن 945. 1045هـ / 1538. 1635م، لم تنتظم قافلة الحج اليمني بإدارة عثمانية أكثر من ثلاثين عاما وبشكل متقطع منها ستة أعوام في عهد بهرام باشا. محمود عامر: نفس المرجع. صـ 36 .

القحط، والغلاء التي كانت تمر بها بعض المناطق والمدن، مشيرا إلى ما كان يعقبها من رخاء وخير بفضل قدوم بهرام باشا، فكان من الصعب استشفاف رؤية واضحة للأوضاع الاقتصادية من المخطوطة، دون إزالة غلاف المبالغات والكرامات التي أحاط بها المؤرخ تلك الأخبار .

من المعروف أن قدوم بهرام باشا إلى اليمن كان في إطار الخطة التي رسمتها الدولة العثمانية لإعادة سيطرتها على اليمن، حيث شهدت معظم المناطق التي استعادتها الدولة العثمانية خلال حملة سنان باشا، وبهرام باشا حروبا مع آل شرف الدين، وتعرضت معظم تلك المناطق لإعمال السلب والنهب من الطرفين المتصارعين، وخربت الحقول والمزارع أيضا. الأمر الذي أدى إلى وقوع حالة من القحط، والفقر في كثير من الأقاليم نتيجة تلك الأعمال، وأشار مؤرخنا إلى تلك الحالات في ثنايا حديثه عن تقدم بهرام باشا نحو تلك الأقاليم، منوهاً إلى أن قدومه ووصوله اليها قد أشاع الرخاء ، وأرخص الأسعار"ومن عظيم بركته وحسن نيته، أنه كان قبل وصوله إلى المحل المذكور (زبيد)غلاء وشدة في السعر، فزال ذلك ببركة قدومه، وحصل رخص في الطعام وغيره في تلك المدة"[1].

ومما أشار إليه المؤرخ فيما يخص النواحي الاقتصادية، ذكره للنظام الذي اتبعته الدولة العثمانية في تحصيل أموال الأراضي في اليمن (الخراج)، إذ لم تقدم الدولة العثمانية على تقسيم أراضي اليمن إلى تيمارات، أو زعامات (خاصات)[2]، كما في

([1]) النص : ق 5 .

([2]) حاولت الدولة العثمانية تطبيق نظام الإقطاع العسكري لأراضي اليمن ، لكنها فشلت لأن هناك أنظمة تنظمه منها ، أن كل 80 . 90 قرية تمثل تيمار ، وهذا يعني تعدد التيمارات والزعامات في اليمن أضافه لصعوبة أراضي اليمن (التضاريس) ، وترك الفلاحين اليمنيين . في أغلب الأحيان . للأراضي التي تستولي عليها الدولة العثمانية . لذا لجأت الدولة العثمانية إلى مبدأ الالتزام. محمود عامر: اليمن من خلال لائحتي محمد خليل أفندي. مجلة الإكليل، العدد الثاني، 1989م، صـ 82.

غيرها من الأقاليم، ولجأت إلى اتباع نظام الضمان[1] (الالتزام)، و ما سبّبه من ظلم وإجحاف في حق الرعية إذ منح القائمين عليه فرصة استغلال الأهالي وجمع ثروات كبيرة على حسابهم[2]، فعمل بهرام باشا على أزاله هذا النظام "خاصة في منطقة تهامة "، كما ألغى الضرائب غير المستحقة على نخل وادي زبيد ومدينة موزع ، إذ كان الجباه يحصلون الأموال المقررة في سجلات الدولة من أصحاب النخيل ، دون مراعاة حالة المواسم الزراعية، أو ما قد يصيب النخيل من أمراض أو أنه مازال مثمراً أو غير مثمر، حيث أقر بهرام باشا نظاما رفع به ذلك الظلم عن كاهل الرعية، وذلك حين أمر بأن تكون الضرائب على النخيل المثمر، ويكون إحصاء النخيل سنويا من قبل مجموعة من الأمناء أهل الثقة [3].

ومن إصلاحات بهرام باشا الاقتصادية قيامة بإقراض الطعام (البذور) للرعايا عند حاجتهم من مخازن الدولة على أن يردوا ذلك بنفس المقدار[4]، فهذا النظام يشبه في وقتنا الحالي (بنك التسليف الزراعي)[5]، كما ورد في المخطوطة ذكر أسماء العملة و المقاييس المعمول بها آنذاك، وسنوضح معانيها ومقاديرها في مكانها المناسب في التحقيق.

وفيما يخص الجوانب العمرانية ، فقد ذكر مؤرخنا المطيب العديد من المآثر العمرانية التي أنشأها بهرام باشا، أو التي قام بتجديدها، منها على سبيل المثال لا

([1]) الضمان: نظام الضمان أتبع في اليمن في جمع الخراج من الرعايا، وكان تفرض مقادير معينة من الضرائب على الراضي والمواشي، وتبقى هذه الأرقام مسجلة في الدفاتر الخاصة، ويعمل بها دون مراعاة لتغير أحوال الناس، أو كمية الأمطار ولحالات الجفاف، وما قد يصيب المزروعات من أمراض. سيد سالم :الفتح العثماني. صـ362.

([2]) سيد سالم :. الفتح العثماني صـ 486 .

([3]) النص : ق 12 ، 26.

([4]) النص : ق 55.

([5]) سيد سالم : نفس المرجع. صـ 487 .

الحصر بنائه لجسر عتمة، وقلعة في جهة ذراع الكلب ،والسماسر والسدود[1]، وأشار إلى إصلاحاته في مدينة زبيد بتجديده لسور المدينة ، وأصلاح النهر المار شرقي المدينة.

كما أورد المؤرخ معلومات تفصيلة حول ترميم الجامع الكبير في مدينة زبيد سنة 981هـ / 1573م، فقد ذكر أن بهرام باشا كلف القاضي أحمد التبريزي بإعادة ترميم الجامع، ووصف المؤرخ خطوات ترميم الجامع. وتعود أهمية تلك المعلومات إلى أنها تمثّل جزء اً من تاريخ الجامع ومراحل ترميمه[2].

إلا أن أهم ما ورد عند المؤرخ في هذا الخصوص، ذكره لقيام بهرام باشا ببناء مدينة ملحظ جنوب مدينة ذمار، وهي المدينة التي أتخذها مقراً لحكمه، وتعد مخطوطة المطيب المصدر الوحيد . حسب علمي . الذي قدم معلومات حول هذه المدينة من حيث تاريخ بنائها، وأهميتها، والغرض من بنائها.

فذكر أن تاريخ إختطاطها كان في العاشرمن شهر رمضان سنة 978هـ/ السابع من فبراير 1570م، وأن عدد حروف أسمها قد طابق تاريخ بنائها . سنوضح ذلك في التحقيق . محدداً موقعها بجنوب مدينة ذمار ، وأرجع المؤرخ أهمية موقعها لتوسطه ما بين صنعاء وتعز وعدن وبعدان وزبيد، وما والاها إلى جهات جازان وهو ما أهلّها لتكون مقراً للباشا، ومركزاً لحكمه[3].

وحدد المؤرخ المطيب بناء مسجدها بتاريخ شعبان من سنة 980هـ / ديسمبر 1572م[4]، وظل يكرر ذكر أسم ملحظ في المخطوطة على أنها كانت مركز حكم بهرام باشا، ومقراً لمعظم رجال دولته ، وما كان يقع بها من أحداث ومشاكل.

([1]) النص : ق 55.

([2]) النص : ق 30.

([3]) النص : ق 19 .

([4]) النص : ق 29.

ولم ترد معلومات أخرى حولها لدى مؤرخنا، في حين تناثرت المعلومات عنها في ثنايا المصادر التاريخية، فذكر المؤرخ الموزعي أن بهرام باشا ضرب سكة نقدية عرفت باسم الملحظية "وضرب السكة المباركة في ملحظ، وهي المشهورة الباقية الآن مع الناس المسماة بالملحظية [...] ومحل أقامته هناك عمارات ابتناها الأمراء والأكابر الذين كانوا معه في مخيمه"[1]، وأشار المؤرخ عيسى بن لطف الله إلى سوق ملحظ بقوله "وتحزبت العساكر السلطانية على بهرام باشا، وعاثوا في الأنام ونهبوا سوق ملحظ، وكثر الخوف منهم "[2] كما ذكرها المؤرخ الجرموزي باسم ذمار الصغرى "بهرام باشا ولي على صنعاء وبقي في ذمار الصغرى، وأقطع كبار العجم"[3]، في حين يعتبر المؤرخ الكبسي أول من ذكر خرابها، دون تحديد تاريخ هذا الخراب بقوله "سوق ملحظة قبلي قرن ذمار، وعدني مدينة ذمار، والمدينة حق ملحظة بجوار السوق وقد خربت"[4].

ومما ذُكر سابقا يتضح أن أركان المدينة (المسجد، السوق، مقر الحكم، مباني الحاشية، دار ضرب السكة) قد اكتملت في ملحظ، كي تنطبق عليها تسمية مدينة[5].

([1]) عبد الصمد الموزعي : الأحسان . صـ 47.

لم يرد ذكر خبر ضرب السكة الملحظية عند المؤرخ المطيب ،على الرغم من أهميته إذ ليس من السهل بمكان أ ن يتغافل عن مثل هكذا حدث، وهو الذي دوّن أدق التفاصيل عن أعمال بهرام باشا، وألبسها هالة من التعظيم خاصة إذ ما علمنا أن التوجيهات السلطانية صدرت إلى بهرام باشا بضرب العملة على نفس المعيار الذي ضربت به في عهد سنان باشا. أنظر محمد صالحية: وثائق جديدة. صـ 84 .

أ ما تسميتها بالملحظية فربما تعارف الناس على تسميتها بذلك نسبة إلى مكان ضربها وذلك في فترة متأخره عن عصر المطيب .

([2]) عيسى لطف الله : روح الروح . صـ 203 .

([3]) المطهر الجرموزي : النبذة المشيرة . تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، صـ 762.

لم يرد تسميتها بهذا الإسم إلاعند الجرموزي ، ولا ندري هل فعلاً ، تعارف الناس على هذا الإسم فيما بعد ، أم أن المورخ أطلق عليها ذلك تجاهلا منه لأسمها الذي أطلقه عليها بهرام باشا، فقد عرف عن الجرموزي شدة تحامله على الدولة العثمانية وعلى ولاتها .

([4]) محمد إسماعيل الكبسي: اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية. القاهرة، مطبعة السعادة، (د.ت)، هـ . صـ192 .

([5]) جُمعت تلك المعلومات حول ملحظ للتأكد من مدى انطباق كلمة مدينة على ملحظ، نظراً للهالة التيأحاط بها المؤرخ المطيبً كل أعمال بهرام باشا.

وعليه فإن مدينة ملحظ تعد إحدى أقدم المدن . حسب علمي . التي أسسها العثمانيون لتكون مقراً للحكام والموظفين، فهي تتشابه من حيث غرض البناء مع مدينة بير العزب بصنعاء، التي أسست في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي[1].

وتُمثل المعلومات التي أوردها مؤرخنا (وغيره) عن مدينة ملحظ، أهمية كبيرة فيما يخص تاريخ مدينة ذمار السياسي والعمراني بحكم أنها أصبحت في تلك الفترة مركز حكم ولاية اليمن في عهد بهرام باشا.

وقد جاء اهتمام بهرام باشا بتلك الأعمال مُسايرة للنهج الذي سلكه الكثير من الولاة العثمانيين السابقين، والتي سعوا من ورائها . ومنهم بهرام باشا . لتخليد ذكراهم، و كسب سمعة طيبة بين الأهالي ومحاولة إرضائهم[2]، ومسايرة لتوجه الدولة العثمانية، التي شددت على ولاتها للقيام بمثل هذه الأعمال، سعيا منها لإقرار أوضاع اليمن[3].

ويبدو أن بهرام باشا قد نال رضا السلطنة العثمانية بما أنجزه من أعمال في المجالين العسكري والإداري، على الرغم مما تخلل ذلك من أحداث فتنة الجند وغيرها، إلا أن رضا السلطان عليه كان واضحاً ، فقد أرُسل فرمان بترقيته ، وبمنحه خلعة وبرده، وزيادة معاشه 100000 آقجة [4].

([1]) محمد عبد العزيز يسر:الموروث الحضاري لمدينة صنعاء، جامعة صنعاء، 2004م ، صـ116.

([2]) أميرة المداح : العثمانيون والإمام القاسم. صـ 99.

([3]) محمد صالحية : وثائق جديدة. وثيقة رقم : 1520، أنظر ملحق رقم 12.

([4]) وثيقة محفوظة في مكتبة الأستاذ فؤاد الشامي، تحمل الرقم 1780 ، بتاريخ 982هـ / 1574م ، ترجمة محمود علي عامر. ملحق رقم 13 . الآقجة : هي وحدة النقد الفضية المركزية العثمانية وتزن 0،731 غرام من الفضة الخالصة. محمد صالحية : وثائق جديدة. هـ . صـ 77.

النــص

بســـم الله الرحـــمن الرحـــيم

[قـ 1] الحمـد لله الذي أضـلع أنوار العدل ومهد أحكامـه، وعمّر قواعد الفضـل وأحكـم نظامـه، ورفـع منـار الأمـن ونصـب أعلامـه، وهـدم بنيـان الجـور وأزال ظلامـه والصـلاة والسـلام علـى سيدنا محّمد المبعوث رحمـة للعالمين، وقدوة للعالِمين المؤيدة شـريعته الغـراء بالخلفـاء الراشـدين، والأئمـة المهـديين، والأمـراء العـادلين وعلـى آلـه وأصـحابه والتـابعين صـلاةَ وسـلاماً دائمـين إلـى يـوم الـدين. وبعـد فهـذا كتـاب صـغير الحجم بديع النظم عزيز الرسم قريب الفهم، جمعت فيه تاريخ بعض أيام الدولـة العادلـة العثمانيـة بـاليمن المعمـور، ومـا وقـع بـه فـي تلـك الأيـام مـن الفتـح المشـهور المنصـورة بنيابة مولانا صـاحب السـعد الجديد والحظ السـعيد، والرأي السـديد والبطش الشـديد من أخلى ظلمات الظلم بقطر اليمن، وأنار نواحيه بضياء عدله في هذا الزمن، وأطفأ نيران الفـتن الثـائرة بـه والمحـن، المبعـوث مـن الحضـرة السـلطانية السـليميه[1]. إذ هـو عـين أعيانهـا، وزعيـم أنصـارها، ورأس أعوانهـا سيـف سـلطان الإيمـان والإسـلام، رافـع ألويتـه إلى فلك البدر التمام باذل الإحسان والإنعام مولانا بهرام باشا[1] أدام الله عزه على مر الأيام، وأسعد بدوام دولته العادلة جميع الأنام.

([1]) السليميه : نسبة إلى السلطان العثماني سليم بن سليمان القانوني الذي حكم خلال الفترة (1566–1574م / 974 . 981 هـ) وقد تولى الحكم خلفا لأبيه، استولى الترك في عهده على قبرص من البنادقة واستعادوا تونس من الأسبان ، وقد أتفق وجود صدر أعظم لدولته هو محمد صقلي باشا الذي كان محنكاً سديد الرأي ، وقد خلفه في الحكمإبنه مراد الثالث. محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة ، مؤسسه فرنكلين للطباعه والنشر.(د.ت) صـ1000، حسين مجيب المصري : معجم الدولةالعثمانية ، القاهرة، مكتبة الأنجلو ، 1989م ، صـ91.

([1]) بهرام باشا : هو ابن مصطفى باشا قرة شاهين ، تولى بكلربيكية اليمن سنة 977هـ/ 1569م ،وهو من أسرة لها باعطويل في حكم اليمن ، فوالده مصطفى باشا قرة شاهين تولى بكلربيكية اليمن خلال الفترة 964 . 968هـ / 1556–1560م، و تولى أخوه ورضوان باشا بكلربكية اليمن أيضاً خلال الفترة 972- 974هـ /

ألفته على ترتيب لطيف، وترصيف منيف، وجعلت مدار ضبطه على السنين ليسهل حفظه على قارئه كل حين، ورتبته على مقدمة وتتمة تلي ستة [ق2] أبواب[1] قاصدا بذلك التقريب على الجماعة الطلاب، وسميته "بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا "بهرام"، مستعيناً على ذلك بالكريم الوهاب هو حسبي عليه توكلت وإليه مثاب.

مقدمة:

نذكر فيها ما ورد من الأحاديث المصرحة بفضل الروم المزيد، ودوام ملكهم السعيد، من ذلك ما روي في صحيح مسلم عن المستورد القرشي[1] رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول (تقوم الساعة والروم اكثر الناس)[2] قال عمرو بن العاص رضي الله عنه : أبصر ما تقول، قال : أقول ما سمعت من رسول اللهﷺ، قال:

1564 . 1566م ، وعرف عن بهرام باشا حسن السياسة ورفع المظالم عن الناس ، وقيل أنه خفف على الرعية ثلث المظالم ولم يفعل ذلك أحد قبله وصفه مؤرخنا المطيب بقوله " وكان مشتمل على جمله من المحاسن منها العلم ، والفهم وحسن التصور والرأي الصائب في السياسة واليد الطولي في علم الرقم والحساب "، كما عرف عنه أيضاً شدته وقسوته في التعامل مع المعارضين له والتنكيل بهم، قال عنه المؤرخ عيسى بن لطف الله " ثم أن بهرام باشا شهر سيفه على قبائل اليمن ، وأظهر ما في صدره عليهم من الضغائن والإحن، وقتلهم غيلة وخفية قتلاً جاوز الحد " ، ومن مآثره اختطاط مدينة ملحظ خارج مدينة ذمار وذلك سنة 978هـ /1570م ، وضرب السكة فيها والتي عرفت بالملحظية ، انتهت ولايته سنة983 هـ/1575م،= =وغادر اليمن متوجهَ إلى مكة لأداء فريضة الحج، وحين وصل إلى الباب العالي واجه شكوى من أهل الدفترادار الذي قتله في اليمن ، وحبس بسبب ذلك. عبد الصمد الموزعي : الإحسان، صـ33،35 ، المطيب الزبيدي : بلوغ المرام، قـ 54، عيسى بن لطف الله : روح الروح، صـ 183، 191، محمد الكبسي : اللطائف السنية، ص189، عبدالله بن داعر : الفتوحات المرادية. جـ 1، قـ 214.

([1]) ذ كر مؤلف المخطوطة أنه قد رتب كتابه على مقدمة وتتمة تلي ستة أبواب إلا أن متن المخطوطة يحتوي على سبعة أبواب ، حيث جعل المؤلف من أحداث أخر شهر من سنة 977هـ وهو شهر تولي بهرام باشا حكم اليمن باباً من أبواب كتابه ، الذي قسم أبوابه على عدد سنوات حكم بهرام باشا لليمن ، وهي ست سنوات ابتداءً من أوائل شهر ذي الحجة سنه977 هـ إلى أواخر شهر شوال من سنة 983 هـ .

([1]) المستورد القرشي: هو المستورد بن شداد بن عمرو بن الأحب بن حبيب القرشي الفهري المكي شهد فتح مصر وعاش بقية حياته فيها، ولأهل مصر عنه أحاديث ، توفي بالإسكندرية سنة 45هـ/ 665م0 ابن حجر العسقلاني :الإصابة. جـ 9، صـ 1800.

([2]) أخرجه مسلم: صحيح مسلم. جـ 18، صـ22.

إن قلت ذلك إن فيهم لخصالا أربع، أنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة عند مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وأجبرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة وأمنعهم من ظلم الملوك.[1] أورده العلامة الحافظ ابن الديبع الزبيدي[2] في تيسيره[3] في ترجمة فضل الروم أخذا من جامع الأصول لابن الأثير[4]، ومن ذلك ما ذكره الثعلبي[1] عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني[2] قال : قال رسول الله ﷺ (فارس نطحة أو نطحتان، ثم لا فارس بعدها أبدا، والروم ذات قرون كلما ذهب قرن خلفه قرن

([1]) المبارك بن محمد بن محمد بن الأثير: جامع الأصول جـ10، 1984م، صـ144.

([2]) ابن الديبع: هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر بن علي بن سيف والديبع هو لقب لجده الأعلى علي بن سيف ومعناه بلهجة أهل النوبة الأبيض، كان مولده في محرم سنة 866 هـ/ 1461م بزبيد ونشأ بها ، حفظ القرآن وأشتغل في علم الحساب والجبر الهندسة و الفرائض والفقه والعربية ،وقرأ بمكة على السخاوي، وأخذ العلم من مشائخ قطره، و برع في فن الحديث وصنف التصانيف منها " تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول " في الحديث، و" قرة العيون بأخبار اليمن الميمون" ، و "بغية المستفيد من أخبار مدينة زبيد " في التاريخ وله أيضا مصنفات في العلوم الأخرى منها مصباح المشكاة وكتاب المعراج " توفي يوم الجمعة السادس والعشرين من شهر رجب سنة 944هـ / 1537م. محمد الشوكاني: البدر الطالع ،جـ2 ،صـ 336. عبدالقادر العيدروس: النور السافر ، ص199.

([3]) وهو كتاب ابن الديبع " تيسير الوصول إلى جامع الأصول من أحاديث الرسول ﷺ" وهو اختصار لكتاب "جامع الأصول من حديث الرسول ﷺ الذي ألفه الإمام أبو السعادات بن الأثير0 عبد الرحمن بن الديبع : تيسير الوصول إلى جامع الأصول من أحاديث الرسول. القاهرة، مكتبة دار التراث، جـ3، صـ 5. 6.

([4]) ابن الأثير: هو أبو السعادات المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري كان مولده سنة544هـ / 1149م بجزيرة ابن عمر "أعلى الموصل " وله مصنفات مشهورة منها " جامع الأصول من أحاديث الرسول، و النهاية في غريب الحديث، والأنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف " و توفي سنة 606هـ / 1209م عن سبعين سنة. أحمد بن محمد بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . دار صادر، بيروت، 1977م جـ4، صـ 139ـ 141. جمال الدين عبد الرحيم الأسنوي:طبقات الشافعية. تحقيق : عبدالله الجبوري، بغداد، مطبعة الإنشاء ، جـ1، 1970م صـ130.

([1]) أحمد بن محمد ابن أسحاق النيسابوري الثعلبي صاحب التفسير، من أشهر علماء عصره في علوم القرآن الكريم، وله كتاب العرائس في قصص الأنبياء توفي 427هـ / 1035م . ابن خلكان : نفس المصدر. جـ1، صـ 79.

([2]) يحيى بن عمرو الشيباني : ويقال السيباني يكنى بأبو زرعه الشامي ، وهو ابن عم الإمام الأوزاعي ،و روى الحديث عن أبيه وعن الوليد بن سفيان ، و روح بن زنباع وغيرهم شهد غزوةالقسطنطينية مع مسلمة بن عبد الملك ،و توفي سنة 48هـ / 668م ، و عمره خمسا ثمانون عاما. محمد بن سعد الزهري : الطبقات الكبرى . تحقيق : رياض عبد الهادي ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي، ط أولى، 1996م، جـ1 ، صـ215.

إلى آخر الأبد)[1]، ومن ذلك ما ذكره الإمام المحدث ابن عبد البر[2] في ترجمة دحية[3]رضي الله عنه أنة بعثه رسول الله ﷺ إلى قيصر ملك الروم، فآمن به[4] وأبت بطارقته أن تؤمن، فأخبر بذلك دحية رضي الله عنة رسول الله ﷺ فقال:(ثبت ملكة)[5]، ومن ذلك ما ذكره العلامة الحافظ شهاب الدين احمد بن حجر العسقلاني[6] في فتح الباري شرح صحيح البخاري[ق3] قال: واخرج ابو عبيد[1] في كتاب الأموال من مراسل

([1]) الهندي: كنز العمال، جـ12، صـ303 .

([2]) ابن عبد البر : هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ،إمام عصره في الحديث والأثر من أشهر كتبه " الاستيعاب وكتاب الدر في اختصار المغازي والسيرة كان= =مولده أخر سنة368هـ / 978م، وتوفي بمدينة شاطبه شرق الأندلس سنة 463هـ /1070م 0ابن خلكان : وفيات الأعيان. جـ 7 ، صـ 66.

([3]) دحية: هو دحية بن فروة الكلبي، كان من كبار الصحابة لم يشهد بدر وشهد أحد وما بعدها من المشاهد وبقي إلي خلافة معاوية ،وهو الذي بعثه الرسول ﷺ إلى قيصر رسولا في الهدنة وذلكسنة 6هـ / 627م، وكان يضرب به المثل في حسن الصورة . ابن عبد البر: الاستيعاب. جـ3، صـ 2170

([4]) لم يرد في كتب السير وتاريخ أن قيصر الروم آمن بالإسلام، او بدعوة النبي، وكل مارود حول ذلك، أن قيصر صدق دعوة النبي ولم ينكرها، وأظهر نوع من حُسن الإستقبال لمبعوث النبي، واجابه بنوع من اللطف، وأكرم وفادته. وماورد الحديث عند المؤرخ حول ما ذكرته كتب السير بإن قيصر آمن بالدعوة، فلأيمان هنا لا يقصد به الدخول في الإسلام، بقدر ما يقصد به تصديق الدعوة وعدم إنكارها دون الإعلان في الدخول فيها.

([5]) أخرجه مسلم في صحيحه: جـ12، صـ130 ، ابن عبد البر: نفس المصدر. جـ3 ، صـ 217 .

([6]) شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني : هو أحمد بن علي بن محمد بن محمد العسقلاني المصري، يعرف بـ ابن حجر وهو لقب لبعض آبائه، كان مولده سنة 774 هـ/ 1371م بمصر، برز في العديد من الآداب والفنون أهمها علم الحديث له أكثر من مائة وخمسين تصنيفا أشهرها "فتح الباري بشرح صحيح البخاري " ولاه الملك الأشراف برسباي منصب قاضي قضاة الشافعية بالديار المصرية سنة827 هـ / 1423م، وقد عزل و أعيد إلى هذا المنصب أكثر من مرة، وكانت وفاته سنة852هـ / 1448م. محمد بن عبد الرحمن السخاوي. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع . بيروت، دار مكتبة الحياة (د.ت)، المجلد الثاني، جـ2، صـ36.

([1]) ابو عبيد : هو القاسم بن سلام ،كان أبوه عبدا روميا لرجل من هراة إشتغل أبو عبيد بالحديث والأدب والفقه ،وكان ذا دين وسيرة جميلة ومذهب حسن ،أقام ببغداد مدةطويلة وتولى القضاء بطرسوس، وتوفي سنة 223هـ /837م ، وهو أول من صنف في غريب الحديث ومن أشهرمصنفاته كتاب الأموال ، والمذكر والمؤنث ، واداب القاضي 0 السبكي :طبقات الشافعية. جـ 1، صـ 270-271.

عمير بن أسحاق[1] قال : (كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقيصر، فأما كسرى فلما قرأ الكتاب مزقه وأما قيصر فلما قرأ الكتاب طواه ثم رفعة ، فقال رسول الله ﷺ (أما هؤلاء فيمزقون يشير إلى كسرى وأصحابه، وأما هؤلاء فسيكون لهم بقيه)[2] ، وفي رواية أخرى بقيةَ صالحة يشير إلى قيصر ملك الروم وأصحابه، ويؤيده ما روي أن النبي ﷺ لما جاءه جواب كسرى قال : مزق الله ملكه، ولما جاءه جواب هرقل وهو قيصر ملك الروم قال : ثبت الله ملكه. انتهى المنقول من الفتح الباري[3]، قالوا وبهذه الأحاديث يستدل على ثبوت ملك الروم[4] ودوامه.

([1]) عمير بن إسحاق : مولى بني هاشم، عاش في المدينة ثم انتقل إلى البصرة وعاش بقية حياته بها، روى عنه أهل البصرة العديد من الأحاديث ، ولم يروي عنه أحد من أهل المدينة شيئا0 ابن سعد : الطبقات. جـ5 ، صـ285.

([2]) ابو عبيد : الاموال . صـ 27 .

([3]) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري . جـ8 ، 127 .

([4]) أطلق المؤرخون العرب أسم الروم على الأتراك العثمانيين، لأنهم أقاموا في منطقة الروم البيزنطية، كما أطلقوا على السلاجقة هذا الإسم من قبل. ليلى الصباغ : دراسة وتحقيق كتاب المنح الرحمانية في الدولة العثمانية. للمؤرخ / محمد بن أبي السرور البكري. لقاهرة، دار البشائر، اط أولى، 1995م، هـ. صـ 134.
وقد أسقط المؤرخ أسم الروم على العثمانيين في الأحاديث التي أستشهد بها على خيرية ودوام ملك الروم.

الباب الأول:

في ذكر ما اشتملت عليه سنة سبع وسبعين وتسعمائة[1]، وهي سنه القدوم[2]، لما كان بتاريخ غرة ذي الحجة[3]منها. أنعم الله تعالى على المسلمين عموماً وخصوصاً بقدوم مولانا المقام العالي، صاحب المجد والمعالي، من أسعد الله بقدومه البلاد، وأصلح به أحوال العباد، وهدى به الخلق إلى طرق الرشاد، وأزال به المحل[4] عن الآكام[5] والوهاد [6]، وحصل به الأنس لجميع الأنام، وأستبشر بوصوله الخاص والعام صاحب الصلات الجسام، والصدقات والإنعام مولانا بهرام باشا لازال مشمولاً بعين الملك العلام، قدم إلى بندر البقعة[7] المعمور، وصحبته العسكر المنصور، فأقام بها ثمانية أيام، فأنشرح بوصوله طوائف الإسلام، فقدم إليه في ذلك اليوم جمع كثير من عرب تلك النواحي، من الحاضر والبادي، على اختلاف طبقاتهم ومقاماتهم ، فقابلهم بالإكرام والبِشِر، وآنسهم بألطف خطاب [ق4]، وأحسن ذكر، وبذل لهم المعروف والإنعام، وقررهم على ما بأيدهم من الأحكام، بإجراء عادتهم لطلبهم ذلك استمراراً على ما مضى لهم في سالف الأيام، فانشرح بذلك أهل مدينة زبيد[8] خاصها وعامها، لما

---

(1) تقابلها سنة 1569م.

(2) يقصد بها سنة قدوم بهرام إلى اليمن.

(3) 7 مايو 1570م .

(4) المَحَل : الجوع الشديد، أو الجدب الشديد. المرتضى الزبيدي. جـ 15، صـ 685.

(5) الآكام : جمع أكمة وهو الموضع الذي هو أشد ارتفاعا مما حوله. ابن منظور: دار لسان العرب، جـ1، صـ 79.

(6) الوهاد : جمع وهده وهو الموضع المنخفض من الأرض كأنه حفرة. ابن منظور: نفس المصدر .جـ3، صـ 470 .

(7) البقعة : ميناء صغير غرب مدينة زبيد ،وبجانب ميناء الفازة ، وهي الميناء التي قدم إليها أبو موسى الأشعري ومعاذ بن جبل 0 إبراهيم المقحفي: معجم البلدان . جـ1، صـ 185.

(8) زبيد : كانت تعرف قديماً بالحصيب وهي مدينة في وادي زبيد المشهور وأطلق اسم الوادي على المدينة وتقع بين بلدة بيت الفقيه ومدينة حيس، ويقال أن محمد بن زياد مؤسس الدولة بني زياد هو الذي أختطها في القرن الثالث الهجري. محمد الحجري: مجموع بلدان اليمن. صـ 733، المقحفي : نفس المرجع. جـ 1، صـ 733 .

سمعوا من تقرير قواعده وحسن انتظامها، وكان نصره الله تعالى بعد قدومه إلى البندر المذكور، أمر القاضي الأجل المحترم، المعزز المكرم عفيف الدين عبد الصمد بن الفقيه الفاضل عبد العليم المحرقي الحنفي[1] والقاضي الآجل المحترم عفيف الدين عبد العليم بن محمد الأحمر[2]، بأن يلازما معاً مباشرة كتابة الإنشاء بالديوان السعيد السلطاني باليمن المعمور، ويكون القاضي عبد الصمد المذكور هو المقدم في ذلك، والأمر في المباشرة إليه، والقاضي عبد العليم المذكور في الخدمة الشريفة ثانياً عليه، فباشرا ذلك الأمر وقاما بما هنالك في بلاغة اللفظ بمحسنات اللفِظ والنشر، بأمر مولانا صاحب السعادة غرة العصر فأحكم مولانا أيده الله تعالى بالبندر المذكور لأهل تلك النواحي القواعد وسن لهم سنن العدل على ما يطلبونه من الفوائد بأكمل زوائد.

فصل :

ثم نقل أعزه الله تعالى ركابه السعيد، وصحبته جمع من العساكر والعبيد، مشمول النظر بالرأي السديد، والبطش القاهر الشديد من الفعالِ لما يريد إلى محروس مدينة زبيد، فدخلها نهار الخميس تاسع الشهر المذكور منها. وهو يوم عرفة المبارك،فأتفق لأهل مدينة زبيد في ذلك الوقت عيدان عيد أضحاهم وأذكارهم، وعيد قدوم مولانا المبارك إلى ديارهم، وهذا اليوم الذي قدم فيه مولانا هو أفضل الأيام كما ورد في

([1]) عبد الصمد بن عبد العليم المحرقى الحنفي:– من قضاة زبيد ورجال العلم فيها قال عنة المطيب " والقاضي عبد الصمد حسن الخط بليغ اللفظ من قوم صلحاء ثقات أفاضل، و معشر أدباء أماثل وينزل الناس منازلهم ، ويأنس فقراهم ويجل علماهم وأفاضلهم " وقد اختاره بهرام باشا ليكون إمامه في الصلوات الخمس على مذهب الأمام أبي حنيفة ، وكلف بكتابة الإنشاء بالديوان السيد السلطاني إلى جانب القاضي عبد العليم نن محمد الأحمر ، ثم كلفه بالإنفراد بكتابة الإنشاء بالديوان السعيد السلطاني بعد عزل عبد العزيز الأحمر. المطيب الزبيدي : بلوغ المرام . ق 4 ، ق14.

([2]) عبد العليم بن محمد الأحمر: من رجال العلم بزبيد ، كلفة بهرام باشا سنة 977 هـ / 1569م بكتابة الإنشاء بالديوان السعيد السلطاني إلى جانب القاضي عبد الصمد بن عبد العليم المحرقي ، ثم عزلة بهرام با شا من هذا المنصب فيما بعد. المطيب الزبيدي : نفس المصدر. ق 4 ، ق 14.

الحديث الصحيح[1]عن سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام . فأنس الناس بوصوله [ق5] واستشرفوا لحصول الخيرات بدخوله، فكان مولانا عليهم أيمن قادم، ولسنن العدل والأنصاف ملازم، فنادى مناديه في القطان[2] والوفود. إذ حط بالمخيم المسعود ببذل الإنعام والإحسان، وأن الناس في أمان الله تعالى وأمانه، وأمان مولانا السلطان، فخاف من قدومه كل ظالم عنيد، وذل بوصوله كل شيطان مريد، بجميع نواحي ذلك القطر السعيد، فرتب فيه الأحكام بالتقعيد والتأكيد، وأظهر أمره بقهر حكمه في ذلك وبأسه الشديد، فورد عليه كل عالم مفيد، وطالب مستفيد من العلماء المفتين، والقضاة العادلين والفقهاء المبرزين، والأعيان من أهل البلاد أجمعين، فقابلهم بأحسن لطف، وأجلسهم إلى جنبه من غير تشديد ولا عنف، وأمضى لهم ما بأيديهم من الأحكام، وزادهم على ذلك ما تقر به نفوسهم من الخير والإكرام من الإعفاء والصدقات، وتقرير الوظائف في الأوقاف الخاص والعام[3]. فانفصلوا عن مجلسه الشريف راضين ولمولانا السلطان الأعظم نصره الله تعالى وله داعين، ومن عظم بركته وحسن نيته أنه كان قبل وصوله إلى المحل المذكور غلاء وشدة في السعر، فزال ذلك ببركة قدومه، وحصل رخص في الطعام وغيره في تلك المدة.

وكتب للرعايا وأهل واديها، وبواديها مرسوماً شريفاً محكماً محرراَ عالياً منيفاً، بالصدقات العميمة من الأيادي الكريمة ، بأن يكون الحكم في أراضيهم ونخيلهم ودوابهم وقوانينهم، وغير ذلك من التسليمات بتلك الجهات، على ما قعده مولانا المقام

([1]) فضل يوم عرفه : عن عائشة رضي الله عنها إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما من يوم اكثر من أن يعتق الله فيه عبد من النار من يوم عرفه، انه ليدنو ويتجلى ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول : ما أراء هؤلاء ". مسلم :صحيح مسلم، جـ9، صـ117، ابن الأثير: جامع الأصول، جـ9، صـ263.

([2]) القطان : المقيمون ، أو السكان . ابن منظور : لسان العرب . جـ3 ، صـ 123.

([3]) الأوقاف نوعان : عام وخاص أو ما يطلق عليه الفقهاء خيري عام أو أهلي ذري ، والوقف العام ما كان على مصلحة عامة كالمدارس والمساجد، والوقف الخاص ما كان للأقرباء أو الذرية. حسن علي مجلي: الأوقاف في اليمن . مركز الشرعبي للطباعة والنشر، صنعاء، ط أولى ، 2002 م ،صـ 16.

الكريم الوزيرسنان باشا[1] أدام الله تعالى أيامه، وعلى ما قعده مولانا الوزير سليمان باشا[2] رحمه الله تعالى سابقاً. وكان في ذلك التقعيد الرفق على المسلمين ففارقه [ق6] الجمع شاكرين ، ولشريف أمره طائعين، فقعد بالمخيم المنصور تجاه مدينة زبيد من الجانب الشرقي بالبستان الشهير بالوهابي، والناس بإقامته فيهم آمنون، ولطول مقامه في ديارهم راغبون، وفي اليوم العاشر من ذلك الشهر وهو أول أيام النحر منها، خرج مولانا أعزه الله تعالى من مخيمه السعيد قاصداً مدينة زبيد ليصلي في جامعها صلاة العيد، وكان الإمام بالجامع المذكور شخصاً شافعي المذهب . فأمر مولانا أيده الله تعالى، بأن يكون الإمام في ذلك العيد شخصاً حنفي المذهب، يصلي بالناس في الجامع المذكور، اعتناء منه بشريف طلبه أن يكون كمال الإقتداء، بإمام يصلي به على طريقة مذهبه، فأحضر شخصاً من فقهاء الحنفية من الأعيان، فصلى في الجامع المذكور بالناس على مذهب الإمام الأعظم النعمان[3]. وخطب بهم خطبة متقنة أدى

([1]) سنان باشا : تربى في السراي السلطاني في عهد السلطان سليمان القانوني ، صار أمير في سناجق ملاطية وقسطلوني في الأناضول، ثم في غزة وطرابلس ، ثم أصبح بكلربيكياَ لولايات أرض روم وحلب ومصر ، ثم قاد حملة اليمن سنة 976 هـ / 1568م ، وتولى مصر ثانية بعد ذلك، وقاد الحملة التي استعادت تونس سنة 980هـ / 1573م ، عاد إلى الأستانة وأصبح وزيراَ، وفي عهد السلطان مراد الثالث ثم تولى الصدارة العظمى بعد عودته من حملة بلاد فارس ، ومنذ ذلك الوقت حتى وفاته سنة 1004هـ / 1595م تولى الصدارة العظمى خمس مرات ، كما تولى قيادة الجيوش العثمانية خمس مرات أيضا ، نال شهرة كبيرة حتى قيل أنه ثالث الصدرين العظيمين إلى جانب رستم باشا و محمد باشا الصوقلي. سيد سالم : الفتح العثماني. هـ . صـ299 . 300، نقلاَ عن كاتب جلبي : فذلكة التواريخ . باللغة التركية .جـ1 ، صـ76 ، 77 . محمد المحبي : خلاصةالأثر. جـ 2، 214، 215.

([2]) سليمان باشا: من خواص السلطان سليم بن بايزيد تولى عدة مناصب منها رئاسة الوزارة " الصدارة العظمى "عزل عنها بعد أن فشل في القضاء على البرتغاليين في البحر الأحمر في حملته المشهورة سنة 945 هـ/38 15م، أنسحب من الحياة السياسية وقضى بقية حياته في إقطاعه الخاص حتى وفاته سنة 960 هـ \ 1553 م اشتهر عنه حبه لسفك الدماء حيث قتل الكثير من أمراء العرب منهم الأمير حاتم الحمزاوي ، والأمير عامر بن داود صاحب عدن . سيد سالم : الفتح العثماني .هـ .صـ 167 ، 168 ، قطب الدين النهروالي : البرق اليماني . صـ 70 ، 77 ، 80.

([3]) الإمام النعمان: فقيه الملة عالم العراق أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي ، مولى بني تيم الله ابن ثعلبه، ولد 83هـ/ 702م،أدرك أربعة من الصحابة هم أنس بن مالك، وعبدالله بن أبي أوفى و سهل بن سعد الساعدي، أبو الطفيل عامر بن وائله، وعنى بطلب العلم وأرتحل في ذلك ، أما الفقه والتدقيق في الرأي وغوامضه فإليه المنتهى. ابن خلكان : وفيات الأعيان .جـ5 ، صـ 405 – 406.

فيها جميع الأركان فحصل بذلك ظهور مشروعياته الحسان، لكون ذلك المذهب مذهب مولانا السلطان ، وعليه العمل في جوامع البلدان، ولم يصل في الجامع المذكور إمام حنفي قبل ذلك الزمان[1].

شعـــر

قـــدمت علـــى المســـرة والســـعودِ مـــع الإقبـــال والخيـــر الجديـــدِ

وجلـــل كـــل إقلـــيمٍ وقطـــرٍ ســـنى الأنـــوار للجـــذل[2] المزيـــدِ

ولمـــا أن حللـــت ركـــاب عـــزٍ مـــن الترحـــال فـــي الســـفر البعيـــدِ

بـــأرض زبيـــدٍ تاهـــت واســـتطابت فـــدانت كـــل أرض عـــن زبيـــدِ

وأشـــرقت القصـــور بهـــا أفتخـــاراً وأيـــد عزهـــا خفـــق البنـــودِ

ومـــاس نزيلهـــا طربـــاً وســـكراً فقل مـا شـأت فـي الصـب[3] العميـدِ[4]

وأوى الـــدين إجـــلالاً وعـــزاً ببهـــرام إلـــى ركـــن شـــديدِ

وان الســـبل والـــدنيا أمتثـــالاً لفـــي أمـــنٍ وفـــي عـــيشٍ رغيـــدِ

وأخصـــبت البقـــاع بكـــل خيـــر وكانـــت قبـــل فـــي جـــدبٍ مبيـــدِ [قـــ7]

لـــتهن زبيـــدَ أذ حليـــت فيهـــا زعـــيم الملـــك بالبـــأس الشـــديدِ

تـــدبر أمرهـــا بـــأثم[5] رأيٍ وتقمـــع كـــل جبـــارٍ عنيـــدِ

([1]) ذكر صاحب كتاب زبيد مساجدها ومدارسها ، أن مصطفى باشا النشار في سنة 949هـ / 1542م أنشأ في جامع الأشاعر منبراً للخطبة ،وأمر أن تكون الخطبة والصلاة على المذهب الحنفي دون أن يشير إلى مصدر معلوماته في ذلك، وهذا يخالف ما وردعند مؤرخنا الذي عايش أحداث الفترة، واكد ان بهرام باشا هو أول والي عثماني أقام إمام حنفي في جامع زبيد. عبد الرحمن الحضرمي: زبيد مساجدها ومدارسها. صـ57.

([2]) الجذل : أصل الشيء ، يقال صار الشيء إلى جذله أي صار إلى أصله . ابن منظور : لسان العرب. جـ 1 ، صـ 425 .

([3]) الصب : العاشق المشتاق. ابن منظور : المصدر نفسه. جـ 1، صـ 518.

([4]) العميد: المشغوف عشقاَ، وقيل الذي بلغ به الحب مبلغاً. ابن منظور: نفس المصدر. جـ 3،صـ 305.

([5]) أثم : أثم الشي أي أصلحه ورممه . ابن منظور : لسان العرب. جـ 1 ، صـ 375 .

ويهـــن نزيلهـــا إذ صـــرت فضـــلاً تجيـــب نـــداء المنـــادي مـــن بعيـــدِ

أدام الله قـــــدرك فـــــي علـــــوٍ مـــدى الأيـــام ســـعدك فـــي خلـــود

فصـل :

ثم توجه نصره الله تعالى بالعسكر المنصور إلى مدينة حيس[1] خامس عشر من ذي الحجة[2] منها. وذلك بعد أن وصلته مراسيم كريمة من مولانا الوزير سنان باشا، مضمونها انه يسير بالعسكر المنصور طريق لعسان[3].

فأعمل مولانا صاحب السعادة رأيه السديد، ورأى أن يكون السير بهم من المخيم بزبيد إلى مدينة حيس، ثم إلى مدينة موزع[4]، ثم إلى مدينة تعز[5]. فكان هو الأصلح للعسكر المنصور، ووافق التدبير فيه المقدور، وأتم الله له بذلك أكمل السرور، وأصبح بسبب ذلك سعده في ظهور، فساعده الله بصلاح الأحوال والتقرير، ولم يحصل عليه ضجر ولا تكدير أمده لله تعالى بكل خير. فدخل مدينة حيس بجمع من الفرسان، وكل

([1]) حيس : مدينة مشهورة تقع إلى الجنوب من مدينة زبيد، وتبعد عنها بحوالي 35كم، وهي من أقدم المدن في تهامة اليمن ، ازدهرت في عهد الدولة الرسولية ، وتشتهر بصناعة الأواني الخزفية البراقة المسماة بالحياسي . محمد الحجري : مجموع بلدان اليمن : جـ 2 ، صـ301 ، إبراهيم المقحفي : معجم البلدان . جـ 1، صـ 456 . 457 .

([2]) 22مايو 1570م .

([3]) لعسان : موضع مشهور ما بين جبال حراز و مدينة الكدراء في تهامة. ابوالحسن الهمداني : صفة جزيرة العرب. صـ 109، 110 ،محمد الحجري: نفس المصدر. جـ 2، صـ 173 .

([4]) مَوزِعَ : من المدن التهامية ، تقع إلى الشرق من مدينة المخا على بعد 30 كم وجنوب غرب تعز، اشتهرت في فترة ما قبل الإسلام ، حيث كانت تمثل نقطة إتصال بين الموانى والمدن الداخلية ، ذكرت في النقوش القديمة باسم " موزا " ، وهي الأن مديرية من مديريات محافظة تعز. محمد الحجري : مجموع بلدان اليمن. جـ 2 ،صـ 724 ، إبراهيم المقحفي: معجم البلدان. جـ2، صـ 1683 ،الموسوعة اليمنية . جـ 4 ، صـ 2900 . 2901 .

([5]) تعز : مدينة مشهورة إلى الجنوب الغربي من صنعاء على مسافة 245كم عرفت بهذا الاسم منذ القرن لسادس الهجري حيث سكنها توران شاة الأيوبي ، كانت تعرف قديماً ذي عدينة . محمد الحجري : نفـــس المصدر. جـ 1، صـ 145، إبراهيم المقحفي : المرجع السابق. جـ 1، صـ 231.

ضراب وطعان، حامي الحمى إذا حمى الوطيس، يشجع صاحبه بكل قول مشرح أنيس، وصاحب السعادة أيده الله تعالى زعيمهم في ذلك المقام، بكل أبيض يجلو بياضه سواد القتام[1] وتحته من الخيول المسومة[2] كل مسرج[3] وملجم[4]، من أشقر[5]،ومحجل[6] مسوم قد حل صهاها[7] كل شجاع ضيغم[8] ، يشتاق إلى النزال والطعان اشتياق المغرم.

فدخل مدينة حيس، وأقام يومين ونفذ أوامره بها، وقعد قواعد العدل لأهلها، وأنصف المظلوم من ظالمها، و قررهم على ما بأيديهم من المراسيم الشريفة، وعلى ما قرره الوزيران المذكوران، سنان باشا وسليمان باشا ، فقرّت بوصول صاحب السعادة خواطرهم ، وطابت بتلك التقعيدات أنفسهم، لاسيما فضلائهم وكبراءهم فرخصت الأسعار [ق8] عند وصوله إلى المحل المذكور، وحصل الجلب اليها من تلك النواحي لما شاع أنه لا ظلم في مخيمه المنصور.

فصل :

ثم في اليوم السابع والعشرين من ذي الحجة المذكور منها أرتحل مولانا صاحب السعادة بلغه الله من كل خير مراده ، من المخيم السعيد بحيس إلى تربة بني زيد[9]،

([1]) القتام : الغبار والقتمة سواد ليس بشديد . ابن منظور : لسان العرب . جـ 3 ، صـ 20 .

([2]) المسومة : التي عليها علامة أو زينة . المرتضى الزبيدي : تاج العروس . جـ16 ، 373.

([3]) مسرج: السرج هو الرحال الذي يوضع على جانبي الخيل . المرتضى الزبيدي : المصدر السابق . جـ3 ،صـ 402 .

([4]) الملجم : اللجام هو الحديد الذي يوضع في فم الخيل. المرتضى الزبيدي: نفس المصدر. جـ17، صـ638.

([5]) الأشقر : الذي به حُمرة صافية المرتضى الزبيدي : نفس المصدر.جـ 7 ، صـ45.

([6]) المحجل : الخيل الذي في قوائمه بياض. المرتضى الزبيدي : نفس المصدر. جـ 14 ،صـ 14.

([7]) صهاها: صهوة كل شي أعلاه، وصهاها هنا بمعنى أعتلاها. ابن منظور: نفس المصدر. جـ2، صـ 488.

([8]) الضيغم : من أسماء الأسد . المرتضى الزبيدي : نفس المصدر. جـ 17 ،صـ 429.

([9]) تربة بني زيد : لم أعثر لها على تعريف، لعلها التربة الواقعة جنوب زبيد بمسافة 9كم، وأليها ينسب الفقيه يعقوب بن محمد التربي المتوفى سنة 680 هـ / 1282م. إبراهيم المقحفي: معجم البلدان. جـ 1، صـ 227.

فسار في أحسن نظام، وعسكره في العدد القوية على أكمل تمام، وسنجق[1] العدل يخفق على رأسه، وكل قريب وبعيد قد خاف سطوة بأسه، والخلق كلهم مستبشرون بعدله وأنسه. فخيم بتربة آل زيد، وأزال ما بها من الظلم والضنك والكيد، وطاش عند قدومه عقل من ينتمي إلى مذهب زيد[2] .

وعسكره المنصور في أكمل لامه[3]، من البيض والدروع الحديد، ومن سيوف تهابها الأعداء، وهي في الغمود تلمع، كما تلمع البرق في الليالي السود، فأقام بها يوماَ وقرر قواعد العدل لأهلها، وأمضى أحكامه الشريفة لأحقرها وأجلها، فطابت به الخواطر وسرت به الأعين النواظر.

فصل :

ثم يوم في الثامن والعشرين من ذي الحجة المذكور منها. أرتحل مولانا صاحب السعادة العظمى، والمركز الأعز الأسمى، من تربة بني زيد إلى محروس موزع، وقد نصب له مخيمه السعيد بالجانب الأوسع. فدخلها وأحل ركابه السعيد بها، وأقام بها ثلاثة أيام، فأنشرح به جميع الأنام، وأمضى لهم ما هم عليه من قواعد العدل والأحكام، وأنعم عليهم غاية الأنعام، وقرّرهم على تقعيدات مولانا سنان باشا، وفتح الله على مولانا ونصره، وأيده بالفتح والظفر. ونظر إلى كافة الرعايا بأحسن نظر، وعدل فيما نهى وأمر، فرخص سعر الأطعمة عند قدومه تلك البلاد، وحصل الرخاء والخصب فيها لجميع العباد.

([1]) السنجق : كلمة عثمانية تحمل أكثر من معنى فهي العلم، الراية، الألوية، الناحية الإدارية، وأتت هنا بمعنى الراية أو العلم . قطب الدين النهروالي : البرق اليماني : صـ 78 .

([2]) مذهب الإمام زيد بن علي بن الحسين بن أبيطالب ، وهو أحد المذاهب الشيعية الأكثر اعتدالا، انتشر في اليمن نهاية القرن الثالث الهجري / العاشر الميلادي على يد الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الرسي. أحمد أمين : ضحى الإسلام . جـ 3، صـ 271، نعمان شايف: الأمام الهادي . صـ144.

([3]) اللامة : عدة الحرب . المرتضى الزبيدي : تاج العروس. جـ17 ، صـ613.

الباب الثاني:

في ذكر ما اشتملت [ق9] عليه سنة ثمان وسبعين وتسعمائة[1] من الفتوحات وغيرها .لما كان في غرة محرم الحرام[2] من السنة المذكورة، ارتحل مولانا أيده الله تعالى من مدينة موزع قاصداً مدينة تعز، على طريق وادي الغيل فحط به في اليوم الثالث[3] من الشهر المذكور، فقدم عليه عرب تلك الناحية طائعين لأمره، خاضعين لسطوة قهره. ثم ارتحل من الوادي المذكور، إلى جهة الحجرية[4] في اليوم الرابع[5] منه، وحط بها فواجهه أهل تلك البلاد بالسمع والطاعة، فمهد تلك النواحي ووطأها، واقر أهلها على جاري عادتهم بها، ثم سار منها بالعساكر المنصورة والرايات المنشورة، إلى أن بلغ مدينة تعز في خامس شهر المحرم المذكور، فدخلها في ذلك اليوم بالخيل، والرجّل الجرادة وعسكره المنصورة في قوة وزيادة، بالبنادق والمدافع، التي غدت أهل تلك البلاد من خوفها منقادة، وقد ألهمه الله تعالى النظر القويم ، وصيابة[6] الرأي المستقيم، فأقام بها خمسة عشر يوماً، فقبض الرهائن من تلك البلاد ، وأذل من رائه منهم مُظهِراً للفساد، وجعلهم تحت الحفظ بالأغلال والأصفاد. وأمد من بها من أهل الصلاح والفضل غاية الإمداد، وأجرى لكل عالم بها ما يعتاد ، وزاد من يستحق الزيادة من أهل الفضل على ذلك، فشكره الجم الغفير لحسن التقرير على ما هنالك، فلما سمع بقدومه أهل جبل صبر[7] ظهر منهم الخوف والارتعاد، لمّا شاهدوا البنادق والمدافع

([1]) تقابلها سنة 1570 م .

([2]) يونيو 1570م .

([3]) 8 يونيو 1570م .

([4]) الحجَرية : منطقة كبيرة جنوب مدينة تعز ، كان يعرف قديماً باسم المعافر، مدينتها القديمة حبا، وتتبعها حالياً عدد من الوحدات الإدارية ، ومن بين جبالها الشهيرة، جبال حيفان ، اليوسفيين ، الأعروق . محمد الحجري : مجموع بلدان اليمن . جـ 1، صـ 232، إبراهيم المقحفي: معجم البلدان . جـ1 ، صـ 422.

([5]) 9 يونيو 1570م .

([6]) صواب الرأي

([7]) جبل صَبِر : جبل مُطل على تعز ، ويبلغ ارتفاعه 3000متر من سطح البحر. محمد الحجري: نفس المصدر. جـ2 ، صـ462، إبراهيم المقحفي: نفس المرجع . جـ1، صـ 894.

وفرسان الخيل الجياد، فأقبلوا جميعهم مستشفعين بالصّوفه والسادة. وأذعنوا بالطاعة لمولانا صاحب السعادة، وسألوا من فضله الإمداد، والصفح عن من عرف منهم بالبغي والعناد، وكان ممن واجه مولانا في تلك الأيام، من مشائخ المخلاف[1] الشيخ الكبير عزالدين الحميدي[2] [ق10] فأكرمه صاحب السعادة بما يليق بمنصبه وزيادة، لأنه عرف محبته للدولة العثمانية وانقياده ، وكان ممن واجههُ الشيخ الكبير دهشل[3] من مشائخ المخلاف أيضا، مجيباً بحسن الطاعةِ والامتثال ، وقابل مولانا أدام الله عزه بالخضوعِ والإذلال ، والزم المذكورين أن يحضروا رهائن على جاري عادتهم من الرجال، والزمهما أن يسيرا معه بمن معهما صحبه ركابه السعيد، حتى يكونا في الخدمة السلطانية من جملة الاتباع والعبيد. فامتثلا لأمره، وسارا في جملة سفره، فقرت أحوال المسلمين بتلك البلاد، و أرغم الله انف كل عدو حسّاد ، وبّلغ الله تعالى مولانا أقصى المراد، وكان هذا من مبادئ نصر مولانا أيده الله تعال بتوفيقه آمين.

شعر

ملكت البلاد بقهر وعز وخفضت من مال فيها لنشز[4]

وشردت من ظن أن قد ثوى[5] معاقل عز وما عنه تجزى

وعز الوجود وتاه[6] افتخارا وقد كان من قبل بالويل مرزى

([1]) المخلاف: يقصد به المخلاف الجعفري وهو ما يعرف اليوم باالعدين، إب، المذيخرة، السحول. وقيل أنه عرف، بذلك نسبة إلى الجعافروهم ملوك تلك المنطقة قبل الإسلام. إبراهيم المقحفي: معجم البلدان. جـ2، صـ337 . أنظر النص: ق 28.

([2]) عزالدين الحميدي : لم اعثر له ترجمه. ويبدو أنه من كبار مشائخ المخلاف الجعفري. المطيب الزبيدي: بلوغ المرام. ق28.

([3]) الشيخ دهشل : لم أعثر له على ترجمة، ويبدو أنه من كبار مشائخ المخلاف الجعفري. المطيب الزبيدي: نفس المصدر. ق28 .

([4]) نشز : أرتفع وعلا أو قام . مرتضى الزبيدي: تاج العروس .جـ15 ، صـ352.

([5]) ثوى : طول المقام ، وأثويت به أطلت الإقامة به. ابن منظور : لسان العرب . جـ1، صـ 387.

([6]) تاه : تكبر . مرتضى الزبيدي. نفس المصدر جـ 19 . صـ 225.

واشـــرق بالبشـــرِ وجـــه الـــزمان ومـــاس ســـرورا بعطـــف وهـــز

ولمـــا ثويـــت تعـــز اســـمت وذل المنـــاوي أســـا[1]عـــن تـــعز

وتاهـــت بلقيـــاك واستبـــشرت وأضـــحت بمثـــواك فخـــرا الطـــرز[2]

ومهـــدت مـــا عـــاث فـــي ســـوحها ببـــيض رقـــاق وإحكـــام وجـــز[3]

وذا صـــبركم حـــوى اغلبـــا ومـــادان حقـــا وتـــاد[4] بجـــرز[5]

دنـــى خاضـــعا للظبـــا[6]والقـــنا فـــذل لعليـــاك وأنقـــاد مُخـــزى

وقاعـــدة العـــز كـــم قـــد حـــوت رجـــالا علـــوا فـــي الـــوغى كـــل فـــوز

فحكّـــم رأيـــك فيهـــا القـــنا واشـــفي الغليـــل بضـــرب وحـــز

وصـــهبان كـــم فيـــه مـــن أصـــهب تعطـــل بـــالجبن عـــن رد رمـــز[7]

بقيـــت لـــذا الخلـــق أمـــنا لـــه تميـــز مـــن شـــيئت مـــنهم بقـــرز[8]

فصـل :

([1]) أسا : أي حزين . ابن منظور : نفس المصدر . جـ 1، صـ 64 .

([2]) الطرز : الجيد من كل شيء. بن منظور: نفس المصدر. جـ 2، صـ 581.

([3]) وجز: سريع الحركة. ابن منظور : لسان العرب. جـ 3، صـ 881.

([4]) تاد : بمعنى التأني . ابن منظور : نفس المصدر. جـ1، صـ 337.

([5]) جرز: الجراز هو السيف القاطع النافذ، وجرز أي قطع. ابن منظور: نفس المصدر. حـ1، صـ 439.

([6]) الظبا: الظبة هو السيف أو النصل وما أشبه ذلك. ابن منظور: نفس المصدر. جـ2، صـ 641.

([7]) رمز : تصويت خفي باللسان كالهمس ، وقيل إشارة أو إيماء بالعينيين والحاجبين، أو الشفتين. ابن منظور : نفس المصدر. جـ1، صـ 1223.

([8]) قرز: القرز الأ كمه، وهو الغلظ من الأرض ، يعني هنا المكان الأمن . الزبيدي : تاج العروس. جـ 15 ، صـ 279 .

ثم بعد إن قرر بمدينة تعز القواعد، وصفى ما [ق11] تكدر بها من تلك الموارد، توجه إلى القاعدة[1]، فوصل إليها يوم العشرين من الشهر الذكور منها، بالجيش العرمرم والعسكر الجرار، مشمولاً بعناية الملك القهار، ومعه من ا مالا يحصره حاصر، لا يحيط به ناظر. فحل ركابه السعيد بها، ولم يبال بما تشعت[2] من جوانبها وحصل بتلك الناحية عند قدومه المبارك من الرخص في الأسعار مالا يعهد قبل ذلك، وبعد أن حل بالمخيم المنصور في رابع وعشرين من المحرم[3] المذكور. أجتمع من القبائل بذلك المكان، العربيين[4]، والأعمور[5]، وأهل صهبان[6]، الأزارق[7]، والشوافي[8] ،وحبيش[9]، والتعكر[10]، وذي السفال[11]، وبدان[12] ويرهم من عرب تلك

([1]) القاعدة : مدينة ما بين مدينتي إب وتعز في وادي نخلان، وتتبع حالياً مدينة إب . محمد الحجري : مجموع بلدان اليمن .جـ4، صـ644 ، إبراهيم المقحفي : معجم البلدان. جـ2، صـ1239.

([2]) تشعت : تفرقت . ابن منظور : نفس المصدر. جـ 2 ، صـ 322.

([3]) 29 يونيو 1570م .

([4]) العَربِين : مركز أداري من مديرية السياني في محافظة إب، يقع في المنطقة المعروفة قديماً باسم " لغيمة صهبان ". إبراهيم المقحفي: معجم البلدان. جـ2، صـ1040.

([5]) الأعمور : عزلة في بلاد الحجرية . محمد الحجري : مجموع بلدان. جـ1، صـ86 .

([6]) صهبان : مخلاف مشهور من أعمال ذي السفال جنوب مدينة إب ، بجوار مدينة جبلة . محمد الحجري : نفس المصدر. جـ 1، صـ548، إبراهيم المقحفي: نفس المرجع. جـ1، صـ923.

([7]) الازارق :عزلة من ناحية السبره، وهي مركز أداري من مديرية السياني في محافظة إب . محمد الحجري : نفس المصدر.جـ ، صـ68 ، إبراهيم المقحفي : نفس المرجع. جـ1، صـ55 .

([8]) الشوافي : مخلاف من بلاد إب ، وتشمل جبل معود ، شعب يافع، بني محرم، البحريين ، ثوب أعلاوأسفل . محمد الحجري: نفس المصدر ،جـ3، صـ458، إبراهيم المقحفي: نفس المرجع. جـ2، ص883.

([9]) حبُيش : ناحية من اعمال مدينة إب ، وكانت حبُيش والعدين و ذي السفال تعرف قديماً بذي الكلاع. محمد الحجري: نفس المصدر. جـ2 صـ228، إبراهيم المقحفي: نفس المرجع. جـ1، صـ412.

([10]) التعكر : جبل في العدين يطل على مدينة جبلة أعلاه قلعة حصينة كانت أحدى معاقل الصليحيين . محمد الحجري: نفس المصدر. جـ1، صـ155، إبراهيم المقحفي: نفس المرجع.جـ1، صـ233.

([11]) ذي السفال : مدينة مشهورة ما بين مدينتي إب و تعز ، وهي من نواحي مدينة إب ويقال أنها قامت على أنقاض مدينة ذي العلا . محمد الحجري : نفس المصدر. جـ3 ،صـ422 ، إبراهيم المقحفي: نفس المرجع. جـ1 صـ794.

([12]) بعدان : مخلاف في شرق مدينة إب وهو من أخصب مخاليف إب وبه العديد من الحصون منها حصن حب، وبعدان الأن من مديريات محافظة إب. محمد المقحفي: نفس المرجع. جـ1، صـ 180، الموسوعة اليمنية. جـ1، صـ 534.

البلدان، ومعهم قائد من قبل الزيدي المفسد علي[1] ابن إمامهم الملحد كونه مالكا لحصن حب[2] ، المشهور باليمن المعمور. وكان قد حاز معاشير[3] الحصن المذكور، وحصن بكتايب جيشه تلك الثغور، وبلغ عددهم نحو الثلاثين الألف، وأكثر من جمعهم في ذلك الشان ولف، فقصدوا المخيم المنصور بالقاعدة، وكان غاية أمرهم أن عادت عليهم العائده. وخرج لهم صاحب السعادة أيده الله تعالى بطوائف العساكر المنصورة، بالخيول المسومة المخبورة والبنادق المشتعلة المنثورة، فقاتلهم من وقت الضحى، إلى بعد ظهر ذلك اليوم القتال الشديد، محفوظاً بالرأي السديد، فنصره الله تعالى عليهم واظهر طالعه السعيد، فقتل من القبائل المذكورة ، ومن عسكر علي المفسد اكثر من مائة وعشرون نفساً ، وأسر منهم خلقاَ كثيراً وفر الباقون، ولم يثن أحد منهم إليه رأساً، وشتت جمعهم في كل ناحية ، ولم يبق لهم من ذلك الجمع باقيه. وكان ذلك بعد أن حمي الوطيس، واشتغل كل بنفسه عن كل نفيس ، وإنهدم ما أحكموه ولم يثبت لهم [ق 12] تأسيس، وصارت تلك الأماكن من جملة الممالك السليمية ، وغدا أهلها من رعايا الدولة العثمانية ، بهمه مولانا أيده الله تعالى. فأقام بعرصتهم[4] واحد وأربعين يوماً، وفي تلك الأيام واجه الشيخ عز الدين الحميدي، والشيخ دهشل المذكوران أولاً برهائنهما، فسلماها إلى مولانا، فجعلت تحت التحفظ .

([1]) علي بن الإمام : هو السيد علي بن الإمام شرف الدين ، ولد في رجب سنة927هـ/ 1520م ، أخذ العلم عن والده وغيره وأشتهر بالعلم ، رشحه والده لولاية العهد بالأمامة من بعده ، فكان ذلك الأمر سبب خروج أخيه المطهر عنطاعة أبيه ، ووقوع الصراع بين أبناء الإمام شرف الدين ، كانت وفاته بحصن حب مسموماًسنة978هـ/ 1570م. محمد الشوكاني: البدر الطالع . جـ1، صـ 458 – 459 قطب الدين النهروالي : البرق اليماني ، صـ 95.

([2]) حصن حَبّ :حصن معروف أعلى جبل بعدان في محافظة إب، ويعتبر من أمنع حصون اليمن ويبلغ إرتفاعه حوالي 2200م عن سطح البحر. الحجري: نفس المصدر. جـ2، صـ 266. المقحفي : نفس المرجع. جـ1، صـ400 .

([3]) معاشير : على وزن مفاعيل ، العشر ما يؤخذ من المال بقدر العشر أو نصف العشر، وهي أموال تجبى للدولة. ابن منظور : لسان العرب . جـ2 ، صـ783.

([4]) العرصة : كل موضع واسع لا بناء فيه . ابن منظور: لسان العرب. جـ2، صـ735.

الشعر

أقـــام عمـــود العـــدل فـــيهم كـــأنه عمـود صـباح قـد تجلـت غياهبـه[1]

إذا القـرت[2] لاقـى عضـبه[3][.....][4] رأى أن أدنـــى المشـــرفين ضـــاربة

وان صـافح الخطـي بضـت[5] كعوبـة[6] دمـــاً ونـــدى إن باشـــرتها رواجـــبه

ويخـرج عضـب الهنـد مـن غيرمـدخل أذا زار حســـماً والدليـــل مضاربـــه

فيصبـــح منـــه للســـباع جمـــاده طعامـاً ويسـقي جامـد الأرض ذائبـه

فكـــم رب يـــومٍ أطلعتـــه مشـــارق فَعـــل دمـــاً حتـــى حـــوته معـــاربة

كتائـــبه حســـمُ غـــداَ هـــو قلـــبهُ وفـــي حسمِـــه قلـــب وذاك كـــتائبه

نهايـــة مـــرتاد الغنـــى روض كفـــهِ ورودُ أرض الناكـــثين مقانبـــه[7]

غيـره

هـو المقـام الكـريم القـرم [8] ملـجأنا مـــلاذنا حـــسن الأخـــلاق والشـــيمِ

الفـــارس البطـــل اللـــيث الهمـــام إذا رنـا تصـدعت الأشـبال فـي الأجـم[9]

ان جاد أغنى الملا أو ذاد يوم وغى أفنى بسمر القنا من شاء من أمم

وإن ســرى فــوق طــرف خلتــه أســداَ مـن فـوق صـقر أتـى الأعـداء بـالنقم

) الغياهب : جمع غيهب ، وهو الظلمة الشديدة . ابن منظور : المصدر نفسه. جـ ، صـ 653. (1

([2]) القرت : الدم . الزبيدي: تاج العروس . جـ3 ، صـ 106 .

([3]) العضب : السيف القاطع. ابن منظور: نفس المصدر. جـ2 ، صـ802.

([4]) غير واضحة في الأصل.

([5]) بضت : بض الشيء أي سال. ابن منطور: نفس المصدر. جـ 1 ، صـ 222.

([6]) كعوبه : الكعوب مفاصل العظام. مرتضى الزبيدي: نفس المصدر. جـ 2 ، صـ 375.

([7]) مقانبه : أقنّب الرجل إذا استخفى من سلطان أو غريم ، وهي هنا بمعنى المخابئ . ابن منظور : لسان العرب. جـ1،صـ 690.

([8]) القرم : السيد الكريم . المرتضى الزبيدي : تاج العروس. جـ17 ، صـ 562.

([9]) الأجم : أي المحصن . ابن منظور : نفس المصدر. جـ1 ، صـ26.

شكراً لـه مـن جـواد مـا امتطـى فخظـا إلا وأســـرع يقـــفوا إثـــر مـــنهزم

فصـل :

ثم توجه مولانا أيده الله تعالى، من القاعدة مشمولاً بالظفر والنصر، والغلّبة والقهر إلـى شـبان التعكـر[1] ، ثـاني يـوم مـن شـهر ربيـع الأول[2] منهـا. علـى طريـق النجـد الأحمر[3]، وذلك بعد أن أمر مولانا الباشا الوزير سنان أدام الله عليه سوابغ الإحسان، بتجهيز الباشا حسن[4] وأمير اللواء الشريف[ق13] محمود بيك[5] في جمع من الفرسان، وان ينزلا بجبل إرياب[6]، ويجتمعا بمولانا صاحب السعادة، فامتثل الجميع ذلك، ونزلوا على وفق ما أمروا به هناك. وكان مولانا صاحب السعد قد مهد طريق النجد الأحمر، وسهلها وأغلق أبواب أهل الفساد واقفلها، وكان تدبير الأمر إليه في ذلك، ولم ينازعه أحد في تلك المسالك وجميع الأمراء تحت نظره، فأقام بشبان سبعة و اربعين يوماً. وكان من مبادئ إسعاد الملك العلام لمولانا صاحب الأنعام، أن ألهمه الله تعالى إعمال التدبير من إحراق الجبخانة[7] فدبر الرأي إلى أن ظفره الله تعالى بإحراقها، وهي جبخانة على بن الإمام ، في أخر شهر ربيع الأول من ذلك العام.

([1]) شبان التعكر : منطقة تقع في منتصف الطريق بين مدينة إب و النجد الأحمر .

([2]) 5 أغسطس 1570م .

([3]) النجد الأحمر : وهو جنوب مدينة إب بمسافة يسيرة ، ويشرف على مدينة الجند، وسمي بذلك لأن تربته محمرة . إبراهيم المقحفي : معجم البلدان . جـ2، صـ 1719، الموسوعة اليمنية. جـ4 ، صـ 2949.

([4]) الباشا حسن : هو السردار الذي عينه سنان باشا على الأمراء الذين تقاعسوا عن دعم بهرام باشا لما تكاثرت عليه العربان عند نقيل سماره في منطقة النجد الأحمر. قطب الدين النهروالي: البرق اليماني . صـ 436.

([5]) محمود بيك : وهو ابن أخت مصطفى باشا قرة شاهين ، أصبح دفتردار لليمن أيام مراد باشا ، وقع في أسر المطهر وذلك سنة974هـ وحبسه مع مجموعة من الأمراء الأتراك ، وأطلق سراحه سنة977هـ من قبل الأمير محمد شمس الدين أخو المطهر وذلك حين حاصر حسن باشا حصن كوكبان، وكان الهدف من إطلاقه مع بقية الأمراء هوطلب الصلح مع العثمانيين. قطب الدين لنهروالي: نفس المصدر. صـ 123، 183، 345 .

([6]) جبل إرياب : بكسر الهمزة، جبل يطل على نقيل سماره وهو من أعالي جبال اليمن، يرتفع عن سطح البحر 3000 متر ويبعد عن مدينة يريم بحوالي 20 كم، وينسب إليه مراكز إرياب التابع لمديرية يريم. محمد الحجري: مجموع بلدان اليمن. جـ1، صـ68، إبراهيم المقحفي: نفس المرجع. جـ 1، صـ 52.

([7]) الجبخانة : كلمة عثمانية تعني مستودع السلاح. قطب الدين النهروالي : البرق اليماني. صـ76.

فصــل :

وفي السابع عشر من شهر ربيع الأخر[1] منها. توجه مولانا عظيم الشأن بمن معه من الأمراء ، وأهل البندق والفرسان، إلى حصار مأخوذ حب، فطلع بعدان نهار الخميس. وأحاطوا على الحصن من كل ناحية، بعساكر منصورة لا تبقي لهم باقية، فوافق حظه السعيد، ونصره الجديد موت علي بن الإمام في يوم السادس والعشرين من الشهر[2] المذكور في حصنه، وكتم المخذولون موته نحواً من عشرة أيام، ثم أظهروه بعد ذلك، ولم يزل مولانا أظلع الله سعوده وعساكره السلطانية المنصورة، يقاتلونهم أشد القتال، ويضربون عليهم بالمدافع حتى ذلت منهم صناديد الرجال، فأذعنوا إلى تسليم الحصن قهراً وإنقادوا لطاعته فرقاً وذعراً، فقبضه مولانا نصره الله تعالى اليوم السادس من شهر رجب من السنة المذكورة[3].وكان مدة حصاره أيده الله تعالى خمسة وسبعين يوماً، وصار الحصن المذكور ونواحيه من جملة الممالك السعيدة، والفتوحات الجديدة منتظماً في سلك المملكة السلطانية، والدولة الميمونة الخاقانية[4] أعز الله تعالى أنصارها، وضاعف اقتدارها [ق14].

وفي تلك المدة أقام مولانا صاحب الكشف والبرهان، والحكمة و الإتقان، في أيام إقامته ببعدان، القاضي الأجل الأكمل الأفخم الأنبل العالم العامل الصالح الكامل عبد الصمد بن عبد العليم المحرقي، متصدياً على انفراده، بمباشرة التوقيع الإنشائي في الديوان السلطاني[5]، وذلك لموجب اقتضى عزل الموقع الثاني[6]، فقام في ذلك أتم

([1]) 19 سبتمبر 1570م .

([2]) 29 سبتمبر 1570م .

([3]) 5 ديسمبر 1570م .

([4]) الخاقانية : الخاقان كلمة عثمانية تعني ملك أو وظيفة الملك أو الملكي. قطب الدين النهروالي: نفس المصدر. صـ 76.

([5]) الديوان السلطاني : وهو يعادل اليوم مجلس الوزراء ، وفيه ينظر في الشؤون المالية والإدارية والسياسية كما تعرض فيه الشكاوى للبت فيها . نجيب المصري : معجم الدولة العثمانية . صـ91.

([6]) الموقع الثاني: هو عفيف الدين عبد الصمد بن محمد الأحمر. المطيب الزبيدي: بلوغ المرام. صـ7.

قيام، وباشر الخدمة بعفةٍ واحتشام في رابع جمادى الأول[1] من السنة المذكورة، كون القاضي عبد الصمد المذكور حَسنَ الخط بليغ اللفظ، من قوم صلحاء، تقات أفاضل، ومعشر أدباء نجباء أماثل ، ينزل الناس منازلهم ،ويؤنس فقرائهم ويجلّ علمائهم وأفاضلهم، ومع ذلك كان أكثر كتب المراسيم في المد ة الماضية بخطه، وعليه المعوّل في عمل الديوان وضبطه.

ثم بعد ذلك أختاره مولانا أيضاً أن يكون إمامه في الصلوات الخمس على مذهب الإمام النعمان ، لكونه حَسنَ الصوت بتلاوة القرآن، حافظا للشروط الأركان، والفرض والواجب والسنة وطريق القياس، واوجه الاستحسان، فصار يباشر الوظيفتين لازماً طريق الأمانة، معتمداً في خاصه أمره على العفافة و الديانة.

ثم بعد قبض الحصن المذكور مَهّدَ مولانا نصره الله تعالى أحوال أهالي تلك البلاد، وقمع الطغاة المتمردين بها وأهل الفساد ،ورتّبَ في الحصن المذكور جماعة من خاصة جنده الحافظين لميثاقه، الوافين بعهده،وجعل عليهم درداراً[2] مُوَكّلاً بحفظ تلك الدار، ففرق عليهم جوامك [3] بالحصن المذكور، لأجل همتهم العالية، وعزمهم المشكور، وكان ذلك ثاني يوم قبضه[4]، بعد تفقد عسكره وعرضه.

وبعد ذلك في يوم الحادي والعشرين من شهر رجب[5] منها. وهو بمخيمه بحَبّ، وصلت إلى مولانا البشائر السارة والأخبار القارة معلنة بنصره، قاطعة بنفوذ نهيه

([1]) 5 اكتوبر 1570م .

([2]) الدردار: كلمة عثمانية تعني رئيس حراس القلعة. قطب الدين النهروالي : البرق اليماني. صـ 77 .

([3]) الجوامك : جمع جاميكة وهي كلمة عثمانية تعني العطايا والمرتبات ، وفي الاصطلاح تعني الجراية الشهرية وتعطى من غلة الوقف. قطب الدين النهروالي: المصدر نفسه. صـ 76، أحمد السعيد: تأصيل ما ورد تاريخ الجبرتي من الدخيل. القاهرة، دار المعارف، 1979م، صـ 59.

([4]) 7 ديسمبر 1570م .

([5]) 20 ديسمبر 1570م.

وأمره، بوصول الأمير جعفر[1] [ق15] ابن صاحب الشحر إلى بندر المخا[2] لقصد مواجهة مولانا أسعده الله.

شعـر

قـــدمت فمـــا تنثنـــي عـــن كثـــبٍ وفوّقـــت بـــالحرب ســـهم الحـــرَب
وجلـــت جهـــاراً علـــى عصـــبةٍ بخيـــل فلـــم تغنـــى تلـــك العصـــب
وأوطـــأت ســـربك أجســـامهم ودســـت إمتهانـــاً لتلـــك الســـرب
يظنـــوا المـــعاقل تنجـــيهمُ إذا أمّهـــمُ جيـــشك الـــمنتخب
وقـــد صـــارعندك مثـــل الوهـــاد صياصـــي[3] المعاقـــل ذلاَ كحـــب
وأنّـــى كبهـــرام حـــبّ عُلـــى وإن تـــاه فـــي الجـــو هـــذا عجـــب
لعمـــري لقـــد صـــار مـــن جنـــدهٍ مّليُـــك الـــردى يقتضـــي مـــا أحـــبّ
فأهـــلك جهـــراً علـــياً بـــه و أســـقاه بالقســـر كـــأس العطـــب[4]
وكـــم تـــاه فيـــه عـــلياً ولـــم يظـــن ستغشـــاه فيـــه الـــترب
ومـــن سعـــد بهـــرام أن الـــردى سمـــاِ للعُـــلى عنـــوة وأقتـــرب
فـــأحرق بالحصـــن بـــارودهم وأكـــذب نصـــراً لهـــم يحتســـب

([1]) الأمير جعفر: هو جعفر بن السلطان بدر بوطويرق بن عبدالله، تولى حكم مدينة الشحر في عهد والده، ودخل في صراعات سياسية مع أخيه عبد الله الذي أقدم على اعتقال والدهما السلطان بدر، واستمرت هذه الصراعات حتى وقّع الصلح بينهما سنة 984هـ / 1576م. محمد هاشم: الدولة الكثيرية. صـ 87، 88.

([2]) المخا : أحد الموانئ اليمنية القديمة على ساحل البحرالأحمر يبعد عن مدينة تعز 98كم إلى جهة الغرب ، ويعود تاريخ إنشاء هذه المدينة إلى ماقبل الإسلام ، فقد كانت من المدن الحميرية الرئيسية ، أزدهرت الخما خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين السادس والسابع عشر الميلاديين، حيث كانت من أشهر الموانئ العالمية لارتباطها بتجارة البن، فقد كانت الميناء الرئيسي لتصدير بن اليمن، الذي عرف باموكا نسبة إليها . وكانت خلال تلك الفترة تتم فيها المبادلات التجارية بنسبة أربعة أضعاف ما يتم في ميناء جدة . الموسوعة اليمنية . جـ 4 ، صـ 2563. 2564.

([3]) الصياصي : الحصون ، ،كل شيئ منيع . ابن منظور : لسان العرب . جـ2، صـ 501.

([4]) العطب : الهلاك. ابن منظور : نفس المصدر. جـ1، صـ610.

فدانوا لذا العز واستصغروا وذلت جهاراً جميع العرب
ولم يبق في الناس شخصاً عصي ولا نازع الأمر إلا إ نجذب [1]
لقد مُهدت بك أقطارنا فكادت تميس لفرط الطرب
أدامك ربك كهفاً لنا تشرد عنا جيوش الكرب

فصـل :

ثم في اليوم الثاني والعشرين من شهر رجب[2] الفرد منها نزل مولانا صاحب الأناةِ والاستقرار من حصن حب إلى جهة الظهار[3]، تجاه باب إب[4] المعمور. فمهد تلك البلاد، أصلح بها أحوال العباد، وقطع دابر أهل البغي والفساد، فأقام بها ثمانية عشر يوماً، وواجه بها الأمير جعفر ابن صاحب الشحر المذكور قبل ذلك، وكان وصوله سبباً لطاعة أخيه عبد الله بن بدر[5] أمير جهة الشحر[6] بعد أبيه لمولانا صاحب السعادة ، فقابله مولانا بالبشر والإكرام، والإجلال والإعظام، وأعلى منزله، ورفع قدره، ونّوه بطاعته وأظهر شكره[ق16]، وصار جعفر وأخوه المذكوران، من جملة عساكر مولانا السلطان نصره الله.

وفي أيام أقامته بالظهار، ظهر شخص من الطغاة والمفسدين العصاة المتمردين اسمه الماطري[7]، فقطع طريق السحول، وبقي الناس من خوفه في تلك الأماكن تجول، وأنضم إلية جماعه من أبناء جنسه، لقطع المار بتلك الطريق وحبسه، فندب له مولانا أسعده الله تعالى جماعه من ذوي البنادق والفرسان، والسيافة الماهرة في الضرب والطعان، فغزوه إلى مكانه ليلاً، فلم يستطع أن ينعزل عن تلك الفئة ميلاً، فهجموا عليه

([1]) إنجذب : إنقطع أو قل. مرتضى الزبيدي : تاج العروس . جـ1 ، صـ 359 .

([2]) 21 ديسمبر 1572م .

([3]) الظهار: حقل مدينة إب من جهة الغرب . محمدالحجري : مجموع بلدان اليمن. جـ4 ، صـ 568.

([4]) إب : بكسر الهمزة مدينة جنوب صنعاء بمسافة 140كم ، وهي قديمة الاختطاط ترجع إلى العهد الحميري وإب من أجمل مدن اليمن . محمد الحجري : نفس المصدر. جـ 1 ، صـ 30، إبراهيم لمقحفي: معجم البلدان . جـ 1، صـ10. 11.

([5]) عبد الله بن بدر بوطويرق بن عبدالله بن جعفر، اعتقل والده بدر سنة 976هـ / 1568م وسجنه في حصن سيئون و نادى بنفسه سلطاناً على الدولة الكثيرية. محمدهاشم: الدولة الكثيرية. صـ 86.

([6]) الشحر : إحدى أكبر مدن ساحل حضرموت، عرفت بالشحر لأن سكانها كانوا جيلاً من المهرة يسمون الشحرات. محمد الحجري: نفس المصدر. جـ 2، صـ 447 ، إبراهيم المقحفي : نفس المرجع.جـ 1، صـ852.

([7]) الماطري : لم أعثر له على ترجمة، ويبدوا أنه احد زعماء منقطة السحول .

وقتلوا عصبته، وشتتوا شمله ومزقوا فرقته، وأوثقوه وولدية الكبيرين، وجماعة من عسكره، ووصلوا بهم إلى مولانا صاحب السعادة فحبسه أياماً، ثم قتله بعد ذلك بذنبه، لقطعه تلك الطرق ونهبه.

وفي تلك الأيام أيضا ومولانا بالمخيم المذكور، وصلت الأخبار إلى مولانا بأن شخصاً يقال له المنتصر العلاف[1]، وكان من كبار المفسدين، قد جمع طائفة من البغاة القاطعين، وعقدوا جمعهم بقفر حاشد[2]، وألّبوا تلك الفرق على الشر والمكائد، فغزوا جملة من قرى تلك الجهات، ونهبوا من بها وشتتوا شملهم أقبح شتات، وقطعوا الطرق وضيقوا على المارة، ولم يقر لأحد من المسلمين بسببهم قارة، فأرسل مولانا أدام نصره طائفة من العساكر السلطانية، والرؤساء العثمانية، مقدمهم أمير اللواء الشريف فيروز بك[3]، فهجموا عليهم بالقفر، وحصل بينهم وبين المفسدين حرب أجج عليهم نيران الشر، وكان لعسكر مولانا العاقبة والنصر، فأخذوهم بيد العنوة والقهر، وقتلوا العلاف المذكور، ولم يبقوا من عسكره باقية، وصاحوا عليه بذلك، واخلوا ناديه، ووصلوا برأسه إلى ذمار[4] [ق17] بعد حلول ركاب مولانا بتلك الديار، وكان قتل هذا المفسد سبباً لتشتيت المفسدين، وتفريق جمع المعاندين .

فصل :

ثم توجه مولانا أيده الله تعالى في يوم الحادي عشر من شعبان[5] منها. سائراً من الظهار، متوجهاً إلى مدينة ذمار، فدخلها نهار الجمعة خامس عشر شعبان من السنة المذكورة.

واجتمع مولانا الباشا بهرام، بمولانا المقام العالي عظيم الشان الوزير سنان نائب مولانا السلطان، فأستبشر مولانا الوزير بقدومه، اجتمع به، وأحاط بعلومه، إذ هو قريب

([1]) المنتصر العلاف : لم أعثر له على ترجمة ، ويبدوا أنه أحد مشائخ منطقة القفر .

([2]) قفر حاشد: قرية من فرى قضاء يريم جنوب مدينة ذمار. محمد الحجري: مجموع بلدان. جـ4، صـ 781.

([3]) فيروز بك : أحد الأمراء العثمانيين تولى قيادة الجيش في حصار منطقة سماة ، ثم ولاة بهرام باشا على مدينة جبلة. المطيب الزبيدي. بلوغ المرام .ق34، ق49.

([4]) ذمار : مدينة مشهورة جنوب صنعاء بمسافة 95 كم ، يعود تاريخها إلى القرن الأول للميلاد، واشتهرت كواحدة من مراكز الأشعاع العلمي في اليمن. محمد الحجري :نفس المصدر . جـ2، صـ 341، إبراهيم المقحفي : معجم البلدان . جـ1 ، صـ 649 .

([5]) 9 ديسمبر 1570م.

العهد بالوصول من السدة العالية، وبيده أوامر وأحكام شافية مضمونها أن النيابة المطلقة السلطانية السليمية إليه باليمن المعمور، وان يباشر الأمر في ذلك الإقليم على الوجه المشكور، فعرض عليه تلك الأحكام المعظمة، فأطاع ذلك الأمر وسلمه، واعتمد على منطوقه ومفهومه، فتقلد مولانا ذلك بخصوصه وعمومه، وقرّت بولايته أعين المسلمين، وانشرح بدولته طوائف الموحدين ، واستقامت بحسن سيرته شوكة أهل السنة والدين، وسقطت بسطوته القاهرة راية المعتزلة والملحدين، فانفرد مولانا بالولاية الباشوية السلطانية اليمنية، وصار جميع العسكر المنصور تحت أمره الشريف بالتولية السليمية، فقعّد القواعد المحكمة، وأسس التأسيسات المعظمة. وأقاما نصرهما الله بذلك المحل، وتدبير أمر المملكة السلطانية، إلى مولانا الباشا بهرام بالعقد والحل، فانتشر خبر استقلاله بذلك في القرى والأمصار، ونفذت أحكامه الشريفة في تلك الجهات والأقطار،ثم سار مولانا الوزير سنان غره شهر رمضان[1] من السنة المذكورة، على طريق بندر المخا، قاصداً الأبواب السلطانية فركب البحر من البندر المذكور. قابله الله تعالى بكل خير، ودفع عنه كل ضير [ق18].

وفي هذه الأيام ظهر شخص أسمه المويه[2]، مظهراً للكيد والتمويه، وكان قبل ذلك رأس الرتبة الزيدية التي بحصن حب أيام دولة علي بن الإمام ، وهو الذي سلم الحصن إلى مولانا، وأشترط لنفسه أن يكون آغا على العسكر الذين نزلوا من الحصن بجاميكة كبيرة ، وأن يكون رتبة بجبلة[3] المعمورة. فامضوا له الأمر، وقرروه على ذلك في ذلك الثغر، وكان في الوقت منطوياً على العناد مصراً على الخيانة والفساد، ولم يزل يفسد القبائل ويكتب إلى أهل كل قرية، حتى أستمال قلوب طوائف منهم خفية،

([1]) 28 يناير 1571م .

([2]) المويه : لم عثر له على ترجمة، ومما ورد في النص فهو احد قادة الأمير علي بن الإمام شرف الدين، الذين خذلوه وتعاونوا مع العثمانيين، في إسقاط الحصن. المطيب الزبيدي: بلوغ المرام . ق 18 .

([3]) جبله : مدينة مشهورة بالجنوب الغربي من مدينة إب وبينها وبين إب حوالي أربعة أميال تقريباً . محمد الحجري : مجموع بلدان اليمن. جـ1 ، صـ 187و إبراهيم المقحفي: معجم البلدان. جـ 1، صـ 285.

فكتب إلى رأسهم مطهر، فظُفِر بكتبه من غير اطلاعه، وأظهر الله تعالى حاله، وأوقعه في مخازيه، وأظهر وباله.

فبعد ذلك خرج من جبلة قاصداً مواجهة مولانا بذمار ، وهو في غدره على الإصرار، فوصل إلى جهة يريم[1] في جمع كثير بشرٍ مُستطير، فعلم به مولانا نصره الله تعالى، فجرد له جماعة من الفرسان المبارزين، و السيافة المضاربين، وأهل البنادق الصائبين، فسار الجمع المذكور ليلاً، فالتقوا ببلاد عنس[2] قريباً من طريق الملاوي[3]، فقاتله العسكر المنصور قتالاً شديداً، ونصر الله تعالى مولانا عليهم، وأيده تأييداً، وقتل هو وجماعة من أصحابه وقطعت رؤسهم، ووصل بها إلى الديوان السلطاني بذمار، ولم يزل مولانا أيده الله تعالى منصوراً، وعدُوهُ الباغي ذليلاً مقهوراً، وهذه البشائر من سعود مولانا السلطان الأعظم الخاقان المكرم، وارِدَةُ على يد مولانا صاحب السعادة أعاد الله عليه الخيرات، وأكثر له النعم والمبرّات.

فصل:

ثم في عاشر رمضان [1]المبارك منها. إختط مولانا أسعده الله تعالى مدينة ملحظ[2] حرسها الله تعالى، وأمد أهلها من الخيرات بأوفر نصيب وحظ، ونقل ركابه السعيد [ق19] من مخيمه الأول إلى المدينة المذكورة، لازال الظفر حالاً ببقعتها المشهورة. وكان في تسمية المدينة بالاسم المذكور تفاؤل بأن يكون ملحظاً للخير والبركة والنصر، وعدد حروف الاسم بالجمّل[3] تاريخها، فكانت والله كذلك فطابق الاسم المقصود، وأجتمع في ربعها الخيرات والسعود، و رخصت بها الأسعار، وجلبت اليها البضائع من جميع الأقطار0حتى صارت محط أمن للوافدين وملجأ خيراً للقاصدين، ومريحاَ للغادين والرائحين، في تسميتها يُستنبط تاريخ اختطاطها من عدد

([1]) يريم : مدينة جنوب صنعاء في قاع الحقل بين ذمار وإب ، سميت باسم القيل يريم ذي رعين . محمد الحجري : مجموع بلدان اليمن. ج 2، صـ 779 ،إبراهيم المقحفي : معجم البلدان . ج2 ،صـ 1906.

([2]) عنس: قبيلة كبيرة لها بلاد واسعة في مغرب مدينة ذمار ومشرقها، وهي من نواحي مدينة ذمار. محمد الحجري : مجموع بلدان اليمن، ج3 ، صـ613 ،إبراهيم المقحفي : نفس المرجع. ج2 ، صـ1131 .

([3])طريق الملاوي هيطريق ما بين بلاد يريم وذمار من جهة الغرب. المطهر الجرموزي : الجوهرة المنيرة . تحقيق : أمة الملك الثور ، صـ464.

حرفها، وهي مدينة متوسطة بين صنعاء وتعز وعدن وبعدان، وزبيد والتهائم[4]،وما والاها إلى جازان، جديرة بأن تصير تحت المملكة العثمانية، ومقراً لباشا الجهات اليمانية.

وفي خامس عشر شهر رمضان[5] المذكور. جهز مولانا الجيش العظيم، والعسكر العميم، من الرّجل والفرسان السوابق، وما إليهم من أصحاب البنادق من العسكر الأروام، وعسكر تلك البلاد مغاربها والمشارق قاصداً مأخوذ حصون ريمة[6]، ودنوه[7]، وبلاد الجمعة[8]،والسلفية[9] وغيرها من الحصون، وهي مائتا حصن وعشرون حصناً، ورأس العسكر المجلس السامي[1] مصطفى آغا[2]، صحبته

([1]) 7 فبراير 1571م .

([2]) مدينة ملحظ : وهي المدينة التي أختطها بهرام باشا سنة 978هـ / 1570م لتكون عاصمة له ، والمدينة تقع شمال قرن ذمار، و جنوب مدينة ذمار بجوار السوق، أقام بها بهرام باشا لمدة خمس سنوات تقريباً، وأبتنا فيها جامعاً ، وضرب العملة المعروفة بالملحظية، وقد أقام الأمراءوالأكابر عمارات فيها وخربت فيما بعد . المطيب الزبيدي: بلوغ المرام . ق 19، عبد الصمد الموزعي: الأحسان . صـ 47، محمد الكبسي : اللطائف السنية. هـ . صـ 192.

([3]) المدينة بنيت سنة 978هـ ، وبحساب الجمّل نجد أن أسمها فعلاً يطابق تاريخ بناؤها ، لان حرف م = 40 ، وحرف ل= 30، وحرف ح = 8، وحرف ظ = 90 ومجموع هذه الحروف يساوي 978، وهو= =نفس تاريخ تأسيسها. عابد سليمان المشوخي : المخطوطات العربية مشكلات وحلول. الرياض، مكتبة الملك عبد العزيز العامة ، 2001م ، صـ50.

([4]) التهائم : هي القسم الواقع بين جبال اليمن والبحر من جهة الغرب والجنوب ، ويقال له غور اليمن . محمد الحجري : مجموع بلدان اليمن . جـ 1 ، صـ 157 .

([5]) 12 فبراير 1571م .

([6]) ريمة : بفتح الراء وسكون الياء وفتح الميم ثم الهاء، بلاد جبلية واسعة جنوب غرب صنعاء ، وتشمل جبال الجبي ، والسلفية ، الجعفرية ، كسمة، وبلاد الطعام . محمد الحجري : نفس المصدر. جـ 2، صـ377، إبراهيم المقحفي معجم البلدان . جـ1 ، صـ 723.

([7]) دنوه : حصن دنوه بكسر الدال في بني الضبيبي ببلاد ريمة. محمد الحجري : نفس المصدر. جـ2، صـ 333، إبراهيم المقحفي : نفس المرجع. جـ 1 صـ 625 .

([8]) بلاد الجمعة : وهي قرية في مديرية الجبي من أعمال ريمة. إبراهيم المقحفي: نفس المرجع. جـ1 صـ 352 .

([9]) السلفية : وهي ناحية من نواحي بلاد ريمة ، وتكثر فيها القلاع والحصون الأثرية المنيعة . محمد الحجري: نفس المصدر. جـ ا ، إبراهيم لمقحفي : نفس المرجع. جـ1، صـ804.

جمع من مشائخ الجبال، فخيم العسكر المنصور بتلك النواحي عموماً، محاصرين لأهلها سنة وشهر وسبعة عشر يوماً، وحاربوهم الحرب الشديد، وفتح الله لهم الفتح الأكيد.

وفي ثاني عشرين[3] من شهر رمضان المذكور منها واجه الشيخ صلاح[4] صاحب زبيد مولانا نصره الله تعالى، ودخل تحت أمره الكريم وملكه العظيم، وأطاع حكم مولانا وأستمع وأمتثل أوامره وعنّها ما رجع وسلّم ما تحت يده من القلاع، وأقبضهم رهينته وأشاع [ق20] الطاعة في ذلك وأذاع، فصارت قلاعه من جملة القلاع السلطانية، ودولته من سائر الدولة العثمانية .

شعر

كُسِيَ الدهرُ هيبةُ ووقارا ... وجلالا وعزة وأفتخارا

لَبس المجدُ تاجهُ فهو ملكُ ... من لُجين الجَمال صاغ خماراَ

فَبك العصرُ خير دهرٍ تقضى ... فبنوه من السرور سكارا

فاض هذا السرور في كل فجٍ ... لم يغادر من البسيطة دارا

أشرق الكون واستطار سناءً ... وغدا ليلُنا البهيم نهارا

حلت الشمس برجها فهو سعدٌ ... شاملُ من دنى و من قد توارى

لحظ الطرف ملحظ الخير دارا ... فأرتضها لنزله لا ذمار

فَعَلت في الوجود قدراً وأدرت ... بالذي شاد قبل كسرى ودارا

كل قصرٍ بها ينير أفتخارا ... أخجل البدرُ فأستجن[5] سرارا

([1]) المجلس السامي : هو لقب أستخدم في العصر الأيوبي يلقب به منهم دون الوزارء . حسن الباشا : الألقاب . صـ85 .

([2]) مصطفى آغا : أحد أمراء الجيش العثماني ، تولى الإلتزام في منطق الحجرية . المطيب الزبيدي : بلوغ المرام . ق 39.

([3]) الثاني والعشرين .

([4]) الشيخ صلاح: لم أعثر له على ترجمة، وهو من زعماء مدينة زبيد . المطيب الزبيدي: بلوغ المرام. ق 19.

([5]) أستجن: جنى الشيء ستر أو أختفى، و أستجن أي أستتر. ابن منظور: لسان العرب. جـ1، صـ 515.

مثـــل دار النعـــيم بـــالحور و الولـدان أجـرت فـي الـدنا أنهـارا
مـــا رأت لهـــا العـــين أصـــلاً بـــل ولا دونهـــا تـــداني أقتـــدارا
زادهـــا الجـــامع الكـــريم فخـــارا مُحكم الصنع لا تبارى شيارا[1]
مثـل شـمس النهـار يزهـو سـناهُ فـــي معانيـــه ذا الأنـــام حيـــارى
شـــاده صـــاحبُ الســـعادة قُـــربى لكـــــريم جـــــزاهُ عـــــدناً قـــــرارا
زاده الله رفعـــــــة وإ قتـــــــداراً وتعـــــالى جلالـــــه إن يُـــــبارى

ثم في شوال[2] منها. أمر مولانا صاحب الفضل والإنعام، أمير سنجق يحج بالناس إلى بيت الله الحرام وأسم الأمير المذكور يار علي، فسافر الأمير المذكور صحبة المحمل الشريف، في أجمل حالٍ من غير نكد ولا تعسف، وأمنت معه الناس، ولم يحصل في أيامه ضرر ولا يأس، فأمن الحجاج على أنفسهم وأموالهم حتى رجعوا من ذلك السفر إلى رحالهم .

([1]) شيارا : الشيار بمعنى الحسان. مرتضى الزبيدي : تاج العروس . جـ 7، صـ 63.

([2]) مارس 1571م .

الباب الثالث:

في ذكر ما أشتملت عليه سنة تسع وسبعين وتسعمائة [1]،من الفتوحات والصدقات وغير ذلك، وفي ثامن ذي القعدة[2] من السنة المذكورة [ق21] قُبضت حصون دونوة، وريمة و بلاد الجمعة، وما إلى ذلك عنوة وقهراً، وكان ذلك القبض على يد مصطفى آغا، وتلك الجهات لم تُملك قبل ذلك. وأخرب من تلك الحصون جملة من الأماكن، وزلزل من كان بها من كل قاطن وساكن، وابقى منها شيئاً لم يخرب، وأصغر أهل تلك الجهات كغيرهم، وعليهم الضرائب تضرب، وقبض ما بأيديهم من البنادق والسلاح، وبقي المذكورون أسرى، لا فلاح لهم ولا نجاح، وصارت تلك القلاع المذكورة من جملة الممالك السعيدة، ورتب بها صاحب السعادة عسكره المنصور، واحكم تقعيده.

وفي ذي القعدة من السنة المذكورة، ورد أمر مولانا صاحب السعادة بلغه الله تعالى مراده على القاضي شيخ الإسلام عَلَمَ الأئمة الأعلام، أعدل القضاة والحكام ، صفي الدين أحمد بن عبد الرحيم التبريزي[3]، بأن يعد نخل وادي زبيد بالحد والاهتمام ، ويخرج منها الشائر[1]، ويمحوه عن أسماء الأنام، وأن لا يسلم إلا في الصالح منه، فقام مولانا في عدده، وأخرج شائره أحسن قيام، واستعان على ذلك بجمع أمناء معتبرين أعلام، من أهل الخبرة والمعرفة في ذلك الوقت بالاحتدام، فتم ذلك على أحسن نظام في مدة يسيرة من الأيام، فأصبحت الرعايا كأنما نشطوا من عقال، لما أرتفع عنهم ذلك الظلم وزال، داعين لمولانا صاحب السعادة على□ممر الأيام والليال، وكان رفع هذه

([1]) تقابلها سنة 1571 م .

([2]) 5 أبريل 1571م .

([3]) أحمد بن عبد الرحيم التبريزي: هو ابن العلامة عبد الرحيم بن محمد التبريزي، والذي عمل في خدمة أزدمر باشا ، وكان من خواصه ، وأهدى إلى الأمير المطهر بن شرف الدين كتاب " الأسباب والعلامات " في الطب بخط مؤلفه ابن النفيس المصري ، كانت وفاته سنة 965 هـ/ 1557م ، وكان صاحب الترجمة من خواص بهرام باشا الذين أعتمد عليهم في إدارة الأمور الدينية والأعمال الخيرية ، فقد كلفه بالعديد من المهام منها ، توزيع الصدقات على أهالي زبيد ومن المناطق الأخرى ، أقامة المولد النبوي الشريف بزبيد، وأهم عمل قام به حين كلف بهرام باشا بعد نخل وادي زبيد لإزالة الظالم على الرعية ، وإصلاح جامع زبيد وغيرها من الأعمال. فكان بمثابة الوزير لبهرام، وفي عهد مراد باشا ألقي عليه القبض وأودع الدار الحمراء بصنعاءسنة984هـ/1576م. عيسى بن لطف الله : روح الروح. صـ 208، تحقيق : ابرهيم المقحفي ، يحيى بن الحسين : غاية الأماني. جـ 2، صـ 718. المطيب الزبيدي : بلوغ المرام . ق 22 ، 23 ، 24 ، 25، 31،35 ،57.

([1]) الشائر: التالف.

البلية، عدالة صدرت من مولانا بغير استدعاء ذلك من رعيته، كما هو من قاعدته، وحسن سيرته ومقاصده الحسنة في أمر الرعايا وغيرهم، أثابه الله الثواب الجزيل، بالقصد الجميل.

وفي هذه السنة أمر مولانا صاحب المقام الجليل، والمجد الأثيل، أمير اللواء الشريف احمد بيك، بأن يسيّر أمير المحمل السعيد صحبة الحاج، فسار بالناس من [ق22] غير تعنيف، ولا مشقه ولا تكليف، وكانت سيرته في سفره سيرة حسنة، وأمنت الناس في صحبته إلى أن دخل كل شخص وطنه.

الباب الرابع:

في ذكر ما اشتملت عليه سنة ثمانين وتسعمائه[1] من الفتوحات والتمهيدات.

ففي أوائل المحرم[2]منها. أرسل مولانا صاحب السعادة المعظم المكرم صاحب الفضائل والنعم، صدقة جزيلة لفقهاء زبيد، وحيس وصالحيها وفقراهما، فعمتهم تلك الصدقة بالإيساع، وأزالت عنهم ما ظهر بهم من الإقلال وذاع، فأغنت كل فقير معدم، وشملت كل عالم ومتعلم، وكانت الصدقة الواصلة إلى زبيد من الذهب الأحمر الجديد، وَرَد الأمر بصرفها على المذكورين إلى الإمام العالم العلامة صفي الدين، محب العلماء والطالبين كهف الفقراء والمساكين احمد بن عبد الرحمن التبريزي، أدام الله أيامه، لكون المذكور قد صار عيناً بتلك البلاد، وعليه المعول في تسهيل ما عسر من الأمور الشداد، فقسمها بين المذكورين بعد الضبط بالقلم، وأعطى كل شخص حصته حسب ما عيّن له مولانا و رسم هذا ما صدر من الصدقات بالمدينتين المذكورتين، و أرسل أيضا بصدقات عميمة، وأموال عظيمة إلى أهل بندر المخا وأهل عدن، وأهل مدينة تعز في السنة المذكورة فصرف على أهلها بمقتضى ما عيّن لهم .

فصل :

وفي أول محرم من سنة ثمانين وتسعمائه، ورَد الأمر من الحضرة الشريفة، والمكارم العالية المنيفة إلى القاضي العلامة احمد بن عبد الرحمن التبريزي أدام الله تعالى أيامه، بأن يكتب من القرآن العظيم مقدمة من تجزئة ثلاثين جزأ، ويجلدها أحسن تجليد، وتتخذ لها ربعة[3] خشب مضبوطة بالنحاس والحديد، ومقابلة الفاظها بالتصحيح

([1]) يقابلها سنة 1572م .

([2]) أوائل مايو 1572م .

([3]) الربعة: خشبة قصيرة يرفع بها العدل على ظهر البعير. ابن منظور : لسان العرب . جـ1،صـ1110. وهنا يقصد بها نفس الشكل الهندسي ولكنه أصغر حجماً يوضع عليها المصحف الشريف.

والتحزيب[1] [ق23] والتجديد، وان يعين عشرة أنفار درسة يقرونها[2] بالختم [3]، في صبح كل يوم جديد، وما يتبع ذلك من قراءة سورة يس وتبارك والمعوّذتين، والصلاة على النبي، ويهدون ثواب ذلك إلى حضرته الشريفة ﷺ، ثم إلى الصحابة والتابعين وجميع المسلمين، ثم يدعون بعد ذلك لمولانا السلطان الأعظم، والملك الخاقان المكرّم سليم شاه بن سليمان خان، ثم يدعون للمرحوم والد مولانا المُوقّف المذكور مصطفى باشا[1]، ثم يعقبون بالدعاء للمُوقّف وأخيه رضوان[2]، وأهاليهم و أقاربهم بإصلاح الحال، ودفع ما يعتريهم من المكاره في العاجل والمال، وتكون المقدمة المذكورة للقراءة وقفاً بمسجد الأشاعرة [3] بزبيد، والدرسة المرتبون لذلك في المسجد المذكور، وبأن يشتري له أرضاً من أراضي الوادي بزبيد، يوقفها على المقدمة المذكورة[ق24]. والقراء المذكورين، وعلى ناظر ينظر على ذلك المحل، وجعل النظر في ذلك إلى القاضي احمد المذكور، فأمتثل مولانا القاضي صفي الدين أمر ما وجه إليه، وقام بحسن الأداء فيما وجب عليه، فكتب مقدمة، فجاءت على الوصف المذكور بالكمال والتمام ، مُصَححَة محكمة بالخط الحسن أي إحكام وجاء بجميع ما يتعلق بها من تجليدها و

([1]) أي تقسيم أجزاء القرآن إلى ستون حزباً. المرتضى الزبيدي: تاج العروس. جـ 1، صـ 41.

([2]) يقرؤونها

([3]) الختم : كلمة عاميه مازالت دارجة الأستخدام في اليمن وتعني المصاحف ، ومفردها ختمه .

([1]) مصطفى باشا : عرف بقره شاهين لحذقه ونجابته في صغره ، وسمرة لونه ، وهو من قدماء مماليك السلطان سليمان تربى في سراي السلطنة وتقلب في المناصب وترقى في المراتب إلى أن صار لالا السلطان بايزيد ثم تولى نيابة غزة، وبعد ذلك والياً على اليمن سنة 963هـ/ 1556م، استمر في ولاية اليمن حتى عزل سنة 967هـ / 1560م، وغادرها إلى مكة ثم وصل إلى مصر فصادف وصوله وفاة والي مصر علي باشا ، فصار هو بكلربكياً على مصر . قطب الدين النهرواي: البرق اليماني. صـ 123، 124، 125 .

([2]) رضوان : هو ابن مصطفى باشا قرة شاهين، عرف بالفروسية والشجاعة ، تولى بكلربكية اليمن سنة 972 هـ/ 1564م وكان قبل ذلك نائب غزة ، وفي عهده قسمت اليمن إلى ولايتين وأصبح بكلربكياً لاحدهما، دخل في مشاكل مع محمود باشا ومراد باشا وعزل من منصبه سنة974هـ/ 1566م وحبس فترة من الزمن بسبب تلك المشاكل ، ثم أعيد تعيينه بسنجق غزة ، ثم بكلربيكياً على الحبشة. قطب الدين النهروالي : نفس المصدر. صـ 137، 159،173، 174، 175.

([3]) مسجد الأشاعر : وهو أحد أشهر مساجد اليمن وأقدمها ، بني بمدينة زبيد في العام الثامن للهجرة، على يد الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري . عبد الرحمن الحضرمي : زبيد مساجدها ومدارسها . صـ 54 .

إحكام بنيتها، ثم أشترى أرضا لذلك بوادي زبيد تقارب ثمانين معادا[1]، ومبلغ قيمتها نيف وعشرون مدّاً [2]، بأوفى ثمن بعد التثمين والتقويم، وسلم إلى البائعين جميع أثمانها على الوجه الصحيح الشرعي بالحظ الأوفر القويم، وهم في ذلك البيع بالاختيار من غير إكراه ولا إجبار، وعيّن للمدرّس المذكور بالمحل المذكور، جماعه من الفقهاء الأعلام والمواظبين على المباشرة لذلك على ممر الأيام، وأستمر أجراء المعلوم على المذكورين من الناظر القاضي أحمد[ق25] المذكور يسلمه إليهم بالوفاء والكمال، وصار القائمون بخدمة وظائفهم على احسن حال ، وكتب بالوقف المذكور بصيرة[1] شرعيه عليها خطوط جماعة من حكام الشريعة المطهرة أصلين أصلاً بيد مولانا صاحب السعادة، والأصل الأخر بيد القاضي احمد المذكور، أعاد الله عليه بركة ذلك، وكان ابتدأ القراءة المذكورة، يوم الثالث عشر من شعبان[2] من السنة المذكورة.

وفي شهر ربيع الأول[3] منها أمر مولانا أسعده الله تعالى بقراءة مولد النبي ﷺ، بمسجد الأشاعر بمدينة زبيد حرسها الله تعالى، على نظر القاضي العلامة صفي الدين احمد بن عبد الرحيم التبريزي، وأرسل إليه لأجل ذلك مالاً يصرفه للإكرام على ما يقتضيه الحال في ذلك المقام، لِما في ذلك من التبجيل والإعظام، إظهاراً لجاه نبيّنا عليه أفضل الصلاة والسلام، فقام القاضي المذكور في ذلك احسن قيام، و رتبهُ على أحكم نظام، جعل أولاً خمسين شخصاً من أعيان الفقهاء بزبيد، بعد أن بذل لهم البذل الحميد، يقرؤن خمس مقدمات من القرآن الكريم، ويعقبون ذلك بقراءة يس وتبارك، وبالصلاة على النبي عليه أفضل الصلاة والتسليم، ثم يتبعون ذلك بالدعاء المشهور لختم القرآن الكريم ، للشيخ أبي حربه[4]، المجرّبة تلاوته لكشف الكربة ، ثم يقرؤن

([1]) المعاد: وحدة مساحة تساوي 62مطول × 62 م عرض أي 3844م مربع. الموسوعة اليمنية :جـ4، صـ 2816 .

([2]) المد : وحدة وزن تساوي عشرين ثمن، وكل ثمن يساوي عشرة أزبد أو آصاع ، وبذلك يكون المد الزبيدي يساوي 200 صاع، ونصاب زكاة الحبوب يساوي مد ونصف المد. الموسوعة اليمنية: مؤسسة العفيف. صـ 2793.

([1]) البصيرة : هي الحجة أو الشاهد . ابن منظور : نفس المصدر. جـ1 ،صـ219 .
والبصيرة مصطلح يطلقه أهل اليمن على الوثائق الخاصة بالأرضي و العقارات.

([2]) 20 ديسمبر 1572م .

([3]) يوليو 1572م .

([4]) الشيخ ابي حربة: هو الفقيه أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن الكميت بن سود بن الكميت المعروف بأبي حربة ، سمي بذلك كونه أشار باصبعه إلى أحد الظلمة كهيئة الطعنة فقتله، له دعاء مشهور يعرف بدعاء أبي

المولد الشريف ، ويتبعون ذلك بالذكر والدعاء والحمد والثناء، وتكون ليلة عظيمة، ذات حضرة كريمة، ويحضر في تلك الليلة الأمراء الكرام، والعلماء الأعلام وقضاة الإسلام ، والخاص والعام ، ويكون الدعاء فيها لمولانا السلطان الأعظم ، ثم لمولانا الباشا المعزز المكرم .

وفي شهر المحرم[1]منها أمر مولانا أيده الله تعالىD:\منه عدالة منه القاضي صفي الدين احمد بن [ق26]عبد الرحيم التبريزي، بعدد نخل السحاري[2]وجهة وموزع وكان أكثر نخل تلك الجهات شائراً يابساً، فباشر ذلك على أحسن حال وأزال عنهم التسليمات الباطلة بسبب ذلك الشائر، فشكرته الرعايا ودعوا لمولانا نصره الله تعالى.

فصل:

وفي جمادى الأولى[3]من السنة المذكورة، قدم على مولانا نصره الله تعالى الأمير أحمد الحجري[4] بمدينة ملحظ المعمورة، وكان قد طلبه قبل ذلك مولانا الوزير سنان، وتأخر عن الوصول إليه، غير مُظهر للعصيان عليه، ولم يزل المرة بعد المرة يأمره بالوصول، فلم يتلق بباطن حاله أوامره بالقبول، إلى أن سافر الوزير المذكور، من الجهات اليمنية إلى الديار المصرية، وهو لم يصل إليه، ولم يمثل على الوقوف بين يديه، وكان حاله عدم المواجهة، مكتفياً بالمراسلة عن المشافهة، فاحسن مولانا صاحب السعادة التدبير في وصوله إليه واحكم بحسن السياسة ولطف الإحتيال حتى جاءه منقاداً لديه، بعد أن أتاه الرسول المأمور، يلزمه إلى مولانا الحضور، فدخل على مولانا بالتواضع والإحتشام، فقابله بالإجلال والإعظام، وآنسه الأنس التام، وأحسن إليه

حربة جعله لختم القرآن، وله كرامات كثيرة كانت وفاته بقرية المريخة في زبيد سنة= =724هـ/1323 أبي العباس احمد بن احمد بن عبد اللطيف الشرجي:طبقات الخواص أهل الصدق والاخلاص. بيروت، دار الماهل، 1986م صـ 274 – 276.

([1]) مايو 1572م .

([2]) السحاري : بلدة في ساحل البحر الأحمر ما بين المخا والخوخة ، وتشتهر بزراعة النخيل . محمد الحجري: مجموع بلدان . جـ2 ،صـ 301 ، إبراهيم المقحفي : معجم بلدان . جـ 1 صـ 772 .

([3]) سبتمبر 1572م .

([4]) أحمد بن عبد الوهاب الحجري أمير منطقة الحجرية ، سجنه الأمير المطهر بن شرف الدين عندما أضطربت أحوال منطقته سنة 976هـ / 1568م ، دخل فيطاعة الدولة العثمانية في عهد بهرام باشا وصار أحد أعوانها. عيسى بن لطف الله : روح الروح. صـ168، سيد سالم : الفتح العثماني .صـ464.

الأحسان العام، وأفاض عليه سوابغ الإنعام، وألآن له الكلام، وكتب له مراسيم كريمة بالإجلال والإحترام، والرعاية الوافرة الأقسام، فأقام بمدينة ملحظ شهرين، لم يعتره بها ضرر ولا شين، تحت نظر مولانا من جملة الجند المنصور، محكوماً عليه ومن معه بالخدمة في المخارج وسد الثغور، ثم نزل الأمير احمد المذكور من المدينة المذكورة ثاني يوم من شهر رجب[1] الحرام ناشراً الرايات والأعلام، صحبتة جماعه من ابطال الأروام، ومعهم أمير سنجق ضرغام، فخيم بجهات الحجرية، ثم قبضوا بسعد مولانا تلك البلاد، وحصل غاية القصد والمراد، [قـ 27] وأذعن جميع أهلها بالطاعة والإنقياد، وكان ذلك من سعوده أسعده الله تعالى أي إسعاد، فتصرف بها الأمير احمد المذكور عاماً ونصف عام، بحكم التولية والإلتزام، فلما لم يسلم المال المشروط بالكمال والتمام، عزله مولانا عن ذلك وطلبه إلى الديوان السعيد، وأفتقد حسابه بعد التوبيخ والتشديد، فظهر عليه جملة من المال، وهو السبب الموجب لعزله عن تلك الحال، فأمر مولانا أيده الله تعالى بحبسه، فعقل بقلعة ذمار كما عقل غيره من أبناء جنسه، وكان هذا هو الرأي التام، الوارد على احسن نظام .

(1) 9 نوفمبر 1572 م .

فصـل :

ثم في ثالث جمادى الأولى من السنة المذكورة، أمر مولانا أعزه الله تعالى بالتجهيز على طائفة تدعى بني مطر[1]، فمكنه الله تعالى منهم ونصر وقبض قلاعهم وكانت أربع قلاع، وكان من خبرهم أنّ جمعهم لمّا انتشر وطغى في البلاد، وافسد في ذلك القطر أشد الفساد، جهز عليهم مولانا صاحب السعادة جمعاً شتت شملهم، وأفسد عليهم ما حكموه بالرجّالة والفرسان، والبنادق المحرقة بالنيران ، فأعانه الله تعالى عليهم ونصره، بحُسن تدبيره المعتبر، وذبحوا كل قزم منهم ذبح البقر، وأسر من كان قد هرب قبل ذلك ونفر، وأوثق خمسة من أشياخهم وأسر، فسلخت جلودهم وحشيت بالتبن والحشر[2]، وجعل المذكورين عبره لمن اعتبر، و أركبوا تلك السلوخ المحشية ظهور الحمُر، وصيح عليهم بمدينة ملحظ يا من قد رأى وحضر، هذا جزاء من عصى مولانا السلطان وضر. أيد الله مولانا بالنصر والتمكين، وفتح له الفتح المبين، وكان فتح البلاد المذكور من خصوصيات مولانا صاحب السعادة .

فصـل :

وفي شهر شعبان[3]من السنة المذكورة، خرج الخائن العواضي[4] صاحب حصن يفوز[5] عن الطاعة السلطانية، والدولة العادلة العثمانية [ق28]، فجهز مولانا نصره الله تعالى عليه جنداً من صميم العسكر الباذلين نفوسهم لجلب الخير ودفع الشر، مقدمهم أمير اللواء الشريف فيروز بك، فقام مولانا أسعده الله تعالى على قدم الجد والإنتهاض، واركض له الفرسان في ذلك أي إركاض، وكل منهم يرى الطعان من أحسن الأغراض، و أعدوا له من العدد والسلاح ما لا يحصيه أحد من الناس، ولا يدخل تحت حفظ نظر ناظر ولا صاحب قياس، فأحاط العسكر المنصور بالحصن المذكور يضربون عليهم بالبنادق والمدافع، ولم يمنعهم عن العمل في ذلك مانع ، فأحرقوهم بالنيران، وشتتوا جمعهم حتى لم يستقر أحد ممن كان في الحصن بمكان، فعزم من

([1]) بني مطر: قبيلة مشهورة غربي صنعاء، كانت تعرف ببلاد البستان. إبراهيم المقحفي. معجم البلدان. جـ2، صـ1556.

([2]) الحشر: هي القشرة التي تلي الحبة " حبة الشعير أو القمح ". ابن منظور: لسان العرب. جـ1، صـ 642.

([3]) ديسمبر 1572م .

([4]) العواضي: هو صاحب حصن يفوز لم أعثر له على ترجمه .

([5]) يفوز: حصن بمنطقة عراس جنوب مدينة يريم. إبراهيم المقحفي: نفس المرجع . جـ 2، صـ1445.

بالحصن المذكور على رفضه، وأصبح المخذول في ذله ودحضه، ففر هارباً من يفوز في الفيافي والقفار، وكان من اعظم الغنائم له الفرار، ولم يلتفت إلى من كان تحت نظره من مُخَدَّرات النساء والأولاد الصغار، وعزم أهل الحصن على تسليم الحصن بالكرهِ لا بالرضى، وسلموا يفوز وما به من العدد، والسلاح بحكم القضاء، فصارت تلك البلاد من ممالك مولانا السلطان الأعظم والخاقان المكرم، بحسن تدبير مولانا صاحب الرأي السديد، والأسلوب الحميد، وكان فتح الحصن المذكور مع جهاته ، من خصوصيات مولانا صاحب السعادة نصره الله تعالى.

فصـل :

وفي شهر شعبان[1]من السنة المذكورة، عَمرَ مولانا وفقه الله تعالى جامعاً بمدينة ملحظ وأكده، وأحكم عمارته وشيده، ووقفهُ ورتب فيه إماماً ومؤذناً ومقيماً وخطيباً. وأقام به جمعة في غرة شهر رمضان منها، فكان من المشاعر المحضورة[2]، وأماكن الفضل المشهورة، ومحلاً لإجابة الدعوات، ومهبط لأهل الصلاح والخيرات، يقصده الجمّ الكثير من العباد المصلين والصلحاء [ق29] الراكعين الساجدين، وهو من المساجد التي أسست على الطريقة السنية ، والسنة المحمدية، وأرغم بذلك أنوف طوائف الزيدية، فصار مولانا ضاعف الله ثوابه داخلاً في عموم أصحاب هذه النعمة، المَعنى بها في الحديث الصحيح الوارد عن سيد الأمّة "من بنا مسجداً ولو كمفحص قطاة بنا الله له بيتاً في الجنة"[3]، فالحمدلله على جزيل إنعامه، وعظيم فضله وإكرامه.

([1]) ديسمبر 1572م .

([2]) المحضورة التي يحضرها الناس ، ولا يقصد بها الممنوعة .

([3]) عن عائشه رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : من بنى مسجداً ولو قدر مفحص قطاة ، بنى الله له بيتاً في الجنة، قالت : يا رسول الله وهذه المساجد التي فيطريق مكة ، قال : وهذه المساجد التي في طريق مكة ". الهندي : كنز العمال. جـ 8، حديث رقم 23077. أحمد بن حنبل : المسند. جـ 1، صـ 241.
القطاة نوع من الطيور، والفحص المكان الذي تفرخ فيه القطاة من الأرض، وهنا ضرب مثل مكان بناء المسجد بمفحص القطاة بقصد أظهار أنه مهما كان المسجد صغيراً فأن الأجر كبير. ابن منظور: لسان العرب . جـ 3،صـ 124، جـ 2 ، 1057.

فصل :

ثم جهز مولانا أيده الله تعالى في خامس شوال[1] منها. على جبال برع [2] الممتنعة ، و معاقله المرتفعة ، جماعه من أصحاب البنادق والفرسان ، فجاءتهم من كل مكان وأحاطوا بقلاعِهم ، فأخذوهم قهراً وعنوة وشردوهم عن ديارهم ، وقبض الجند المنصور القلاع المذكورة في ثالث شهر ربيع الأول من سنة إحدى وثمانين وتسعمائة[3]، وكان ذلك بعد أن مكث العسكر المنصور ملازمين للحرب والنزال، مدة أربعة أشهر وثمانية وعشرين يوماً ، على ما ورد في صحيح المقال، فصارت تلك القلاع من ممالك مولانا صاحب السدة العالية ، بتدبير مولانا ذي الهمة الكافية .

وفي هذه السنة جهز مولانا أسعده الله تعالى على قلاع المخلاف الجعفري[4] بلاد الشيخ عز الدين الحميدي والشيخ عبد العزيز [5] صاحب الجبلين[6] والشيخ دهشل، وقلعة ريمة المخلاف، وما إلى ذلك، فقبضها مولانا بطالع سعوده، وسعد مولانا السلطان وجنوده نصره الله تعالى فهدم بعض تلك الحصون فصار قفراً، وأبقى بعضها مسكناً للجنود وذخراً، فصارت تلك البلاد من جملة الممالك السعيدة، المشمولة بالآراء الحميدة أسعد الله أيامها ونفذ أحكامها، وهذه القلاع لم تقبض فيما مضى من الأزمان ولم يك لأحد قبل ذلك عليها سلطان من دولة آل عثمان، وقبضها مما أنفرد به مولانا عظيم الشأن.

ومن السعادة [ق 30] لمولانا والحظ الأوفر، إقبال الأيام له بمساعدة القدر، أن قدّر الله تعالى في هذا العام الأزهر، موت الملحد ملك الفرقة الزيدية مطهر، وصح ذلك الخبر وأنتشر، وأتضح وظهر، فسر مولانا لذلك وأستبشر، وحمد الله تعالى جمع أهل السنة وشكر، وإنخذل كل زيدي من ذلك المصرع وإقتهر، وفتح الله تعالى على مولانا ونصر، فالحمد لله على نيل المقصود، وحصول الظفر.

([1]) 9فبراير 1572م .

([2]) جبال برع : بضم الباء وفتح الراء ثم عيناَ ، جبال تشرف على تهامة من الجهة الغربية من صنعاء أرتفاعها حوالي 2400 م، وبرع مديرية من أعمال محافظة الحديدة. محمد الحجري: مجموع بلدان. جـ 1 ،صـ115. إبراهيم المقحفي: معجم بلدان. جـ 1، صـ156 ، 157.

([3]) 15 يوليو 1572م .

([4]) المخلاف الجعفري: سبقت الإشارة إليه في تعريف المخلاف.

([5]) الشيخ عبدالعزيز: لم أعثر له على ترجمة. وهو كما ذكر صاحب المخطوطة شيخ منطقة الجبلين .

([6]) الجبلين: مركز إداري في مديرية العدين من أعمال محاقظة إب. إبراهيم المقحفي: معجم بلدان. جـ1، صـ286.

وفيها أيضا جعل مولانا صاحب السعادة العظمى، المركز الأعز الأسمى، أمير الحج مع المحمل الشريف السلطاني محمد أغا[1]، وأسند إلية الأمر في ذلك وفوضه، ورغبه في ذلك ونهضه، فقام في أداء ما فرض عليه، وحج بالناس فنالوا المقصود بين يديه.

وفي هذه السنة كسا المحمل الشريف كسوة جديدة، منسوجة بأنواع من الإبريسم[2] والذهب عديدة، فألبس المحمل السعيد ذلك الكساء الجديد، وفي السنة المذكورة طلع أمير الحج المذكور محمد أغا بالمحمل الشريف، بعد عودة [عودته] من الحج، وكان طلوعه من مدينة زبيد إلى مدينة ملحظ بأمر مولانا أيده الله فلم يزل الأغا محمد المذكور، يسير بالمحمل السعيد في السهل والوعر، يدبّر السفر بهِ في ذلك بألطف أمر، وصحبته الرتبة المعنية من أعيان العسكر، سائرين بسنجق ورايات تخفق، وسيوف وبنادق بتلك الطرق ترعد وتبرق، فدخل المحمل الشريف مدينة ملحظ، وكل أحد متعجب منه، والية بنظره يلحظ. [3]

وفي شهر ذي القعدة[4] منها، خرج مولانا أيده الله تعالى من مدينة ملحظ قاصداً جهة رداع العرش[5] ليحيط علمه الشريف بأحوالها، مع التفقد أحوال الرعايا والمستوطنين بها، فوصل إليها وواجهه جميع أهلها، مستأنسين مستبشرين بقدومه سامعين مطيعين لأوامره الناطقة بالعدل ورسومه ولثياب [ق31] الذلة والامتثال لابسين، ولمولانا صاحب السعادة خاضعين، فأقام بها نحواً من عشرة أيام، ورجع بعد ذلك إلى تخته[6] السعيد، مع الإعزاز والإكرام من الملك العلام، أدام الله عليه مديد الأنعام.

([1]) محمد آغا : أمير عثماني أعتمد عليه بهرام باشا في تسيير قوافل الحج سنة 980 . 981هـ /1572م . 1573 م. المطيب الزبيدي : بلوغ المرام . ق 34،30.

([2]) الابريسيم : كلمة فارسية وأصلها إبريشيم وتعني الحرير. محمد التوينجي: المعجم الذهبي فارسي . عربي. بيروت ، دار القلم للملايين،ط أولى ، 1969 م ، صـ 56.

([3]) النص مضطرب في الأصل.

([4]) مارس 1572م .

([5]) رداع العرش : مدينة شرقي ذمار بمسافة 53كم ، وهي من المدن التاريخية من أشهر معالمها قلعة رداع التي يعود تاريخها إلى عهد الملك شمر يهرعش ، ومسجد العامرية الذي بناه السلطان عامر بن عبد الوهاب الطاهري سنة 894هـ/ 1488م. إبراهيم المقحفي : معجم بلدان . جـ1 صـ 682.

([6]) التخت : كلمة فارسية تعني كرسي أو المنبر أو سرير السلطنة. محمد التوينجي : المعجم الذهبي. صـ 183.

الباب الخامس:

في ذكر ما اشتملت عليه سنة إحدى وثمانين وتسعمائة[1]،من الفتوحات والتمهيدات والصدقات. ففي شهر المحرم[2] منها أرسل مولانا صاحب السعادة أدام الله تعالى عليه الخيرات وزاده مالاً جزيلاً يصرف في إصلاح ما تشعّث من عمارة الجامع الكبير بمدينة زبيد، إلى القاضي العلامة صفي الدين احمد بن عبد الرحمن التبريزي، ليصرفه في ذلك على الحكم المذكور من إصلاح البنيان ، وتعويض ما أختل فيه من البناء والخشبان، فأمتثل ذلك الأمر الشريف، وقام في ذلك أحسن قيام، رغبة في الثواب الجزيل ومن غير تعنيف وهيأ له العمال من المعَالمةِ البناة، والنجارين وقطاع الأخشاب المهرة والحدادين، فشرع كل شخص منهم فيما هو بصدده، وأمضى عمله بالهمة والجهد بأحسن آلاته وعدده، ومضى على أثرهم عملة الجص الأكيد، فأصلحوا ما تشعث من ذلك الإصلاح الشديد، ثم شرع في عمالة فرش الجامع المذكور، فكُسي أحسن كسا وصار ما عّري منه مستور، فتمت تلك العَمرة بحمد الله تعالى على أحسن نظام، وأتم أحكام في ثاني عشر جمادي الأولى[1]من السنة المذكورة، فدعا لمولانا أسعده الله تعالى جميع الأنام، وشكروه على ما أسبل على جامع زبيد من الفضل والأنعام، وهذه الصدقة مما تفردت بها أيادي مولانا الكريمة صاحب الفواضل العميمة، والصلات العظيمة .

فصـل :

وفي شهر المحرم منها أرسل مولانا صدقه جزيلة ، ومواهب جميلة إلى القاضي العلامة صفي الدين احمد بن عبد الرحيم [ق32] التبريزي، يصرف ذلك على جاري العادة، وزاد على ما أرسله في العام الماضي احسن زيادة، فصرفها القاضي المذكور على العلماء والطالبين، والفقراء والمساكين ومشائخ الصوفية الصالحين بمدينة زبيد وحيس، وأرسل بصدقات أيضا إلى أهل البلدان، كعدن وتعز والمخا وغيرهما، فانتفع

([1]) تقابلها سنة 1573م .

([2]) مايو 1573م .

([1]) 11 سبتمبر 1573م.

بها فقراء أهل تلك الأمصار، وكان الكساء تزيد أثمانه في تلك الديار، بسبب انتشار تلك الصدقات على المستحقين من أهل الإعسار أثابه الله تعالى على ذلك الثواب الجزيل بالقصد الجميل، وبعد أن تمت عمرة الجامع المذكور في التاريخ المذكور، أمر مولانا أيده الله تعالى بقراءة مولد شريف يقرأ في الجامع المذكور، ليلة الثاني عشر من شهر ربيع الأول منها، ويكون ذلك الحكم مرتباً على الترتيب المذكور في السنة التي قبلها، وكان ذلك على يد القاضي العلامة صفي الدين احمد ابن عبد الرحيم التبريزي ، فأصرف في ذلك المال الجزيل، لشراء شيء من المشموم[1]، والمأكول الحلو لجميع الحاضرين، من السادة الأمراء والعلماء، والقضاة والصالحين، وكانت ليلة عظيمة القدر، ملحوظة بالقبول لِما تحصل فيها من الدعاء والذكر، وهذه القربة مما تفرد بها مولانا أسعده الله تعالى .

وفي الشهر المذكور منها، أرسل مولانا أثابه الله تعالى جملة من المال إلى القاضي احمد المذكور ، يصرفه صدقة على الأشراف خاصة بمدينة زبيد، فاصرف ذلك القاضي المذكور على حكم ما قعّد له من المقصد الحميد .

فصل :

وفي ثاني صفر[1] منها، جهز مولانا نصره الله تعالى على جهة حفاش[2] وملحان[3]، وعلى ما في تلك الجهات من الحصون والقلاع، وكان مبلغ عدد تلك القلاع مائة وأربعاً وعشرين بلا نزاع، فخرج عليها جمعاً من العساكر المنصورة وأهل

([1]) المشموم : يقصد بها الروائح.

([1]) 4 يوليو 1573م .

([2]) حفاش : جبل من أشهر جبال اليمن به قرى وحصون ، وهو من أعمال محافظة المحويت ويشرف على منطقة تهامة . محمد الحجري : مجموع بلدان . جـ2 ،صـ 278.

([3]) مِلحاَن: سلسة جبلية غربي المحويت تشتهر بصعوبتها ووعورتها، وهي من مديريات محافظة المحويت وتشرف على تهامة. محمد الحجري : نفس المصدر . جـ2 ، صـ718 ، إبراهيم المقحفي : معجم بلدان . جـ2، صـ1635.

البنادق، فحاربوهم الحرب الشديد، وخربوا [ق33] عليهم التخريب، وكانت وقعة مشهورة، فقبض العسكر المنصور جهات حفاش وملحان، وشتتوا أهلها في كل ناحية ومكان، عنوه بالقدرة والإمكان، وإنقاذ أهلها بعد ذلك، وسلموا رهائن من جميع أهل تلك البلدان، فصارت تلك الأماكن من جملة ممالك مولانا السلطان، بهمة مولانا صاحب السعادة والبرهان، ومن أعجب ما أتفق في ذلك الأوان لمولانا عظيم الشأن، أن كان قبض تلك القلاع وجبال برع في يوم واحد من ذلك الزمان، وهذا من غريب الإتفاق، مما سعد به مولانا على الإطلاق.

وفي شهر جمادي الأولى من السنة المذكورة، واجه الشريف الأجل جمال الدين محمد بن الناصر[1] صاحب الجوف[1] مولانا صاحب السعادة نصره الله تعالى، فحصل بمواجهته الأنس العظيم، والنصر العميم، كون المذكور من أعيان رؤساء تلك البلاد، وصاحب البسطة والعظمة والإمداد، فكان في مواجهته كسر شوكة المفسدين، وذل على الطغاة الملحدين، وسلم ولديه وأخاه رهينتين للسلطنة الشريفة أعز الله أنصارها، وضاعف اقتدارها وجعلا على الإحلال والإكرام بقصر صنعاء، وهذا من نصر مولانا أيده الله تعالى وفتح له الفتح المبين، وأعاد نفعه على جميع المسلمين .

([1]) محمد بن الناصر: هوجمال الدين محمد بن الناصر أحمد بن الحسين، من أشراف الجوف دخل في صراعات ومنافسات مع أمراء آل شرف الدين خاصة الأمير محمد بن شمس الدين ، صار من أنصار الدولة العثمانية في عهد بهرام باشا، وولاه سنجق رداع، دخل في طاعة الإمام الحسن بن المؤيدي، وتولى حكم صعده، وتظاهر ببقاء ولائه للعثمانيين، وظل يحكم صعده باسم الدولة العثمانية، اصطدم بالعثمانيين حين شرع في محاولة الاستقلال بحكم المناطق الشمالية ، القي القبض عليه في عهد الوالي حسن باشا ، وأودع سجن الحمراء في صنعاء وبقي فيه حتى وفاته 990هـ / 1582م . عيسى بن لطف الله : روح الروح . صـ 202،211، 214 ، سيد سالم : الفتح العثماني. صـ340 ، 341 .

([1]) الجوف : منطقة شمال شرق صنعاء بمسافة 145كم عاى أطراف الربع الخالي، على الحدود الشمالية الغربية لمحافظة مارب. محمد الحجري : مجموع بلدان . جـ2 صـ195، إبراهيم المقحفي: معجم البلدان . جـ1، صـ 373.

فصل :

وفي أثناء السنة المذكور، أرسل الأمير عبد الرحمن بن المطهر[1] إلى مولانا بعد أن سمع و أطاع، ولم يخالف بنكث قول ونزاع، رهينته شخصاً من أولاد عمه، القائلين بقوله من أهل نجدته وعزمه، وصار الرهين المذكور مقيماً بذمار، تحت نظر مولانا المشمول بنظر العزيز القهار، وفيها أيضا واجه الشيخ احمد بن حسين القايفي[2] مسمعاً ومطعياً، فاصطلح بمواجهته أحوال أهل تلك البلاد جميعاً، وكانت مواجهته على يد رسول مولانا الشريف احمد الناصر[1] المذكور بقلب [ق 34] خائف، فأمنه مولانا وأوقفه أحسن المواقف، وقرره مع أصحابه على بلده كون المذكورين قد صاروا من جنده، وتحت يده، فصلحت بذلك تلك البلاد، وقمع من بها من أهل الفساد، وصارت من ممالك مولانا السلطان المظفر بسعد مولانا ذي الحظ الأوفر.

([1]) عبد الرحمن بن المطهر بن الإمام شرف الدين ، أقطعه والده بلاد حجة، فسكن مبين، تصالح مع العثمانيين، حكم سنجق حجة باسم الدولة العثمانية ، قتل في منتزه الحوضين وكان قاتله ابنه عبد الرحيم992هـ / 1584م، وزعم أن قاتله احد عبيده فقتل به كانت وفاته. عيسى بن لطف الله : نفس المصدر. صـ 219، إسماعيل الأكوع: هجر العلم . جـ4 ، صـ 1937.

([2]) أحمد حسين القائفي : شيخ قبيلة قائفة . قطب الدين النهروالي : البرق اليماني . صـ 179.
وقائفة او قيفة هي فرع من قبيلة مراد وتسكن شرق بلاد رداع . إبراهيم المقحفي: معجم البلدان . جـ2، صـ1311.

([1]) هو الأمير الناصر أحمد بن الحسين ، صاحب الجوف ، دخل في حرب مع الإمام شرف الدين للسيطرة على صعدة ، ثم دخل فيطاعة الإمام شرف الدين ، وبعد ذلك أنضم للعثمانيين في حربهم مع أولاد الإمام ، توسط في الصلح بين المطهر وازدمر باشا سنة 959هـ / 1552م ، توفي في حصن الزاهر بالجوف سنة 971هـ / 1563م. عيسى بن لطف الله : : روح الروح. صـ 83 ، 88 110 ، 130 ، 148 ، 160 ، محمد بن علي الزحيف : مآثر الأبرار في تفاصيل مجملات جواهر الأخبار . صنعاء، مؤسسة الإمام زيد ، 2003م ، جـ3 ،صـ 1420 ، 1421.

فصـل :

وفي هذه السنة جهز مولانا نصره الله تعالى على الجهة المسماة بالخلقة [1]، ولم تأخذه عليهم لجنايتهم عليه شفقة، فجهز عليهم الجيش القادم، ومَسكَ شيخهم المسمى بمزاحم [2]، وصار تحت الحفظ الأكيد، والحبس الشديد، وصارت ديارهم من جملة الممالك السلطانية، وأهلها من جملة الدولة العثمانية أعزها الله تعالى.

وفي هذه السنة نزل بالمحمل السعيد، بأمر مولانا من مدينة ملحظ الى مدينة زبيد محمد آغا أمير الحج لقصد السفر به، فوصل به إلى المدينة المذكورة، وقرر على إمارة الحج فيها، فصار في تلك السنة على جاري عادته القديمة، وكان الأمير المذكور حسن السيرة، صافي السريرة، وكان مع جميع الأنام مشكوراً، وبلطيف التدبير في ذلك خبيراً، يدني إلى مجلسة جميع الفقراء، ويبذر لهم ما يسد جوعهم بما يحسن من القرا[3]، ولاشك في ذلك ولا مراء، وأمنت السفارة بصحبته على أموالهم، ولم يخافوا ما يحذرنه من تشتيت أحوالهم، فأمن الناس به في ذلك السفر حتى وصلوا إلى أوطانهم ، وكانوا في سفرهم وكأنهم مقيمون بمكانهم .

فصـل :

وفي شهر رجب[1]منها جهز مولانا أمير الأمراء جيشاَ من العسكر المنصور، لأخذ حصن سماه [2] المحصور، وصحبته جماعة من أعيان الأمراء الكرام، رأسهم الأمير الكبير فيروز صاحب الفضل والإنعام، وصَحبه العسكر المنصور من المدافع والبنادق

([1]) الحلقة : قرية في مديرية النادرة محافظة إب. إبراهيم المقحفي: معجم البلدان . جـ1، صـ578.

([2]) مزاحم : لم أعثر له على ترجمة ويبدوا من النص أنه شيخ قبيلة بلاد الحلقة .

([3]) القرا : إطعام الضيف والاحسان إليه . ابن منظور : لسان العرب . جـ 3 ، صـ80 .

([1]) أكتوبر 1573م .

([2]) سماه: مخلاف مشهور من ناحية عتمة ينسب إليه آل السماوي. محمد الحجري: مجموع بلدان. جـ3 ، صـ431 ، إبراهيم المقحفي:معجم بلدان. جـ1 ، صـ 810.

ما لا يحصى عددا، ولا يقطع مدا، فحلّقوا على الحصن حلقة مانعة كافية، يضربون عليهم بالمدافع والبنادق حتى لم يبق منهم باقية، فهدمت [ق 35] بيوتهم وأحرقت قصورهم، فبقوا في ذلك الحصن بالذل مقهورين، وحكمهم في ذلك الحصن حكم المأسورين، لسبب أوجب ذلك حتى ضيق عليهم تلك المسالك.

الباب السادس:

في ذكر ما اشتملت عليه سنة أثنتين وثمانيين وتسعمائة [1]، من الفتوحات المختصات به وغيرها .

ففي مستهل المحرم[2] منها أرسل مولانا أثابه الله تعالى صدقة جزيلة، وحسنة جميلة من الذهب الأحمر، إلى القاضي العلامة صفي الدين أحمد بن عبد الرحيم التبريزي أمتع الله بحياته تُصرف على جاري العادة، حكم ما في الدفتر المذكور من ضبط الأشخاص المصروفة إليهم بأعيانهم، من العلماء والصلحاء والفقراء والمساكين، وخُدّام ترب السادة الصالحين، وزاد جملة من المال خارجاً عن من عيّن في الدفتر، يصرفه القاضي على عامة الفقراء بمدينة زبيد وحيس، كل ذلك على نظر القاضي أحمد المذكور، فباشر المذكور الأمر على حكم ما ذكر له أتم مباشرة، ومضى في ذلك العمل من أوله حتى بلغ أخره.

وفي شهر ربيع الأول[3] من هذه السنة، أرسل مولانا مالاً إلى القاضي أحمد المذكور بسبب الصدقة على خاصة الأشراف، فصرفه المذكور على المُعَيّن لهم على أكمل حال، وأوسع بال.

وفي الشهر المذكور أمر مولانا بقراءة مولد شريف في جامع زبيد، وأرسل مالاَ يصرف في ذلك إلى القاضي العلامة أحمد بن عبد الرحيم التبريزي، وكان حكم الأمر في ذلك من التقعيد، و الترتيب على نمط ما تقدم من المواليد.

وفي خامس ربيع الأول منها، وصل ابن العماري[4] إلى مولانا صاحب السعادة مسمعاً مطيعاً متوديا[5]، والمذكور من أعيان مشائخ صعدة[6]، وكان وصوله على يد الأمير محمد بن الناصر في أربعة من الفرسان، و جماعة من أصحابه الأعيان، فحصل لهُ من مولانا نصره الله تعالى الإكرام التام، والإنعام العام .

([1]) تقابلها سنة 1574م

([2]) إبريل 1574م

([3]) يونيو 1574م

([4]) ابن العماري : لم أعثر له على ترجمة، وهو كما ذكر المؤرخ المطيب من مشائخ مدينة صعدة .

([5]) متوددا

([6]) صعدة : مدينة تاريخية مشهورة شمال صنعاء ، وعرفت بهذا الأسم منذو الف سنة. إبراهيم المقحفي: معجم البلدان . جـ1 ،صـ 907.

فصـــــل :

وفي شهر ربيع الأخر منها، بعد أن [ق 36] حصل على الشيخ احمد النواري[1] صاحب حصن سماه غاية الضيق والشدة، من الحرب في تلك المدة، أجاب بالسمع والطاعة، وبرز على قدم الاستطاعة، وأرسل إلى الأمراء بالمخيم المنصور، وهم أحمد بك، وعلي بك، وداوود آغا الأنجشارية[2]، والشيخ دهاس[3] شيخ جهة آنس[4] ليصلوا إليه وهو بحصنه، ليأخذ منهم العهد والميثاق من مولانا لأمنه ، فوصلوا إليه إجابة لندائه، واستفهاماً لما أظهره من دعائه، فعرض عليهم حاله وطلب من مولانا أن يُؤمنهُ ويؤمن رجاله ونسائه وأطفاله، و أن يأخذوا له من مولانا صاحب السعادة أكيد العهد، ويسلم إليهم الحصن بما فيه، ويبلغ حضرة مولانا صاحب الظفر والسعد.

وكان ذلك في اليوم السادس من شهر ربيع الأخر[5] منها، فكتبوا إلى مولانا بمضمون ما ذكره منشوراً، وكان أمر الله بذلك قدراً مقدوراً، وأرسل صحبة الكتاب بثلاثة نقباء من أعيان حضرته ، القائمين معه في نصرته ، فوصلوا إلى مولانا يوم الحادي عشر من الشهر المذكور، فعرضوا على صاحب السعادة ما كتبه من المنشور، فأجابه مولانا نصره الله تعالى إلى جميع ما ذكر ووعده اِن وفى بذلك أن يشمله بأحسن نظر، فلما أن وصله الجواب بادر إلى القدوم إليه من غير تردد ولا إرتياب، فنزل صبح يوم الاثنين خامس عشر الشهر المذكور[6] الى مولانا أمير اللواء الشريف فيروز بك فقابله

([1]) أحمد النواري : شيخ منطقة سماه. عيسى بن لطف الله : روح الروح . صـ 192، المطيب الزبيدي : بلوغ المرام . ق36.

([2]) الأنجشارية : وهي فرق عسكرية تكونت من أبناء رعايا الدولة الذين تم جمعهم وأعمارهم ما بين السادسة والخامسة عشر، من مختلف الولايات العثمانية ، كان لهم عدا الحروب وظائف اخرى مثل حراسة الديوان الهمايوني، والمحافظ على الأمن في استانبول. سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية . الرياض، مكتبة الملك فهد ، 2000م، صـ40 ، أحمد سليمان : تأصيل ما ورد . صـ 31 .

([3]) الشيخ دهاس : لم أعثر له على ترجمة ، وهو كما ذكر المطيب شيخ منطقة أنس .

([4]) آنس : منطقة واسعة في الشمال الغربي من مدينة ذمار. إبراهيم المقحفي: معجم بلدان. جـ 1، صـ 9.

([5]) 27 يوليو 1574م

([6]) 6 يوليو 1574م

بالإجـلال والإكـرام، وأنسـه الأنـس التـام، وكسـاهُ وأصـحابه وأنعـم علـيهم غايـة الأنعـام، وأضافهم تلك الساعة، لما صدقوا فيما أظهروه من حسن الطاعة.

وسار المذكور في ذلك اليوم صحبة أمير اللواء الشريف علي بك إلى مدينة ملحظ فدخلها يوم الثلاثاء، وواجه مولانا صاحب السعادة في يومه ذلك، فقابله بالأمن والأمان، ولم يحصل عليه نكد ولا تغيير شان، وسلم القلعة مع ما فيها من العُدد في ديوان مولانا السلطان [ق 37] وكساه وولده وأصحابه، وأحسن إليهم غاية الإحسان، وبقي تحت نظر مولانا مقيماً بذمار، وصارت تلك البلاد وما إليها من جملة الممالك السعيدة السلطانية والدولة السليمية العثمانية، وهذا الفتح المذكور من خصوصيات مولانا صاحب الإحسان ، لأنه لم يقبضه أحد من ملوك العرب ولا من باشوات مولانا السلطان .

شعـر

أخجلت كل مهنـدِ وحسـامِ بلـواحظ دُعج ولدن قوام

وبـرزت في حلبات سبقك مفرداً لاتتثني عن مقصد لملامِ

في السلم تهزئ بالمها متغزلاَ ومحارباَ بالأجَّية[1] الضرغام

تحت النجاد عقدت منطقة لها فينا [.....] [2] شدّة القمقام

من فوق سابحة[3] كصقر أجفلت[4] في كرها قدم إلى الإقدام

وفعلت فينا لا تعارض مثل مـا فعلـت بنكَّات يد بهرام

([1]) الأجية : أج يؤج أسرع في السير وهرول . ابن منظور : لسان العرب . جـ2 ، صـ206 .

([2]) غير واضحة في الأصل .

([3]) سابحة : السوابح هي الخيل . ابن منظور : نفس المصدر. جـ2 ، صـ81 .

([4]) أجفلت : جفل ذهب ، أجفلت أذهبت . ابن منظور : نفس المصدر. جـ1 ، صـ 472 .

باشا العساكر رأس كل مؤمرٍ ذي العز في نقض وفي إبرام

إن جاد أغنى أو أغار فباسلُ لله درك من حيا وحسامُ

ما يممت عزَمَات رأيك مقصداَ إلا أستذل ودان للإرغام

خَفّض وجاف المستحيل فأنهُ ستُطيعُكَ الأقدار في الأحكام

تتوق صولتك العظيمة في الوغى أسد الشرى فتظل في الآجام

لو حل باسك قوم عاد ما دنت عن عزها في سالف الأيام

ولديك أوج الأرض مثل جضيضها يعنو[1] فلم يجنح إلى الأحجام

أيقضت من سخر الزمان بعقلهم سحقاَ لما لحظوه في الأحلام

رأسوا رعاعاَ لا ثبات لرشدهم فهم طغام أصغروا لطغام [2]

أصغرتهم يابن الأعاظم رتبة كجزور[3] قوم قدمت لحمام

فسماه كم تاهت وعز شهابها وتعاظمت عن أن تنال الرامي

أقصدتها أبطال جندك ركضاً تعدوا على الأوعار والآكام

وطأت بها ما شذ عن اسكندر في أرض تبع شامخ الأعلام

[ق 38] إنّ العظيم بن العظيم معظمٌ وموصّل لأعاظم بعظام

فدنا إليك ولم يدن من قبله متمسكاَ من عجزه بذمام

([1]) يعنو : يظهر. ابن منظور : نفس المصدر. جـ 3 ، صـ 911.

([2]) الطغام : أرذال الناس وأوغادهم . ابن منظور : لسان العرب. جـ2 ، صـ 596 .

([3]) الجزور: جزر الشيئ قطعه، والجزر النحر، والجزور الناقة المنحوره . ابن منظور : نفس المصدر. جـ1 ، صـ452 .

ولنعم مولى قد وفى بعهوده أنت الكريم وفاءَ بلا إلزام

فليهنك الفتح العظيم وان غداً مستصغراً في عزك المتسامي

نطقت لك الأرجاء شكراَ بالثناء جهراَ بذلك يا أجل كرام

لازلت ترقى أوج كل سعادة مقرونة من ذي العُلى بسلام

فصل :

يشتمل على ذكر ما أخذ من البنادق المقبوضة من القلاع المحصنة المحفوظة، من سابع ذي الحجة سنة سبع وسبعين وتسعمائة، إلى أخر صفر الخير من سنة أثنتين وثمانين وتسعمائة، كان المقبوض من البنادق في تلك المدة ستة ألافِ وثلاثمائة وأحدى وثلاثون قصبة، ومن السيوف تسعة ألاف وثلاثمائة وسبعة عشر سيفاً، ومن المزاريق[1] ثلاثة ألاف وثلاثة وعشرين مزراقاً، و من العُطَفِ ألف عطيف[2]، ومن المقاليع عدد لا يحصى، ومن الخوذ سبعة وتسعين خوذة، ومن الطوس[3] ستين، وشيئاً كثيراً من آلات الحرب، ومن الحافر والخف ما لا يحصى عددا وأما عدد الرهائن والمستحفظ بها في تلك القلاع فشيئاً كثير لا يحصى، فهم بتلك المعاقل محبوسون، وبالأغلال والقيود مُصَفدّون، حسب ما يقتضي ذلك من تدبير المملكة السلطانية، والعادة القديمة العثمانية.

فصل :

([1]) المزاريق : جمع مزراق وهو الرمح القصير . ابن منظور : نفس المصدر. جـ2 ،صـ 847.

([2]) العطيف : هو أصغر الفوس وأحدها ، ويتخذ لقطع الأشجار الصغيرة ، كما يتخذ سلاحاَ وجمعه عطوف. مطهر الأرياني : معجم الألفاظ اليمنية . صـ636.

([3]) الطوس : الطاس نصف كرة مجوفة من النحاس أو الفضة يزان بها جواتب الطبنجة. سيد سالم :الفتح العثماني . هـ .صـ312 نقلاَ عن شمس الدين الدين سامي : القاموس التركي.

وفي غرة جمادي الأول[1]منها. خاطب أصحاب قلعة عتمة[2]، بالطاعة والامتثال مُسلّمين قلعتهم مع ما فيها من العُدد وصناديد الرجال، وصَدَر ذلك منهم بعد الإصغار والإذلال، ورأوا أن لا مخلص لهم إلا ذلك التسليم من الوقوع في النكال، طالبين من مولانا أسعده الله تعالى الأمن والأمان، وأن تكون بلدهم من جملة مملكة مولانا السلطان، فأرسلوا إلى حضرته الشريفة [ق 39] ثلاثة أنفار من المشائخ الكبار، أحدهم من بني الغريب [3]، وثانيهم من بني بحر[4]، ثالثهم من بني جعفر[5]، فواجهوا مولانا صاحب الفضل والإحسان وطلبوا منه لأهل القلعة المذكورة الأمان، فأعطهم تفضلاَ منه ذلك، وأنعم عليهم بجميع ما طلبوه في تلك المسالك، وأصدر صحبتهم المجلس السامي مصطفى أغا ملتزم جهة الحجرية والمخلاف سابقاً من قِبَلِهِ، ليقبض الحصن المذكور، ويدبر بنظره الشريف أحوال تلك الثغور، فسار مع المذكورين إلى تلك الأماكن، حتى آنس به جميع أهلها من غائبٍ وقاطن، فأعمل حسن تدبيره فيها، فأحكم بصائب رأيه وقبض تلك القلعة وما يليها، فقام في ذلك بهمة واجتهاد ، وبذل عزمه في ذلك إلى أن مهد تلك الأماكن أحسن مهاد، وتَسَلّم القلعة المذكورة بمقتضى شريف الأمر ، ونزل أهلها صاغرين أذلاء تحت بد البَسَطَة والقهر ، فوصلت إلى مولانا نصره الله تعالى سادس ذلك الشهر البشائر المشرحة، والإخبار الصحيحة المصرحة بقبض تلك القلعة، وانضمامها إلى الحوزة السلطانية ، فصارت هي مع ما فيها من جملة الممالك العثمانية خَلّدَ الله تعالى مُلك مالكها، وهذه من خصوصيات الفتوحات الحسان لمولانا صاحب النصر والإمكان .

([1]) 19 أغسطس 1574م .

([2]) عتمة: ناحية مشهورة في الجنوب الغربي من صنعاء وهي أحدى مديريات محافظة ذمار وتبعد عنها بمسافة52 كم . محمد الحجري : مجموع بلدان اليمن . جـ3 ، صـ 576 ، إبراهيم المقحفي : معجم البلدان . جـ 2 صـ 1014.

([3]) بنو الغريب : مخلاف ومركز أداري من مديريات ناحية عتمة غربي مدينة ذمار. محمد الحجري : مجموع بلدان. جـ 3 ، صـ576 ، إبراهيم المقحفي: نفس المرجع جـ 2 ، صـ 1174.

([4]) بنو بحر : مخلاف ومركز أداري من مديريات عتمة غربي مدينة ذمار. محمد الحجري :نفس المصدر. جـ 3 صـ 576.

([5]) بنو جعفر : أسم يطلق على الكثير من القبائل اليمنية. يبدوا أن المقصود بهم هنا من قبائل عتمة .

فصـل :

وفي سادس الشهر[1] المذكور منها. وصلت البشائر من ملتزم جهة خبان[2] أمير اللواء الشريف يوسف بك0 أنه دخل بلد جبن[3] عنوةً وقهراً، وقبض قلاعها وهي اثنتان ، ولم تقبض من قبل ذلك من ماضي الأزمان ، وكان ذلك بعد ان تمرد أهلها عن تسليم المال السلطاني، ولم يمتثلوا على القانون العثماني وخرجوا عن السمع والطاعة حتى مُثل بهم اقبح شناعة، وفر رأسهم وهو عمر الذرحاني[4] إلى جهة المشرق[5]، وصارت تلك البلاد في الحوزة السلطانية والمملكة [ق 40] العثمانية.

فصـل :

وفي يوم الأربعاء من الشهر المذكور منها. وصلت الأخبار السارة، بالأمور المنتظمة القارة، أن حصن يفعان[6] قبضة العسكر المنصور، بسعادة مولانا صاحب السعي المشكور، وكان قبضهم إياه عنوةَ وقهراً ،فالحمد لله على ذلك ونثني له الشكر، وهو من القلاع العالية المرتفعة، والمعاقل الصعبة الممتنعة، يحوم الطير شاهق ذروته، و يحسر نظر قاصده كليلاً دون بلوغ قلته[7]، وطريق جهاته وعرة، ومسالك سبله عكرة

([1]) 25 أغسطس 1574م .

([2]) خبان : صقع مشهور به مزارع وعيون جاريه وقرى كثيرة ، جنوب شرق مدينة يريم ، ويعرف اليوم بمدريات الرضمة والسدة . محمدالحجري: مجموع بلدان. جـ 2 ،صـ 304. إبراهيم المقحفي: معجم البلدان. جـ 1 ، صـ 558 .

([3]) جبن : بضم ففتح فسكون ، مدينة في الجنوب الغربي من مدينة رداع بمسافة 50كم ، أتخذها الطاهريون مسكناً لهم في القرن التاسع الهجري ، وهي من أعمال محافظة البيضاء. محمد الحجري: نفس المصدر. جـ 1 صـ 178 ،إبراهيم المقحفي : نفس المرجع. جـ1 صـ 286.

([4]) عمر الذرحاني : لم أعثر له على ترجمة ، وهو كما ذكر المؤرخ شيخ منطقة خبان .

([5]) مصطلح جغرافي تاريخي أستخدمه مؤرخو هذه الحقبة ، وقصدوا به الإمتداد الجنوب الشرقي إلى اقليم حضرموت والكتل الواقعة إلى الغرب منها . وليد النود : الدولة القاسمية في اليمن . صـ 326.

([6]) يفعان : حصن مشهور في بلاد السلفية في ريمة ، تنسب إليه عزلة يفعان . محمد الحجري : نفس المصدر. جـ 4 ، صـ 785 ، إبراهيم المقحفي : نفس المرجع . جـ 2 ، صـ 1620.

([7]) قلتة الشي رأسه ، والقلة أعلى الجبل . ابن منظور : لسان العرب . جـ3 ، صـ 155.

متعسرة، ولم يقبض الحصن المذكور أحد من ملوك الأنام، لا من أمراء العرب ولا من باشوات الأروام، لكن أطاع مولانا وساعده الزمان، وخدمه النصر والظفر بكل مكان في كل أوان، فصار الحصن المذكور من جملة الممالك السعيدة، وأهله من خُدام الدولة العادلة الحميدة.

فصـل :

وفي شهر جمادى الأخر[1] منها، أفتقد مولانا أيده الله تعالى بأكيد الافتقاد، ومهد على سبيل عادته كل بلاد أحكم مهاد، وأستمر بنظره الشريف في ذلك الشهر من هذا العام، إلى أن انتهى ذلك في شهر ذي القعدة الحرام[2]، وذلك مما أختص به صاحب السعادة أدام الله عليه ما يعتاده من جزيل النعماء وزيادة، فقبض بحسن تدبيره في تلك المدة من السيوف ثمانمائة مُسَلّمة، واثنين وخمسين سيفاً، مضافة إلى الجملة المتقدمة، فصار جملة المقبوض منها عشرة آلاف بيقين، مضمومة إلى مائة وسبعة وستين، ثم قبض بعد ذلك أربعة وخمسين فصح جميع المقبوض عشرة آلاف ومائتين وواحد وعشرين، وقبض مولانا من البنادق، ما فازت به قبضته غير الذي سبق ذكره من المقبوض وحررت عدته، سبعمائة بندق بالتمام والكمال، مع سبعة وخمسين كما ورد في صحيح المقال، مضافة إلى المقبوض السابق في العدد من تلك العُدد ثم قبض بعد ذلك مائتين وإحدى وستين فصحت جملتها سبعة آلاف وثمانمائة و ثمانية [قـ 41] وعشرين بصريح القول المعتمد ، وقبض أعزه الله تعالى من الطوس عشراً ضبطت بالعدِ، وألحقت إلى الجملة الستين التي كانت في المقبوض سبقت، فصار جملة المقبوض من الطوس سبعين، بعد أن كان مبلغ ذلك ستين ، وكان المقبوض من

([1]) سبتمبر 1574 م .

([2]) فبراير 1574 م .

الخيل اثنين وسبعين، قبض بعد ذلك ثمانياً منها فصار المبلغ ثمانين[1]، ثم أرسل مولانا بشريف رأيه الصادق، إلى الخزانة السعيدة بمصر أربعة آلاف من البنادق مع ما أرسله من السلاح من سابق ولاحق، إلا ما اقتضاه رأيه الحسن، أن يكون بعضها موضوعاً في الخزانة السلطانية باليمن، فكان فيما ذكرناه قوة للمملكة السعيدة ، وذل على الطائفة الباغية العنيدة .

فصـل:

وفي الشهر المذكور منها خرج جماعة من البدوان، منفصلين عن طاعة مولانا السلطان واشتهر منهم نهب الركبان، وتخريب ما قصدوه من تلك البلدان من السرق والنهب، وغير ذلك من أنواع البغي والطغيان، فتهيأ مولانا نصره الله تعالى للخروج إلى قتالهم، وأن يهجم عليهم بغتة حتى يقصدهم في ديارهم، فاجمع أمره على ذلك بصحيح عزمه، وأظهر ذلك وأشهره بصريح حكمه ورسمه، وكان قد حصل من هؤلاء المفسدين في تلك الأيام أعتداء على قاضٍ وصل من حضرة مولانا صاحب الإمداد والإنعام، وصل بقضاء مدينة ذمار، فدخلها يطلب منها قضاء الأوطار أمناً من المخاوف والأخطار، فعقيب ذلك دخلوا عليه جماعة من البدوان بالليل، فسرقوا أمتعته وجميع ما معه حتى صيروه عريان، فجاء القاضي يشكوا إلى حضرة مولانا في الديوان السعيد، فشمر مولانا بعلو همته قاصداً هؤلاء المفسدين، أن يوقعهم في شديد نقمته، فنصب لهم الحرب بآلاته مُبيداً لهم بأنواع مهلكاته ، فجمع لهم العسكر المنصور، ليصفي ما يكدر من مشارب تلك الثغور ، فصار يحث عليهم بهمته العالية [ق42] لا

([1]) كمية المقبوض عليه من الأسلحة من ذي الحجة 977هـ / مايو 1570م إلى أخر صفر 982هـ / مايو 1574م هي: 6331 بندق، 9317 سيف، 3023 مزراق، 1000 عطيف، 97 خوذة، 60 من الطوس. وكمية الأسلحة المقبوض عليها من بعد شهر صفر سنة 982هـ / مايو 1574م هي: 1073 سيفاً 1017 بندق ، 10 من الطوس ، 80 من الخيل .

أذن مجموع الأسلحة المقبوض عليها في فترة ولاية بهرام باشا 977. 983هـ / 1570 . 1575م . على النحو الأتي : 10390 سيفاً ، 7348 بندقاً ، 70 من الطوس ، 80 من الخيل .

كلاً ولا متوانياً، ويسأل عن من صار على القاضي جانياً، فلما بلغهم أن مولانا أظهر أمره بذلك، دخلوا في طاعته خوفاَ من الوقوع في تلك المهالك، فسلمت خوفاَ تلك العصابة المفسدة، جميع ما أخذوه على القاضي من أمتعته المتعددة، بعد ستة أشهر من الزمان، ولازموا الطاعة وزال عنهم ذلك العصيان، وجاء شيخهم أحمد قوس[1] وصحبته شخص ثان، يطلب من مولانا صاحب البرهان الإنعام والأمان، وأن يكون في أمانه وأمان مولانا السلطان، فأجابه مولانا إلى ذلك، بعد أن سلم إليه رهائنه على عادتهم في تسليم ماهنالك، وصار المذكورون من رعايا مولانا السلطان،وعليهم ما عليهم في جميع تلك البلدان.

(1) أحمد قوس : لم أعثر له على ترجمة .

فصـل :

وفـي شـهر شـعبان[1] المعظـم منهـا، جهـز مولانـا أميـر الحـج بالمحمـل الشـريف السلطاني من القطر اليماني، وهو الأمير الكبير الرئيس الشهير أمير اللواء الشريف محمد قزلباش[2]، نـزل من مدينـة ملحظ المعمور، إلـى مدينـة زبيد ومعـه عصبة من العسكر المنصور، فوصل إليها وأقام بها إلى شهر شوال[3]، هو ومن معه من صناديد الأبطال، فصار بعد ذلك بالحاج القاصد لبيت الله الحرام ، صحبة المحمل الشريف على أحسن حال، وأكمل نظام مطمئنين غير خائفين على أمتعتهم وأموالهم، منشرحين بسفرهم السعيد مشاة وعلى رواحلهم في محاملهم ، بشريف بركة مولانا صاحب الفضل المزيد والرأي السديد .

فصـل :

وفي الرابع عشر من شهر ذي القعدة[4]منها، ظهر الخبر الصريح من دفتردار[5] مُدعياً انه تلقى ذلك بالنقل الصحيح، أن مولانا ومالك عصرنا الملك الأعظم العظيم سيد السلاطين السلطان المظفر سليم أنتقل إلى رحمة ربنا الكريم خلد الله رفعته في

([1]) نوفمبر 1574 م .

([2]) محمد قزلباش: هو الأمير محمد بن حسن أحد أمراء العثمانيين في اليمن ، عرف باسم قزلباش أي ذي الرأس الأحمر " قزل باش كلمتان تركيتان ، قزل تعني الأحمر و باش تعني رأس " تولى حفظ صنعاء حبن عزل رضوان باشا ، ووقع في أسر المطهر سنة974هـ / 1566م ، وبقي سجيناً لديه مع مجموعة من الأمراء العثمانيين إلى أن أطلق سراحه سنة 977 هـ / 1569م في عهد سنان باشا ، توفي بالسجن في مدينة القاهرة سنة986. / 1578م. يحيى بن الحسين : غاية الأماني . جـ2 ، صـ726. قطب الدين النهروالي : البرق اليماني . صـ174، 175، 183، 345. عيسى بن لطف الله : روح الروح . صـ211، عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية. هـ . صـ19.

([3]) يناير 1574م .

([4]) 26 فبراير 1574م .

([5]) الدفتردار : لقب عثماني يعني رئيس موظفي الواردات والخزينة في الولاية ، ومن مهامه الإشراف على تنفيذ الأحكام الواردة في الميزانية السنوية ،وعلى التشكيلات المالية الموجودة في الولاية. قطب الدين النهروالي: نفس المصدر. صـ 77. عبد الكريم العزير: نفس المرجع. صـ210.

أعلى درجات النعيم، ثم وصل العلم بعد ذلك باستقامة ولده بعده في السلطنة الشريفة العظمى [قـ 43] والملك الأغرّ الأخصّ المطاع الأسمى، مولانا ومالك عصرنا السلطان المعظم ، والخاقان المعزز المكرم، مالك بلاد العرب والعجم ملك البرين والبحرين، سلطان الروم والعراقين خادم الحرمين الشريفين مراد خان[1] ابن سليم شاه، لازال قوله لأبواب الصواب مفتاحاً، ورأيه في ليل المشكلات مصباحاً، وهب الله له من الأعمال الصالحة أطولها، ومن النّعم أجزلها، ومن مواعيد السعادة أعجلها، ومن موازن الأعمال الصالحة أثقلها خلد الله ملكة العظيم، وجعل الأرض بأسرها ملكه على سبيل التعميم آمين فشاع ذلك بين العسكر وذاع، وجرى بينهم حتى وقع منهم في خبايا الأسماع، وظهر من الدفتردار المذكور لكافة العسكر العثماني، إني قد جئتكم بمرسوم شريف سلطاني ، محتوٍ على ما فيه لكم من الكفاية، بقبض ما تطيب به قلوبكم من العليق[2] والجراية[3]، فاجتمع جمع العسكر العظيم ، من الحديث والقديم، ووصلوا من كل بدو وحضر، وتتابع كل منهم حتى غشوا حضره مولانا زمراً بعد زمر، وطلبوا من مولانا المشمول بعين الرعاية والتوفيق، معلوم خمسة أعوام من العليق، مُدَعِين أن ذلك من معلومهم المنكسر، فقام مولانا بهمته العالية وأنعم النظر، ولبس تاج الوقار لذلك وصبر، بعدان صدر من الجند الضرر الأليم، وظهر منهم الخلاف العظيم، يرمون بالبنادق النيرانية المحرقة، يسلون سيوفهم عن إغمادها، إلى غير ذلك من الأعمال المتشفقة[4]، حتى وصلوا إلى جامع ملحظ وهم كذلك رامون، ولمخالفة

([1]) مراد خان : هو مراد الثالث ، تملك سنة 982هـ/ 1574م أستهل حكمه بمنع شرب الخمر في البلاد بعد أن سَمح بشربها سلفه ، قتل خمسة من أخوته ليأمن منافستهم له على العرش ، كان على وفاق مع الفرنسيين والبنادقة ، وأبرم اتفاق مع إنجلترا ، دخل في حرب مع إيران وحقق انتصارا عليها . مجيب المصري : معجم الدولة . صـ 318.

([2]) العليق : يطلق على مخصصات الجنود والعساكر والضباط من القمح . سهيل صابان : المعجم الموسوعي . صـ 156.

([3]) الجراية : الراتب. محمد التونجي: المعجم الذهبي . صـ 202.

([4]) المتشفقة : الشفق الرديئ من الأشياء ، والأعمال المتشفقة هنا يقصد بها الأعمال الرديئة . ابن منظور : لسان العرب . جـ2 ، صـ 336 .

أمره أعزه الله تعالى قاصدون، وبدر منهم هذا الأمر الشديد، وتتابع عنهم الخلاف حتى فعل كل منهم ما يريد، فتفرقوا ثُبَات عصباً عصبا [ق44] وصار كل منهم ممتلئاً حمقاً وغضباً، فعظم ذلك الأمر وأعيا، وثارت منهم الفتنة العمياء، يحار فيها صميم الرجال، ويهرم منها الشباب، ويشيب لها الأطفال، فلما رأى مولانا ما حل بالمسلمين من تشتت الأحوال أصرف عليهم جملة من المال، فأعطى الأنجشاري ستة عشر ديناراً من الذهب العين، وسلم إلى كل فارس منهم ذهباَ أربعة وعشرين، فبلغ الذي أعطاهم مالاً جزيلاً، ولم يجد عن ذلك الإعطاء لهم سبيلاً، فسكن أمرهم بعد ذلك وهان، ولزموا أنفسهم عن ذلك الخلاف والطغيان، والحمد الله الكريم المنان على صلاح بلاد مولانا السلطان.

فصل :

وفي رابع عشر ذي القعدة منها ،وصل العلم إلى مولانا معلنا بصريح عزله، فأظهر ذلك لأهل حضرته وخاصة أهله، فانشرحت ذاته الكريمة بذلك، واشتاقت نفسه الشريفة إلى ما هنالك، لعلمه زاده الله توفيقاً أن كل متول معزول ، بل كل حي عليها غاية أمره أن يزول، فعزم أمره الشريف إلى مواجهة مولانا السلطان، مثّلبّاَ الرجوع بعد ذلك إلى وطنه السعيد ، إذ حُب الوطن من الإيمان، متصلاَ إن شاء الله تعالى بكافة الأهل والجيران، ثم في ثامن عشر ذي الحجة منها، وصل متسلم من قبل المُولى الواصل، إلى مولانا بشريف أمر جامع شامل، يُنبي بتحقيق ما ذكر، ويخبر بما قرر وزبر وحرر، فأستمع أيده الله تعالى ذلك الأمر وأطاعه، أشهره لكل نفر من العسكر المنصور وأذاعه، نسأل الله بفضله أن يصلح البلاد والعباد ، وأن يقمع عصابة البغي والفساد.

فصــل:

وفـي ثـامن عشـر مـن ذي الحجـة[1]، منهـا وصـل الجنـاب العـالي[2] محمـد آغـا المتسلم من قبل مصطفى باشا [3] إلى اليمن المعمور، وكان نزوله من بندر جازان، ولمّا وصل إلى بيت الفقيه [قـ 45] الكبير المشهور أسماً بالزيدية[4]، بلغه خبر ما جرى من العسكر من التعدي على حضرة مولانا بهرام باشا أعزه الله تعالى، فحينئذ بادر بالوصول إلى محروسة مدينة ذمار، وواجه حضرة مولانا الباشا أعزه الله تعالى، وتلقاه بأحسن التلقي وكساه وأحضر له الضيافة وأعلاه، ووصل بمرسوم كريم من حضرة مولانا السلطان الأعظم نصره الله تعالى إلى حضرة مولانا الباشا بهرام ، بأن يقف في البلاد و يحفظها و يضبطها إلى أن يصل مصطفى باشا إلى الديار اليمنية، فإذا وصل إليها سلم إليه البلاد ، ويتقدم إلى الباب العالي[5]، فلما سلم المتسلم المذكور المرسوم إلى مولانا المشار إليه، اعتمد عليه ووقف في المحل الذي هو فيه، فعند ذلك أرسل دفتردار إلى المفسدين من العسكر الذين هم رأس الفساد، وأعيان أهل البغي والعناد، وقال لهم أن جماعة من العسكر قائمون بخدمة مولانا الباشا، والرأي أنكم تطلبونهم من عنده، وتخرجونهم قهراً حتى يبقى الباشا منفرداً وحده في مماليكه، وبعد ذلك ننال منه ما أردنا، ويحصل لنا منه غرضنا.

([1]) 2 مارس 1574م .

([2]) الجناب العالي : هو لقب أستخدم في أواخر العصر الأيوبي لمخاطبة الوزراء في المراسلات . حسن الباشا : الألقاب ب الإسلامية . صـ 85 .

([3]) مصطفى باشا : عين بكلربيكياً لليمن سنة 982هـ / 1574م بدلاً عن بهرام باشا الذي عزل، وحين وصل اليمن كان يعاني من المرض فمات في بندر البقعة في نفس السنة. عبد الصمد المومزعي: الأحسان . صـ 47 .

([4]) الزيدية : بلدة في تهامة تبعد عن الحديدة بمسافة 65كم ، سميت باسم قبيلة الزيدية إحدى فروع قبائل عك. إبراهيم المقحفي : معجم بلدان . جـ 1 ، صـ 755 .

([5]) الباب العالي : محل أقامة الصدر الأعظم ، وفيه كانت تدار أعمال الدولة ، وكان يطلق عليه أحياناً باب باشا . محمد أنيس : الدولة العثمانية والمشرق . هـ . صـ 93 .

البـاب السابــع:

في ذكر ما اشتملت عليه سنة ثلاث وثمانون[1] من الفتن، وقد دفع الله شرها ما ظهر منها وما بطن، ففي صبح يوم الخامس من شهر المحرم الحرام[2] وصل العسكر بأجمعهم إلى باب الديوان السعيد، فخرج إليهم الأمراء والأغوات وسألوهم عن مرادهم وقصدهم، فقالوا مرادنا جميع من كان من العسكر يخدمون الباشا يخرجون إلينا ويبقون معنا، ولا يقف عنده أحد من العسكر، فصرفهم الأمراء والأغوات عن مرادهم، وقالوا لهم أن هذا غير صواب ولا يمكن، وأن الجميع مماليك مولانا السلطان الأعظم نصره الله تعالى، فلم يقبلوا ذلك ووقع النزاع والقال والقيل ، وارتفعت أصواتهم ولم يلتفت مولانا أيده الله تعالى لقولهم، وقال ما يمكن مني أني [ق46] أسلم أصحابي إليكم هذا من المستحيل، فلما عرفوا أن هذا متعذر غير ممكن، قالوا إن واحداً من العسكر أصبح مقتولاً في بيته، وأن أصحاب الباشا هم الذين قتلوه، وطلبوا دمه من الباشا، فعند ذلك قال لهم مولانا أنتم طول الليل تدورون في المدينة وتطوفون في أزقتها، ولم يخرج أحدٌ من طائفتي بالليل أصلاً وقطعاً، وأشتد النزاع ففيما بينهم من أجل ذلك ، وبعد أن أشتد النزاع حصل الاتفاق، ووقع بينهم على أن الأغوات يكونوا يحرسون المدينة بالليل كل واحد من الأغوات يحرسها بجماعته، وأن كل شخص وجدوه بالليل يخرجون من حقه[3] ، وأنقطع القول على ذلك، وانقضى الأمر على ما هنالك .

([1]) تقابلها سنة 1575م

([2]) 17 ابريل 1575م.

([3]) بمعنى أنه ليس عليهم أي حق أو حجة أن قتلوه .

فصـل :

ولما كان في عاشر شهر صفر[1] منها. أجتمع الأمراء والأغوات وأعيان العسكر، وفكروا في عاقبة أمرهم ، وذلك لما رأوه من أفعال الدفتردار القبيحة، بجمعه و تحشيده للعسكر، استمالته لهم، وتصميمه على أنه يفتك بالباشا، وأنه يلي الحكم بعد الباشا ويبقى لونديا [2]َ، وتبقى الدولة والعسكر لوندية كذلك، فلما رأى الأمراء والأغوات وأكابر العسكر، أن أفعال الدفتردار وقصده الخروج عن الطاعة الشريفة السلطانية أعزها الله تعالى، وأنه قد أغوى العسكر إستزلهم، بحيث أنه كان من جملة قوله للعسكر اعني المفسدين منهم أنه لابد من قتل الباشا، ثم بعد ذلك إذا وصل مصطفى باشا إلى الديار اليمنية قصدناه، ووصلنا إليه يداً واحده وقتلناه، ويبقى الملك لنا وفي يدنا من غير منازع، ووعدهم بجوامك كثيرة، وزيادات جزيلة وبخشيش [1] وغير ذلك، فلما ظهر ذلك منه للأمراء والأغوات وأكابر العسكر،عرفوا أن هذه الأفعال يؤول منها خروج البلادمن السلطنة الشريفة الخنكارية [2]، وأنّها ترجع قبيلة وغريبة مثل ما كانت في الزمن الأول ويختل الأمر [ق 47] ويفسد، لأن الصلاح والسعد هوفي السلطان للحديث " السلطان ظل الله في الأرض"[3]، فإذا خرج الأمر عن نظر السلطان حصل الفساد في الأرض والله لا يحب عمل المفسدين ، فحينئذ وصل المذكورون إلى الديوان العالي، ودخلوا على مولانا الباشا نصره الله تعالى، وشرحوا له الحال، وأوضحوا له المقال، وقالوا له ما بقي للناظر المذكور وقوف في هذه البلاد، وإن فساده قد عم، وإنه أستمال أ كثر العسكر الجُهل وهو يَعِدهُم ويُمَنيهُم، وان الصبر والسكوت على هذه

([1]) 22 مايو 1575م

([2]) اللوند: كلمة فارسية تعني الحر المستقل المغامر والجندي المتطوع ، أي نصف نظامي . أحمد سليمان: تأصيل ما ورد . صـ 150 ، قطب الدين النهروالي : البرق اليماني . صـ 80 .

([1]) البخشيش : العطاءات والهدايا التي تصرف للجند . محمد التونجي : المعجم الذهبي . صـ 10.

([2]) الخنكارية : خنك كلمة فارسية معناها السعيد الموفق ، وقيل انها كلمة تركية بنفس المعنى ، وهي لقب للسلطان العثماني بمعنى السعيد الحسن الحظ . أحمد سليمان : نفس المرجع. صـ90.

([3]) الهندي: كنز العمال جـ6 رقم (14589) و رقم (14615) . وهو بلفظ " السلطان العادل المتواضع ظل الله ورمحه في الأرض ، يأوي إليه الضعيف ، وبه ينصر المظلوم "

الأفعال لا يمكن لأنه غير صواب، وأن خيانة المذكور قد ظهرت ، فقال لهم الباشا الرأي ما ترجحونه ، فقالوا الرأي أن يخرج المذكور من ذمار، ويعزم إلى مدينة صنعاء يقف بها إلى أن يصل مصطفى باشا، فقال لهم هذا الكلام هو المعقول وهو الصواب، فركب إلى عنده الأمراء والأغوات وعرفوه أنه يعزم إلى صنعاء يقيم بها إلى يصل مصطفى باشا، فقال لهم الدفتردار المذكور هذا الأمر لا يمكن ولا يكون هذا أبداً، وقام من ساعته، وجمع العسكر وشدت فرسانه خيلهم، وشد العسكر خيولهم وأخذوا أسلحتهم، ووصلوا إلى باب الديوان، والعسكر رافعون أصواتهم قائلين إن الدفتردار لا يخرج من مدينة ذمار، ولا يعزم إلى صنعاء ولا إلى غيرها، بل يقف مكانه على ما هو عليه، فشرح لهم الأمراء والأغوات أن هذا الرجل مُفسد، وأن أفعاله تكون سبباً لخروج البلاد من يد السلطنة الشريفة، وأن أهل أطراف الثغور والحدود، قد منعوا أنفسهم عن تسليم الأموال السلطانية، والرعايا لا يؤمن مكرهم وغدرهم خصوصاً أهل هذه الديار، ولم يزالوا هم والعسكر من وقت الصبح إلى وقت الظهر في المخاصمة والمشاحنة، حتى وقع الاتفاق بينهم، على أن الدفتردار يقف مكانه بذمار، وأنه لا يتعاطى شيئاً من أمور السلطنة الشريفة وأن [ق 48] الباشا هو الذي ينظر في صلاح البلاد، وقبض الأموال، وصرف الجوامك على أهلها وغير ذلك، على حكم الحال الذي كان عليها أولاً بموجب أمر مولانا السلطان الأعظم نصره الله تعالى وأن الدفتردار يبقى مقيما بذمار، لا يتعاطى أمراً من الأحكام، وتفرقوا على هذا الكلام، واتفق رأيهم على هذا النظام .

فصل :

وفي يوم العشرين من شهر صفر[1] منها، وصل الخبر بوصول مصطفى باشا إلى معمور بندر جده المعمور، فحصل بذلك الفرح السرور والانشراح والجبور، فعند ذلك

([1]) 2 يوليو 1575م .

نزل الدفتردار من ذمار، إلى جهات اليمن بجمع كثيراً من العسكر المفسدين وأقام بذي سفال.

فصـل :

وفـي خـامس عشـرين مـن شـهر صـفر[1] منهـا، وصـل بـالي كيخيـا مـن قبـل مصـطفى باشـا المذكور، إلـى اليمن المعمور، وذكر أنـه فـارق حضرته من بندر جده المعمور ، ووصـل بمراسيم إلـى الكشـاف[1] والعمـال ، والمشـائخ تتضـمن تحصـيل مـا يحتـاج إليـه مـن الجمـال، وأن يُحضُـروا ذلك عند نزوله ، فامتثل الكل لأمره، وبادر كل من المذكورين إلى تحصيل ذلك .

فصـل :

وفي أواخر شهر ربيع الأول[2] منها، وصلت الكتب من مدينـة زبيد، إلـى حضرة مولانا الباشا تتضمن وصول مصطفى باشا إلى بندر الصليف[3]، وأن قصده ينزل من بندر البقعة فعند ذلك طابت النفوس، وانشرحت الصدور، وأظهر مولانـا الباشـا بهرام التهيؤ والحركـة للسفر، والنـزول من جهات الجبـال ، إلـى جانـب جهـات تهامـة لملاقـاة مصـطفى باشـا، وألـزم الكافـة مـن أهل الأدراك[4] كاليازجيـة[5] و الشاوشية[1]، والمشـائخ

([1]) 7 يوليو 1575م

([1]) الكشاف: كانوا من العسكريين ذوي الرتب الكبيرة، ويتولى الكاشف أمور الأقليم والحكم فيه والأشراف عليه وحمايته، وكان يشرف على جمع الضرائب فيه. عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية. هـ . صـ 161،عيسى صالحية : وثائق جديدة . هـ . صـ 35.

([2]) منتصف أغسطس 1575م

([3]) الصليف : مدينة على شكل شبه جزيرة في تهامة مقابلة لجزيرة كمران . محمد الحجري : مجموع بلدان اليمن. جـ 3 ، صـ 483 .

([4]) الدرك : العساكر خاصة الذين يقومون بالحراسة. ليلى الصايغ : المنح الرحمانية: هـ . صـ 101.

([5]) اليازجيه : الجند الذين يراقبون السكر ويمنعونهم من مخالفة الأنظمة أو التعدي على أحد . قطب الدين النهروالي : اليرق اليماني . صـ 80 .

وأعيان العرب الذين هم ملازمون لخدمة الديوان العالي، العزم صحبته لمواجهة مصطفى باشا، ثم طلب مولانا الباشا بهرام الأمير علي بك، وأقامه نائباً بمحروس بمدينة ملحظ يضبط البلاد والعسكر ،وكساه قفطاناَ[1] حسناً شريفاً بسبب ذلك، وألزم الأمراء والأغوات [ق49] والعساكر المنصورة الوقوف بذمار، عند الأمير علي بك المذكور، والذي وقف عنده من الأمراء الأمير محمد بك قزلباش، والأمير حسن بك، والأمير يوسف بك، ومن الأغوات مصطفى أغا نوبخشيان مصر[2]، وجعفر آغا جمليان يمن[3] وأسفنديار آغا عزبان يمن[4] الجميع بطوائفهم.

فصل :

وفي رابع شهر ربيع الأخر[5] منها، خرج مولانا الباشا بهرام نصره الله تعالى من مدينة ذمار، وصحبته المشائخ بأجمعهم ، واليازجية والشاوشية ، وخرج في تشييعه الأمراء والأغوات، والعساكر المنصورة إلى البركة الحمراء وهي قدر فرسخ[6] من ذمار، وتوجه الباشا المشار إليه بالسلامه حتى نزل يريم يوم رابع الشهر المذكور، ثم رحل من

([1]) الشاوشيه : جاويش أو شاويش نوع من الموظفين في الدولة العثمانية كانوا يستخدمون في وظائف مختلفه منها أبلاغ الأوامر والمهمات. سهيل صابان: المعجم الموسوعي. صـ 80 ،عيسى صالحية : وثائق جديدة . هـ . صـ 23 .

([1]) القفطان : أو الخفتان رداء له كمانطويلان يصلان إلى المرافق . عبد الصمد الموزعي : الإحسان. تحقيق /عبد الله الحبشي، هـ. صـ 52 .

([2]) نبخشيان : لم أعثر على معنى هذه الكلمة في ما توفر لدي من قواميس، يبدو أنه أسم لأحدى الفرق العسكرية العثمانية .

([3]) حمليان: هم المتطوعون في العمل مع الأنكشارية ، وافرادها من الفرسان مهمتهم توطيد الأمن في الأقاليم وحراسة القلاع ، والأسم الأصلي لهذه الطائفة هو الجنليان " المتطوعين" وعرفت فيما بعد بالجمليان لأن أفرادها كانوا يستخدمون الجمال. أحمد سليمان : تأصيل ما ورد . صـ 70 عيسى صالحية: نفس المرجع . هـ . صـ 32 .

([4]) عزبان يمن : كان يطلق أسم عزبان علىطائفتين من الجند العثمانيين إحدهما بحرية والأخرى برية وكان جنودها يأخذون من بين أشد الشباب الغير متزوجين . أحمد سليمان : تأصيل ما ورد. صـ151.

([5]) 14 يوليو 1575م

([6]) الفرسخ . وحدة لقياس المسافة تساوي ثلاثة أميال 54 ،5كم. الموسوعة اليمنية : جـ4 صـ 2812.

يريم ونزل بالمخادر[1] يوم خامس الشهر المذكور ثم رحل منالمخادر ونزل بسد مشورة[1] يوم سادس الشهر المذكور ، فعند نزوله بسد مشورة وهو رأس الشوافي الأسفل[2]، وصل إليه الأمير فيروز بك صاحب جبلة، والأمير شاة علي بك صاحب تعز، والأمير حيدر بك صاحب بعدان، وفي ذلك اليوم وصلت إليهم مراسيم من حضرة مصطفى باشا، تتضمن أنه نزل من بندر البقعة في خامس شهر ربيع الأخر[3]، فوقف مولانا بهرام باشا بسد مشورة يوم سابع الشهر المذكور، ثم رحل منه في يوم الثامن من الشهر المذكور، حتى نزل نجدية بلاد الشيخ عبدالعزيز[4] صاحب الجبلين ، فعند أن نزل مولانا عن فرسه، وصلت الكتب من زبيد، تتضمن أن مصطفى باشا توفي إلى رحمة الله تعالى ليلة الجمعة سابع شهر ربيع الأخر، وكانت وفاته ببندر البقعة المذكور، وحمل إلى محروس زبيد، ودفن بجوار سيدنا الشيخ الكبير طلحة بن عيسى الهتار[5] الولي المشهور.

فصـل:

ولما وصلت الكتب بوفاة مصطفى باشا، عمل مولانا بهرام باشا نصره الله تعالى ديواناً حافلاً وأحضر الأمراء والأغوات الذين هم عنده، وهم الأمير محمود بك والأمير

([1]) المخادر: بلدة تقع شمال مدينة إب وتبعد عنها بحوالي 20كم . إبراهيم المقحفي: معجم بلدان . جـ2 ، صـ 1446.

([1]) مشورة : بفتح فسكون ففتح جبل على بعد ثمانية كيلومترات من مدينة إب . إبراهيم المقحفي : نفس المرجع. جـ 2 ، صـ1542.

([2]) الشوفي الأسفل : مخلاف في بلاد إب . محمد الحجري : مجموع بلدان . جـ3 ، صـ 458 .

([3]) 15 يوليو 1575م

([4]) عبد العزيز : لم أعثر له على ترجمة ، وهو كما ذكر المطيب شيخ منطقة الجبلين .

([5]) طلحة بن عيسى الهتار: هوطلحة بن عيسى بن إبرهيم بن أبي بكر ابن الشيخ الكبير عيسى بن إقبال الهتار، الولي الكبير العارف بالله صاحب الكرامات الخارقة، توفي سنة 780هـ "/ 1378م في مدينة زبيد و دفن بها، وبنى على قبره قبة كبيرة، وقبرة مشهور ويزار ويتبرك به. أحمد الشرجي: طبقات الخواص.صـ162.

[ق 50] شاة علي بك، الأمير فيروز بك، وآغا الجشاريان [1] مصر، وأغا الجشاريان يمن، وقال لهم الباشا المشار إليه، الصواب أني أتقدم إلى محروس تعز، أقيم بها إلى أن يصل الجواب من الباب العالي أعلاه الله تعالى.

فصـل :

وفي يوم الأحد تاسع الشهر المذكور [1] منها، نزل مولانا بجهات وحقات[2] بلاد الشيخ عزالدين الحميدي ، فعند نزوله بوحفات، وصلت العروض من الأمير يعقوب بك بزبيد، ومن الأمراء والأغوات الذين كانوا نزلوا لملاقاة المرحوم مصطفى باشا من سائر الجهات والجبال والتهائم، تتضمن أن الدفتردار قد ظهرت خيانته، وانه لم يكتف بما قد فعله في ذمار من الفساد، حتى أنه لما بلغه وفاة المرحوم مصطفى باشا، بادر بالوصول إلى مدينة زبيد، وطلب العسكر الجميع منهم الأولين الذين هم باليمن والعسكر الواصلين صحبة مصطفى باشا، وتحدث معهم بأنه يقبض مخلفات المرحوم مصطفى باشا، ويصرفها عليهم، وان يكونوا معه يداً واحده سامعين مطيعين لما يأمرهم به، وأن الأمير يعقوب بك بزبيد والقاضي بها لما عرفوا منه ذلك، تقدموا إلى بندر البقعة وحملوا جميع المخلفات وادخلوها الغراب[3] الراسي في البحر، وبَقيت الحوائج في البحر عليها مراد كيخيا المرحوم مصطفى باشا وعبيده، فحينئذ عمل مولانا الباشا نصرة الله تعالى ديواناً وطلب جميع الأمراء والأغوات، واعيان العسكر وقريت[4] عليهم العروض، وتشاوروا في أمر الدفتردار المذكور، فرجح الجميع منهم قتل الخائن

([1]). الجشاريان : لم أعثر على معنى هذه الكلمة في ما توفر لدي من قواميس، يبدوا أنه أسم لأحدى الفرق العسكرية العثمانية .

([1]) 19 يوليو 1575م .

([2]) وحقات : لم أعثر تعريف لها.

([3]) الغراب: وهو نوع من المراكب البحرية . قطب الدين لنهروالي: البرق ليماني. صـ 79.

([4]) قرأت .

المذكور، وان وقوفه وبقاه[1] غير صواب، وان خيانته قد ظهرت ، فعند ذلك تقدم الأمير شاه على بك، والأمير فيروز بك واغا الجشاريان مصر، وجماعة من أعيان العسكر إلى محروس زبيد، فدخلوا زبيد يوم ثاني عشر شهر ربيع الأخر[1] وقت طلوع الشمس، فعند دخلوهم [ق51] احضروه إلى قصر محروس زبيد ، بحضرة الأمير يعقوب بك بها، والأمير محمد بك بالزيدية ، والأمير والى جان بك القبودان، وجعفر اغا توفيكان[2] يمن، وخاطبوه بأفعاله القبيحة، وخرجوا من حقهِ، وقطعوا رأسه، ونادوا عليه في الأسواق، هذا جزاء من خان مولانا السلطان، وتمزق جمع العسكر المفسدين، الذين معه أيدي سبا وتفرقوا في كل ناحية وصلحت الأحوال بحمد الله تعالى .

فصـل :

وكان دخول مولانا الباشا بهرام نصره الله تعالى، محروس مدينة تعز في يوم رابع عشر ربيع الأخر[3] منها، فأقام بها وعرض بسورة [4] الواقع إلى الباب الشريف أعلاه الله تعالى، ثم أرسل مولانا إلى العسكر الواصلين صُحبه المرحوم مصطفى باشا، و أمرهم أن يصلوا إلية، فوصلوا مع أغتهم فايق أغا إلى محروس تعز، فبعد وصولهم أمرهم ، مولانا الباشا نصره الله تعالى بالتقدم إلى محروس ذمار، مع اغتهم ليقيموا بها عند الأمير علي بك، ومن عنده من العسكر، فلما وصلوا إلى ذمار، وقد كانوا سمعوا من الدفتردار المقتول أمر الترقي[5] والبخشيش، فالتقى المذكورون بالعسكر الأولين،

([1]) بقاه : بقائه

([1]) 22 يوليو 1575م .

([2]) توفيكان يمن : التفكنجيان فرقة عسكرية أفرادها من الفرسان حاملي البنادق ويشكلون إلى جانبي الجمليان والشراكسة،طائفة السباهية. عيسى صالحية: وثائق جديدة. هـ. صـ 32، سليمان: تأصل ما ورد. صـ55.

([3]) 24 يوليو 1575م .

([4]) بصورة

([5]) الترقي : حصص تضاف إلى النواة التي يتألف منها إقطاع التيمار أو الزعامة ، وهي زيادة تصرف فوق رتبة الأبتداء. عيسى صالحية : نفس المرجع. هـ . صـ 22 .

وأتفق رأي الجميع، على أنهم يطلبون من الأمير علي بك بذمار ترقياً وبخشيشاً، فطلبوا منه ذلك في أوائل جمادى الأول [1] منها.

فصـل :

وفي أوائل الشهر المذكور، وصلت عروض الأمير علي بك بذمار ومن معه من الأمراء والأغوات ، تتضمن أن جماعة من العسكر المفسدين صاروا يسعون بالفساد، وينهبون في الطرقات، وأنهم يطلبون ترقياً وبخشيشاً، فالترقي عموماً، والبخشيش لكل نفر خمسة وعشرين ذهباَ، وقد فتحوا في هذا الكلام وشرعوا في تثبيت هذا النظام، وانهم قصدوا الأمير علي بك، والأمراء الذين معه إلى القصر، وطبوا منهم ذلك، فأجابهم الأمير علي بك، وقال لهم أنيّ أمير والترقي لم يكن إليّ [ق52] أمره، أنما يكتب الترقي الباشا لمن يستحق ذلك، وكذلك البخشيش ما يعطيه إلا السلطان على نظـــره وبرأيـــه، وبـــأي ســـبب تطلبـــون ذلـــك منّـــي، فقـــالوا أن مولانا السلطان سليم أنتقل إلى رحمة الله تعالى، واستقام ولده مولانا السلطان مراد نصره الله تعالى، وأن العادة لنا الترقي والبخشيش عند ذلك [1] فقال الأمير علي المذكور هذا ما قد جرت به عادة لا لكم ولا لعسكر مصر ولا لعسكر حلب ولا لعسكر الشام ولا لغيره من الولايات، فقالوا له لابد من ذلك، ورموه بالبنادق، فقتل من أصحابه جماعة من البـُندُق، بعد أن كسروا الأبواب، وحاصروهم من الصباح إلى المساء، وحبسوا أغا الجشاريان فائق أغا، وبعد ذلك وقع الأتفاق بينهم على أن الأمير علي بك

([1]) أغسطس 1575م .

([1]) كان منح الهدايا والعطايا للجنود مع رفع مرتباتهم عند تولية سلطان جديد من العادات القديمة عند العثمانيين، فقد ظهرت هذه العادة في عهد السلطان محمد الفاتح "1451– 1481م / 855 . 886هـ، وظلت مرعية الجانب حتى تم القضاء على الأنكشارية في عهد السلطان محمود الثاني 1242 هـ / 1826م " وكان الجنود يصرون على الحصول على هذه المنح دون مراعاة لأحوال الدولة المالية، ويلجأ ون أحياناَ إلى التمرد والثورة للحصول عليها . سيد سالم: القتح العثماني. صـ 313.

يعطيهم تذاكر[1] بالترقي، فأعطاهم ذلك بسبب المداراة لهم ودفعاَ لشرهم في تلك الساعة فتفرقوا بعد قبضهم التذاكر .

فصل :

فلما كان نصف الليل بعد ذلك اليوم، خرج الأمير علي بك من القصر من محروس مدينة ملحظ، إلى خارج مدينة ذمار، ونصب خيامه خارج المدينة فلما أصبح الصباح، وصل إليه الأمراء والأغوات وأعيان العسكر، وقالوا له ما السبب لخروجك من المدينة، فقال لهم السبب ما فعله العسكر بالأمس، وما أخذوه منّي من التذاكر بالترقي، والحمد الله أنا أمير، ولم أكن باشا حتى أفعل الترقي للعسكر، فما أعطيتهم أمس ذلك إلا دفعاَ لشرهم، كونهم قد تجمعوا من كل ناحية، فالآن إما رجّعوا التذاكر جميعها، وإلا قاتلتهم والله تعالى ينصر مولانا السلطان، فعند ذلك دخل بينهم الأمراء والأغوات وأعيان العسكر المنصور، ولم يزالوا [ق53] يلاطفونهم حتى سلموا التذاكر جميعها، ثم أنهم اجتمعوا مره أخرى ، وقالوا لابد لنا من البخشيش والترقي، ووصلوا بأجمعهم إلى الأمير على بك المذكور، والأمراء الذين هم عنده، وطلبوا منهم ذلك فأجابوهم ، وقالوا أن هذا غير ممكن، فقالوا لابد من ذلك، وإذا لم تعطونا قتلناكم ، فلما صرحوا لهم بهذا الكلام طلبوا منهم المهلة، إلى أن يعرضوا إلى حضره مولانا الباشا بمحروس تعز ، فعرضوا باجمعهم، الأمير على بك والأمراء الذين عنده والأغوات واعيان العسكر، وشرحوا لمولانا أن العسكر مصرون على الفساد ولا بقي لهم انقياد، وأن قتالهم مُتعيّن ، وأنهم صاروا يقتل بعضهم بعضاً ، وان كل شخص منهم كان لدية شئ من المال ، قصدوه ليلاً إلى بيته وقتلوه، وأخذوا جميع ما معه، و أن صلاحهم متعذر، وانه إذا لم يقع فيهم السيف لا يصلحون اصلاً وقطعاً ، لكونهم قد خرجوا عن

([1]) التذاكر : ما يكتب فيها للجنود من أدوات سلطانية وجوامك شريفة ، وتكون مقررة من الديوان. عيسى صالحية : وثائق جديدة . هـ . صـ 60 .

الطاعة الشريفة السلطانية اعزها الله تعالى ، فلما وصلت عروضهم إلى حضره مولانا الباشا نصره الله تعالى، أرسل إليهم الجواب، بأن ينصبوا سنجق مولانا السلطان الأعظم نصره الله تعالى وينادوا على كافة العسكر ، بأن كل شخص كان مطيعاً لمولانا السلطان الأعظم نصره الله تعالى، فليدخل تحت السنجق الشريف، وكل شخص منهم كان قد خرج عن الطاعة الجند كاريه[1]، فليخرج إلى القتال والله تعالى ينصر مولانا السلطان الأعظم، ويؤيد عساكره، فلما وصل الحكم الشريف إليهم يتضمن ذلك، اتفق الأمراء والأغوات واعيان العسكر المنصور، وركبوا خيولهم ولبسوا دروعهم، ونشروا السنجق الشريف السلطاني [ق54] واللواء المنيف الخاقاني، وتقدموا على المفسدين المذكورين، بعد النداء عليهم والإعذار، فكل شخص قاتل منهم قتل، والذي قتل منهم في ذلك اليوم ستون نفراً، وتمزقوا كل ممزق، تشتت شملهم وتفرق، وبعد ذلك طلبوا الأمان، وان يرجعوا إلى ما كانوا عليه،من الطاعة وحسن الانقياد، والقيام في الخدمة الشريفة السلطانية على الاستقامة الحسنه، فأعطوهم الأمان، وارتفع القتال، وصلحت الأمور وانتظمت الأحوال، وصدرت المراسيم الكريمة إلى الأمراء والكشاف، بان كل من كان عنده أحد من المفسدين يخرج من حقّه، لأن المفسدين من العسكر قد كانوا معروفين من بينهم، أشهر من نار على علم، وهذا الأمر معلوم، ظاهر غير مكتوم، وبعدان قتلوا المذكورين إنتضمت أحوال العسكر، وسلكت الناس عل قاعدة مرضية، محمودة العاقبة، وآمنت الطرقات، بعد أن كانوا أخافوا الناس بالنهب في الطرقات، والتعرض بالأذاء للمرّ وابن السبيل .

(1) الجندكارية : (الجندارية) العسكر الذين يتولون الخدمة على باب السلطان. نور المعارف في نُظم وقوانيين وأعراف اليمن في العهد الرسولي الوارف. تحقيق : محمد عبد الرحيم جازم. صنعاء المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، ط أولى. 2003م، هـ . صـ 74.

ويقصد . ربما . بالجندكارية الخدمة العسكرية أو النظم العسكرية.

تتمـــه

تشتمل على جمل من محاسن مولانا صاحب السعادة اسعد الله تعالى به الوجود، وكبت به كيد كل حسود، وفضائله أشهر من أن تذكر، وأجلّ عن أن تحصى وتحصر، وكان أدام الله تعالى عزه مشتملاً على جمله من المحاسن منها العلم والحلم والفهم وحسن التصور، والرأي الصائب في السياسة واليد الطولى في عِلم الرّقم والحساب، وحسن التدبير في المملكة السعيدة ، يباشر جميع متعلقاتها بنفسه، موفياً بالعهد، يدني المشتكي إلى حضرته، ويعرض عليه شكواه من غير واسطة وينصفه عن ظالمه، وكان مُهذّبا لجماعته، ومرببياً لهم أحسن تربيه، حتى أن كل واحد منهم، يشتمل على جمل من المحاسن من بذل الخيرات، وقضاء الحاجات وغير ذلك، وأما إصلاح البلاد على العموم، فمنها أن مدينة زبيد خربت من السُراق حتى كثر فيها النهب، وظهر في [ق55] أعيان أصحابها القتل، فأمنها الله تعالى بعد ذلك، بهمته العالية، بقتل جمع من أكابر اللصوص، فآمنت البلاد بعد ذلك، ولم يسمع بسرقٍ فيها بعده، ومن ذلك تمهيد طرق الجبال الوعرة، وتسهيل الطريق وتوطئة تلك العقاب، وبناء طرآق[1] وجسورممتدة على مياه تمر ببعض طرقها، كبناء جسر عتمه وغيره، كون المحل المذكور إذا كثر السيل به منع المارة عن السلوك فيه، وربما كان إذا أشتد السيل صرع المسافر وأهلكه، وقد مات جمع من ذلك، ومن ذلك بناء قلعه بجهة ذراع الكلب [2]، وإصلاح النجد الأحمر، إلى غير ذلك من بناء السماسر[3] وتعمير الأسداد وغير ذلك، ومن محاسنه أبطال الضمان[4] بوادي زبيد أرضها ونخلها، وجعل أمناء

([1]) طرآق :طرق

([2]) ذراع الكلب : منطقة في الحدا بذمار . (إبراهيم المقحفي : معجم البلدان . جـ1 ، صـ 624) .

([3]) السماسر : جمع سمسرة ويطلق على المكان الذي كانت تجري فبه عملية السمسرة والتجارة ويتبادل فيه التجار البيع والشراء وتبنى السماسر علىطرق التجارة ، وتستخدم كمحطات ، كما هو الحال في بلاد الشام فيما يعرف بالخانات . الموسوعة اليمنية : مؤسسة العفيف الثقافية جـ3 ، صـ 1621.

([4]) الضمان : نظام الضمان أتبغ في اليمن في جمع الخراج من الرعايا ، وكان تفرض مقادير معينة على من الضرائب على الراضي والمواشي، وتبقى هذه الارقام يعمل بها دون مراعة لتغير أحوال الناس،

يتخلصون المال بها على وجه العدل والإنصاف إلى غير ذلك من غير نكد على الرعايا ولا تعنيف، ولا ترسيم عليهم ولا تعسيف، ومن محاسنه قرض الرعايا طعاماً من الأنبار[1] السعيد برد مثله، وذلك من خصوصيات فضله، ومن مآثره الكريمة عمارة درب[2] مدينة زبيد بعد أن خرب، وسقط شئ كثير منه، وإصلاح النهر الذي هو شرقيها المشهور بالمجرى، وكان قد نضب ماؤه، وعمر ذلك بالأجر والنورة[3]، على يد القاضي صفي الدين احمد بن عبد الرحيم التبريزي، إلى غير ذلك من المحاسن الشريفة الوافية، والمآثر الدائمة الباقية، وما ذكرناه في كتابنا هذا هو شئ حقير، وقليل من كثير .

فصـــل :

وفي يوم الأحد سابع عشرين شهر شوال[4] المبارك منها وصل محمد جاووش من الديار المصرية، وأخبر أن البلاد اليمنية توجهت إلى مراد باشا[5] من تاريخ عاشر شعبان المعظم منها، فحينئذ طاب خاطر مولانا اعزه الله تعالى وانشرح صدره بذلك وحصل له السرور، بخلاصة من [ق 56] اليمن المعمور عند ذلك شرع يسر الله حاله في نفسه السفر، إلى الباب العالي المحروس بالكبير المتعالي، وكان ذلك أوان

أو كمية الأمطار ولحالات الجفاف، وما قد يصيب المزروعات من أمراض. سيد سالم : الفتح العثماني . صـ362 .

([1]) الأنبار : الأكداس أو المخازن . ابن منظور : لسان العرب . جـ3 ، صـ 567.

([2]) درب : سور. مرتضى الزبيدي : تاج العروس . جـ1 ،صـ 483 .

([3]) النورة : مادة كلسية تستخدم في الطلاء. ابن منظور : المصدر نفسه. جـ 3، صـ 740.

([4]) السابع والعشرين: يوافق30 يناير 1575 م .

([5]) مراد باشا : خدم محمود باشا المشهور الذي تولى اليمن ، وكان كتخداه في مصر ، ثم صار حاكم الحبشة، عينه السلطان مراد حاكماً لليمن ، فوصل إلى صنعاء سنة 984هـ / 1576م ، في عهده ظهر الإمام الحسن بن على المؤيدي ، عرف عنه حبه للعلم والعلماء وتقريبهم إلى مجلسه ، عُزل عن ولاية اليمن سنة 988هـ / 1580م، كانت وفاته سنة 1020 هـ / 1611م، ودفن في القسطنطينية . محمد المحبي : خلاصة الأثر . جـ4 ، صـ 357 ، 358 ، سيد سالم : نفس المرجع. صـ 322 ، 331.

سفر الحاج إلى بيت الله الحرام، فأختار وفقه الله تعالى أن يُحصل الفضيلة بالحج ويتصل بتلك المشاعر العظام، أنجح الله له ذلك المقصد، وأناله جميع ما يؤمله ويقصد، فلما كان اليوم الثاني من شهر ذي القعدة منها 0 أحضر الأمراء وهم محمود بك وشاة علي بك، وفيروز بك، وحيدر بك، وخضر بك[1] ورضوان بك، وأغوات وأعيان العسكر المنصور، وشرح لهم أن قصده السفر إلى الباب العالي، وأن قصده الحج كون ذلك وقته، الخيار أن يجعل علي بك نائب مدينة تعز، لحفظ البلاد وضبطها، وخلاص الأموال السلطانية وصرفها، إلى أن يصل الباشا المشار إليه، فيسلم إليه من الخزانة السعيدة ما كان موجود قدر خمسين كيساً، إلى غير ذلك من القفاطين، والسناجق السلطانية، وبالجملة جميع ما كان في الخزانة العامرة، سلّمه إلى الأمير علي باشا بحضور الأمراء والأغوات الكرام وقضاة شريعة خير الأنام0

فصـل:

وفي رابع الشهر[2] المذكور منها 0 خرج مولانا أعزه الله تعالى بالسلامة من محروس مدينة تعز، قاصداً مدينة زبيد، وكان نزوله بالمخيم السعيد يوم الثلاثاء سابع الشهر المذكور، فأقام به خمسة أيام، فحين أن حل ركب مولانا السعيد بالمخيم المنصور بظاهر مدينة زبيد، نبع ماء عين ذلك المجرى، وأنبثق بالسيل المزبد، فاخضرت بذلك الأشجار، وعمرت عند ذلك تلك الأماكن والديار، وتوارى سيله حتى دخل المدينة المذكورة، وأستمر جارياً في مجراه على جاري عوائده المشهور، فطابت نفس الرعايا عند ذلك، وقرت عين أهل مدينة زبيد، لما جرى الماء في تلك المسالك، بعد أن كان قد[ق 57] خرب ذلك المجرى وتعطل ودثر، وصار خالياً عن الماء مدة

([1]) خضر بك : عينه سنان باشا درداراً على قصر صنعاء ، وقد عزله فيما بعد لممارسته الظلم على الجنود. قطب الدين النهروالي : البرق اليماني . صـ 389.

([2]) 5 فبراير 1575 م .

ثلاث سنين أو أكثر، وقد أصرف في عمارته المال الجزيل، ولم تجد العملة والعمال إلى ذلك الإصلاح سبيل، وهذا من سعادة مولانا وصلاح نيته، وشفقته الكريمة وغزير محبته لرعيته .

فصـل :

وفي اليوم التاسع من الشهر[1] المذكور منها، أصرف مولانا ضاعف الله ثوابه زكاته الشريفة على الفقراء والمساكين، والأرامل والأيتام وسائر المستحقين، وكان صرفها على نظر مولانا القاضي العلامة العليم صفي الدين أحمد بن عبدالرحيم التبريزي الحكيم دفع إليه جملة من المال، فأصرفه على المستحقين بزبيد وغيرها من ذوي الفاقة والعيال، فطاب بذلك كل فقير ضعيف، وزال عنه تعب النفقة، والكسوة ومشقة التكليف، وانتفع بها الجم الغفير، وعم ذلك النفع الجمع الكثير، فحصل الدعاء لمولانا من العلماء والطالبين والفضلاء، وأصحاب العكف[2] من المشائخ الصالحين، ووقعت تلك الصدفة موقعها في استحقاق ذلك الانتفاع ، فودع أهل مدينة زبيد تلك النعمة ، وكانت والله خير الوداع ضاعف الله ثوابه وأحسن إلى بلدة مآبه.

([1]) 10 فبراير 1575 م .

([2]) العكف : الأعتكاف والعكوف معناه الإلتزام والمواظبة والأقامة والعكف نوع من الأغماد الخاصة بالخناجر المستخدمة في اليمن ، وتعرف أيضاً بالتوزة. ابن منظور : لسان العرب. جـ 2 ، صـ 853.
الموسوعة اليمنية . جـ 1 ، صـ 648.
وهذه التوز عادة ما يستخدمها الفقهاء والعلماء والقضاة ، وربما قصدها المؤرخ حين وصف المشائخ والعلماء بأصحاب العكف .

فصـل :

وفي اليوم الثاني عشر من الشهر[1] المذكور. توجه بالسلامة إلى مكة المشرفة من طريق البر، وصحبته أمير اللواء الشريف محمود بك عين أمراء مصر يسر الله طريقه على أحسن حال، وسهل عليه ما يرجو من صلاح الأحوال، وجمعه بكافة أهله، وفتح عليه ما يطلبه من كريم فضله.

(1) 13 فبراير 1575 م .

الـمـلاحـق

ملحق رقم (1)

رسالة الإمام شرف الدين إلى السلطان سليمان القانوني

المؤرخة بـ17 شوال 947هـ/ 16 فبراير 1541م[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا أله إلا الله الملك الحق المبين، وإياه نعبد وإياه نستعين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وسيدنا محمد الأمين صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبارك اللهم عليه وعلى آله كما صليت وباركت على آل إبراهيم، وعلى آل إبراهيم في العالمين أنك حميد مجيد، ورضى عن الصحابة الراشدين.

من عبدالله المتوكل على الله أمير المؤمنين وفقه الله لما يرضيه عنه آمين، إلى السلطان الأعظم أعظم سلاطين المسلمين، والقائم بجهاد الكفار المتمردين سليمان شاة بن سليم كتب الله إرشاده، وقدر إسعاده في الدنيا والدين. سلام الله عليكم وإنّا بحمد الله سبحانه وشكره (غير واضحة في الأصل) ونسأله الهداية والرعاية والكفاية والحماية والإعانة، والإغاثة والإعاذة من شرور أنفسنا من كل شر ذي شر من خلقه أجمعين.

ثم ننهي إليكم ما صار عليه أكثر أهل ولايات زماننا هذا في أقطارنا من قبل وصول عساكركم إلى الجهات اليمنية والتهامية ومن بعد من تعدي حدود الشريعة المطهرة، وعدم مراعاة معالمها المقررة، واشتغالهم بغير ما أمرتموهم به على ما بلغنا من النظر في جهاد الكفار وعدم التعرض للمسلمين في هذه الأقطار حتى أخربوا قواعد الدين الحنيف، و أشمتوا الإسلام أعداه من أهل الزيغ والتحريف. لا يراعون عهداً يعقدونه، ولا يحترمون عقداً يصنعونه حتى خافهم كل واحد، وتجنبهم من كان يرجو ويرجى منه الإغاثة في الجهاد في سبيل الله الواحد الأحد، وصار ميل أكثر أهل الجهات المتاخمة لبلاد الفرنج من بلاد الهند والسواحل والثغور إلى جناب الكفار أكثر وهمتهم بما يصنعونه لهم في أمور دنياهم اعظم، فعظم الخطب في قتالهم وتعذرت المعاونة والمخالطة على دفاعهم وهوانهم.

وقد كانت تقدمت منا إلى جنابكم الكريم مطالعات ومشافعات، ومنكم إلينا مكاتبات ومراسلات على أيدي قصاد من خدمكم، وانتظرنا ما يأتي من قبلكم من جواب شريف وخطاب زليف حتى وقع

([1]) الحسن بن محمد الزريقي: سيرة الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين. مخطوطة محفوظة بمكتبة آل الهاشمي في صعدة ، منها صورة محملة على قرص مدمج بمؤسسة الإمام زيد الثقافية.

من ولاتكم في حدود جهاتنا عدوان وطغيان وقتل وهتك لأمان الله الملك الرحمن، وكتبانا إلى أمير موسم العام الماضي موسم أخر سنة ست وأربعين، وإلى أميركم المقام الكريم في محروس مصر، وذكرنا له مطالعتكم فيما جرى منهم، ولم يزل تكرار الكتب والشكاة إلى أميري زبيد وعدن، فلم يكن من أمير زبيد إلا القيام بنفسه وجندكم المعد لجهاد أعداء اله سبحانه في مخالفة ذلك والبغي على ذرية نبيكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإسعاده لأعداء الدين طهر الله سبحانه البلاد منهم على يد عبده وابن بيت نبيه فطلعوا بجنودكم على محروس تعز وكان منهم ما ربما قد بلغكم في العام الماضي، وبعد ذلك وقعت مكاتبة بينه وبين بعض أهل الخير رجل من (غير واضحة في الأصل) بني غسان مبارك شافعي، ويحب الخير والسعي للصلاح على يد رجل بينه وبينه صداقة من الفتنة الأولى التي كانت في زبيد، فكتب له من والي زبيد مناشير بالأمان والإركان، والموجهة إلى زبيد للخوص في الصلاح، وحقن الدماء وسكون الدهماء، والاشتغال بالأمر الأهم من المعاونة على جهاد هؤلاء الكفار كل واحد بجنده وإستطاعته، وكتب الرجل الساعي ذلك (غير واضحة في الأصل) من جيشه ما وقع عليه فسار إليهم إلى زبيد، وأعلمنا هو وغيره، أنه بلغ إلى زبيد قاصداً من جانبكم الكريم إلى جهتنا أن إلى والي زبيد منعه، وكتبنا إلى والي عدن في ذلك، ورجع جوابه أن يراجعه، فإن ترك قاصدكم يصل إلينا، وإلا كان شاهداً لنا عليه، فلم يكن من والي زبيد إلا الاستمرار على منع القاصد، وكتب إلينا وإلى والي عدن بأنه يخلي القاصد إلا إذا سلمنا إليه البلاد، ومكنه فيما صرنا نراه منه من الجور والظلم والفساد.

وبلادنا هذه بلاد شحيحة أمطارها خراجاتها حقيرة، لكن قد طهرناها بإعانة الله سبحانه من أهل الظلم والعدوان، وأجرينا قواعد الدين والإيمان، ورفعنا عنها المنكرات، وأمّنا فيها السبل الطرقات، وعمرنا فيها معالم الشرع، من جميع أهل المذاهب المهديات على ما يحققه لكم إذا طلبتم التحقيق أهل العلم من أهل المذاهب الأربعة، ممن في جهاتنا وجهات زبيد وعدن، إذا أمنوا من شقاية أهل الجهل عليهم، وفي الجهات التي تولى عليها غيرنا خلاف ما ذكرناه لكم في جهاتنا، من كل ما ذكرناه مما لايسع شرحه الكتاب، وقد علمه رب الأرباب، ثم أن والي زبيد تعدى في حق ذلك الغساني الواصل إليه في أمان الله سبحانه وأمانكم حاطكم الله وأرشدكم، وبعد توقيفه له على فراشه ومعاشه أشهراً عديدة، لم يجعل له أذن برجوعه إلى بيته وأهله فسمع بعض كلام بقية بقيت عنده من الباطنية الذين أحل دمهم الله سبحانه على أيدينا، فأمر بقتله على باب مدينة زبيد، وقطع رأسه وتُركه عقير في الخلا أياماً، حتى أُذن بعد ذلك بدفنه، فوجدوه سالماً من الوحوش، وجسده على ما قتل عليه من الصحة والسلامة وهو كان من أهل الخير رحمه الله والصدق ممن يعد في علّيين ، ثم بعد ذلك لم يزل يوثب على حدود بلادنا ويقيم هؤلاء البغية من الباطنية الكفرة الرافضية، الذين كفرهم أعظم من كفر اليهود والنصارى بإجماع أهل الملة المحمدية، وكتب لهم الولايات برجوع بلادهم التي طهرها الله سبحانه من رجسهم، ونزه من خبثهم ونجسهم وقد حُرر في باطن هذا الكتاب ما نرجو وقوف نظركم الكريم عليه، بعد أن (غير واضحة في الأصل) من حرب أميرهم

الذي كتب له الولاية وذكر انه جعل له سنجقاً من سناجيقكم التي كان الواجب عليه أن يشرفها عن مس مثل هؤلاء الكفار وصارت أحواله وأحوال ولاته على هذا البيان في الاشتغال بنكاية أهل الإيمان والإضاعة لما أمر به من السعي في المعاونة على جهاد أهل الكفر والطغيان، حتى بلغنا تجهيز هؤلاء الفرنج أقماهم الله سبحانه وأرداهم، ودفع عن الإسلام والمسلمين ضرهم، وأذاهم فخالطنا من الهم ما (غير واضحة في الأصل) الله سبحانه ووددنا أن نشارك في الجهاد لهم بما يمكننا ويدجل في وسعنا من الجهاد بأنفسنا حيث نمكَّن وبالسعي والوعظ والحث لمن بعد رأيه يسمع ذلك من أهل الحدود المتاخمة للثغور، فمنع من ذلك ما عرف من هؤلاء الولاة من الهتك لمن خالطهم، والفتك بمن داخلهم، والله المدافع والمرجو للعطف على المسلم، وعدم تعدي من تعدى حدوده، فما يرجع إلا أهل الدين.

وقد أحببنا مطالعتكم بهذا الكتاب حتى تعرفوا أنه لم يكن منا إلا الدفاع عن الحوزة، بعد أن بذلنا كل ما طلبتموه منا، في كتبكم السابقة،من إصلاح السبل وجلب الأرزاق إلى جهاتكم، والمعونة والمساعدة لما يمكن ويجعل لنا المساعدة إليه لم نمنع إلا ما يجب علينا الله سبحانه منعه (غير واضحة في الأصل) تعرفونه أنتم ومن ينظر الله سبحانه حقيقته لأمرتمونا ودعوتمونا إليه، ثم أنه بلغنا أنكم أرشدكم الله (غير واضحة في الأصل) من رحج لكم رفع أيدي أهل البيت والحسنيين من ولاة الحرمين الشريفين، وهذا أمر لا نراه لكم ولا نعرف منه عاقبة محمودة للمسلمين، لأنهم عليهم الاعتماد في حماية البلاد وقد صاروا فيها ممكنين باستقرارهم فيها مما لا يتمكن منه غيرهم من أهل (غير واضحة في الأصل) ونحن نحفظ مما يحفظ من وصايا أسلافنا الطاهرين قدس الله أرواحهم في عليين، أن علياً عليه السلام كان مما أوصى به ولده الحسن عليه السلام أنه قال له : الزموا حرم الله الشريف، فأنكم إن فارقتموه لم (غير واضحة في الأصل) هذه الأمة ، فأحببنا نصيحتكم حتى لا يقع على الأمة مخوف على أيديكم، ونحن نعرف أنهم قد يتعدون حدود الله في بلادهم، ولا نزال نحن والأئمة قبلنا نعظهم ونرحمهم فالذي نراه لكم أرشكم الله تقريرهم على عوايدهم، وعدم تغييرهم، وإذا أعنتمونا على دفع المنكرات من جهاتهم وكانت أيدينا وأيديكم في ذلك فنحن نرجو أن يكون ذلك بسعادتكم، الله المسؤول أن يوفقنا وأياكم لاتباع مرضاته، واجتناب معاصيه ويحفظ الإسلام والمسلمين كل شر وضر، بحق ذي كل حق لديه أنه حميد مجيد، وصلى الله على محمد وعلى آله كثيرا، والسلام ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

تابـع ملحـق (1)

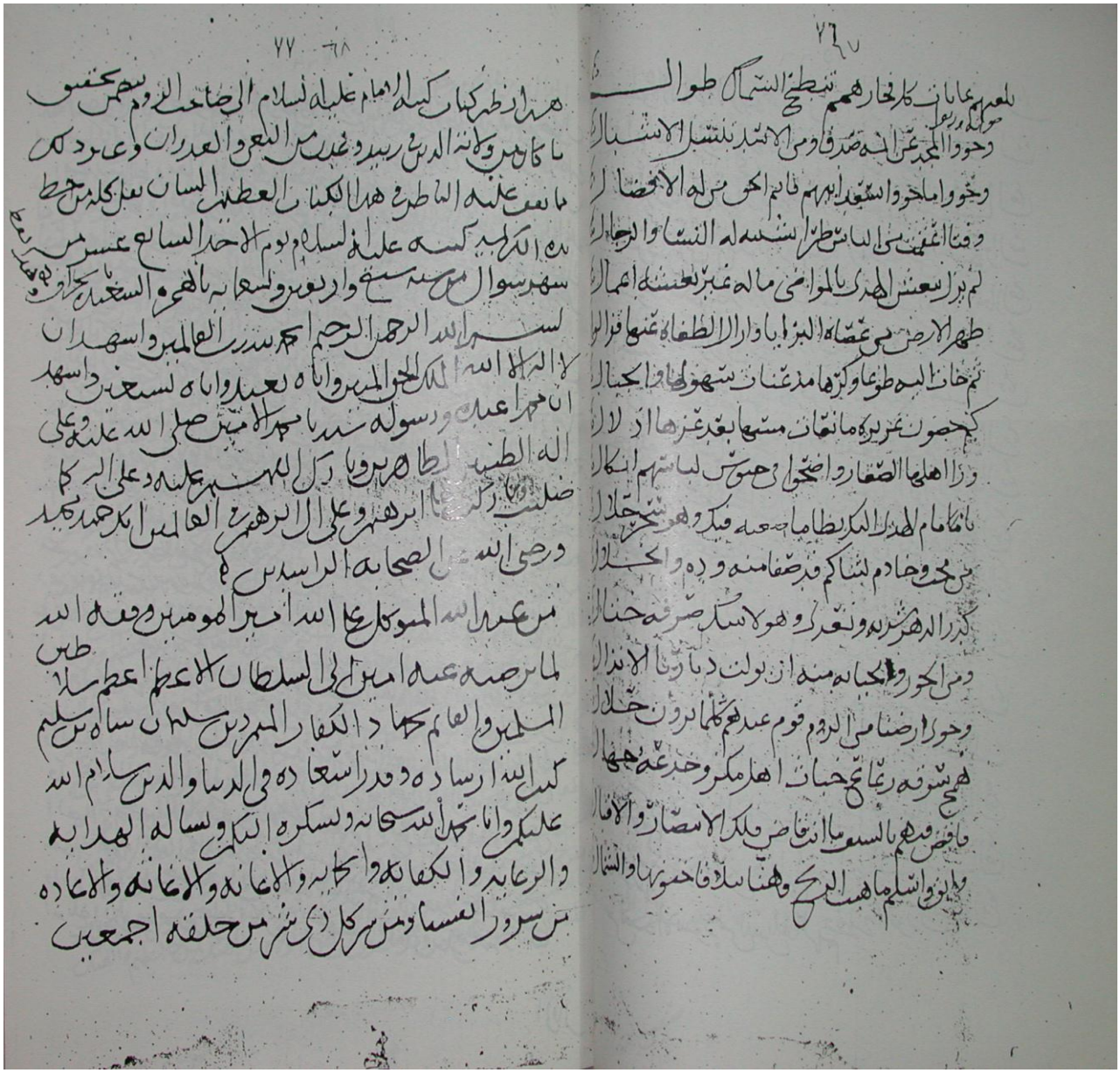

ثم بعد اليكم ما صار عليه اكثر اهل الاقطار هذا في اوطارنا من قبل وصول
عساكركم الى الاحساء اليمسه والهامسه ومن بعدهن تعدى حدود الشريعة الطهر
وعدم مراعاته معالمها المعرج واسعالهم بعدما امرلوهم به على ما بلغنا من
الضرب بحهاد الكفار وعدم التعرض للمسلمين في هذه الاقطار حيث اخربوا اوطانهم
الدين الحنيف واسموا الاسلام اغراه من اهل الدرعيه والتريف كما تراءوا بعهد
بعدوه ولا يحدمون بعد الصعونه حيث حاقهم كل احد وصار مسل احد
ومرحومه الاعانه بحهاد في سبل الله الواحد الاحد وصار مسل احد
اهل الحجاز المباحه لبلاد النجد من بلاد الهند والسواحل والبعوران حباب
الكفار اكبر وبعضهم ما يصعونه لهم في امورديناهم اعظم بعظم الخطر في نفوسهم
وبعدرس المعاونه والمحافظه على دينهم ودنياهم ودركاتهم سلمنا الى
حبابكم الكريم مطالعات ومسامعات ومنكم السلام كثيرا وموالسات على الدوام
من احبابكم واسطريا ما ماتى من قبلكم من حوالي سريوحطان ليث حتى وقع ولا يكم
في حدود دحها تاعدوان وطغيان ومثل هذا لا ما ان الله الملك الرحمن وتسلما الى امد
موسم العام الماضي موسم احد منسنت وار بعد الى امد كم العام الكريم محروس
محضر ودكر الله مطالعكم فما جرى منهم ولم يزل كريم الكتب والسكاه الى الحرس سيد
وعدن فلم يكن من امر سدا الا السلام نفسه وجدكم الجد جدها واعد الله سبحانه
في ما لعلاه دكر والسعي على دينه سبكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واسعاده
لاعدا الدين طهر الله سبحانه البلاد منهم على يد عمر وابن سبيه فاطلعوه
بعودكم على محروسه تعود كان منهم ما ربما قد بلغكم في العام الماضي بعد دكر وبعد
سكاته سبه ومن بعض اهل الخير حل من نعمان غسان مبارك سها وحب الخير
والسعي لصلاح عاد بحل بلده وبلده صدافه من العصه الاولى التي كانت بيد
فكتب له من الى سيد منا شير بالامان والاركان والمواجهه الى سيد للخوض في
الصلاح وحصل الدما وسكون النهاوالاسعال بالامر الاهم من المعاونه على
حهاد هولا الكفار كل احد بحده واستطاعته وكتب الرحل السادات بكتب
وادبا لسعاد حل من حرسته ما وقع عليه نسار اليهم الى سيد واعلما هو بيده
ان بلغ الى سيد ما صيد من حبابكم الكريم الى حمسا والى سيد منعه وكتبنا

الى الوا

الى الى سيد في دكر وجوع جوابه انه سراجعه فان ترك احد كم يصل النساء والاكان ساهدا
لما عليه فلم يكن من والى سيد الا الاسعال على مع القاصد وكتب النساء والى الى سيد بانه
لا يجي القاصد الا اذا سلمنا البلاد ومكانه ما صار في سيد من الجور والظلم
والفساد وبلادنا هذه بلاد يشتهر فيها اطارها خراجا ما حصر لكنها قد طهرها
بالعانه الله سبحانه من اهل الظلم والعدوان واحرسها من عاد الدهر والاوان ورفعنا عنها
المكوس وما سافها النسل والطرقات وعمرنا فيها معالم الشرع واهله في جمع اهل البلاد
المهديات عا ملحقه لكم داخليم المحقق اهل العلم من اهل البلاد هذه الى بعه
من جهاد سيد وحهاد سيد وعدن اذا سمع من سعانه اهل الحجاز على ما ذكر
الله توفي عليها عن الحلال وما ذكرناه لكم فحهاتا في كل ما ذكرناه فلا اسع كم الكتاب
ودعليه بيت الاربان ان والى سيد بعد دكر وحود لكم العسافي الواصل الحكم وامان الله
سعانه وامانكم حاط الله والى سيد كم وبعد يوصله لدى عاد اشه ومعاشه
اسهر اعدين لم يحد الله ادن يرحوخه الى سبه واهله فسمع قبه كلام بقيه بقيت عنده
من الناطيه الدين الحد الله سبحانه عا ما مر بعلمه في ما مدى سبه سيد وقطع راسه
وتركه يصير الحلا احتى ادن بعد دكر بدفنه فوحدوه سالما من الوحوس
وحسان عا ما فنا من الخير والسلامه وهو كان من اهل الخير رحمه الله سيد
والصلح بعد دكر بعد دكر بعد دكر بعد دكر بعد دكر بعد دكر بعد دكر بعد دكر بعد دكر بعد دكر
من الناطيه الكفره الرافضيه الدين كفرهم اعظم من كفر اليهود والنصارى باجماع اهل
الملل المهديه وكيفهم الولاه يرحوع بلادهم الى حظيرها الله سبحانه من جحيم ونيرانها
من جحيمهم وحميم وقد حصر في نظم هذا الكتاب ما يرحو وقوعه بطرف الكريم عليه بعد ان
تكمل الله من حرك السيد الدي كتب الولايه وذكر انه حصل له سحقا من سلحكم الى
كان الواحب عليه ان ينهاهم عن مثل هولا الكفار وحمار احواله واحوال الكفاره
على هذا السان وان الاسعال بكماله اهل الايمان والاصابه لما امر به من السعي في
المعاونه على حهاد اهل الكفر والطغيان حتى يلعا تحهير هولا الفرع اتاهم الله
سعانه واراداهم وقوع عمل الاسلام والمسلمين صرهم واداهم فحا طعانهم ما
يرحمه الله سعانه وود دبابان بسار كل احد بما ذهم بما يكسا ويدل وسعا في الحهاد
بالسياحه حسكون بالسعي والغيط والخيل بعد ان سمع دكر من اهل الحدود
المباحه للعور كمع من دكر ما عرف من هولا الولاه من الهتك لحرم حاطهم والفتك

من احلهم والله المراجع والمرجو للعطف على الجميع وعدم المؤاخذة بعد كتب بعدي
حدوده فيما رجع الى اصل الدين وقد احسنا معا لعلكم تهدون الكتاب حتى يعود الله لكم
بكرمه الا الدفاع عن الجوزة بعد ان بذلنا كل ما طلبتموه منا فيما يكسكم السابقة من اصلاح
السبل وحث الارباض الى حمايكم والمعاونة والمساعدة لما تكون وحل لنا المساعدة لله
ولم يمنع الامانة عنا لله سبحانه ومعه وما لو تعرفون انهم ومن يطرد لله سبحانه
حقيقة لامرهم بانه وذهبوا اليه بهم انه معنا انكم ارسلتم الله سعدتم
بروح تكرمه ايدكم اهل البيت الحسين والحسين من ولاة ما يحب الله ورسوله
وهذا امر لا يراه تكم ولا يعرفه عامة محموده للمسلمين لا يهم عليهم اعتماد في
حماية البلاد ودوام صاروا فيها تمكن باسقرارهم فيها فانا تمكن منه غيرهم من اهل
البلاد عمما والاسعاد وحن نحيط ما نحيط من وصانا خلفا فالطاهرين جدنا الله
ارواحهم فعلين ان علينا عليه السلام كانا ما اوصى به ولده الحسن عليه السلام
ان قال الامانة الامانة الامانة احرموا الله السريرة فانكم ان فارقتموهم ساطرهذه الامة
واحسنا نصحكم حتى لا يقع على الامة محذوف على ايديكم ونحن نعرفهم بهم فيعودون
حدود الله سبحانه بالدهم ولا يدرون الحق الا منه فلسنا نعظمهم ويرحمهم فالذي يراه
تكم ارسدكم الله لعريرهم على عوائدهم وعدم سعيهم واذا المسجون ما عاد في المكاره
من حقها بهم وكانت ايديكم في ذلك فلحن نرجوان تكون ذلك سعاتكم والله المسؤل
ان يوفقنا واياكم لاتباع مراضيه واحسان معاضيه ونحوطكم الاسلام والمسلمين
من كل مرهوب ونحوكل في حول كريم انه حميد مجيد وصلى الله سعدهم وعلى آل محمد
وسلم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ؛

وهذا السيد المبارك سهر السعد ايحرام من شعبه
سع وارتقى وسعاته وصلت السري من السند
الهمام السامي الوزير عز الدين الحسين بن العالم عز الدين
امير الحسين ايدهما الله بالنصر والتمكين وذلك يوم
لعشر بقين من الشهر المذكور بعد قبل الطعاة العشرين
العام الميمون من الهجرة وهو المذكور من يوم علي
بعد حدود الله وكانوا ماوى لمن حاد الله ورسوله
من يام وبني عمه وعترهم من اعداء الله سبحانه وتعالى
ولم تقطعوا اعتبروا بعدهم من سلك مسلكهم
فمكن الله امامه من يدونهم ويدمرهم واطرافهم
عا الحق وطهرهم من بدوا عا الطريقة الملعونة
وكانت لهم ولمن حكمهم اعمال حسنة مكتوبة وكان من
الله العلي ايده الله العزيز سعيه لعصد لهم وعزتهم
لا مكانهم وهو سمي هجره سحان فضم ايده الله العزيز عليهم
سه صادقه وعزمه صحيحة ولم يسعر والده الامام عليهم
تزكى الا بعد قوله ايده الله واياكم ذلك عن والده الامام
عليهم لرطبه ان الامام عليهم رضا امره بالتاخر الى وقت اخر
او لجمع الاحباد وعند ذلك ما تكون سعاته قوام الفرضة
سالى عز ايده الله وحوز المنادره المهاد ونصول امره فقصار

ملحق رقم (2) .

مرسوم السلطان سليمان القانوني إلى الأمير المطهر بن شرف الدين الوارد من الباب العالي على يد مصطفى باشا.

المؤرخة بـ 10شوال سنة 957هـ الموافق 23 اكتوبر 1550م.

(صورة المرسوم الواردة في كتاب البرق اليماني: للمؤرخ قطب الدين النهروالي)[1].

هذا مثالنا الشريف السامي السلطاني، وخطابنا المنيف العالي الخاقاني، لازال نافذاً بالعون الصمداني واليُمن الرباني إلى الأميري الكبيري الهمامي الظهيري العوني النصيري الحسيبي النسيبي، فرع الشجرة الزكية، طراز العصابة العلوية، نسل السلالة الهاشمية، السيد الشريف مطهر بن شرف الدين نخصه بسلام أتم، وثناءٍ أعم، ونبدي لعلمه الكريم أنه لا يزال يتصل بمسامعنا الشريفة إخلاصه لأعتابنا، وقيامه بقلبه وقالبه بمرضاة سلطاننا، وبمقتضى ذلك كان حصل شكرنا التام على مناصحته، ورضانا الشريف العام على حُسن خدمته، ولما برزت أوامرنا الشريفة بتعيين وزيرنا الأعظم، إلى البلاد الهندية، لافتتاح ممالكها من أيدي ظلمة الرعية، إحياءٍ لسنة الجهاد ،وقطع دابر الكفر أهل الفساد، وأستبشر بذلك كل مسلم وصار فرحاً مسروراً، (وكان أمر الله قدراً مقدوراً)، فرجع وزيرنا المشار إليه فوجد طائفة من اللوند العنيد يتصرفون في قطر زبيد، وأزداد ظلمهم على الرعية وأهل البلاد، وعم ضررهم كل باد وناد وسعوا في الأرض بالفساد، فأستنقذ الرعايا من أيديهم، وأوجف بخيله ورجله عليهم، وأضاف تلك الممالك إلى ممالكنا المعمورة، وأدخلها في سلك أمصارنا الواسعة والموفورة، وعاد إلى أعتابنا الشريفة ومعه منكم، ومن والدكم مكتايب، تتضمن الطاعة لسلطاننا الإخلاص لتباع مرضاتنا، وتعاقبت مكاتبات والدكم بإظهار الطاعة، وبذل الإخلاص والصدق والاستطاعة، إلى بلغنا بعد ذلك عنهما إظهار الخلاف، وركوب جادة مادة البغي والاعتساف، وصار يقع بينهما وبين أمراءنا الخلاف الكبير، والأوضاع التي يعم ضررها المأمور والأمير. وذا عين اخطأ، الذي يترتب عليه رواح الأرواح، ويؤول إلى الخسران بعد النجاح والفلاح، ولا يخفى على من عقل وفهم { إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ } وإن مقامنا الشريف السلطاني قد ملك بعون الله ولطفه الصمداني بساط بسيط الأرض شرقاً وغرباً، وضبط الأقاليم الواسعة بُعداً وقرباً، وصار سلطاننا القاهر كالإبريز المصفى والخلاصة العسجد المُستصفى، ورقّم سجل سعادتنا بآيات العز والنصر، وعقد لنا لواء السلطنة على كافة أهل العصر، أدام الله تعالى فخرنا على سائر الملوك باقامة فرض الجهاد في سبيل الله إلى يوم العرض "ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض)، وعساكرنا المنصورة حيثما سلكت ملكت، وأينما حلت عقدت، وفتكت وسفكت، لا يعجزهم ديار ولايبعد عليهم ديار، فإن أشرنا

([1]) قطب الدين النهروالي: البرق اليماني. صـ 109 . 111.

أشرنا أمرنا أن يتوجه من عساكرنا شرذمة قليلون نحو مائة ألف أو يزيدون، بكامل الاستعداد من الالآت والزاد، ونتبع العسكر بالعسكر والجيوش بالجيوش الكواسر يكون أولهم في بالبلاد اليمنية وأخرهم في مملكتنا المحمية السنية ولا نحتاج إلى أن نعرفكم على قدر سلطاننا وسديد عزمنا وشديد أركاننا وتشييد أركان دولتنا فإن أكابر الملوك ذوي التيجان وأهل القوة والإمكان خاضعون لدولتنا الشريفة قهراً مطأطئون برؤوسهم في أعتابنا جبراً وقصراً، وذلك ظاهر لكل احد معلوم وشهوراً بين الناس غير مكتوم، لكن غلب جانب حلمنا عليكم وعطفت مراحمنا الالتفات إليكم لأنكم من سلالة خير البشر ومن آل بيت النبوة الميامين الغُر، فلزم على ناموس سلطنتا العالية، ووجب على ذمم هممنا السنية أن نعرفكم بعقبى الأمور قبل أتساع الخرق، وانتشار الحال ونعلمكم بما يؤول إليه الحال في الاستقبال بحسب المآل، وأن الجبل الذي تحصن به وظن أنه ينجيه، فهو محظ الخيال، وعين المحال، وأن تدميره في تدبيره جَهل أو عالم {لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ } [1]

أين المفر ولا مفر لهارب *** إلا ظلال البيض والأرماح

وقد برزت أوامرنا الشريفة السلطانية بتعيين أمير الأمراء الكرم صاحب العز والاحتشام المختص بمزيد عناية الملك العلام مصطفى باشا دامت معاليه (باشا) [2] على العساكر المنصورة، وصحبته ثلاث آلاف من المشاة الرماة المجهزين معه بحر، وألف فرس تجهزت بين يديه براً، ويسير معه أمير الأمراء الأكرم المختص بمزيد عناية الملك العلام أزدمر باشا دامت معاليه، بالجيوش اليمنية، والجنود النوبتجية، فعند وصول عساكرنا المنصورة إلى تلك الديار وتوجههم إلى حط[3] المحطات وترتيب الحصار، إن وصلت بنفسك إلى مصطفى باشا، وقابلته بقلب منشرح، فلك الأمان، وتكون من الفائزين، وتتلو مراحمنا عليك (لا تخف ولاتحزن انك من الأمنيين) وتنعم عليك عواطفنا بما تستحق من ممالك غير معارض في ذلك ولا منازع فيما هنالك وإن تكبرت وجهلت وما عرفت، (أتينا) [4] بجنود لا قبل لك بها، وأخرجناك من حصنك ذليلاً، وأخذناك أخذاً وبيلا، ودخلت في قول أصدق القائلين { يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ } وصرت بعد الوجود إلى عدم وندمت حيث لا ينفع الندم، وقد حذرناك حنّواً، وتعطفاً عليك، وأنذرناك تلطفاً وإحساناً إليك، وخاطبناك في

([1]) وردت في نص الرسالة " عصم" الصحيح "رحم" .

([2]) هكذا جاءت في نص الرسالة.

([3]) هكذا جاءت في نص الرسالة. وربما هي "تلك" وليس "حط" .

([4]) هكذا جاءت في نص الرسالة. وربما هي "أتيناك".

هذا الباب بألطف خطاب، فاختر لنفسك ما تراه، ومثلك لا يدل على صواب، وعلامتنا الشريفة أعلاه حجة ناطقة لاعتماد مضمونه وفحواه.

حرر ذلك ي دار الإسلام قسطنطينية الكبرى، في عاشر شوال سنة سبع وخمسين وتسعمائة.

مرسوم السلطان سليمان القانوني إلى الأمير المطهر بن شرف الدين الوارد من الباب العالي على يد مصطفى باشا.

المؤرخة بـ 10شوال سنة 957هـ الموافق 23 اكتوبر 1550م.

(صورة المرسوم الواردة في وثيقة المركز الوطبي للوثائق) [1]

هذا مثالنا الشريف السامي وخطابنا المنيف السلطاني الخاقاني العالي الكبيري النصيري الهمامي المطهري الشريفي، الحسيبي النسيبي، فرع الشجرة الزكية، وطراز العصابة العلوية، نسل السلالة الهاشمية، الشريف المطهر بن شرف الدين نخصه بسلام أتم، وثناءٍ أعم، ونبدي لعلمه الكريم أنه لا يزال يتضمن مسامعنا الشريفة إخلاصه لدينا وقيامه بقلبه وقالبه بمرضاة سلطاننا انقياده إلى جانبنا، ومقتضى ذلك أنه حصل شكرنا التام والثناء العام على مناصحته، ومكاتبته ولما برزت أوامرنا الشريفة سمعيه مطيعة وزيرنا الأعظم سليمان باشا تغمده الله برحمته نفذ إلى البلاد الهندية، لفتح تلك الولاية السندية إحياءٍ لسنة الجهاد وقطع دابر الفساد والعناد، وأستبشر بذلك كل مسلم وصار فرحاً مسروراً، ووقع ما قدره، وكان أمره قدراً مقدورا، فرجع وزيرنا المشار إليه، فوجد طائفة من اللونده تملكوا بلاد زبيد من مملكة اليمن، وحصل منهم غاية المشاق، بالإيذاء للرعية، وأزداد ظلمهم على العباد والبلاد وعم ضررهم كل باد وناد، فتتبع أثرهم وقطع دابرهم وأستنقذ الرعايا من أيديهم، وصارت مملكة زبيد من جملة ممالكنا الشريفة، وعاد إلى أعتابنا المنيفة، وأبرز من يده مكتوبكم ومكتوب والدكم يتضمن فيهما الإخلاص في سلطاننا وأنهما صارا من أتباعنا ومن اللائذين بأعتابنا، ثم عقب مكاتبة والده على باب سعادتنا، وأبلغت بعدلنا وأمثال ذلك وصل إلينا وحصل عندنا لهم زيادة المحبة والمصادقة والموافقة، وتحققنا ما كان يبلغ عنهما على ألسنة المترددين على أعتابنا الشريفة من تلك لديار، وأنهما صارا من توابعنا ومملكتهما من جملة ممالكنا، وبلغنا الآن عنهما خلاف ذلك، وتغير ما كاتبانا به في السابق، مثل غير مطابق وأنه وقع بينهما وبين أمراء أمرنا الشريف وعسكر ديننا الحنيف بتلك البلاد خلاف كثير عنيف، ووقايع عم ضررها الأمير والمأمور، وهذا عين الخطأ المحض المترتب عليه ذهاب الأرواح لمن كان له عقل وفهم

([1]) وثيقة بالمركز الوطني للوثائق بصنعاء . تحت رقم 1/89

{ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ } فلأن مثالنا الشريف السلطاني قد ملك بساط الأرض شرقاً وغرباً، وبعداً وقربا وصارت سلطنتنا القاهرة الشريفة كالإبريز المصفى والخلاصة المُستصفى، ورقّم سجل سعادتنا هذا بآيات النصر، وختم لنا العز في شرقها والغرب على أهل العصر وأستديم فخرنا على سائر الملوك على إحياء الجهاد إلى يوم العرض، "{ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء} وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض، وعساكرنا المنصورة أينما انخرطت فرطت، وأينما سقطت لقطت، وحيثما سلكت ملكت، وأينما حلت عقدت، وأينما سلكت فتكت، لا يعجزهم صغير ولا كبير، ولا جليل ولا حقير، ولو شئنا لبعثنا من عساكرنا المنصورة شرذمة قليلون نحو مائة ألف أو يزيدون مُشاةً وركباناً ، من البر والبحر، لأوامرنا وأمرنا ممتثلون ونقوي عددهم بالاستعداد ونشدهم بالقوة والآلة والزاد ، ونتبع العسكر بالعسكر وعلى البحر والبر، ونلحق الجيش بالجيش من كل أسود وأحمر. حتى يتصل أول عسكرنا بآخرهم، و واردهم بصادرهم، ويكون أولهم في البلاد اليمنية وأخرهم في مملكتنا المحمية، ولا نحتاج نعرفكم على قدر سلطاننا، وتشييد أركان دولتنا، وشديد عزمنا فأن الملوك ذوي التيجان، وأصحاب القوة والإمكان لا يزالون خاضعون لهيبتنا الشريفة قهراً عليهم مطأطئين رؤوسهم خشية مما يحل بهم عند المخالفة، وذلك مشهور ومعلوم ظاهر ليس بمكتوم، لكن غلب حلمنا عليه من تعجيل النكاية إليه كونه من سلالة سيد المرسلين ومن آل بيت النبوة المطهرين، ولازم على ناموس سلطنتنا الشريفة، ووجب علينا أن ننبهه قبل أتساع الخرق عليه، وأن نعرفه بعقبى الأمور مما يحل به، ويصير إليه وكونه إلى الجبال يتحصن بها عند الزوال، وزعم أن ذلك ينجيه وهذا عين المحال وتدبيره تدميره على كل حال، وأمر يطول عليه في كل حال جهل ذلك أو علم {لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ }

أين المفر كلا لا وزر *** ولا لها رب من سلطنتنا الشريفة مفر

وقد اقتضت أرادتنا السنية وأوامرنا الشريفة بتعيين افتخار الأمراء الكرام ذوي القدر والاحترام صاحب العز والاحتشام المختص بمزيد رعاية الملك العلام مصطفى باشا دامت معاليه، وحرست حضرته، ونفذت كلمته لا باشا على العساكر غيره، وصحبته ثلاث آلاف من جندنا المنصورة بالله تعالى من البر مُشاتاً، ورُماتاً، وحماةً ، وركباناً. معونة لأمير الأمراء الكرام ذوي القدر والاحترام أزدمر باشا دامت معاليه، وحرست حضرته، وهيأنا أيضاً مثلها بعدتها وعليقها واحتياجها من البحر، فعرض على مسامعنا الشريفة مصطفى باشا المشار إليه بأن نؤخر تجهيز الخيول المذكورة إلى حين يتوجه إلى تلك الجهات اليمنية، والنظر في الأحوال وما أهل تلك الأقطار عليه من الحال، فإذا وقع من أحد خلاف وأحتاج الخيول المذكورة فيجهز إلينا بطلبهن ويصلن إليه على ما يحب إلى ما يجب، فأخرنا ذلك إلى أن يعود الجواب بتحقيق هذه الأخبار عن الإمام وولده، ومن لديهم من النظار. فحال وصول مصطفى باشا إلى تلك الديار، واستقراره بتلك الأقطار، لا بد أن تحضر لخدمته ممتثلاً لكلمته وتقابله بقلب منشرح وصدر مُنفسح، وتمشي إلى تحت سناجقنا الشريفة، وتدخل تحت طاعتنا العظيمة المنيفة، وتكون من عساكر المنصورة متضمناً لأمرائنا المذكورة على

قلب رجل واحد غير متقاعس ولا متقاعد. فأن مصطفى باشا المشار إليه باشا عساكر المنصورة، وخليفة في أمرنا وكلامه وأمره من أمرنا ونهيه من نهينا، ومن أطاعه فقد أطاعنا ومن خالفه فقد خالفنا، ونعوذ بالله من المخالفة وعدم الانقياد والمؤالفة فاليفكر المطهر في نفسه وينظر في عاقبة أمره قبل حلول رميه، وينتبه من رقدته ويصحوا من غفلته، ويفيق من سكرته. فإن فعل ذلك وأنضم إلى سلطتنا الشريفة فقد رحم نفسه، وصان منهجه ويرى في دولتنا العادلة كل جميل، وكل رعاية وبلوغ أمنيته مع الزيادة إلى حد النهاية، فقد أمرنا مصطفى باشا المشار إليه بأن إذا دخل تحت طاعتنا ومشى على الاستقامة لدينا، وأنضم إلى عساكرنا المنصورة أن ينعم عليه من أمرنا الشريف بما يستحق من فيّ مملكته مستقلاً به غير معارضة له في ذلك، ولا منازع له فيما هنالك فحيث فعلت فأنت من الفائزين "لا تخف ولاتحزن انك من الأمنيين انك اليوم لدينا مكين " أمين، وأن حصل والعياذ بالله مخالفة ذلك، و استمر على العناد والظلال والمخالفة [غير واضحة في الأصل]، فيصير ذنبه برقبته ويهلك نفسه بيده {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} ويدخل في قول أصدق القائلين {يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ} ويصير بعد الوجود إلى عدم ويندم حيث لا ينفع الندم، وقد حذرناه رأفة به وتحننا عليه بإصدار هذا الكتاب إليه، وإذا خالف أتيناه بجنود لا قبل له بها وأخرجناه منها ذليلاً لا ملجأ له من سلطتنا إلا إليها، لمن سالمها ظلاً ظليلاً، وعلى من خالفها عذاباً وبيلاً، ومثله لا يدل على الصواب فاليعتمد ذلك وعلامتنا الشريفة حجة عليه والسلام .. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه الطاهرين آمين ...

صورة من رسالة السلطان سليمان القانوني إلى الأمير مطهر بن شرف الدين

ملحق رقم (3)

جواب الأمير المطهر بن شرف الدين على المرسوم السلطان سليمان القانوني

المؤرخ في رجب سنة 958هـ الموافق يوليو 1551م[1]

نوّر الله شموس الإسلام وأطلعها، وفجر عين معين الشريفة النبوية وأنبعها، ولألأ كواكب الدين الحنيفي وأسطعها، وأعلا مراتب الملة البيضاء ورفعها، وأزال جموع الظلم والعدوان وزعزعها، وآلف بين قلوب المسلمين، وجمعها، بدوام أيام مولانا السلطان العظيم، والملك القاهر الباهر الحليم، القاطع بسيوف عزمه عنق كل جبار أثم، الهادي بأوامره ونواهيه إلى الصراط المستقيم، بتقدير العزيز العليم، المتسم بحماية آل الرسول، وأبناء فاطمة البتول وسلالة البني الكريم، الباسط عليهم عدله فلا ينالهم حر الجحيم، فهم راتعون في ظلال إحسانه ظلاً من النعيم، له نبت وسيم، الذي أوتي الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً، والله يؤتي ملكه من يشاء من فضله العميم، شمس الخلافة وقمرها المضئ في الليل البهيم، ظل الله في الأرض، القائم بسنته وفرضه، ودينه القويم، والحجة الواضحة للخلق على التعميم، أمين الله على خلقه وخليفته القائم بحقه فهم راتعون في رياض أمانه، وكارعون في حياض امتنانه، التي لا يشوب صفوها الدهر السليم، سامي الفخار، وزاكي الأصل والثمار، السابق في الحسب الصميم، الكاف لأكف من تجافى عن الهداية، وسلك مسالك الغواية، وكان له في الجلالة الصميم، التي لا تحصى صفاته بتعداد، ولو كان الشجر أقلاماً والبحر مداداً، وأسأل بذلك كل خبير عليم، الخندكار الكبير، والخاقان الشهير، السلطان الأعظم سليمان بن سليم .

يهدى إلى مقامه الشريف نجائب ركائب التحية والتسليم، من الله الكريم ورحمته الطيبة وبركاته الصيبة، الموصولة بنعيم دار النعيم، حرس الله تعالى جنابه العالي، وحرمة المحترم من صروف الأيام والليالي بما حفظ به الآيات والذكر الحكيم.

وبعد فإنه ورد من تلقائه أطال الله للمسلمين والإسلام في بقائه، مرسوماً سطعت بالمسرات أقماره، وتضاحكت في عرصات المجد كمائمه وأزهاره، وجرت في جداول رياض السعد أنهاره، وتحاسد على شرفه ليل الزمان ونهاره، فوجدناه أشفى من الترياق، واشهى من الأثمد في دعج الأحداق، يتبلج بالمسرات، تبلج البرق ويتحلب بالخيرات تحلب الودق، يفوق اللؤلؤ المنثور منثورا، ويفضح شقائق النعمان زهورا، ويجعل ممدود الزمان عليه مقصورا، فتعطرت الأنديه بنشره، وأعلنت

---

(1) قطب الدين النهروالي: البرق اليماني. صـ 111 . 116.

الأنفس بحمده وشكره، وهبت في البوادي والأمصار نسيم ذكره، ودخلت الناس أفواجاً تحت نهيه وأمره.

حبذا مدرجاً كريماً جليلاً زانه منشى كريم جليل
لفظه الدر في سمو وفحواه ومعناه سلسل سلسبيل
وإذا المدرجات كانت ملوكاً فهو فيها وبينها إكليل
مدرج فيه للعقول غُدّو ومراح ومسرح ومقيل

فلله أنامل رصعته بجواهر البلاغة، وضمنته ما يعجز عنه " قدامه " و ابن المراغة ، فلو رآه الملك الضليل لطأطأ خاضعاً، أو لبيد البليغ لخر ساجداً وراكعاً.

وعرفنا ما ذكره سلطاننا سلطان الأمم، مالك رقاب العرب العجم، المختص بحماية الحرم المحترم، من الإحاطة بطاعتنا لجلاله، وجولاننا تحت لواء قوله وأفعاله، فالحمد الله الذي وفقنا لطاعته، وذادنا عن السلوك في مخالفته وأنالنا بذلك الحظ الأسنى، والنصيب الأوفر الأهنى في الخيرات والحسنى، ونرجو أن شاء الله نيل الشرف الكامل والمآرب، ونجح المنى والمطالب، ومن تمسك بعروتكم الوثقى فاز بمطالبه، وحاز غاية القصوى في مآربه ورفع له الدرجات السامية العالية، وتم له كل سؤل ومأمول وأمنيه، ويحضى بكل عيشة هنية، راضية مرضية وهذه طريقة معروفة، وسنة مألوفة لا تميل عن الوفاء، ولا تكدر عن ذلك الشرب ما صفى، كيف وطاعتكم من طاعة الملك لخالق، ومعصيتكم تظلم منها المغارب والمشارق، ونحن من مودتكم على يقين، ونرجو أنكم ل اتصغوا أذاناً لكلام الفاسقين، ولا تهملوا رعاية الصالحين المتقين، ولا تقطعوا حقاً لذرية النبي الأمين، وأبناء علي الأنزع البطين، كرم الله وجهه في عليين { قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} وذلك هدي الكتاب المبين، وأنتم أولى برعاية ما أمر الله به أن يرعى، ويقر من عين النبي الكريم عيناً وسمعاً، فلكم مالكم من محامد مذكورة، ومفاخر مشهورة، ومعالي حميدة منشورة، تؤمل أن تسقوا بحسامها (غير واضحة في الأصل) الوشاة، وتقطعوا طرق الواصلين بالأكاذيب والوشاة، وتردوا كل كايد لا يراقب الله ولايخشاه.

والذي نقله إليكم أرباب الزور ذو الأفك من الناس، والفجور من تحولنا عن طاعة السلطان الأعظم، ومخافتنا لما سبق من مودتنا وتقدم كذب يعلمه الداني والقاص، ومن المَين الذي لبابه قلة الاختصاص وحاش لله وكلا أن نرضى مخالفة، أو نميل عن الأحوال السالفة، أو ننكر تلك المعارف العارفة، ونعوذ بالله من الحور بعد الكور، أو نكون ممن تعدى الحد بعد الطور، إن تقاعدنا عن طاعتكم يجب السعي إليها بالفور، وإن تأخرنا عن أوامركم نكون كمن أشترى الضلالة بالهدى، وتحول عن موافقة الإسلام إلى الردى، وآل رسول الله ﷺ أعرف الناس بالصواب، وأدراهم بمعاني السنة والكتاب {أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ} ومن نسب إلينا خلاف ما ذكرناه فهو خبيث نبيث، فثقوا منا بالمودة الراسخة أطنابها، والمحبة الشامخة قبابها.

والذي أشرتم إليه في شأن الخطاب وبطاقة الكتاب، فمخالفتنا لعساكركم المنصورة، وكتائبكم الواسعة الموفورة، ليس له صحة ولا ثبات، ولا كان لنا إلى حربهم تعد ولا إلتفات، بل قصدونا إلى هذه القطار والجهات، وجلبوا علينا أتراكاً وأروماً، وهتكوا أصلحاً كانت بيننا وبينهم وذماماً، وما راعوا لأوامركم الشريف فينا أحكاماً، وضيقوا علينا مسالك المعيشة خلفاً وأماما، ورمونا بمدافع لا يرمى بها إلا الذين يعبدون أصناماً، ولم يعلموا أنا ممن أوجب الله لهم رعاية واحتراماً، ومن الذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً، فدافعنا عن أنفسنا وأولادنا ما أمكن الدفاع، ودرأنا عن محارمنا وترك الرد عنها لا يستطاع، ونحن في مهاجر يسير، ومكان يأوي إليه الضعيف البائس الفقير، لا ينافس من أعتصم به واعتصم على طاعة ربه، ولو أن عساكركم المنصورة الألوية المسّلمة عن صروف الأقضية، وجهوا هممهم العلية وعزائهم الصليبة القوية إلى الجهات الكفرية، لنالوا من الخير نيلاً عظيماً، وسلكوا إلى سبيل السعادة صراطاً مستقيماً، وأصلوا أفئدة الكفار ناراً جحيماً، وأدركوا من فضل الله جنة ونعيماً، بيد أنهم تشاغلوا بحربنا عن جميع الحروب، وفوتوا بذلك كل غرض ومطلوب، وأهملوا جهاد الكفار حتى سقط الجنوب، وهبت من ديار الإسلام للشر صباً وجنوب، وحين وصل المرسوم الشريف والمثال الكريم، والخطاب الوسيم طبنا به نفوساً وسلكنا به من الأنس محلاً مأنوسا، وخمدت نيران الحرب وغلت أيدي الطعن والضرب، فقر منا بما قررتموه كل قلب، فإن أمتثل من حوالينا من الأمراء والأكابر لما صدر منكم من النواهي الأوامر، وثّبتوا فيما ذكرتموه من الموارد والمصادر، فذلك البغية المقصودة، والضالة المنشودة، والدرة الثمينة المفقودة، والغنيمة العظيمة الشاملة المحدودة، وأن خالفوا أوامركم الكريمة المطاعة، وقابلوا نواهيكم اللازمة بالإضاعة، فحسبهم من عذابكم الوبيل، ما تعدونه لمن خالفكم من التنكيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وكنا نود أن نرسل إلى الأبواب الشريفة، والأعتاب الفخيمة الزليفة رسولاً ينهي إليكم حقائق الأمور، ويرفع إلى مسامعكم الكريمة من عين المقدور ما تكن القلوب منا الصدور، إلا أن هؤلاء الذين يلونا سدوا علينا وقطعوا من التواصل أوصلاً ، وقعدوا لرسلنا كل مقعد بكرة وآصالا، وصدوهم عن الوصول إلى أبوابكم العالية عن الأبواب، ومنعوهم عن مناهج الذهاب والإياب، فلوا كان منهم ما نريد لكان صدر إلى أبوابكم الشريفة، منا في كل حين من نريد، وحين وصل وكيلكم الباشا مصطفى، إلى هذه الجهات اليمنية، والديار التي هي لسيوف قهركم محمية، بسط عدله في اليمن، وأخمد نيران الفتن، وأصلح الأمور ما ظهر منها وما بطن، وأطلع على الحقائق، ويعرفكم من حالنا السابق، وما نحن عليه بحمد الله من حسن المساعي والطرائق، وكرم الأصول الشريفة والمعارق.

وقد أرسل إلينا قصاداً بالظاهر منها والمستور، ولعل الله سبحانه يهيئ قدومه إلى صنعاء، ويحيي به دينا للإله وشرعناً، ويقطع به دابر من خالفكم وخالف أمركم قطعاً، ولعمري انه لرجل عظيم، وذو شأن فخيم، قد فاقت شمائله، وراقت أوصافه ومخائله، فهو بكل خير يجود، ويحمل من طاعتكم ما يشق على غيره ويؤود، فالله تعالى يجعل سعيه مشكوراً، ويشرح بأعماله من الأمة قلوباً

وصدوراً، ويدفع بعنايته عن الإسلام والإيمان شروراً، ويملئ الأفئدة والنفوس حبوراً، إن شاء الله تعالى وسروراً، جرى ذلك في شهر الله الأصب، رجب المرجب سنة ثمان وخمسين وتسعمائة.

ملحق رقم (4)

وثيقة (حكم) رقم 711 [1]

تاريخ الوثيقة : 5 جمادى الأخرى 973هـ / 29 ديسمبر 1565م.

حكم إلى مراد بك بكلربكي اليمن

لما كانت ولاية اليمن على درجة من الأتساع، فقد تقرر بغية ضبطها وربطها أن تقسم إلى (بكلربكيتين) وأثني عشر (سنجق)، وتم تعريف المقاطعات الموجودة داخل هذه الاثني عشر (سنجقاً) وبمزيد من عنايتنا تم توجيهها إليك على سبيل (البكلربكية) ولأجل إعلامك في هذا الصدد تم إرسال حكمي الشريف، وأرسلت الدفاتر الخاصة بالمقاطعات و(السناجق) التي تم فصلها وتعيينها لك، وتم أيضاً تعيين ولاية صنعاء بسناجقها، ومقاطعاتها إلى رضوان السلحدار السابق، وقد أمرت عندما يصل هذا (الحكم) أن تقوم بالتصرف بسناجقها، ومقاطعتها على سبيل (البكلربكية) كما هو مسطور بالدفاتر المخصص لذلك، وأن تكونا كلاكما قلباً واحد، ورأياً واحد في خدمة البلاد ونشر الطمأنينة، والرفاهية بين البرايا والرعايا، والعمل بجد ورجولة في خدمة الدين ودولتنا (الهمايونية)، وأن تسعيا وتجدا في توفير وتكثير المال (الميري) على أن تكون أمر التحصيل للأموال من أعمالك، ومن هذه الناحية عليك الاهتمام بمصلحة البلاد والعباد، وأن تقوم بالصرف وبمقدار كاف إذا ما طلب المشار إليه، فلا تجعله يقع في ضيق .

ملحق رقم (5)

وثيقة (حكم) رقم 44[2]

تاريخ الوثيقة (الحكم) غرة صفر 975 هـ / 7 أغسطس 1567م.

حكم إلى بكلربكي اليمن مراد باشا

فيما يتعلق بأن رضوان باشا بكلربكي صنعاء يتنازع مع أبناء وسائر القبائل بلا فائدة، أن العربان ينتصرون عليه، وقد انتزعوا منه قنفذه وسائر الأماكن، وأن البكلركية في خطر لأن الأعداء متعاونين فيما بينهم، لأن أمراء البكلربكية ليس لهم همّ سوى جمع المال، ومن المؤكد أنهم يظلمون الأهالي ويسلبونهم خيراتهم، وحتى الأموال التي يرسلهم رضوان باشا تصادر هناك، وأنه هو نفسه

([1]) عامر : النظم الإدارية . صـ 101 . 102

([2]) عامر : النظم الإدارية . صـ 105

ليس في نيته أمر جمع المال، وأنه يعامل الناس بالرفق والعدالة، بل على العكس فأن المال الذي يجمعه لنفسه بحكم منصبه سوف ويؤخذ هو الأخر.

ملحق رقم (6)

وثيقة (حكم) رقم 611[1]

تاريخ لوثيقة (الحكم) : 29 جمادي الأخرى 975 هـ / 31 ديسمبر 1567م

حكم إلى بكلربكي اليمن

فيما يتعلق بأنه قد تم تعيين الوزير مصطفى باشا سرداراً (قائداً عاماً) لأجل تأديب العصاة وضرورة العمل معاً بالاتحاد والاتفاق (ونحذركم من) ظلم الأهالي أو (التعدي على مواشيهم)، أو أخذ مأكولاتهم مجاناً من أي شخص.

ملحق رقم (7)

رقم الوثيقة (الحكم) : 603 [2]

تاريخ الوثيقة (الحكم) : 29 جمادي الاخرى 975 هـ / 31 ديسمبر 1567م

إلى الوزير مصطفى باشا الذي عين سردار لليمن

فيما يتعلق بأن الشيخ الذي يدعى (مطهر) قد قام بعصيان باليمن، وأنه حاصر صنعاء وهزم بعض العساكر التي سارت إليه، ولهذا فقد أعطيت القيادة لك مع رتبة الوزارة، وكذلك أحضرت إليك أعداد كافية من الأنكشارية والسباهية في الشام .. وانه تم تعين أربعة أمراء سناجق من اليمن وعساكر المتفرقة، وآغوات الشاديشية وألف جونكي، وانه تم أعداد سائر المهمات، وأنه عند وصولك إلى اليمن أن تتفحص الأموال، وتسترد القلاع التي استولى عليها العدو بالصورة المناسبة، وتطمئن الأهالي وتعمل على أزالة البدع التي استحدثتها البكلربكية القدامى، وتعمل على توحيد بكلربكية اليمن وصنعاء، وتعيين عثمان باشا ابن أزدمر عليها جميعاً، وأنه أرسل عدد 100 فرمان أبيض على بياض ذو طغراء، وعدد 33 فرمانات ذو طغراء مذهبة.

([1]) عامر : النظم الإدارية . صـ 106 . وثيقة محفوظة بمكتبة الأستاذ فؤاد الشامي ، ترجمة محمود علي عامر .

([2]) عامر : النظم الإدارية . صـ 106

الملحق رقم (8)

رقم الوثيقة (الحكم) : 1922[1]

رقم الصفحة التي فيها الوثيقة (الحكم) : 696

تاريخ الوثيقة (الحكم) : 21 صفر 976 هـ / 14 أغسطس 1568م

خطاب السرداريـة بالوزير سنان باشا المرسل إلى اليمن

براءة تعيين مباركة :

إن ولايـة اليمن بلد فتحته بواسطة قواتنـا الخسروانية المظفرة، وفـي الوقت التـي غدت فيـه من ملحقات بلادنا المحروسة، نرى مفسداً يدعى مطهر قد خرج علينا ومعه كثير من الأشقياء العرب، واستولى على بعض القلاع والنواحي بقصد إهانة وإذلال أهل الإسلام وجماعته، ولمّا كان من الواجب تأديبه وقطع دابره، أعددنا لذلك عساكر لا تحصى وجنوداً غيورين من ولاية الشام ومصر، من البر والبحر، وتم إرسالها بالفعل، ولما كان يلزم لهذه العساكر لمنصورة سرداراً عظيم الاقتدار، عالي االمقدار، كان بكلربكي مصر السابق ووزيرنا الأكرم، حامل الدستور المكرم والمشير المفخم ، نظام العالم، ومدير أمور الأمة بفكره الثاقب وزيري سنان باشا، يسر الله له ما يريد وما يشاء بما له من الحظوة والشجاعة ،ومنتهى الكياسة والرئاسة والشهامة ما يجعلنا نعتمد عليه، وبناءً عليه فقد عينّا المشار أليه سرداراً على العساكر التي تّم إرسالها قبل ذلك وجعلناه قائداً للعساكر والجنود والأمراء هذه البراءة .

وأمرت بناء على فرماني الجليل القدر، العظيم الشأن، أن لا يتأخر لحظة ولا يتراخى في القيام بواجبه، وليتوكل على عناية الحق جلّ وعلا، ويتوسل بالمعجزات الكثيرة بحضرة سيد الكائنات وفخر المخلوقات، عليه أفضل الصلوات والتسليمات، فيتوجه بالعساكر المعينة إلى الولاية المذكورة، وعندما يصل إلى هناك يتحرى أمر الأعداء ذوي النوايا السيئة والعقول المفسدة، الخيالات المكسدة فيتجسس عليهم ويسعى للوقوف على أحوالهم وأخبارهم .

وعليه كذلك أن ينظر في استعادتها سواء من ناحية القلاع أو الحصون أو القرى التي استولت عليها عساكر المطهر ، ولأماكن الأخرى التي سيطرة عليها.

ثم عليه أ ن يشرع في إعداد الترتيبات والطلائع لهذا الفتح، ويكون في الخدمة والرفاقة بالصورة المناسبة، ويعمل برأي واحد وفكر واحد لصيانة الدين والدولة مع بكلربيكة اليمن وصنعاء وسائر

([1]) محمد عيسى صالحيه: وثائق جديدة عن حملة سنان باشا . حوليات كلية الآداب ، الحولية الثامنة 1987 ، صـ22-24، عامر، محمود علي : النظم الإدارية العثمانية في اليمن.الإكليل، العدد الثاني، سنة 1989، من 96 إلى 121، صـ113 ،114.

العساكر المنصورة، وعليه أن يسعى ويجتهد لتحقيق كل ما يبيض الوجوه، وعلى الجميع أن يبذلوا كل ما في وسعهم وجهدهم في سبيل ذلك، وليعلم الجميع من البكلربيكة المتواجدين في ولاية صنعاء من الزعامت وأرباب التيمار، الإنكشارية والجونلية والقباطنة والرؤساء المرسلين مع الدستور الهمايوني بالبحر، وغيرهم من سائر الناس جميعاً، والصغير والكبير والشريف والوضيع من العساكر المنصورة المعينة للخدمة المذكورة، أن المشار إليه قد عُين عليهم قائداً ورئيساً للعسكر، وليحذروا من مخالفة كلمته بوجه من الوجوه أو عصيان أوامره، وعليهم أن يكونوا في الخدمة حسب الرأي الذي يراه مناسباً.

ولن يُغفر لمن خالف أو عصى كائناً من كان أن يعاقب سواءً أكان من الأمراء أو الزعامت أو أرباب التيمار أو طائفة القول .

وكل من يتواجد منهم في الرفاقة ترسل له الجاميكة والترقيات حسبما يستحق، ولكل من يفوز بخدمته المبرورة في سبيلنا ويقوم بالرفاقة سواء من السناجق أو من غيرهم بما يمكنه أن يقوم به وسيكون تحت نظرنا وموضع رضانا الشريف .

وبناءً على ذلك، فعلى كل فرد أن لا يتخلى عن غيرته وحميته الإسلامية، وليكن الجميع طالبين للجهاد في سبيل الله، ويبذلوا جهدهم في سبيل الدين والدولة حتى ينالوا علاوة على المثوبة العظمى، السعادة في الدنيا والآخرة، وينالوا من عنايتنا الخسروانية، وعليهم أن يتضرعوا إلى واهب العطايا جلّ شأنه حتى ينتصر الدين وتنتصر الدولة ويهزم أعداء الملة والسلطان، ويظلوا مقهورين على الدوام .

وليكن الجميع سواء أثناء رحلة المشار إليه إلى هناك، أو عند مباشرته لتأديب الأعداء على كمال البصيرة والانتباه، وليحذروا ويتجنبوا الغفلة سواء في البر أو البحر من الأعداء على أسطولنا السلطاني المرسل بعساكر الإسلام مخافة أن يلحق به ما يؤذي شرف وناموس السلطنة، والعياذ بالله تعالى، فليكن الجميع حذرين منتبهين.

وعلى الجميع من أمراء مصر والجونلية والجراكسة وغيرهم، والإنكشارية والشاوشية، ووكيل دفتردار الشام الشريف، جولاك أحمد دام مجده وزعيم الإنكشارية وسائر الزعماء وأرباب التيمار وغيرهم، ومن قد عين قبل ذلك من الأمراء، الذهاب إلى اليمن وهم : يعقوب وسليمان، وكلابي زاد حسين، و محمود، وحمزة، وعلي أحمد الصغير، وأميرالاي غزة السابق علي دام عزة، وجميع من كانوا بصحبة مصطفى باشا أن يذهبوا إلى اليمن مع وزيري المشار إليه سنان باشا، فيتواجدوا في لخدمة والرفاقة بالصورة التي يراها مناسبة .

وإن شاء الله تعالى عندما يعود المشار إليهم وقد أنجزوا مهمتهم، وأرجعوا الأمور إلى نصابها، فإنهم سيكونون موضعاً لمختلف أنواع عنايتنا العلية الشاهانية وينال كل واحد منهم حسب استحقاقه ما نراه من الرعاية، هذا للعلم.

ملحق رقم (9)

وثيقة (حكم) رقم 542[1]

تاريخ ذي الحجة 978هـ / أبريل 1570م

حكم إلى الوزير سنان باشا

فيما يتعلق بالخطاب الواصل من بهرام بكلربكي اليمن المتعلق بفتح اليمن، وسحق العصيان الذي قام به (المطهر) منتهزاً التأخير في حصار قلعة كوكبان، فقد تم بعد ذلك السيطرة على الأمور، كذلك وبناءً على أشعاره هو نفسه تم عليه الإحسان بسيف مذهب وخلعة فاخرة وزيادة (سالينته) إلى 100000 أقجة، وذلك مكافئة له على أعماله، كما وجهت إليه ولاية اليمن، ومملك مصر على أنها من ملحقاتها، وكذلك بضرورة الحفاظ على البلاد وحماية الرعية والعمل على زيادة الأموال، وحسن إدارة العسكر وضبط الأمور باليمن وتأمين الرعية، وتأمين حاجتها العسكرية والمالية، والقيام بالمساعدات التي تلزم لصالح الحجاز هذا للعلم وضرورة العمل بموجبه.

وأنه لمن الأمور الجديرة بالاهتمام، إبقاء الثلاثة آلا ف جندي المردفة بكم في اليمن، فدعهم هناك حتى صدور أوامر شريفة بإقدام غيرهم، بدلاً منهم، وينوبون في الخدمة عنهم، فإياك أن تخلي ولاية اليمن من الجند كلية، لأنه بدون وجود الجند يحتمل اندلاع الفتن وظهور الفساد من جديد، وعليك أن تكتب فتعلمنا بعدد ما تبقى في اليمن من طائفة القول (الجند)، وأن تسجل أسمائهم في دفتر فتمهره وتبعث به إلى طرفنا.

ملحق رقم (10)

رقم الوثيقة (الحكم) : 771 [2]

الصفحة التي فيها الوثيقة : 1110

تايخ الوثيقة (الحكم) : 7 رمضان سنة 978هـ / 3 فبراير 1571 .

حكم إلى بكلربكي اليمن

يعرب مضمونه بأن الدستور المكرم وزيري سنان باشا المرسل لإصلاح حال اليمن حالياً (أدام الله تعالى إجلاله) ، عندما ينتهي من إصلاح الولاية وتحريرها (أي إحصائها) وتعرف مواردها

([1]) عامر : النظم الإدارية . صـ 109

([2]) صالحيه : وثائق جديدة عن حملة سنان . صـ 62 .

ومصارفها، وينجز كل ذلك، وإّذا ما همّ بالعودة إلى سدة سعادتنا، فقد صدر أمري بأن القولية الذين رافقوه، سواءً أكانوا من قولية مصر أم غيرها، فيعودون معه، وأما الثلاثة الآف قول المردفة نجدة له، فعليها أن تبقى هناك لحماية البلاد وبناءً على ذلك، فقد أرسلت حكمنا الهمايوني إلى المشار إليه، وأمرت عندما يصل هذا الحكم بأن ينهض المشار إليه، تنفيذاً لأوامري الشريفة، للعودة إلى سدة سعادتنا وبصحبته القولية التي رافقته حينذاك، أما القولية التي سجلت بعد ذلك، وأرسلت إلى اليمن سواءً أكانوا من قولية مصر، أو ارسلت أخيراً فتبقى لحماية البلاد، وعليك أنت بأن تسجل ما بقي هناك منهم في دفتر وتمهره وترسله مع المشار إليه.

ملحق رقم (11)

رقم الوثيقة (الحكم) : 79 [1]

رقم الصفحة التي فيها الوثيقة (الحكم) : 37

تاريخ الوثيقة الأحد 23 رمضان 978هـ / 19 فبراير 1571م.

كنت قد أبلغتنا بأن الإصلاحات وشؤون تحرير (إحصاء) اليمن لمعرفة عوائده ومصاريفه قد انتهت، وأن البلاد قد تطهرت من الأشقياء العرب ، وأستتب الأمن فيها، وأنه ما من ضرورة للبقاء هناك، ثم أنك تريد العودة إلى سدة سعادتنا أنت ومن أقبل معك من العسكر المظفر إلى اليمن، ما عدا الذين لحقوا بك فيما بعد، فأنهم سيبقون حتى قدوم من ينوب عنهم في الخدمة، فأمرت إذا كان إصلاح وتحرير ولاية اليمن قد نجز بأن تعود ـ حسب الأوامر الشريفة السابقة ـ أنت ومن كان تحت قيادتك من العساكر المنصورة من مصر إلى اليمن، إذا كانت إصلاحات ولاية اليمن ومهمة إحصائها لمعرفة العوائد والمصاريف قد نجزت بالفعل، ولك أن تسلك من الطريق ما تراه الأنسب والأصوب سواءً أكان ذلك براً أو بحراً .

الملحق رقم (12)

رقم الوثيقة (الحكم) : 1520 [2]

رقم الصفحة التي فيها الوثيقة (الحكم) : 1026

تاريخ الحكم (الوثيقة) : يوم الجمعة في 22 ذي الحجة سنة 978هـ /17 مايو 1571م.

([1]) صالحيه : وثائق جديدة عن حملة سنان . صـ64 . 65 .

([2]) صالحيه : وثائق جديدة عن حملة سنان . ص69 . 71 .

أعلمنا وزيري سنان باشا . أدام الله إجلاله . بخطاب أرسله إلى سدة سعادتنا جاء فيه أنه حتى الثلاثة آلاف عسكري المسلحين بالبنادق، والذين سبق وأن صدر الفرمان بأردافهم من مصر المحمية لا تعطى لهم المساعدات ولا العلوفة ولا لبنادق الكافية.

وأنه قد تم أعداد ما بين خمس مائة إلى ست مائة بندقية فقط، ومن الموجب (المؤن) ما لا يكفي لأكثر من ثلاثة أشهر، وأبلغنا أنه عندما وصلت العساكر المنصورة إلى محل حرض تقابلت مع العصاة من الأعراب انتهت بإنخذالهم وهزيمتهم بعناية الإله القادر، كما أنبأنا أنه تخابر مع عساكر الإسلام في صعدة فاستمالهم حيث تم التعاون والاتفاق، فأحرقت القلعة مع الجبخانة وتم إخضاعها وفتحها وخسر الملاعين الخاسئين .

وأنت بما هو مركوز في جبلتك من حسن الشجاعة والتدبر والشكيمة، والجرأة فقد أظهرت ما ينتظر منك، وصدر حكمي الهمايوني بترقية مائة ألف آقجة علاوة على السالیانه التي تتصرف بها، وقد وقع ذلك محل رضانا، لقد تم إخضاع ولاية اليمن بسيوفنا المظفرة، ودمر العصاة المردة الجفاة الموجودون في تلكم الديار، وبما أن الرعايا ودائع خالق البرايا، تستظل بحمايتنا وبكنف سعادتنا، والصلح مع العربان المناحيس على وشك العقد، فأن البكلربكية كانوا قد أهملوا وتكاسلوا عن حسن معاشرة طائفة العربان، وحفظ وحراسة لبلاد، وضبط وصيانة الرعية، وتعمير المدائن والبلدان وترفيه العباد، ولم يعطوا الوظائف لمن يستحقها بل منحوها للطامعين، فقاموا بظلم الرعايا والبرايا وتعدوا عليهم وجاورا وظلموا العربان الذين يريدون السلامة، فكان ذلك سبب في الثورة والاضطراب، مما اضطرنا لمعاودة فتح البلاد وإخضاعها وتطهيرها من أشقياء العربان، فعين سنان باشا سرداراً على العساكر، وسير لإصلاح ذلك، وأن شاء الله وبعناية لباري ، يتم إخضاع القلاع والبقاع وسائر القرى والضياع، وتتطهر البلاد من العصاة والطغاة والعربان المفسدين، ويعيدهم عساكرنا لحظيرة طاعتنا وعبوديتنا، والمأمول أن يمتنع احتمال الاضطراب مرة أخرى، وألا يقع الإهمال في حماية البلاد، ولا يحدث أمر مناف للصلح والإصلاح .

وجملته فلا تغض النظر عن تلك البلاد، فاستقرارها وانتظامها من أقصى آمالنا ومرامنا، وإعتمادنا الهمايوني على موفور شهامتك وجرأتك ،وحدة ذكائك وقد كتبت حكمي الهمايوني بحسن التدبر وطلب إرسال العدد الكافي من القولية وكذا المواجب وكل ما يلزم لذلك، ولأجل شوؤن اليمن خاصة، وحتى يظل القادمون والذاهبون من الحجاج والبريد وغير ذلك في آمان من قطاع الطرق وغيرهم من المفسدين، فقد أسند أمر حفظ وحراسة الطريق من ولاية ينبع والحجاز حتى وصاب إلى صاحب الأمارة شريف مكة المكرمة الشريف حسن (دامت معالية) فأرسلت إليه خطابنا الهمايوني للتعاون بهذا الخصوص .

وأمرت عندما يصل (هذا الحكم) أن تقوم بالتخابر مع المشار إليهما بهذا الصدد، فتقوم بطلب ما يلزم سواء من ناحية المهمات والقولية أو المواجب بما يتعلق بأمر اليمن من المشار إليه . يعني سنان باشا . وعليك أن تستعين أيضاً بالشريف المشار إليه بخصوص ما يلزم للتعاون والمحافظة،

وعليك أن تكون عادلاً وتطبق الشرع الشريف في حفظ، وضبط وحماية المدن والأمصار والنواحي والأقطار، والقلاع والبلدان، والقرى والحصون اليمنية، وأن تسهر على أمن الرعايا والبرايا ورفاهيتهم وزيادة أموالنا، وحسن المعاملة مع العربان، وأحذر كل الحذر من كل ما يسبب الاضطراب والثورة، وأن تسعى بكل سعي حميد لضبط الولاية المذكورة .

حكم بالبريد من أستانبول إلى مصر إلى مكة المكرمة

ملحق رقم (13)

رقم الوثيقة (الحكم) 1780 [1]

تاريخ الوثيقة (الحكم) 1 ربيع أول 982 هـ / 21 يونيو 1574م.

فيما يتعلق بأنه طالما قد علمنا أن والي اليمن قد قبض على العصاة، وجمع من القبائل والمشايخ : 70 حصاناً ، و6230 بندقية ، و30017 سلاحاً " سيفاً " ، و500 مزراق ، و500 سكين، فقد صدر الأمر بمنحه خلسعة وبردة، وزيادة معاشه 100000 آقجة.

الملحق رقم (14)

وثيقة (حكم) رقم 10[2]

تاريخ الوثيقة (الحكم) : 10 محرم 996هـ / 12 ديسمبر 1587م.

حكم إلى شمس الدين اغلو أحمد حاكم كوكبان باليمن

لقد أرسل إلينا الدستور المكرم ... الخ الوزير حسن باشا خطاباً، يعلمنا فيه أنه منذ وصوله وهو يراك دائماً من أهل الوقوف في الحرب، التي حدثت هناك، وأنك معه في كل الخصوصيات ليل نهار، وخاصة في هذه المرة عندما تحركت عروق الفتنة، والفساد لمن اعتادوا الخيانة (الأعداء) ، وكنت مجداً ساعياً في القبض عليهم بحسن التدبر، والتعقل في محاربة الذين أتحذو لأنفسهم مبدأ الحنث بالوعد والعهد، كما عرضت علينا بخدماتك المبرورة، والمساعي المشكورة مع عروض المشار إليه بحقك، تأتي إلينا على الدوام وعلمنا أنك تعرض عبوديتك لكمال الصداقة، والاستقامة لعتبة سعادتنا بيض الله وجهك في الدنيا والآخرة،سلمت ودمت، وإذا كان الأمر كذلك، فقد كان لك منا مزيد العوطف العلية الخسروانية، وأرسلت إليك مع حكمنا الهيمايوني المقرون

([1]) وثيقة محفوظة بمكتبة الأستاذ فؤاد الشامي ، ترجمة محمود علي عامر .

([2]) عامر : النظم الإدارية . صـ 119

بالسعادة ثوب خلعة يورث البهجة وسيف مذهب يليق بك، وأمرت عندما يصل حسين آغا، أن تقوم على الخلعة الشاهانية، وتلبسها بكمال التعظيم والإكرام، ووقور التحشم والاحترام وتتمنطق بالسيف، ثم عليك بعد ذلك أن تجود بالنفس والنفيس، في سبيلنا الهيمايوني بالصورة التي يراها المشار إليه مناسبة، وعليك التواجد في الخدمة والرفاقية، ولسوف تجد في مقابل خدماتك فيما بعد أيضاً مظهراً لكل أنواع عنايتنا العالية الخسروانية، وأنه منذ بداية فتح الولاية المذكورة وحتى الآن لم تتيسر مثل هذه الفتوحات العظيمة، لواحد من الوزراء والبكلربكية الذين أرسلوا إلى تلك الديار، والحمد الله تعالى الذي هدانا، إذ استطاع وزيري المشار إليه أن يسعى في سبيلنا الهيمايوني، ويأتي بعناية (الله تعالى) بكثير مما يبيض الوجوه، ولما كان يلزم فتح بعض الممالك أيضاً الواقعة في الطرف الشرقي من تلك البلاد، وتعيين قائد للعسكر فقد أُعطيت البراءة، بأنه سوف يكون من مقبولنا الهيمايوني إذا ما منحنا المناصب العالية والمعاشات والزيادات، حسبما يراه مناسباً لكل من يشاركون في الحروب في سبيل القبض على هذه الأماكن بأحسن الوجوه، أن تقوم بموجب شهامتك وشجاعتك وفراستك، بالالتزام بكل خدمة فتأتي بالمبرر والمشكور منها وسواء أنت أو توابعك ... فسوف تكونون مظهراً لكل أنواع عنايتنا الخسروانية ...

الملحق رقم (15)

صورة ورقة من مخطوطة بلوغ المرام في تاريخ مولانا بهرام

المؤرخ : محمد بن يحيى المطيَّب الزبيدي

تابــع الملحق رقم (15)
صورة ورقة من مخطوطة التيجان الوافرة الثمن
المؤرخ : مجهــول

الملحق رقم (16)

صورة الورقة الأولى من مخطوطة: كتاب مطالع النيران.
ويُنسب فيها كتاب التيجان الوافرة الثمن وبلوغ المرام
إلى المؤرخ: محمد الزبيدي

ملحق رقم (17)

السلاطين العثمانيون الذين عاصروا الحكم العثماني الأول لليمن

السلطان سليم الأول	1512 - 1520م
السلطان سليمان الأول (القانوني)	1520 - 1566م
السلطان سليم الثاني	1566 . 1574م
السلطان مراد الثالث	1574 - 1595م
السلطان محمد الثالث	1595 - 1603م
السلطان أ حمد الأول	1603 . 1617م
السلطان مصطفى الأول	1617 - 1618م
السلطان عثمان الثاني	1618 .1622م
السلطان مصطفى الثاني (للمرة الثانية).	1618 .1622م
السلطان مراد الرابع	1623 . 1640م

ملحق رقم (18)

قائمة بأسماء الولاة العثمانيين في اليمن

الأمير بهرام (في عدن)	1538 - 1545م
الأمير مصطفى (في زبيد)	1538 . 1545م
مصطفى باشا النشار	1540 . 1545م
أويس باشا	1546 . 1547م
فرهاد باشا	1547 . 1549م
أزدمر باشا	1549 . 1554م
مصطفى باشا النشار (للمرة الثاني)	1555 . 1556م
مصطفى باشا قرة شاهين	1556 . 1560م
محمود باشا	1560 . 1565م
رضوان باشا	1565 . 1567م
مراد باشا	1566 . 1567م
حسن باشا	1567 . 1568م
عثمان باشا	1568 . 1569م
سنان باشا الوزير	1569 . 1570م
بهرام باشا	1570 . 1575م
مراد باشا الوزير	1576 . 1580م

حسن باشا الوزير	1580 . 1604م
سنان باشا الكيخيا	1604 . 1607م
جعفر باشا	1607 . 1616م
محمد باشا	1616 . 1621م
أحمد فضلي باشا	1621 . 1621م
حيدر ياشا	1624 . 1629م
احمد قانصوه باشا	1629 . 1635م

ملحق رقم (19)

الأئمة المعاصرون للحكم العثماني الأول

***الإمام شرف الدين يحيى بن شمس الدين ..... 1506 ـ 1557م**

***الإمام المطهر بن شرف الدين .....1557 ـ 1572م**

***الإمام الحسن بن علي المؤيدي ..... 1578 ـ 1586م**

***الإمام القاسم بن محمد بن علي .....1597 ـ 1620م**

***الإمام المؤيد محمد بن القاسم بن محمد ..... 1620 ـ 1644م**

ملحق رقم (20)

مؤرخون السلطة (المنحازون إلى جانب العثمانيين)

أسم المؤرخ	مولده	كان حياً إلى سنة	وفاته
محمد بن يحيى المطيب	مجهول	1026 هـ/ 1616م	مجهول
عبدالله بن صلاح بن داعر	مجهول	1030هـ /1620م	مجهول
عبدالصمد الموزعي	مجهول	1031هـ /1620م	مجهول
أحمد بن يوسف بن فيروز	مجهول	1038 هـ/ 1628م	مجهول
عيسى بن لطف الله	986هـ/1578م		1048هـ/ 1638م
مؤرخ مجهول	مجهول	1026 هـ/ 1616م	مجهول

ملحق رقم (21)

مؤرخو المعارضة (المؤرخون المنحازون إلى جانب الأئمة الزيدية)

اسم المؤرخ	مولده	كان حياً إلى سنة	وفاته
الحسن بن محمد الزريقي	896هـ /1490م		960هـ/ 1553م
أحمد بن شايع اللوزي	مجهول	993هـ /1585م	مجهول
صلاح بن داوود بن داعر	مجهول	1013هـ / 1604م	مجهول
أحمد بن محمد الشرفي	972هـ /1564م		1055 هـ / 1645م
مطهر بن محمد الجرموزي	1003هـ / 1594م		1077هـ / 1666م
مؤرخ مجهول	مجهول		1008هـ/1696م

قائمة المصادر

أولاً القرآن الكريم

ثانياً: الوثائق المنشورة وغير المنشورة

. رسالة السلطان سليمان القانوني إلى المطهر بن شرف الدين
وثيقة بالمركز الوطني للوثائق بصنعاء . تحت رقم 1/89.

. وثائق مختارة من كتاب محمد عيسى صالحيه: وثائق جديد عن حملة سنان باشا.
حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية الثامنة، 1989م.

. وثيقة رقم (1922). خطاب السرداية إلى الوزير سنان باشا المرسل إلى اليمن.

. وثيقة رقم (79) بدون عنوان (تتضمن موضوع إصلاح أوضاع اليمن
وإمكانية عودة بعض الجنود العثمانيين إلى مصر).

. وثيقة رقم (771). حكم إلى بكلربكي اليمن.

. وثيقة رقم (1520) بدون عنوان. (تتضمن موضوع ضبط أوضاع اليمن،
وترقية الوالي العثماني . بهرام باشا . ومنع وقوع الظلم على الرعايا في اليمن).

. وثائق مختارة من مقالة محمود علي عامر: النظم الإدارية العثمانية في اليمن . مجلة الأكليل، عدد2، سنة1989م، صـ123-124.

. وثيقة رقم (44). حكم إلى بكلربكي اليمن مراد باشا.

. وثيقة رقم (711). حكم إلى مراد باشا بكلربكي اليمن

. وثيقة رقم (611). حكم إلى بكلربكي اليمن

. وثيقة رقم (603). حكم إلى الوزير مصطفى باشا الذي عُين سردار لليمن.

. وثيقة رقم (542). حكم إلى الوزير سنان باشا.

. وثيقة رقم (10). حكم إلى شمس الدين آغلو أحمد حاكم كوكبان باليمن.

. وثيقة رقم (1780) بدون عنوان (مضمونها يتحدث عن كمية الأسلحة المقبوضة من اليمن سنة 982هـ / 1574م.). وثيقة محفوظة بمكتبة الأستاذ: فؤاد الشامي.

ثالثاً: المخطوطات

. أحمد بن شايع اللوزي:

سيرة الإمام الحسن بن علي المؤيدي. مخطوطة محملة على قرص مدمج، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء.

. أحمد بن صالح بن أبي الرجال:

مطلع البدور ومجمع البحور . مخطوطة مصورة بمركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء. تحت رقم 7.، 956.

. أحمد بن محمد الجابري:

سفينة السفر. مخطوطة محفوظة بمكتبة الأستاذ عبد الرحمن الحضرمي، بزبيد، منها نسخة بمعية الباحث.

. أحمد بن محمد الشرفي:

اللآلئ المضيئة في أخبار أئمة الزيدية، الجزء الثالث. (مكتبة أمة الملك الثور)

. أحمد بن محمد المطيب الزبيدي:

رسالة إعراب خصوص أقصى تربة الوارد لفظها في دعاء الشيخ أبي حربه. رسالة ضمن مجموع رقم 17، المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء.

. أحمد بن يوسف بن فيروز:

مطالع النيران في تاريخ اليمن. مخطوطة محفوظة بالخزانة التيمورية بدار الكتب بالقاهرة تحت رقم 167 (منها صورة مع الباحث).

. الحسن بن علي الزريقي:

سيرة الإمام شرف الدين . مخطوطة محفوظة بمكتبة آل الهاشمي بصعدة، منه نسخة محملة على قرص مدمج في مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية بصنعاء.

. صلاح بن داوود بن داعر:

سيرة الإمام شرف الدين. صنعاء، المكتبة الغربية بالجامع الكبير، مجموع رقم 36. (منها صورة مع الباحث).

. عبد الرحمن الحضرمي:

جامعة ألاشاعرة. مخطوط محفوظة بالمكتبة المركزية بجامعة صنعاء.

. عبدالله بن صلاح بن داعر:

الفتوحات المرادية في الجهات اليمانية. مخطوطة مصورة محفوظة بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم 26421. جـ1،جـ 2. (منها صورة مع الباحث).

. مجموع سفينة شعرية و رسائل الأئمة:
مخطوطة محفوظة على قرص مدمج بمؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية.

. محمد بن الطاهر البحر:

تحفة الدهر في نسب الأشراف بني البحر ونسب من حققنا نسبه وسيرته من أهل العصر.مخطوطة محفوظة بمكتبة الدكتور حسن الأهدل. (منها صورة مع الباحث).

. محمد بن يحيى المطيب الزبيدي:

مخطوطة بالمكتبة الوطنية في باريس، منها صورة محفوظة في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم 2289 تاريخ. (منها صورة مع الباحث).

. المطهر بن محمد الجرموزي:

النبذة المشيرة في جمل من عيون السيرة . نشر وزارة الأوقاف.

. مجهول المؤلف

تاريخ دولة الترك في اليمن. مخطوطة مصورة على ميكروفيلم محفوظ في دار المخطوطات اليمنية بصنعاء تحت رقم 2 (علبة رقم 2).

. مجهول المؤلف:

التيجان الوافرة الثمن في تاريخ ولاية مولانا صاحب السعادة رضوان لقطر اليمن وذكر من وليه بعده بالوصف الحسن. مخطوطة مصورة محفوظة بالخزانة التيمورية بدار الكتب بالقاهرة تحت رقم 2288 تاريخ، وهي مصورة عن نسخة باريس (منها صورة مع الباحث).

رابعاً:- الكتب المطبوعة•:

. إبراهيم إبراهيم هلال:

ولاية الله والطريق إليها. دراسة وتحقيق لكتاب قطر الولى في أحاديث الولي، للإمام محمد بن علي الشوكاني، القاهرة، دار الكتب الحديثة، (د.ت).

. احمد أمين:

ضحى الأسلام. بيروت، دار الكتاب العربي، ط: العاشرة، (د.ت). جـ1، 2.

. أحمد السعيد سليمان:

تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل. القاهرة، دار المعارف، 1979م.

. احمد بن حنبل: (الإمام)

مسند أهل البيت. مؤسسة الكتب الثقافية، تحقيق: عبدالله الليثي، ط: أولى، 1988م.

. أحمد سالم شيبان:

• سترد أسماء المؤلفين في القائمة بدون ألقاب.

الوجود المملوكي في اليمن 1515-1538م. الشارقة، دار الثقافة العربية، ط: أولى، 2002م .

. أحمد بن سليمان بن محمد:

حقائق المعرفة في علم الكلام. صنعاء مؤسسة الإمام زيد الثقافية، 2003م.

. أحمد بن يوسف زبارة:

أنوار التمام في تتممة الإعتصام بحبل الله المتين. عمّان، مطابع الجمعية العلمية الملكية، 1983م.

. إسماعيل بن كثير:

تفسير بن كثير. بيروت، دار المفيد، (د.ت).

. إسماعيل بن علي الأكوع:

المدارس الإسلامية في اليمن . مؤسسة الرسالة ، ط: ثانية، 1986.

مدخل إلى هجر العلم ومعاقله في اليمن. بيروت، دار الفكر المعاصر، ط: أولى، 1995م.

. إسماعيل بن محمد العجلوني:

كشف الخفاء ومزيل الإلتباس عما أشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس.بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط: أولى، 1351هـ / 1932م.

. أشواق غليس:

التجديد في فكر الإمامة عند الزيدية في اليمن. القاهرة، مكتبة مدبولي، ط: أولى، 1997م.

. أميره علي المداح:

العثمانيون والإمام القاسم بن محمد بن علي في اليمن . جدة، تهامة للنشر،

ط: الثانية، 1984م.

. أيمن فؤاد سيد:

المذاهب الإسلامية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري. القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط:أولى، 1988م.

مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي. القاهرة، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية. 1974م.

. بشير محمد الخضرا:

النمط النبوي . الخليفي في القيادة السياسية العربية والديمقراطية. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط: أولى، 2005م.

. جان شوفيني:

التصوف والمتصوفة: ترجمة عبدالقادر قيني، بيروت، أفريقيا الشرق للطباعة،1999م.

. حاجي خليفة:

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . مكتبة المثنى ، بيروت (د. ت)

. الحجاج بن مسلم: (الإمام)

صحيح مسلم. بيروت، دار أحياء التراث العربي، ط الثانية، 1972م.

. حسن الباشا:

الألقاب الإسلامية في التاريخ و الوثائق و الآثار. القاهرة، دار النهضة العربية،1978م.

. حسن علي مجلي:

الأوقاف في اليمن. صنعاء، مركز الشرعبي للطباعة والنشر، ط: أولى، 2002م.

. الحسن بن هبه الله بن عبدالله الشافعي المعروف بإبن عساكر:

تاريخ مدينة دمشق. تحقيق: محب الدين بن سعيد بن غرامه العمروي، بيروت، دار الفكر، 1995م.

. حسين بن عبدالله العمري:

المؤرخون اليمنيون في العصر الحديث. بيروت، دار الفكر المعاصر، ط: أولى،1989م.

. سعيد عوض باوزير:

صفحات من تاريخ حضرموت. عدن، مكتبة الثقافة، 1975م .

الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي. القاهرة، دار الطباعة الحديثة،1961م.

. سيد مصطفى سالم:

الفتح العثماني الأول لليمن 1538–1635م. القاهرة، مكتبة مدبولي، ط: رابعة 1992م.

المؤرخون اليمنيون في العهد العثماني الأول. القاهرة، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، 1971م.

مراحل العلاقات اليمنية السعودية. القاهرة، مكتبة مدبولي، ط:أولى، 2003م.

. شوقي ضيف:

تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي. القاهرة، دار المعارف، 1996م.

. صالح بن عبدالله حميد:

نظرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم. دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ط:أولى،

. صالح الحامد:

تاريخ حضرموت . صنعاء، مكتبة الإرشاد، ط: الثانية، 2003م.

. عابد سليمان المشوخي:

المخطوطات العربية مشكلات وحلول. الرياض، مكتبة الملك عبد العزيز العامة،2001م.

. عبد الحكيم الهجري:

دراسة وتحقيق مخطوطة " تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار " للمؤرخ المطهر الجرموزي. صنعاء، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ط: الثانية، 2002م.

. عبدالرحمن بن حسن البهكلي:

خلاصة العسجد من حوادث دولة الشريف محمد بن أحمد. تحقق: ميشيل توشرير، دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، 2000م.

. عبد الرحمن بن خلدون:

مقدمة بن خلدون. بيروت، دار الفكر، ط: أولى، 1997م.

. عبد الرحمن عبد الله الحضرمي:

زبيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ . صنعاء، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، 2000م.

. عبد الرحمن بن علي بن الديبع:

الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار زبيد تحقيق محمد عيسى صالحيه، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، ط: أولى، 1983م.

تيسير الوصول إلى جامع الأصول من أحاديث الرسول. مكتبة دار التراث، (د.ت).

. شمس الدين عبد الصمد الموزعي:

الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان. تحقيق: عبدالله الحبشي، صنعاء، منشورات وزارة الوقاف والأرشاد، (د.ت).

الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان. القاهرة، نشر المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، 1999م.

. عبد العزيز الشناوي:

الدولة العثمانية دولة الإسلامية مفترى عليها. القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، جـ1 1987م.

. عبد الفتاح شايف نعمان:

الإمام الهادي يحيى بن الحسين. بيروت، مؤسسة فؤاد بعينو للتجليد، ط: أولى، 1989م.

. عبد القادر بن شيخ العيدروس:

النور السافر في أخبار القرن العاشر. بيروت، دار الكتب العربية، ط: أولى، 1985م.

. عبدالكريم العزير:

التشكيلات المركزية والإدارة العثمانية في اليمن. صنعاء، مطابع الصباحي،2000م.

. عبد الإله الوزير:

طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى . تحقيق: محمد عبدالرحيم جازم ، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط: أولى، 1985م.

. عبد الله البردوني:

اليمن الجمهوري. دار الأندلس، صنعاء، ط:الخامسة، 1997م.

. عبدالله أبو داهش:

أهل تهامة والمخلاف السليماني وحلي بن يعقوب واحوازهما. الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية ط: أولى، 1999م.

. عبد الله فروان:

الخروج على الحاكم الجائر في الفكر السياسي الإسلامي. صنعاء ، أُوان للخدمات الأعلامية، (د.ت).

. عبدالله محمد الحبشي:

حكام اليمن المؤلفون المجتهدون. بيروت، دار القرآن الكريم، ط:أولى، 1979م.

مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن. أبو ظبي، المجمع الثقافي، 2004م.

. عبد المجيد زراقط:

الشعر الأموي بين الفن والسلطان. بيروت، دار الباحث، ط:أولى، 1983م.

. علي المتقي بن حسام الدين الهندي:

كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، حلب، مكتبة التراث الإسلامي. ط:أولى، 1974م.

. علي القرشي:

مسند شمس الأخبار المنتقى من كلام النبي المختار. صنعاء، مكتبة اليمن الكبرى، ط:أولى، 1987م

. أبو الحسن علي بن محمد الماوردي:

الأحكام السلطانية. تحقيق: رضوان السيد، بيروت، دار الطليعة، 1979م.

. عيسى بن لطف الله:

روح الروح في ما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح. تحقيق: إبراهيم المقحفي، صنعاء ، مركز عبادي للطباعة والنشر، ط:أولى، 2003م.

. فراس السواح:

الأسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية. دمشق، دار علاء الدين، ط:أولى، 1997م.

. القاسم بن سلام العروي الأزدي:

كتاب الأموال . شرحه عبدالأمير علي المهنا، بيروت، دار الحداثة، 1988م.

. القاسم بن محمد بن علي: (الإمام)

الإعتصام بحبل الله المتين. عمّان، مطابع الجمعية العلمية الملكية،1983م.

. كارل بروكلمان:

الأدبيات اليمنية في المكتبات والمراكز الثقافية العالمية. تحقيق: صالح بن الشيخ أبوبكر، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط:أولى، 1985م.

. ليلى الصباغ:

دراسة وتحقيق كتاب المنح الرحمانية في الدولة العثمانية. للمؤرخ: محمد بن أبي السرور البكري. القاهرة، دار البشائر، ط:أولى ،1995م.

. المبارك بن محمد بن محمد بن الأثير:

جامع الأصول من أحاديث الرسول. بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج:10 1984م.

. مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي:

لوامع الأنوار في جوامع العلوم والأثار. صعدة، مكتبة التراث الإسلامي، ط:أولى، 1993م.

التحف شرح الزلف. صنعاء، مكتبة بدر، 1997م.

. محمد بن إبراهيم المفضل:

السلوك الذهبية في خلاصة السيرة المتوكلية. نشر: عبد الملك بن محمد الطيب ،(د.ت) ، (د.م).

. محمد أحمد عبدالعال:

بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما. الإسكندرية، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1980م.

. محمد بن احمد العقيلي:

المخلاف السليماني. الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ط:الثانية، 1982م.

. قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي:

البرق اليماني في الفتح العثماني. بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، ط:الثانية، 1986م.

. محمد بن أبي بكر الشلي:

السناء الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر .تحقيق: إبراهيم المقحفي، صنعاء، مكتبة الإرشاد، ط:أولى، 2004م.

. محمد بن إسماعيل الكبسي:

اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية. القاهرة، مطبعة السعادة، (د.ت).

. محمد أحمد أنيس:

الدولة العثمانية والشرق العربي 1514. 1914م. القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1985م.

. محمد عابد الجابري:

تكوين العقل العربي. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط:الخامسة، 1991م .

المسألة الثقافية. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط:أولى، 1994م.

. محمد عبد العزيز يسر:

الموروث الحضاري لمدينة صنعاء، جامعة صنعاء، 2004م.

. محمد عبد القادر بامطرف:

الشهداء السبعة. عدن، دار الهمداني للطباعة والنشر، ط:الثانية، 1983م.

. محمد علي أبو ريان:

تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام. الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1993م.

. محمد علي زيد:

معتزلة اليمن دولة الهادي وفكره. صنعاء، دار الكلمة، ط:الثانية، 1985م.

. محمد بن عمر الطيب بافقيه:

تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر. تحقيق: عبدالله محمد الحبشي، صنعاء ،مكتبة الأرشاد ، ط:أولى ، 1999م.

. محمد عيسى صالحية:

المخطوطات اليمانية في مكتبة علي أميري ملّت . بأستانبول. بيروت، دار الحداثة للطباعة والنشر، ط:أولى، 1984م.

. محمد بن هاشم:

تاريخ الدولة الكثيرية. صنعاء، مركز عبادي للدراسات والنشر، ط:أولى ، 2002م.

. محمد يحيى الحداد:

التاريخ العام لليمن. بيروت، دارالتنوير للطباعة والنشر، ط:أولى، 1986م.

. محمد يحيى سالم عزان:

كتاب المسار، حديث إفتراق الأمة تحت المجهر. صنعاء، مركز التراث والبحوث اليمني، ط:أولى، 2001م.

. محمد يونس:

التكفير والدين والسياسة. القاهرة، مركز القاهرة لدراسات حقوق الأنسان، 1999م.

. المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، سلسلة: الدراسات المترجمة دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي، ترجمة نهى صادق. 2002م.

. نور المعارف في نُظم وقوانيين وأعراف اليمن في العهد الرسولي الوارف:

تحقيق : محمد عبد الرحيم جازم. صنعاء، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، ط: أولى. 2003م.

. وجيه كوثراني:

المسألة الثقافية في لبنان، الخطاب السياسي والتاريخ. بيروت، منشورات بحسون الثقافية، ط أولى، 1984م.

. يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي: (الإمام الهادي إلى الحق)

الأحكام في الحلال والحرام. جمعه علي بن أحمد أبي حريصه، مكتبة التراث الإسلامي (د. م) ط :الثانية، 1999م

. يحيى بن الحسين بن القاسم:

غاية الأماني في أخبار القطر اليماني. تحقيق: سعيد عاشور، القاهرة، دار الكتاب العربي، 1968م.

. يحيى بن الحسين الشجري:

الأمالي الخميسية . بيروت، عالم الكتاب، ط:الثانية، 1403هـ /1982م.

. يحيى بن الحسين الهاروني:

تيسير المطالب في آمالي أبي طالب . ترتيب القاضي عبدالله حمود العزي، عمّان، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية. 2002م.

. يحيى محمد المقرائي:

مكنون السر في تحرير نحارير السر. تحقيق: زيد الوزير، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط:أولى، 2002م.

سادساً: المعاجم و التراجم و الموسوعات:

. إبراهيم أحمد المقحفي:

معجم البلدان والقبائل اليمنية. دار الكلمة، صنعاء، 2002م.

. إبراهيم بن القاسم:

طبقات الزيدية الكبرى . صنعاء ، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، ط:أولى، 2001م.

. أحمد بن أحمد الشرجي:

طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص. بيروت، دار المناهل، ط:أولى ،1986م.

. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني:

الإصابة في تمييز الصحابة. تحقيق : طه الزين، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ط: أولى ، 1976م.

. أحمد بن محمد بن خلكان:

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. بيروت، دار صادر، 1977م.

. إسماعيل بن علي الأكوع:

هجر العلم ومعاقلة في اليمن. دار الفكر، بيروت، ط أولى، 1995م.

. الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني:

صفة جزيرة العرب: تحقيق / محمد بن علي الأكوع، صنعاء، مكتبة الإرشاد، ط أولى، 1990م.

. حسين مجيب المصري:

معجم الدولة العثمانية . القاهرة، مكتبة الأنجلو،1989م.

. خيرالدين الزركلي:

الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين و المستشرقين. دار العلم للملايين، بيروت، ط:الخامسة، 1980م.

. صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي:

الوافي بالوفيات. بيروت، دار صادر، 1991م.

. سهيل صابان:

المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية. الرياض، مكتبة الملك فهد، 2000م.

. جمال الدين عبد الرحيم الأسنوي:

طبقات الشافعية. تحقيق/ عبدالله الجبوري، بغداد، مطبعة الإنشاء، 1970م.

. عبد السلام الوجيه:

أعلام المؤلفين الزيدية. صنعاء، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ط:أولى، 1999م.

. عمر بن سمرة الجعدي:

طبقات فقهاء اليمن. تحقيق/ فؤاد سيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:الثانية،1981م.

. فؤاد محمد النادي:

موسوعة الفقه السياسي الإسلامي، طرق إختيار الخليفة. القاهرة، دار الكتاب لجامعي، ط:أولى ، 1980م.

. محمد أحمد الحجري:

مجموع بلدان اليمن وقبائلها. تحقيق: إسماعيل الأكوع، صنعاء، دار الحكمة اليمانية، ط:الثانية، 1996م.

. محمد أمين المحبي:

خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر. دار صادر، بيروت، (د.ت).

. محمد بن سعد الزهري:

الطبقات الكبرى. تحقيق: رياض عبد الهادي، بيروت، دار أحياء التراث العربي، ط: أولى، 1996م.

. محمد بن عبد الرحمن السخاوي.

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع . بيروت، دار مكتبة الحياة (د.ت) المجلد الثاني.

. محمد بن على الزحيف:

مآثر الأبرار في تفاصيل مجملات جواهر الأخبار. صنعاء، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، 2003م.

. محمد بن على الشوكاني:

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع . تصحيح محمد بن محمد زبارة، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، (د.ت).

. محمد التوينجي:

المعجم الذهبي فارسي . عربي. بيروت، دار القلم للملايين، ط:أولى ، 1969م.

. محمد سعد بسيوني:

موسوعة أطراف الحديث النبوي. بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، ط:أولى، 1989م.

. محمد شفيق غربال:

الموسوعة العربية الميسرة ، القاهرة، مؤسسه فرنكلين للطباعه والنشر. (د.ت)

. مطهر بن علي الإرياني:

معجم الألفاظ اليمنية: دمشق، دار الفكر، ط:أولى، 1996م.

. محمد بن محمد زبارة:

نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف. صنعاء، مركز الدراسات البحوث اليمني، ط: الثانية، 1985م.

. محب الدين أبي فيض محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي:

تاج العروس من جواهر القاموس: بيروت ، دار الفكر، 1994م.

. جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور:

لسان العرب المحيط. دار لسان العرب ، بيروت: لسان العرب، (د.ت).

. الموسوعة الإسلامية المختصرة:

دار الحكمة، بيروت ، ط:الثانية،2000م.

. الموسوعة اليمنية:

مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ط:الثانية، 2002م.

. يوسف عبدالله بن محمد بن عبد البر:

الاستيعاب في معرفة الأصحاب. تحقيق/ طه الزيني، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، 1970م

سابعاً: الرسائل العلمية:

. أحمد بن محمد الشرفي:

اللآلئ المضيئة في أخبار الأئمة الزيدية. الجزء الثاني، دراسة وتحقيق : سلوى المؤيد: رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة صنعاء ، 2002م.

. خالد العفيري:

التفكير الخرافي وعلاقته ببعض المتغيرات في المجتمع اليمني. رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة صنعاء، 2002م.

. الطيب عبدالله بن أحمد بامخرمة:

قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر. الجزء الثالث، دراسة وتحقيق :محمد يسلم عبدالنور، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة صنعاء ، 2003م.

. محمد أحمد الكامل:

التدوين التاريخي في القرن الثامن الهجري. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة صنعاء، 2000م.

. مطهر بن محمد الجرموزي:

الجوهرة المنير في جمل من عيون السيرة. دراسة وتحقيق : أمة الملك قاسم الثور، تحت عنوان بناء الدولة القاسمية في عهد الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم. أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة صنعاء ، 2004م.

النبذة المشيرة في جُمل من عيون السيرة. دراسة وتحقيق : عبد الحكيم الهجري، تحت عنوان ثورة الإمام القاسم بن محمد ضد الوجود العثماني الأول في اليمن. طروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، 2005م.

. وليد عبدالحميد النود:

الدولة القاسمية في اليمن جذورها وأسس قيامها (1006هـ/ 1597م) (1045هـ/ 1644م) . رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صنعاء، 2002م.

ثامناً الدوريات والندوات:

. محمود علي عامر:

اليمن من خلال لائحتي محمد خليل افندي. مجلة الأكليل، العدد الأول،1989م. من صـ 79 إلى صـ 99.

قافلة الحج اليمني. مجلة الإكليل ، العدد الأول، 1992م، من صـ 33 إلى صـ45.

. بدر الأغبري:

عوامل إزدهار التعليم في عصر الدولة الرسولية. ندوة الحياة العلمية والفكرية في عصر الدولة الرسولية، المدرسة الياقوتية في عدن ودور المدارس الإسلامية في اليمن في نشر التعليم ، جامعة عدن ، 2001 م.

. رياض المشرقي:

التعليم في اليمن خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين، ندوة الحياة العلمية والفكرية في عصر الدولة الرسولية، المدرسة الياقوتية في عدن ودور المدارس الإسلامية في اليمن في نشر التعليم. جامعة عدن ، 2001م.

خامساً: الكتب والدوريات الأجنبية:

. Bidwell Robin : - The Two Yemens . Longman Westview Press, U.S.A, first published, 1983.

(دورية) . Blackburn , J.R: -- Tow Documents on the Division of Ottoman Yemen in to tow Beglerbegiliks (973 / 1565). in Turcica ,Tome xxvll, Editions, Peeter No
27,1995

.Sergeant , R B :

- The Portuguese off the south Arabian Coast. Oxford University Press, The Second Edition, Lebanon, 1974.

- Sana`a an Arabian Islamic city .the post medieval and modern History of Sana,a.

first published in 1983 by the world of Islam Festival Trust.